جمهورية العراق
ديوان الوقف السني
دائرة البحوث والدراسات

دائرة البحوث والدراسات
سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة
(٢٠١)

الجملة في القرآن الكريم

دراسة أسلوبية دلالية

الدكتور
عدنان خالد فضل المرابحي

١٤٣٤ هـ الطبعة الأولى ٢٠١٣ م

الجملة في القرآن الكريم دراسة أسلوبية دلالية

الدكتور

عدنان خالد فضل

مباحث أدبية قرآن

٢

٦

٦٥

Republic of Iraq
Wakuf Sunni Dewan
Research and Studies Directerat

Research and Studies Directerat

Sentence in the Quran

Stylistic of Semantic

P.H.D
Adnan Khalid Fadl Al murabihy

1434 AH First edition 2013 AD

جمهورية العراق
ديوان الوقف السني
دائرة البحوث والدراسات

دائرة البحوث والدراسات

سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة
(٢٠١)

الجملة في القرآن الكريم
دراسة أسلوبية دلالية

أ .م. الدكتــور
عدنان خالد فضل المرابحي

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ ٢٠١٣م

دائرة البحوث والدراسات

الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية

برقـم ١٥٨٠
لسنة ٢٠١٢

جميع مطبوعات الدائرة محكمة علمياً

الآراء التي في هذا هذا الموضوع
تعبر عن رأي كاتبها

٢٢٠
م ٢٢٢
المرابحي، عدنان خالد فضل
الجملة في القرآن الكريم. دراسه اسلوبية دلالية ._ بغداد: ديوان الوقف السني، ٢٠١٢ م

٥٧٠ص. ٢٥ سم.(سلسلة الدراسات الاسلامية المعاصرة ٢٠١)

١. القرآن _ دراسه ا. العنوان ب. السلسله

الاهداء

إلى مَن كانا سبباً في حياتي...

أمي وأبي... كساهما الله ثوب العافية بفضله.

إلى مَن أشرف على بحثي وقوّم زلاتي ...

أستاذي ... فكان ثمرة غرسه.

إلى مَن يشدون أزري في حياتي ...

إخوتي وأخواتي ... حفظهم الله بحفظه.

إلى مَن تشاطرني السراء والضراء في حياتي..

زوجي... أكرمها الله بفضله.

إلى مَن هم حياتي بعد حياتي...

أبنائي ... أقامهم الله على دينه وشرعه.

والى كل محبٍ للغة القرآن الكريم ...

أهدي هذا البحث

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله نحمده و نستعينه، ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:-

إن مجالات الأسلوبية متعددة، فهي تدرس في أي نص سواء أدبيا كان أم غير أدبي الكثير من الظواهر اللغوية، منها: الجمل من حيث التركيب والصياغة والطول والقصر أللأفعال الغلبة أم للأسماء؟ ولكل دلالته وأثره في تركيب الجملة وكيفية وقعها على الأذن وهل الأصوات المستعملة فيها مهموسة أم مجهورة..وكيفية ارتباط الجمل بعضها ببعض داخل السياق ثم النص. وتعنى أيضاً بالناحية الشكلية وبالمضمون وبقيمته التعبيرية والفكرية، ولا يمكن في أي دراسة أسلوبية فصل الشكل عن المحتوى بأي شكل من الأشكال فالمعنى هو الذي يختار النمط الذي يجب أن تكون عليه الجمل المستعملة. فيكونان في النص المدروس وحدة متماسكة- لاسيما إذا كان هذا النص هو القرآن الكريم- كما تهتم الأسلوبية بأي تغيير يطرأ على ترتيب عناصر الجملة مهما كان يسيرا؛

وذلك لأن الاختلاف في ترتيب عناصر الجملة يؤدي إلى تباين المعنى ثم يؤدي إلى تفاوت درجات التأثير.

أما اختيار البحث في الجملة وحدها- **وهي وحدة كبرى**- دون وحدات أصغر منها ؛فيعود إلى أن الجملة هي النواة الأساسية التي تكوّن الأسلوب بمعطياته كافة، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن كلمة واحدة أحياناً تفي بغرض الإيصال إلا أن كلاً من القائل والمتلقي يعي تماماً أن هذه الكلمة تخفي وراء دلالتها جملة تامة الأركان أو أكثر في بعض الأحايين.

و**الجملة** هي المقصد في التعبير، وذلك لان اللغة تُعرف بأنها مجموعة من الجمل التي ينتجها النحو ثم فإن النص عبارة عن مجموعة من الجمل تضمها علاقات سياقية معينة. أي أن النص عبارة عن تتابع مترابط من الجمل، الأمر الذي يؤدي إلى أن الجملة بوصفها جزءاً صغيراً ترمز إلى النص، ويمكن تحديدها بإشارات وعلامات ترقيم تكون مرشدا للقارئ وتوصف بعد ذلك بأنها وحدة مستقلة نسبياً.

فالجملة وحدة لغوية تجمع كلماتها قوانين النحو حتى تكوّن وحدة أكبر منها وهي النص الذي يعده علم اللغة النصي الوحدة الرئيسية في التحليل والوصف اللغوي، وعليه يمكن عدّ الجملة أكبر وحدة لغوية في النص ؛لأن **النص عبارة عن مجموعة جمل.**

ومن **هذا المنطلق** سوف نقوم بدراسة الجملة القرآنية بوصفها وحدة لغوية مستقلة وبوصفها وحدات أصغر في تكوين وحدة سياق النص العام.

وبذلك تتقارب الدراسة اللغوية للجملة والدراسة الأدبية للنص، إذ القاسم المشترك هو النص المراد تحليله ودراسته.

وعلى هذا فالجملة هي الوحدة اللغوية الأولية التي تلقي بدلالتها على أي معنى بسيط أو معقد مشكلة بذلك بناءً أسلوبياً متميز الدلالة.

ولما كان البحث خاصاً بأسلوب القرآن الكريم، فإن هذا الأسلوب يفرض منهجاً تحليلياً خاصاً به يقوم على تحليل تراكيب الجمل القرآنية أو جمل عدة في السياق نفسه مع التركيز على الجملة المركزية فيه والتي ورد فيها التغير أو الخروج عن النمط المألوف أو ما حدث فيها من تعقيد خلال بنائها في الأسلوب القرآني، ومن محاسن هذا المنهج ملاءمته **للجمل المعقدة**، أو **الجمل الطويلة** ،أو **الجمل المتلازمة** كجملة الشرط وجملة الجواب في التركيب الشرطي أو القسم. ويمكن من خلال هذا المنهج تسليط الضوء على المفردة واستعمالها داخل الجملة أو الحروف المستخدمة، أو طرق التوكيد فيها أو استعمالات ألاسم والفعل فيها والفرق بينهما أو التغاير الأسلوبي من خلال استعمال الجملة الاسمية أو الفعلية.ثم بيان العلاقات السياقية بين جمل القرآن فالرابط الحقيقي بين الجمل إنما يكمن في نظم الجملة بالنظر إلى وشائج المعنى أولاً، والفن ثانياً، فتمسك كل واحدة بناصية الأخرى فيقوى الترابط حتى يؤول إلى بناء محكم اللّبنات، كي يفي بالمقصود.

وسيدرس هذا البحث **الجملة** بوصفها أداة التأثير في المتلقي وسيعالجها من منظار أسلوبي نقدي عبر محورين: **نظري وتطبيقي**.

وسيأخذ بالحسبان كل ما له صلة بها، بما في ذلك شكلها ومضمونها وعلاقاتها بما قبلها وما بعدها إن كنا لا نستطيع بيان شيء من أسرارها إلا بالرجوع إلى ما قبلها أو ما بعدها ففي بعض الأحيان يكون التغير الحاصل في الجملة راجعاً إلى متممات المعنى في الجمل حولها.ثم ينظر إليها نظرة شاملة بوصفها منظومة متكاملة في موضعها.

وقد قسمت الدراسة أقساماً: **مقدمةً وتمهيداً عاماً، وأربعة فصولٍ، تقفوها خاتمة.**

فجعلت **التمهيد** حديثاً موجزاً عن ثلاثة أمور: تحدثت في الأول منها عن **مفهوم الجملة عند النحاة والبلاغيين قديماً وحديثاً**، تعريفاً بها وإشارة إلى أبرز تعريفاتها التي قال بها العلماء مع الإشارة إلى المفهوم الذي نطمئن إليه.

وتناولت في **الثاني تركيب الجملة الأساسي** وبينت فيه أن هناك فضلات في الجملة لا يمكن الاستغناء عنها لأنها هي المقصودة فإذا حُذفت من بناء الجملة اختلت الجملة أيما اختلال لأن المعنى يتوقف عليها.

وتناولت في الثالث **أنواع الجمل عند القدامى والمحدثين** وبينت أن هذه التقسيمات لا يمكنها الإحاطة التامة بالجملة العربية من جميع نواحيها، لذلك فقد اعتمدت تقسيماً يعتمد على معايير عديدة تتحد بموجبها جميع أنماط الجمل العربية.

سميت الفصل الأول (**الخصائص الأسلوبية في تركيب الجملة القرآنية**) وتناول ثلاثة مباحث وهي:

- الحذف في أسلوب الجملة القرآنية.
- التقديم والتأخير في أسلوب الجملة القرآنية.
- طول الجملة القرآنية.

وأما الفصل الثاني فهو بعنوان (**أساليب الجملة القرآنية**) وقد تناول ثلاثة مباحث أيضا وهي :

- التوكيد.
- النفي.
- الاستفهام.

والسبب في تناول هذه الأساليب الثلاثة أنها مشتركة بين الجملتين الاسمية والفعلية، زيادة على كون هذه الأساليب هي الأكثر شيوعاً في أسلوب القرآن الكريم.

وأما الفصل الثالث فهو بعنوان (**التلازم بين الجمل**)، وقد تناول التلازم الحاصل بين جملتين، فقد وعلى النحو الآتي:-

- في الفصل والوصل.
- في الشرط والجزاء.
- في القسم والجواب.

وقد كان الفصل الرابع بعنوان (**جماليات الجملة القرآنية**)، وجعلته

في خمسة مباحث هي:-

- تلاؤم ألفاظ الجملة وانسجامها.
- التلاؤم الإيقاعي في الجملة القرآنية.
- الجملة القرآنية جملة مصورة.
- الفاصلة في الجملة القرآنية.
- العدول بين الجمل القرآنية.

وسجلتُ في **الخاتمة** أبرز ما توصلتْ إليه الدراسة من نتائج وذلك على سبيل الإجمال.

ولابد من أن أُشير إلى أن **الفصل الأول** من الدراسة كان متميزاً عن سائر فصولها من ناحية الطول ذلك أنه كان أطول فصول الدراسة والسبب في ذلك هو أن الفصل الأول قد تناول الخصائص الأسلوبية في تركيب الجملة القرآنية وهذه الخصائص متنوعة ومتفرعة تفرعات كثيرة ضمن المباحث التي تناولتها الدراسة فكان لابد من الوقوف عند هذه الظواهر -الكثيرة- في أسلوب الجملة في القرآن الكريم. وبذلك طال هذا الفصل لما تتطلبه دراسة هذه الظواهر من تفصيلات وتقسيمات.

وأسأل الله ﷻ أن يجزل الثواب لكل من مد لي يد العون في هذا البحث المبارك من قريب أو بعيد، وأدعو الله تعالى ألا يحرمهم أجر هذا الجهد العلمي، الذي هو في منطلقاته ونهاياته خدمة للغة القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم خبير.

وفي ختام هذه المقدمة لا أزعم أنني استقصيت كل جمل القرآن الكريم في هذا البحث ولكنني تناولت أبرز الخصائص والسمات التركيبية والفنية والجمالية في جمله، والتي يمكن أن تكون مشتركة في أغلب جمله وآياته. والله من وراء القصد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات.

الاستاذ المساعد الدكتور

عدنان خالد فضل المرابحي

عضو هيئة التدريس في كلية الآداب جامعة تكريت.

التمهيد

مفهوم الجملة

تركيب الجملة

أنواع الجمل

مفهوم الجملة

أُختلف في معنى الجملة العربية وفي تحديد مكنونها والوقوف على أركانها، فهي عند المناطقة عبارة عن موضوع ومحمول، فالموضوع: أمر قد وُضع أمام العقل ليُحكم عليه حكماً من الأحكام، أما المحمول فهو الذي يكمل ذلك الحكم وهو الذي يفيدنا تلك الصفة في الموضوع. فعندما نقول **(النار محرقة)** – وهذا القول هو عبارة عن جملة – تكون **(النار)** هي الموضوع و**(محرقة)** هي المحمول(١).

واستعمل القدماء مصطلح **(المسند والمسند إليه)** – فقال سيبويه (ت١٨٠ هـ): **(هذا باب المسند والمسند إليه)**(٢)، وهما ما لا يُغني

(١) ينظر: من أسرار اللغة – د.إبراهيم أنيس: ٢٧٥-٢٧٦ و نحو التيسير – د. عبد الستار الجواري:١٢٣.

(٢) الكتاب – سيبويه: ٢٣/١.

أحدهما عن الآخر، و لا يجد المتكلم منه بداً.كما في المبتدأ والخبر والفعل والفاعل أو ما ينوب عنهما أو ما كان على أصلهما.

ولم يأخذ النحاة بمصطلحي (**المسند والمسند إليه**) بعد سيبويه وإن أوردوهما في كتبهم، واستعملوا ما يقابلهما من (**مبتدأ وخبر**) و(**فعل وفاعل**). أما أهل البلاغة فأخذوا بمصطلحي (**المسند والمسند إليه**) وبنوا عليهما دراساتهم، فالجملة عندهم تتكون من ركنين أساسيين (**المسند**) وهو يناظر (**المحمول**) و(**المسند إليه**) وهو يعادل (**الموضوع**) عند أهل المنطق(١).

ويتضح مما سبق أن المناطقة لا يعنيهم من الجملة ألا ركناها الأساسيان و لا يعنيهم من هذين الركنين إلا استخراج الحكم المستفاد من ارتباط أحدهما بالآخر.

أما اللغويون فيذهبون إلى أن كل عبارة تفيد معنى مستقلاً وتفيد فائدة يحسن السكوت عليها فهي جملة فـ(**سبحان الله**) و(**وا أسفاه**) عندهم جملة لتحقق الشرط السابق فيهما، على حين أننا لا نرى في هاتين الجملتين موضوعاً أو محمولاً، ولكن القدماء أمكنهم التغلب على تلك المشكلة بفكرة التقدير، فيقدرون فعلاً محذوفاً أو مسنداً إليه محذوفاً أو ضميراً... وهكذا(٢).

---

(١) ينظر: من أسرار اللغة:٢٧٦ و بلاغة الكلمة والجملة والجمل- د. منير سلطان:٨٤-٨٥.

(٢) ينظر: من أسرار اللغة:٢٧٥-٢٧٦.

ولما كانت اللغة تتكون عادة من اتحاد الألفاظ بعضها ببعض مهما كان دور هذه الألفاظ في الجملة أو استعمالها سواء أحقيقياً كان أم مجازياً، فلا بد من أن يكون هذا الاتحاد في إطار يُقصد به نقل معنى يحسن السكوت عليه، ويخضع لمجموعة كبيرة من القواعد والقوانين التركيبية والدلالية والصرفية والصوتية زيادة على المعجمية التي تعمل معاً في إطار واحد للوصول إلى المعنى المقصود الذي يطلق عليه **(المعنى الوظيفي)**، وأصغر وحدة لهذا المعنى يسمّى **(الجملة)**، وقد شغلت دراستها للوصول إلى ما فيها من معنى دلالي النحاةَ والمناطقةَ والفلاسفة وأصحاب الكلام قديماً وحديثاً.

فمنهم من نهجوا منهجاً معيارياً واعتمدوا فيه على استقراء عدد من الشواهد في اللغة التي تراد دراستها، ثم أخذوا بوضع القواعد والقوانين لهذه اللغة على وفق ما درسوه من شواهد تلك اللغة، ومنهم مَنْ حاول الوصول إلى أعماق نفس المتكلم وتفسير النصوص استناداً إلى تلك القواعد والقوانين أو الخروج عنها. في حين ذهب آخرون إلى الأخذ بظاهر النصوص للوصول إلى المعنى القريب فيها(١).

ويعرّف الدكتور **إبراهيم أنيس** الجملة أنها**(أقل قدر من الكلام يُفيد السامع معنىً مستقلاً بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر)**(٢).

---

(١) ينظر: العامل النحوي – د.خليل عمايره:٢٦-٢٧.

(٢) من أسرار اللغة:٢٧٦.

فالجملة إذن في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنىً مستقلاً. ولا يلزم ذلك أن تحتوي على العناصر المطلوبة كلها، فقد تخلو الجملة من المسند أو المسند إليه أو أحد متعلقاتها لوضوحه أو لسهولة تقديره، وقد يُحذف أحدهما لأن المتكلم قد عوّل على المذكور في الحكم فلم يهتم بما حُذف(١).

فالجملة تعني (**نظماً من الكلام خضع لفكرة في الذهن و معنىً في النفس، ... فالجملة ليست هي محض رصفٍ للألفاظ على الصورة المعهودة كأن يُؤتى بالجملة الاسمية مبدوءاً فيها بالمبتدأ يليه الخبر أو الجملة الفعلية بأن يؤتى بالفعل يتلوه فاعله ثم تكمّل بما يسمى بالفضلة**)(٢).

وترى الدكتورة **نجاة الكوفي:** (إن أركان الإسناد في الجملة تنحصر في الاسم وهو: ماد دلَّ على حدث غير مرتبط بزمان، ومعلوم أن الذات ثابتة والفعل متغير، وأن الذات سبقت وجود الحدث وما الفعل إلاّ دليل أو نتيجة لوجود الذات، فوجود الله – سبحانه– سابق على الأمر (بكن و يكون) ولذلك جاز بناء الجملة من اسمين، هما: المبتدأ والخبر ولم يَجُزْ بناؤها من فعلين، وقد أفادت الجملة الاسمية معنى التوكيد؛ لأن وجود

---

(١) ينظر: في النحو العربي–نقد وتوجيه– د. مهدي المخزومي: ٣٣.

(٢) نحو المعاني– د.عبد الستار الجواري: ٢٥.

الذات ثابت، والحدث متغير، وأن العلاقة بين المبتدأ والخبر قائمة على الإسناد (أي نسبة الخبر إلى المبتدأ))[1].

وذلك لأن اللغة العربية لها ما يميزها عن اللغات الأخرى **(تلك هي أن الكلمة في أثناء الجملة تحمل معها ما يدل على صفتها الإعرابية وما دام للكلمة مثل هذه السمة فلها من الحرية في التنقل في أثناء الجملة، ما لم يكن لغيرها من الكلمات في غير العربية. والقيمة النحوية للكلمة الأجنبية إنما تتحدد بموضعها المخصص لها في الجملة، فإذا زحزحت عن مكانها خرجت عن صفتها واتخذت لها صفة أخرى يحددها موضعها الجديد)**[2].

ومما سبق تتبين أن الوحدة الأساسية في بناء الجملة هي الكلمة وذلك بغض النظر عن حركتها الإعرابية أو موقعها الإعرابي إذ أن دراسة المعنى تنطلق من الكلمة، ثم ما عُرف بعد ذلك بالوحدة الدلالية ولكن مع الإمكانية في الاتساع في هذه الوحدة ظهر الاهتمام بوحدة أوسع منها ألا وهي **(الجملة)** التي يعتبرها بعض الباحثين أهم الوحدات الدلالية في المعنى بل وأهم من الكلمة نفسها، إذ لا يوجد في رأيهم معنى منفصل للكلمة، بل معناها في الجملة التي تقع في سياقها. فإذا ما قلنا أن كلمة أو

---

(١) بناء الجملة بين منطق اللغة والنحو – د. نجاة الكوفي:٢٩.

(٢) في النحو العربي – قواعد وتطبيق– د. مهدي المخزومي:٨٧.

عبارة ما تحمل معنىً فهذا يعني أن هناك جملاً تقع فيها الكلمة أو العبارة وهذه الجمل هي التي تحمل ذلك المعنى[1].

فإننا حين نحلل نصاً في كل لغة فإنه يمكن أن ينقسم إلى جملٍ يفيد كل منها معنىً قد يكتفي به السامع ويطمئن إليه، وتشمل كل جملةٍ منه في الغالب على ما يسمى بالمسند والمسند إليه وحدهما وتلك هي الجملة القصيرة التي أُكتفي بركنيها الأساسيين. كما في قول إبراهيم عليه السلام حين رأى القمر بازغا فقال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾[2]. ولكن الجملة تتضمن في كثير من الأحيان – ولا سيما الجملة العربية – عناصر أخرى تطول معها الجملة وتتعقد وتصبح ذات دلالات أكبر كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[3]. فالمسند إليه في هذا الموضع قوم معنيون من الناس وقد أُسند إليهم ما يستحقونه من دخول الجنة والخلود فيها وقد جاء هذا الإسناد في صورة من الكلام مطولة وفيها شيء من التعقيد. لذلك يكتفي البلاغيون عادة بالتعبير

---

(١) ينظر: علم الدلالة- د. أحمد مختار عمر: ٣٤ والنحو والدلالة – د.محمد حماسة:٣٥.

(٢) سورة الأنعام: من الآية٧٨ .

(٣) سورة النساء: من الآية ٥٧ .

تركيب الجملة

تتركب الجملة من ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه وهما مرتبطان بعلاقة الإسناد بحيث لا يستغني أحدهما عن الآخر وما زاد على هذين الركنين يسمى(**الفضلة**) على حد تعبير النحاة كالمفاعيل والحال والتمييز والتوابع، ويسميها البلاغيون متعلقات الإسناد – كما قلنا سابقاً– أما المضاف إليه فهو بين الفضلة والعمدة، ذلك أنه قد يلتحق بالعمدة في حالة إضافته للعمدة كما في قولنا(أقبل عبدالله) أو كما في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[١]، ويلتحق بالفضلة إذا أضيف إلى الفضلة نحو قولنا (أكرمت عبدالله)، أو كما في قوله تعالى﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[٢]وليس معنى الفضلة أنه يمكن الاستغناء عنها في كل حالٍ، فإنها قد تكون واجبة الذكر لأن المعنى يتوقف عليها كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾[٣] فانه لا يمكن الاستغناء عن (**كسالى**) والتي هي فضلة بوصفها حالا من قيامهم[٤].

(١) سورة الفتح:٢٩.

(٢) سورة إبراهيم: ٦.

(٣) سورة النساء: ١٤٢ ومثله قوله تعالى ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ (الشعراء:١٣٠).

(٤) ينظر: الجملة العربية – تأليفها وأقسامها – د. فاضل صالح السامرائي: ٧.

و(قد يُهتم ببعض الفضلات بحيث يكون في بعض الأحيان هي الغاية والقصد، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾[1] فان العنصرين الأساسيين مسوقان من أجل نفي خلقهما في هذه الحالة المعينة (لاعبين) وإذا حُذفت هذه الحال اختلت الجملة أيما اختلال في معناها مع اكتمال عناصرها الأصلية من الفعل والفاعل وقد زاد فيها عنصر غير مؤسس آخر هو المفعول به ولذلك كانت عبارة الصبان دقيقة حيث يقول عن لفظ الفضلة: ((**ما يستغني الكلام عنه من حيث هو كلام نحوي**))[2] لا من حيث هو حدث لغوي)[3].

إذن فالمقصود بمصطلحي العمدة والفضلة أنه لا يمكن أن تتألف الجملة من دون عمدة مذكورة أو مقدّرة في حين أنه يمكن أن تتألف الجملة من أركانها الأساسية دون الفضلة[4].

ولا بد أن نشير هنا إلى أثر الفضلات في بناء الجملة العربية أو القرآنية؛ لأن العلاقة الرئيسة في الجملة هي علاقة الإسناد، وعدم ذكر هذه المتعلقات أو المخصصات في الجملة يجعل الإسناد مطلقاً غير مقيد، علماً أن هناك مخصصات تخصص الإسناد بأكمله، وهناك ما يخصص ما وقع في نطاقه فلذلك يقسم التخصيص في الجملة إلى أقسام عدّة

---

(١) سورة الأنبياء: **من الآية**١٦.

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني- الشيخ محمد بن علي الصبان: ١٦٩/٢.

(٣) بناء الجملة العربية: ٣٠

(٤) ينظر: الجملة العربية – تأليفها وأقسامها : ٧-٩.

بحسب العنصر المخصص في الجمل سواء المسند إليه كان أم المسند أو حتى الإسناد.

١- ما يقيد أو يخصص الإسناد بأكمله ويشمل المفعول به ونقصد به التعدية إلى المفعول به والظرف والمعية، والملابسة **(الحال)**، والإخراج **(الاستثناء)** والاستدراك، والتحديد بالمفعول المطلق والسببية والغائية.

٢- ما يقيد شيئاً في نطاق الإسناد ويشمل النعت وعطف البيان والإضافة والبدل.

٣- وهناك متعلقات يمكن أن تخصص الإسناد أو ما وقع في نطاق الإسناد كما في التمييز والجار والمجرور والظرف، زيادة على وجود عناصر أخرى يمكن أن تضاف إلى الجملة فتؤثر فيها مضموناً أو إسناداً(١).

فالعناصر التي تؤثر في مضمون الجملة هي الأفعال الناقصة والأدوات من توكيد وغيره وتشبيهٍ ونفيٍ واستفهامٍ واختلاف الترتيب وشرط ويمكن أن يضاف إلى ذلك الاعتراض سواء كان الاعتراض بمفرد أو بجملة.

---

(١) ينظر: مدخل إلى دراسة الجملة العربية- د.محمود أحمد نحلة: ١٠١-١٢٠.

ويمكن تلخيص ما يخص أركان الجملة في النقاط الآتية[١]:

١- إن الجملة تتألف من ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه وهما عمدة الكلام.

٢- ما زاد في الجملة على هذين الركنين فهو **(فضلة)** غير المضاف إليه فإنه يمكن أن يلحق بالعمدة أو يلحق بالفضلة وذلك بحسب ما يضاف إليه.

٣- لا تعني الفضلة انه يمكن الاستغناء عنها في بناء الجملة في كل الأحوال، بل المقصود أنه يمكن أن يتألف الكلام من دونها.

٤- إن المسند إليه في الجملتين الاسمية والفعلية لا يكون إلا اسماً.

٥- يمكن أن يكون الاسم مسنداً إليه ويمكن أن يكون مسنداً. أما الفعل فلا يكون إلا مسنداً سواء في الجملة الاسمية أم الفعلية.

المتعلقات في الجملة مهمة جداً لأنها يمكن أن تقيد الإسناد أو تقيد أحد طرفي الإسناد وهناك عناصر أخرى يمكن أن تدخل على الجملة فتؤثر في مضمونها ويمكن أن تصبح لها دلالة جديدة.

---

(١) ينظر: الجملة العربية –تأليفها وأقسامها: ١٠-١١ والبلاغة فنونها وأفنانها- د.فضل حسن عباس: ١/٨٨-٩٢.

أنواع الجملة

من الممكن تحديد أنواع الجملة من خلال تحديد أركانها الرئيسية الثلاثة وهي المسند إليه وهو موضوع الكلام أو المتحدث عنه – كما سبق– والمسند وهو المتحدث به عن ذلك الموضوع، والثالث هو الإسناد وهو عملية الربط بين المسند والمسند إليه والعلاقة بينهما[١].

وعلى هذا الأساس (دأب النحاة القدماء على تقسيم الجملة إلى جملة اسمية وجملة فعلية وهو تقسيم صحيح يقرّه الواقع اللغوي، ولكنهم بنوا دراساتهم اللغوية على غير منهجها فلم يوفقوا إلى تحديد الفعلية والاسمية تحديداً يتفق مع طبيعة اللغة، فالجملة الاسمية عندهم هي التي تبدأ بالاسم والجملة الفعلية هي التي تبدأ بالفعل، أو كما قال **ابن هشام** ((الاسمية هي التي صدرها اسم، كزيد قائم، وهيهات العقيق، وقائم الزيدان عند من جوّزه وهو الأخفش والكوفيون، والفعلية هي التي صدرها فعل، كقام زيد وضُرب اللص، وكان زيدٌ قائماً، وظننته قائماً، ويقوم زيد، وقم)[٢] وهو تحديد... يقوم على أساس من التفريق اللفظي المحض، فجملة (**طلع البدر**) جملة فعلية وجملة (**البدر طلع**) أو جملة (**البدر طالع**) أو جملة (**طالع البدر**) جملة اسمية)[٣].

---

(١) ينظر: في النحو العربي– قواعد وتطبيق: ٨٤.

(٢) مغني اللبيب: ٢/٣٧.

(٣) في النحو العربي– نقد وتوجيه: ٣٩–٤٠ وينظر: نحو الفعل– د. عبدالستار الجواري: ١١–١٢.

وعلى أساس فكرة الإسناد بنى النحاة تقسيمهم للجملة، فمنهم من جعلها أربعة أقسام، **كالزمخشري**[1] (ت ٥٣٨ هـ) وهي:

١- الفعلية: وتتكون من (فعل + فاعل أو نائبه في حالة بنائه للمجهول).
٢- الاسمية: وتتكون من (مبتدأ +خبر).
٣- الشرطية: وتتكون من (اقتران جملتي الشرط وجزائه).
٤- الظرفية وهي (ما بُدئت بالظرف أو الجار والمجرور).

ومنهم من جعلها ثلاثة أقسام كابن هشام[2]: فعلية واسمية وظرفية.

إلا أن ابن يعيش[3] (ت٦٤٣ هـ) شارح المفصل جعلها نوعين فقط: اسمية وفعلية، وهذا الأخير هو ما تواضع النحاة على تغليبه في أنواع الجمل العربية، بحيث باتوا يؤوّلون التركيب الشرطي أو الظرفي إلى عدّة وجوه حتى يجعلوه في أحد بابي الفعلية أو الاسمية[4].

أما النحاة المحدثون فقد نظروا إلى حقيقة المسند في تقسيمهم للجملة، فإذا كان المسند في الجملة فعلاً فهي فعلية ؛لأنه يدل على التجدد والحدوث والزمن، أما إذا كان اسماً فهي اسمية.

---

(١) ينظر: شرح المفصل- ابن يعيش: ٨/١.

(٢) ينظر: مغني اللبيب: ٣٧/٢-٣٨.

(٣) ينظر: شرح المفصل: ٨/١.

(٤) ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل-د. فخر الدين قباوة: ١٦-٢١.

يقول الدكتور المخزومي: **(وينبغي أن يستند تقسيم الجملة إلى المسند لا إلى المسند إليه، كما فعلوا، لان أهمية الخبر أو الحديث إنما تقوم على ما يؤديه المسند من وظيفة وعلى ما للمسند من دلالة)**[١]. ولذلك فالجملة عنده ثلاثة أنواع من حيث طبيعة المسند، وهي الجملة الفعلية: وهي التي يكون فيها المسند دالاً على التغير والتجدد، والجملة الاسمية: وهي التي يكون فيها المسند دالاً على الثبوت والدوام، والجملة الظرفية: وهي التي يكون فيها المسند ظرفاً أو جاراً ومجروراً[٢].

وفي كل الأحوال فإن هذا التقسيم الذي وضعه القدماء وكذلك الذي وضعه المحدثون لا يعطينا الإحاطة التامة بالجملة العربية من جميع نواحيها، وأن هناك جملاً لا يتضح تركيبها في هذين الركنين إلاّ على تأويلات بعيدة، كما في جملة القسم والنداء وبعض صور الدعاء... وغيرها[٣]. مع وجود جمل معقدة ومركبة لا يمكن الاهتداء إلى أركانها الأساسية بسهولة، ولذلك فان هناك معايير عديدة تتحد بموجبها أنماط الجمل العربية. وهذه المعايير هي:

١ـ الجملة البسيطة والجملة المركبة:-

يمكن تقسيم الجملة من ناحية تركيبها إلى جملة بسيطة وجملة مركبة، وتدخل ضمن الجملة البسيطة الجملة المجردة أو الجملة الأساسية:

---

(١) في النحو العربي- قواعد وتطبيق: ٨٦.

(٢) ينظر: المرجع السابق

(٣) ينظر: البيان في روائع القرآن-د.تمام حسان: ٥٦-٥٧.

وهي التي تتكون من ركني الإسناد دون أية إضافات[1] كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[2] وكذلك الجملة البسيطة الموسعة وهي التي يضاف إلى ركنيها عنصراً أو أكثر يوسع دلالتها كما في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ﴾[3]، والجملة البسيطة هي النموذج للبنية الأساسية لبناء الجملة النحوية الإسمية منها والفعلية ويمكن أن تدخل على الجملة البسيطة النواسخ المختلفة وما تحمله من معاني التحديد الزمني أو النفي أو التوكيد بالنسبة إلى الجملة الإسمية. أما الفعلية فيمكن أن يدخل عليها النفي والاستفهام والتوكيد والشرط وغيرها من الأشكال النحوية التي تدخل على البنية الأساسية لأداء غرض نحوي أو معنوي، والجملة البسيطة هي التي أطلق عليها النحاة **(الجملة الصغرى)**[4].

أما الجملة المركبة فهي على نوعين، **الأولى**: الجملة المركبة تركيب إفراد وهو وجود جملتين ترتبط إحداهما بالأخرى أو تتفرع منها كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[5] فهذه جملة مركبة مكونة

---

(١) وهي التي يسميها الدكتور إبراهيم أنيس الجملة القصيرة. ينظر: من أسرار اللغة: ٢٧٧، والجملة في أسلوب القصة القرآنية:١٢٣

(٢) سورة الإخلاص: من الآية ١.

(٣) سورة القصص:من الآية ٢٠.

(٤) ينظر: مغني اللبيب: ٤١/٢.

(٥) سورة الحج:من الآية ٣٨.

من جملتين الأولى إسمية والثانية فعلية والأخيرة هي في موضع الخبر في الجملة الاسمية الأصلية .

الثانية: الجملة المركبة تركيب تعدد وهو وجود أكثر من جملتين متصلة عن طريق الربط أو التفريع أو الاثنين معاً، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾(١) فهذه الآية الكريمة عبارة عن جملة مركبة من ثلاث جمل مرتبطة فيما بينها ومركبة في جملة واحدة، والجملة المركبة هي التي أطلق عليها النحاة (**الجملة الكبرى**)(٢).

٢- **الجملة التامة والجملة الناقصة**:-

والمقصود هنا بالتمام هو التمام من الناحية النحوية وليس من ناحية المعنى فالتامة هي التي استوفت ركنيها الأساسيين،مثل قوله تعالى(**محمد رسول الله**)(٣) أما الناقصة فهي ما حُذف أحد ركنيها لقرينةٍ أو استتارمثل قوله تعالى(**واسأل القرية**)(٤).

وتتداخل جمل هذا النوع مع جمل النوع الأول، فمن الممكن أن تأخذ كل جملة منهما مكان الجملة في النوع المقابل لها،أي انه يمكن أن

---

(١) سورة الأنبياء:من الآية١٠١

(٢) ينظر: مغني اللبيب: ٢/٤١ وبناء الجملة العربية: ٢٧.

(٣) ينظر: سورة الفتح من الآية٢٩.

(٤) ينظر: سورة يوسف من الآية٨٢.

تكون كل من الجملتين التامة والناقصة بسيطة أو مركبة، وكذلك يمكن أن تكون الجملتان البسيطة والمركبة كل منهما تامة أو ناقصة(١).

٣- الجملة المستقلة والجملة غير المستقلة:-

والجملة المستقلة هي الجملة الأصلية التي تكون مستقلة بذاتها مستغنية عن غيرها، ونعني بالاستقلال استقلال الجملة بنيوياً ووظيفياً. ولكي نبرهن على استقلالية الجملة فإنه يمكننا عزل الجملة عن الجمل التي في السياق نفسه. ومع ذلك فتستقيم عضوياً ولا يختل بناؤها ولا بناء الجمل التي قبلها والتي بعدها في ذلك السياق وفي آن واحد. ولما كان النص هو مجال دلالي واحد تتسلسل فيه الجمل معنوياً بحكم انتمائها إلى ذلك النص، فإن الاستقلال التركيبي لا ينفي وجود ارتباط معنوي بين هذه الجمل ؛لأنها في سياق واحد(٢).

أما الجملة غير المستقلة فهي الجملة الفرعية التي لا تقوم إلاّ بالاعتماد على غيرها كالجملة الواقعة خبراً أو جملة الجواب في الشرط أو القسم.

---

(١) ينظر: مدخل إلى دراسة الجملة العربية: ٢٤-٢٥، والجملة في أسلوب القصة القرآنية:١٣٤ .

(٢) ينظر: المرجع السابق والشرط في القرآن- د.عبد السلام المسدي ود. محمد الهادي الطرابلسي: ١٣٦.

٤- **ومن ناحية الدلالة العامة تقسم الجملة إلى قسمين:-**

أ- الجملة الخبرية: وتشمل المثبتة والمنفية والمؤكدة سواء اسمية كانت أم فعلية.

ب- الجملة الإنشائية: وتشمل الطلبية: **(الأمر والنهي والاستفهام والعرض والتحضيض)** وغير الطلبية وتضم: **(التمني والترجي والقسم والتعجب والمدح والذم والندبة والاستغاثة)** وتسمى الجملة الانفعالية[(١)].

٥- **ومن ناحية التركيب الداخلي للجملة يمكن تقسيمها إلى الأقسام الآتية:**

أ- الجملة الاسمية: وهي الجملة التي يكون المسند فيها اسماً وليس فعلاً ولا جملة.

ب- الجملة الفعلية: وهي الجملة التي يكون فيها المسند فعلاً لا جملة.

ج-الجملة الوصفية: وهي التي يكون فيها المسند وصفاً عاملاً عمل فعله، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[(٢)].

د- الجملة الجملية: وهي التي يكون فيها المسند جملة ومرتبطة بالمسند إليه برابط، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾[(١)]

---

(١) ينظر: مدخل إلى دراسة الجملة العربية: لم ٢٥-٢٦.

(٢) سورة الكهف:من الآية ١٨.

٦- ولبيان وظيفة الكلمة في الجملة، اعتمدت العربية قرينة الإعراب، فنشأ ما يسمى بالرتب المحفوظة وغير المحفوظة وعلى هذا الأساس تقسم الجملة إلى قسمين:

أ- الجمل ذات الرتبة المحفوظة: وهي الجمل التي لا تعتمد العلامة الإعرابية ولا القرائن اللفظية إنما تترتب فيها الكلمات إسنادياً، ولا يجوز التصرف فيها بمواقع الكلمات إذ يدل موقع الكلمة على وظيفتها النحوية، وبعبارة أخرى فهي الجمل التي يتقدم المسند فيها الجملة الفعلية والوصفية ويتقدم المسند إليه فيها الجملة الاسمية والجملية.

ب- الجمل ذات الرتب غير المحفوظة: وهي الجمل التي لا تعتمد علامة الإعراب والقرائن اللفظية، مما يساعد على تغيير مكان الكلمة مع محافظتها على وظيفتها النحوية مهما تقدمت أو تأخرت.

إذن فهي الجمل التي أُعيد ترتيبها فقدم فيها بعض العناصر على موقعه المحدد أو أُخر. وهذه الجمل أكثر شيوعاً من الأولى، مما فتح باب الإبداع على مصراعيه أمام الشعراء والأدباء للتعبير عما يشاؤون بالكيفية التي يشاؤون بحرية واسعة وضوابط محددة، فيقدمون ويؤخرون بعناصر الجملة بما يخدم غرضهم البلاغي والأسلوبي(٢).

---

(١) سورة النحل:من الآية ٩٠.

(٢) ينظر: مبادئ اللسانيات- د. احمد قدور: ٢١٩-٢٢٤.

٧- **ومن ناحية الأساس والتوليد أو التحويل تقسم الجملة إلى قسمين:**

أ- الجملة الأساسية وتسمى الجملة(النووية)[١]: وهي الجملة التي يشترط فيها أن تكون بسيطة تامة، خبرية، مبنية للمعلوم إن كانت جملة فعلية، وأخيراً يجب أن تكون مثبتة، وتحتوي هذه الجملة على البنية الرئيسة قبل أن يدخل عليها أيّ من **عناصر التحويل**[٢].

ب- الجملة التحويلية: أو الجملة المحولة وهي الجملة التي لا يتحقق فيها شرط أو أكثر من الشروط السابقة، كأن تكون مركبة أو ناقصة أو إنشائية أو تكون مبنية للمجهول – في الفعلية- أو تكون منفية. والجملة التحويلية هي التي تتضمن المعنى العميق ونعني بالعميق هنا المعنى البعيد في التركيب الجملي زيادة على المعنى الأصلي وربما يكون مخالفا للمعنى الذي كان موجودا في الجملة التوليدية التي هي الأصل أو الجملة الأساس[٣].

---

(١) وتسمى الجملة التوليدية: وهي الجملة النواة أو الجملة المنتجة وهي الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن لسكوت عليه. وهي تحمل المعنى الرئيسي الذي تنتظم له الكلمات فيها.وتكون اسمية وفعلية. وأي تغيير يطرأ على جملة النواة يحولها إلى جملة تحويلية. ولمزيد من التفصيل ينظر: العامل النحوي: ٣١-٣٢ و ٨٥.

(٢) عناصر التحويل : هي الترتيب، الزيادة، الحذف، الحركة الإعرابية، التنغيم. ينظر: العامل النحوي: ٤٢.

(٣) ينظر: العامل النحوي:٣١-٤٢، ففيه زيادة وتفصيل عن الجملة المحولة.

٨- الجمل التي لها محل من الإعراب والجمل التي لا محل لها من الإعراب:

أ- الجمل التي لها محل من الإعراب هي:

- الجملة الواقعة خبراً للمبتدأ، وتكون في موضع رفع.
- الجملة الواقعة خبراً لـ(كان) وأخواتها، وتكون في موضع نصب.
- الجملة الواقعة خبراً لـ(إنّ) وأخواتها، وتكون في موضع رفع.
- الجملة الواقعة في موضع المفعول الثاني لـ(ظننت) وأخواتها، وتكون في موضع نصب. والجملة المحكية بعد مقول القول.
- الجملة الواقعة وصفاً لنكرة(١). وهذه الجملة لا تقصر على إعراب دون إعراب، وذلك لأن الموصوف بها قد يكون مرفوعاً فتكون في موضع رفع، وقد يكون منصوباً فتكون في موضع نصب، وقد يكون مجروراً فتكون في موضع جر.
- الجملة الواقعة موقع الحال وهذه الجملة منصوبة الموضع وذلك لأن المفرد الذي وقعت موقعه – وهو الحال – لا يكون إلاّ منصوباً.

---

(١) قد تحتمل الجملة بعد النكرات في القران الكريم الوصفية والحالية ، مثل(وهذا ذكر مبارك أنزلناه) (سورة) فيجوز اعراب (أنزلناه صفة على الظاهر ويجوز اعرابها حالاً لأن النكرة قد تخصصت بالوصف فضلاً عن كون الكتاب هنا معروف وهو القران الكريم .

- الجملة الواقعة موقع المضاف إليه، ويكون محلها الجر، وهي التي يضاف إليها اسم وتؤول بمصدر وتكون فعلية أو اسمية والفعلية هي الأصل في ذلك(١).

ب- الجمل التي ليس لها محل من الإعراب:

اختلف النحاة في عدد هذه الجمل. فيرى ابن هشام ومن وافقه أنها سبع جمل(٢)، ويراها أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) اثنتي عشرة جملة(٣). وهي في التحقيق عشر جمل وهي: الابتدائية والاستئنافية وجملة الشرط غير الظرفي والجملة الاعتراضية والجملة التفسيرية وجملة جواب القسم وجملة جواب الشرط الجازم غير المقترن بالفاء أو (إذا)، وجملة الصلة- صلة الموصول- والتابعة لكل ما سبق(٤).

ونستطيع أن نتخذ من كل ما سبق منهجاً عاماً أو معياراً عاماً لتقسيم الجمل، وليكن هذا المعيار هو التقسيم الأساسي المبني على فكرة الإسناد – كما سبق- فتقسم الجملة إلى قسمين رئيسين هما الجملة الاسمية والجملة الفعلية، ثم نأخذ بعد ذلك معياراً آخر يتناسب مع الأول

---

(١) ينظر: مغني اللبيب: ٢/٦٧-٨٢ وإعراب الجمل وأشباه الجمل: ١٤٩-١٥٧ والجامع لإعراب جمل القرآن- د.أيمن الشوّا: ٢٧-٢٨

(٢) ينظر: مغني اللبيب: ٢/٤٣-٦٧ وهناك زيادة وتفصيل.

(٣) ينظر: ارتشاف الضرب – أبو حيان الأندلسي:٢/٣٧٢-٣٧٤. والأشباه والنظائر – السيوطي: ٢/١٧-١٨.

(٤) ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل: ٣١-٣٢ ولمزيد من التفصيل: ينظر المرجع نفسه: ٣٢-١٤٦.

ويسير معه بخط متوازٍ ولا يتقاطع معه وليكن هذا المعيار البساطة والتركيب، أي أنه يمكن أن تكون الجملة اسمية بسيطة أو فعلية مركبة... وهكذا، ولكن بشرط أن لا نخلط بين مفردات المعايير أي لا يمكننا أن نصنف الجمل إلى بسيطة وتامة واسمية وطلبية أو إلى مثبتة وانفعالية في حين أننا لو أخذنا معيار البساطة والتركيب وجب تقسيم الجملة إلى بسيطة ومركبة أولاً ثم نأخذ بعد ذلك معياراً آخر وليكن معيار التمام والنقص ثم معيار الرتب المحفوظة وغير المحفوظة ثم التقسيم الداخلي للجملة، ثم معيار الجملة الأساسية والمحولة هكذا...[1].

أي أنه يمكن أن تكون الجملة اسمية بسيطة تامة أساسية محفوظة الرتبة، ويمكن أن تكون أيضاً خبرية فعلية مركبة تامة مثبتة...الخ.

ومن خلال هذا التقسيم للجمل نستطيع أن نتبين النمطين الرئيسين الاسمية والفعلية، وهذان النمطان يمثلان خطوطاً عامةً رئيسةً تتفرع منها الأنواع الأخرى، وذلك لأن الجملة العربية اسمية كانت أم فعلية تتمتع بقدرة نادرة على استيعاب أي محتوى دلالي مهما كثرت دقائق التغييرات الدلالية وتنوعت. ولطالما ميّزنا معنىً دقيقاً جداً في جملة منه في جملة أخرى ولو أنهما تنتميان إلى النوع نفسه، وذلك عبر حرف أو حرفين وهذا ما سنحاول أن نوضحه من خلال استعراض الجملة في القرآن الكريم بالدراسة والتحليل.

---

(١) ينظر: مدخل إلى دراسة الجملة العربية: ١٨٢.

مع ملاحظة أن لغة القرآن الكريم لغة عفوية بطبيعتها ولكنها لغة عفوية مقصودة جمالياً ودلالياً في الوقت نفسه وبعفويتها وجماليتها أوصلت ما تريد إيصاله إلى فئات المتلقين بمختلف الأعمار والأذواق والاختصاصات والمهن والمعتقدات والأزمنة والأمكنة.

وأن الجملة في القرآن الكريم راعت اعتبارات كثيرة على رأسها الجانب النفسي لأنه الأهم في عملية التلقي فتراها تتتبع المعنى النفسي وتصوره بألفاظها لتلقيه في النفس حتى إذا اكتملت أركانها ظهر المعنى جلياً وقد رتب في النفس بحسب أهميته من المهم إلى الأهم أو العكس. فما تخضع إليه الجملة من نظام من حيث التقديم والتأخير – مثلاً – ليس على سبيل الصناعة اللفظية وحسب، بل أن المعنى قد فرض على الجملة القرآنية ضرورات في ترتيبها جعلتها في صورة دون أخرى. ولو كانت بغيرها لاختل المعنى، ولما وصل السياق القرآني إلى المعنى الذي يريد إيصاله إلى العباد. وإن وصل فإنه لا يصل بهذا التأثير الغالب على ذات المتلقي، وهو بهذا النظام والترتيب الخاضع للمتطلبات النفسية والمحرك للمشاعر والذي يدعو إلى التفكر والاعتبار(١).

---

(١) ينظر: التعبير الفني في القرآن – د. بكري شيخ أمين: ١٨٥ –١٨٩.

الفصل الأول

الخصائص الأسلوبية
في تركيب الجملة القرآنية

١. الحذف في أسلوب الجملة القرآنية.
٢. التقديم والتأخير في أسلوب الجملة القرآنية.
٣. طول الجملة القرآنية.

توطئة:-

الجملة – كما مر– هي التي تفيد معنًى يحسن السكوت عليه[١]. ولا تكون كذلك إلا إذا احتوت على ركنيها الأساسيين وهما المسند إليه والمسند[٢]. وهذا التعريف كما سبق بيانه يشمل ابسط بناء للجملة أو ما أطلقنا عليه بـ(**البنية الأساسية**).

وغير المسند والمسند إليه متعلقات في الجملة، وهذه المتعلقات ذات اثر بارز في أداء الجملة إذ أن زيادة أي متعلق على البنية الأساسية تكمن وراءها زيادة في الفائدة تضاف إلى جزأي الجملة الرئيسية علاوة على انه يخرج بالجملة إلى معنى غير الذي كان قبل دخول هذه المتعلقات عليها[٣].

وهذا البناء الأساسي للجملة تعتريه ظواهر أسلوبية مختلفة تحوله من معنى إلى آخر مع المحافظة على البنية الأساسية، كالتقديم والتأخير في مكونات البنية الأساسية والحذف والنفي والاستفهام والتوكيد والاعتراض وغير ذلك من العوارض التي تعتري التركيب الجملي فتضيف إلى معناه الأول معنىً آخر إضافياً عن طريق إضافة بعض العناصر الأخرى، أو التبادل في مواضع بعض العناصر وكل ذلك يحدث في حدود ما تتيحه البنية الأساسية للجملة. وقد تكون هناك تغيرات في الجملة لا تضيف

---

(١) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك– ابن عقيل المصري:١/١٤.

(٢) ينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل :١٠٣.

(٣) ينظر: البلاغة والأسلوبية – د. محمد عبد المطلب:٤٣.

معنىً جديداً للجملة ولكنها تُعد تصرفا في المعنى الإسنادي الأول، وقد يكون هذا المعنى جزئيا أي يخص أحد أركان الإسناد أو كليا كما في الاستفهام والنفي فهما من الظواهر الأسلوبية التي تُسلط على الجملة كلها ويحولان معناها(١).

وهذا الفصل من البحث في الجملة القرآنية سوف يسلط الضوء على ما يطرأ على الجملة في القرآن من ظواهر تؤدي إلى سمات أسلوبية في التعبير القرآني ، كالحذف والتقديم والاعتراض وغيرها.

ومما لا يخفى أن القرآن الكريم هو أرقى أساليب البيان العربي ولذلك فإننا لا يمكن أن نصل إلى ذروة التذوق الفني للجملة العربية حتى نضع أيدينا على أهم أسرار التعبير في تركيب الجمل القرآنية. وذلك لأن الحديث عن جمل القرآن هو حديث عن أبرز وجوه الإعجاز القرآني وهو حديث عن جودة النظم وحسن السياق، ومن المعروف أن نظمه وتأليفه هو الوجه الذي تميز به عن سائر الكلام وقد تعاضد في هذا النظم بلاغة معانيه وفصاحة ألفاظه وتناسق جمله وجرس كلماته(٢).

الحــــــذف:-

﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ الحذف ظاهرة لغوية أسلوبية وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة جداً. فيحذف من الجملة

---

(١) ينظر: بناء الجملة العربية:١٩٠-١٩٣.

(٢) ينظر: الجامع لإعراب جمل القرآن: ١٨-١٩.

ما لا يستدعيه سياق الخطاب وما يستطيع القارئ أو المتلقي أن يدركه ولو بلمحة سريعة. مع تفاوتٍ في درجات ذكاء المتلقين وسرعة وصولهم إلى العناصر المحذوفة في الجملة أو الجمل المحذوفة التي يتجاوزها بتوصله إلى العناصر الجوهرية في الخطاب من جهة، ويُعمل فكره فيما حُذف من جهة أخرى(١).

وقد اهتم القدماء بالحذف لأنه إيجاز وهو من البلاغة، فنجد سيبويه قد أكثر من ذكره في مواضع كثيرة من كتابه، مع ملاحظة أن دراسة سيبويه للحذف كانت مصبوغة بالصبغة النحوية وإن كانت تنزع أحياناً منزعاً فنياً بلاغياً وذلك لأنه مهتم ببيان نحو العرب في كلامهم وطرائقهم، لذلك نراه كثيراً يشير إلى أن هذه طريقتهم، وقد عقدوا أبواباً كثيرة للحذف من ذلك باب ما يحذف من الفعل لكثرته في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل(٢).

وأشار **الفراء** (ت ٢٠٧ هـ) أيضاً إلى مواضع الحذف وقال إن هذه طريقة العرب في كلامهم، كما في قوله تعالى:﴿**وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ**﴾(٣). **(فانه أراد حبَّ العجل ومثل هذا مما تحذفه العرب كثير)**(٤).

---

(١) ينظر :من بلاغة القرآن- د. أحمد أحمد بدوي:١٢٧.

(٢) ينظر :الكتاب:١/١٦٧.

(٣) سورة البقرة من الآية:٩٣.

(٤) معاني القرآن- أبو زكريا الفراء:١/٦١.

ويجمل **ابن جني** (ت ٣٩٢ هـ) الحذف فيذهب إلى أن العرب تحذف الجملة والمفرد والحرف والحركة ويسميه(**شجاعة العربية**)، وربط هذا الحذف بشرط وهو قيام دليل يدل عليه ويرشد إليه وإلا عُد ضرباً من التكلف والعبث(١).

وأما **عبد القاهر الجرجاني** (ت ٤٧١ هـ) – من البلاغيين– فقد افتتح باب الحذف بقوله(**هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن)**(٢).

ويعني هذا أن الحذف أصبح مطلباً بلاغياً، إذا قامت دلائل الحال والمقال على الاستغناء عن الذكر، ويكون الذكر حينئذ مفسداً لنظم الكلام، ثقيلاً على المتكلم والسامعين(٣).

وللحذف مزايا كثيرة منها الاختصار أو الإيجاز وصيانة الجملة من الثقل والترهل وإثارة الفكر والحس بالتعويل على

(١) ينظر: الخصائص:٢/ ١٤٠.

(٢) دلائل الإعجاز– عبد القاهر الجرجاني:١١٢.

(٣) ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين– رسالة ماجستير– عواطف كنوش مصطفى، جامعة البصرة ، كلية الآداب:١١١/١١٢.

النفس في إدراك المعنى[١].

ولابد أن نشير إلى أن مبدأ الحذف يعتمد بالدرجة الأساس على تحديد البنية الأساسية للجملة العربية. فالبنية الأساسية للجملة الفعلية في ابسط صورها هي (**الفعل +الفاعل**)، ولكنها قد تتسع وتمتد بأشكال عدة مختلفة، كأن ينضم إليها المفعول به أو المفعول المطلق أو الحال أو غيرها من متعلقات الجملة أو القيود. والبنية الأساسية للجملة الاسمية في أقل صورها هي(**المبتدأ + الخبر**)، ويمكن أن تستطيل أيضاً وبأشكال مختلفة، كأن ينضم إلى تركيبها المضاف إليه أو الظرف أو الجار والمجرور أو غيرها. ويمكننا القول أن البنية الأساسية هي التي تحدد أو تحكم كيفية إضافة عنصر آخر إليها وتحدد شروطه بالقواعد الفرعية لكل نوع منها[٢].

ويكون حذف بعض عناصر الجملة على ضربين، الأول: بالتوسع في إيقاع العلاقات النحوية[٣]، والثاني:

(١) ينظر هذه الفوائد في البرهان في علوم القرآن- الزركشي:٣/١٠٤-١٠٥ والإتقان في علوم القرآن- السيوطي: ٣/١٧٠-١٩٢ والفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان- ابن قيم الجوزية:٧١.

(٢) ينظر: بناء الجملة العربية:١٩٨-٢٠٧.

(٣) ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ (سورة يوسف:٨٢) ، وإنما يريد: أهل القرية فاختصر وأعمل الفعل في القرية كما كان عاملا في الأهل لو كان مذكوراً في هذا الموضع، ومثله حذف الموصوف وإقامة الصفة مكانها... وغيرها.

ما يكون بحذف بعض عناصر الجملة اكتفاءً ببعضها الآخر[١].

الحذف في أسلوب الجملة القرآنية

١- الحذف في الجملة الفعلية

حذف الفعل:-

الفعل هو أحد الأركان الأساسية في الجملة الفعلية ويقتضي ذلك ذكره في تركيب الجملة، ولكن في بعض الأحيان تقتضي مناسبات الكلام عدم ذكره لتوفر الدلائل والقرائن التي تدل عليه وتكون البلاغة في عدم ذكره، فهنالك كثير من التراكيب لا يظهر فيها الفعل ولا يكون في المتكلم حاجة إلى تقديره ؛ لما في وضوحه ما يغني عن ذكره[٢]. ولكن مع كل حذف دليل يدل عليه[٣]. وصور حذف الفعل في أسلوب القرآن الكريم متعددة منها:-

١- بعد القول:

يحذف الفعل في أسلوب الجملة القرآنية كثيراً بعد **(القول)** ويبقى في الجملة ما يدل عليه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ**

---

(١) ينظر: النحو والدلالة:١٣٢-١٣٣.

(٢) ينظر: في النحو العربي- قواعد وتطبيق:١٢٥-١٢٧.

(٣) وأدلة الحذف في تركيب الجملة كثيرة منها: دلالة الحال كما في آية سورة الذاريات التي سيأتي ذكرها ودلالة المقال ودلالة العقل ودلالة العادة ودلالة الصناعة النحوية، ينظر تفصيل ذلك في البلاغة فنونها وأفنانها:١/٤٥٩-٤٦١.

﴿إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾[1]. ففي جملة قوله تعالى: **(فقالوا سلاما)** قد حذف الفعل الذي عمل النصب في سلاماً، والتقدير: نسلم عليك سلاماً، فيكون قد حكى الجملة بعد القول ثم حذفها واكتفى ببعضها الذي هو المفعول المطلق **(سلاماً)**[2]. أي انه قد حذف من الجملة الفعل والفاعل وبعض متعلقاتها ولم يبق منها إلا المفعول المطلق، وهذا الحذف في أسلوب الجملة القرآنية يؤدي إلى تعدد المعنى واتساع الدلالة ولا نحصل على ذلك مع الذكر.

قال الرازي (ت٦٠٦هـ): (أما النصب فيحتمل وجوهاً، احدها: أن يكون المراد من السلام هو التحية وهو المشهور، ونصبه حينئذٍ على المصدر تقديره نسلم سلاماً. ثانيها هو أن يكون السلام نوعاً من أنواع الكلام وهو كلام سلم به المتكلم من أن يلغو أو يأثم فكأنهم لما دخلوا عليه فقالوا حسناً سلموا من الإثم، وحينئذ يكون مفعولا للقول لان مفعول القول هو الكلام، يقال قال فلان كلاماً...، ثالثها: أن يكون مفعول فعل محذوف تقديره نبلغك سلاماً)[3].

وقد يتبادر إلى الذهن من الوجه الثالث الذي ذكره الرازي انه بقولهم له: **(نبلغك سلاماً)** معرفته بأنهم رسل من الله له فلماذا قال لهم: **(قوم**

---

(١) سورة الذاريات:٢٤-٢٥.

(٢) ينظر: الكشاف- لزمخشري:١١٨٧/٤ والبرهان في علوم القرآن:٣٠٧/٣ والجامع لأحكام القرآن- لقرطبي:٣١/١٧.

(٣) التفسير الكبير- الرازي:٢١١/٢٨.

منكرون) ؟ ولمَ قدَّم لهم الطعام؟ ولم أوجس منهم خيفة ؟ والحقيقة أنهم لم يقولوا له نبلغك سلاماً من الله حتى يعرف بأنهم رسل من الله، وإنما بلغوه بذلك عندما سألهم (عليه السلام) ممن تبلغون السلام، علاوة على كون إبراهيم (عليه السلام) قد انشغل بإكرامهم عن سؤالهم ؛وأخَّر السؤال إلى حين الفراغ لذلك هو أنكرهم قبل أن يسألهم عمن كان منه السلام[1].

ويحذف الفعل في أسلوب القرآن أيضاً بعد القول عندما يكون جواباً عن سؤالٍ محققٍ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[2]، ففي جملة القول التي هي جملة الجواب **(ليقولن الله)** هنالك حذف للفعل بعد فعل القول، ويمكننا أن نستدل على ذلك الفعل المحذوف في السياق نفسه عن طريق الدليل اللفظي الوارد في سياق الآية وهو الفعل **(خلق)** الوارد في جملة السؤال **(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض...)**، فيكون التقدير هو: ليقولن: خلقهن الله... .

ويمكن أن نستدل على الفعل المحذوف أيضاً من خلال سياق آخر قد وردت فيه الجملة تامة وليست ناقصة وهو قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[3]، فنلاحظ أن الفعل قد ذُكرَ في جملة الجواب في هذا السياق، إلا أن الفعل قد حذف من

---

(١) ينظر:التفسير الكبير: ٢١١/٢٨.

(٢) سورة لقمان من الآية:٢٦.

(٣) سورة الزخرف:٩.

الجملة الأولى في السياق الأول. والسبب في مجيء جملة الجواب ناقصة في السياق الأول وتامة في السياق الثاني راجعٌ إلى اختلاف المقامين والدقة في استعمال الألفاظ في أسلوب الجملة القرآنية. فإنه لما كان الجواب في الأولى يتضمن لفظ الجلالة **(الله)** وهو اسم الذات الإلهية كان الجواب سريعاً ومباشراً فقال: **(ليقولن الله)**. أما في الثانية فإن جملة الجواب كانت تحتوي على أحد أسماء الخالق أو صفاته أي لم يرد الفاعل **(لفظ الجلالة)**، لذلك فالجواب به حاجة إلى مزيد بيان وتفصيل فذكر الفعل **(خلقهن)** وزاد على ذلك بأن ذكر اسماً آخر للخالق ﷻ وهو العليم ؛ وذلك لأن المقام مقام تفصيل وإقامة للحجج وليس كما في الجملة الأولى في السياق الأول. وهكذا فقد تَرِد الجملة تامة في سياق معين وترد ناقصة في سياق آخر والسياق هو الحكم في ذلك تبعاً لما يحمله من دلالة.

ومثله قوله تعالى: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾(١). فقد حذف الفعل من الجملة بعد القول، والتقدير: **أنزل خيراً**. وحُذف الفعل هنا أيضاً لوجود دليل لفظي يدل عليه في السياق وهو الفعل **(أنزل)** المذكور في جملة السؤال ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾، وهذه الصورة من الحذف مع الاستفهام كثيرة في أسلوب القرآن الكريم(٢).

---

(١) سورة النحل من الآية: ٣٠.

(٢) ينظر: علوم البلاغة- أحمد مصطفى المراغي: ٨٦ والبلاغة فنونها وأفنانها: ١/٤٥٩.

ويمكن أن يكون الفعل محذوفاً بعد القول في سياق ومذكوراً في سياق آخر مشابه. وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[(١)] فقد كان الفعل مذكوراً بعد القول في قوله ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ....﴾، أما في سياق قوله تعالى: ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[(٢)]، فقد حذف الفعل من الجملة بعد فعل القول فلم يقل يعيدكم أو يحييكم[(٣)].

والسبب في ذلك الاختلاف في النظم في أسلوب الجملة القرآنية هو أن الجملة التي ذُكر معها الفعل كان السؤال في السياق منصباً على الفعل وهو هل من الممكن أن تعاد هذه العظام مرة أخرى إلى الحياة؟ فالاستبعاد كان لإحياء الموتى أو العظام وليس السؤال عن قدرة الله ﷻ على إعادة الحياة إلى العظام مرة أخرى لذلك كان لابد من ذكر الفعل في تركيب جملة الجواب ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[(٤)].

---

(١) سورة يس:٧٨-٧٩.

(٢) سورة الإسراء:٥١.

(٣) ينظر:البلاغة فنونها وأفنانها:١/٢٦٢.

(٤) ينظر:تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- عبد الرحمن بن ناصر السعدي:٦٦٩-٦٧٠.

أما آية الإسراء التي حُذف منها الفعل فكان الاستبعاد فيها أشد وأقوى بدليل قولهم: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾[1]، أي لا يكون ذلك، وهذا الإنكار لم يكن عن غفلة أو نسيان كما في آية سورة (يس) السابقة، وإنما هو تكذيب للرسل وجحود لآيات الله. وسؤالهم في هذا السياق لم يكن عن فعل الإعادة أو الإحياء وإنما سؤالهم عن من سيقوم بإعادتهم مرة أخرى[2]، أي أن سؤالهم كان منصباً على الفاعل الذي سيقوم بإعادتهم مرة ثانية! وهذا يدل على درجة إنكارهم وجحودهم. ولهذا السبب أجابهم الرسول ﷺ وبشكل مباشر وملائم مع سؤالهم بقوله ﴿ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾. وذلك لان الإنكار كان موجهاً للفاعل الذي سيقوم بإعادتهم. ولذلك حُذف الفعل لأنه ليس مقصوداً ولسرعة الوصول إلى الفاعل المقصود بالإنكار.

إذن حذف الفعل من الجملة الثانية ؛ لأن أسلوب القرآن كان يؤكد الفاعل لا الفعل وبذلك يمكن أن تكون جملة ﴿قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ هي جملة محولة تحتوي على المعنى العميق من الجملة الأساسية ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ التي تعدّ الجملة الأساس، وتحتوي على البنية السطحية وقد عُدل عن التضام فيها بواسطة الحذف الذي أدى إلى معانٍ أكثر مما أدته الجملة الأساس أو البسيطة.

---

(١) سورة الإسراء:٤٩.

(٢) ينظر :تفسير ابن كثير:٣/١٦٧٠-١٦٧١ وتيسير الكريم الرحمن:٤٥٩-٤٦٠.

٢- بعد الفاء

ومن المواضع التي يحذف فيها الفعل في أسلوب الجمل القرآنية بعد الفاء العاطفة، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾[1]، فتلاحظ في هذا السياق أن هنالك فعلاً محذوفاً بعد الفاء العاطفة[2] في **(فانفجرت)**، والتقدير :فضرب فانفجرت منه[3]... ، فحذف الفعل **(فضرب)** والذي هو سبب الانفجار وذكر الفعل **(فانفجرت)** الذي هو نتيجة الضرب.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾[4]، ويعلل الزمخشري حذف الفعل في هذه المواضع بقوله **(فان قلت فهلا قيل فضرب فانبجست؟ قلت لعدم الإلباس وليجعل الانبجاس سببا عن الإيحاء بضرب الحجر للدلالة على أن الموحى إليه لم يتوقف عن إتباع الأمر)**[5] ونلحظ من كلام الزمخشري أمرين. **الأول:** أن الانفجار والانبجاس لم يكن سببه

---

(١) سورة البقرة:٦٠.

(٢) وتسمى هذه الفاء بالفاء الفصيحة ؛لأنها تفصح عن المحذوف بعدها،ينظر: الخصائص:٢/٢٦١والإيضاح:١١٠.

(٣) ينظر :الطراز- يحيى بن حمزة العلوي:٢/٢٤٨.

(٤) سورة الأعراف:١٦٠.

(٥) الكشاف:٢/٣٩٣ وينظر :المشاهد في القرآن الكريم- د. حامد صادق قنيبي: ٤٦٤-٤٦٥.

الضرب وإنما سببه أمر الله –سبحانه وتعالى– إلى الحجر بالانفجار أو الانبجاس ليخرج الماء لذلك حذف فعل الضرب. **والثاني**: حذف فعل الضرب ؛لبيان سرعة استجابة موسى عليه السلام لأمر ربه بالضرب ؛لأنه على إيمان مطلق وعميق، لذلك أسرع في تنفيذ أمر الضرب(١).

ومهما يكن من أمر فان حذف الفعل يعطي دلالة اكبر ومعنى أوسع للسياق الذي ورد فيه الحذف زيادة على ما في حذف الفعل من توجيه الاهتمام لما بعده. ففي سياق الآيتين السابقتين كان الاهتمام بما نتج عن الضرب من انفجار وانبجاس وليس لفعل الضرب نفسه.

٣– حذف فعل القول:

ويحذف فعل القول كثيراً في أسلوب القرآن كما في قوله تعالى: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾(٢). والتقدير : قيل لهم لقد جئتمونا كما خلقناكم... وقد حذف فعل القول في هذا السياق ؛لأن بين الجملتين التفاتاً(٣). فبعد أن كان الحديث عن غائب في جملة **(عرضوا)** توجه بالخطاب إلى المخاطب في جملة **(لقد جئتمونا)** أي إلى ضمير المتكلم. وهذا الأسلوب له أثره وخصائصه في التصوير فهو يتجه إليهم

---

(١) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : ٣٣٧ – ٣٣٨ .

(٢) سورة الكهف:٤٨.

(٣) الالتفات:هو احد ظواهر التحول الأسلوبي ويشمل التنويع بين الضمائر أو الصيغ أو الجمل أو العدد وغيرها من مظاهر التغاير في أسلوب الكلام. ينظر:أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية –د. حسن طبل:١٩– ٢٣.

معنفاً اشد تعنيف وكأنه يخاطبهم وجهاً لوجه فيقول لهم: لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة حفاة عراة غرلاً ولكنكم كنتم تكذبون وتقولون ذلك رجع بعيد وتزعمون ألّن نجعل لكم موعدا، وهذا هو المعنى الملتفت إليه الذي قد هيّأ له الحذف وذلك لأنه فيصل القضاء في هذا الموقف لأنه متعلق بالإيمان والتصديق والإنكار والتكذيب في رسالات السماء(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾(٢) ففي الآية الكريمة جملتان الأولى **(ويوم يعرض الذين كفروا على النار)** والجملة الثانية هي جملة فعل القول المحذوف وهي **(أذهبتم طيباتكم في الحياة الدنيا)**، والتقدير فيقال لهم: أذهبتم... ، والفعل المقدر هو فعل مبني للمجهول، وهذا الأسلوب من الحذف يكثر في أسلوب القرآن الكريم، عندما يكون الكلام في وصف مشاهد يوم القيامة والحشر والحساب وغيرها من مواقف الوعد والوعيد وإذا رجعنا إلى سياق الآية نجد أن هذا العرض هو في يوم الحشر والكفار يعرضون على النار أي إنهم يعذبون ويحرقون فيها. وفي الحذف تأثير بالغ في النفس حتى تنصرف عن الدنيا ولذاتها؛ لأنها لا تقارن بالنار وسعيرها(٣).

---

(١) ينظر:من بلاغة القرآن:١٢١ وخصائص التراكيب – د. محمد أبو موسى:٢٨٧.

(٢) سورة الاحقاف:٢٠.

(٣) ينظر:خصائص التراكيب:٢٨٧-٢٨٨.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾(١). حيث حذف فعل القول في أسلوب الكلام والتقدير: فيقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم(٢). والسبب في ذلك يرجع إلى تلوين الأسلوب من خلال الالتفات من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب في الجملة الثانية-وكما قلنا- فهذا الأسلوب يكثر في مشاهد القيامة والحشر والجزاء والعذاب. ومن مواضع ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾(٣)، فحذف فعل القول في السياق اختصاراً وإيجازاً للكلام، واتجه بالخطاب إلى الإنسان مباشرة. والتقدير: وقلنا له وإن جاهداك... والحذف هنا أيضاً مبني على أسلوب الالتفات، وهو من الخصائص الأسلوبية المهمة في أسلوب الجملة في القرآن الكريم وذلك لما فيه من **(تلوين الأسلوب فقد كان الحديث عن غائب فلما كان أمر الوصية بالتوحيد معنياً به العناية كلها، اتجه إلى المأمور يخاطبه، موجهاً له الحديث زيادة في التأكيد، ولن يكون ذلك إلا إذا كان الحديث عن غائب)**(٤). أي أن في هذا الحذف للفعل مزيد عناية بأمر التوحيد وكأنه قال: إياك وهذه،

---

(١) سورة آل عمران:١٠٦.

(٢) ينظر :الطراز :٢/٢٥٦.

(٣) سورة العنكبوت:٨.

(٤) من بلاغة القرآن:١٢٢.

وقوله وإن جاهداك يعني لا تفعل ذلك أبدا وإن حملاك على ذلك وبلغا منك مبلغاً من الجهد(١).

٤- حذف أكثر من فعل:

وقد يحذف أكثر من فعل في أسلوب القرآن الكريم في سياقات معينة ومنها عندما تقع الجملة في جواب سؤال مقدر يفهم من السياق السابق لها. وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾(٢)، ففي هذه الآية يمكن أن يكون **(الجن)** منصوباً بفعل محذوف مقدر بعد فعل القول المقدر أيضاً، وقد دلّ على هذا الحذف سؤال مقدر في الجملة السابقة لها في السياق نفسه، فكأنه قد قيل:مَنْ جعلوا لله شركاء فقيل الجن، أي جعلوا الجن... والسبب في هذا الحذف هو جعل الدلالة في نفي الشرك شاملةً في إنكار الشرك مطلقاً فيكون اتخاذ أي شريك مع الله داخلاً في الإنكار من الجن أو غيره (٣). وهذا المعنى لم نكن لنحصل عليه لولا الحذف - حذف الفعل- في أسلوب الجملة ذلك أن الحذف يوسع الدلالة ويجعلها شاملة.

---

(١) ينظر: من بلاغة القرآن:١٢٢ وخصائص التراكيب : ٢٨٨ وبلاغة العطف في القرآن الكريم- د. عفّت الشرقاوي:٢٠١-٢٠٢.

(٢) سورة الأنعام:١٠٠.

(٣) ينظر:الإيضاح:٥١-٥٢.

حذف الفاعل:

والفاعل هو العنصر الثاني من ركني الإسناد في الجملة الفعلية، ورتبته بعد الفعل، والأصل ذكره في تركيب الجملة لأن ذكره يُعد من تضام الجملة الفعلية[1]، ولكن مع ذلك يُعدل إلى حذفه في الجملة القرآنية كثيرا لأغراض أسلوبية وبيانية غاية في الدقة ومنها:

١- حذف الفاعل الخاص:

ويحذف الفاعل في تركيب الجملة القرآنية إذا دلت عليه قرينة واضحة. كأن يكون الفاعل خاصا بفعل معين حيث لا يأتي إلا معه فيُفهم من السياق أن المقصود هو فاعل معين، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ﴾[3]. فالملاحظ أن الفعل (**بلغت**) في الجملتين لم يُذكر معه الفاعل ولم يتقدم في الكلام ما يمكن أن يعود عليه (التاء). ولكن مع ذلك فإن المعنى المتفق عليه أن المراد بـ(**بلغت**) في السياقين هي(**الروح**)[4]. وذلك لأن الفعل خاص بهذا الفاعل ولا يمكن أن يأتي مع غيره لا في هذين السياقين ولا في غيرهما. إلا أننا نلاحظ أن عدم ذكر

---

(١) ينظر في النحو العربي- قواعد وتطبيق:٩١-٩٢.

(٢) سورة القيامة:٢٦-٢٨.

(٣) سورة الواقعة : ٨٣-٨٤.

(٤) ينظر:الطراز:٢/٢٥١ والفوائد المشوق إلى علوم القرآن:٧٤ ومن بلاغة القرآن:١١٩-١٢٠ وبناء الجملة العربية: ١٠٩-١١٠.

الفاعل في هذه المواضع أبلغ دلالة وأقوى تمكناً في نفس المتلقي ولاسيما أنه لا يبلغ التراقي أو الحلقوم عند الموت سوى الروح أو النفس، وفي إلحاق تاء التأنيث بالفعل **(بلغت)** دليل لفظي على هذا الفاعل المؤنث المحذوف في السياق ، مع عدم اللبس في حذفه فلا يُفهم غيره لأنه لا يُقصد به غير الروح التي صور حذفها وكأنها على وشك المفارقة والخروج من الجسد[1]. فناسب السياق بين حذف الروح- الفاعل- من تركيب الجملة القرآنية وبين خروجها من الجسد ومفارقته.

ويمكن أن نرى دقة حذف الفاعل في تركيب الجملة القرآنية في سياق قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿ **فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ** ﴾[2]. ففي الآية حُذف الفاعل في جملة قوله تعالى: **(حتى توارت بالحجاب)**، وهذا الحذف قد أدى إلى شيء من الغموض في الدلالة. وهذا الغموض متأتٍ من عدم ذكر الفاعل الذي هو **(الشمس)**، بحسب القرينة المعنوية ووجود**(التاء)** في الفعل**(توارت)** فالتي تتوارى وراء الحجاب هي الشمس وليس غيرها، والمراد بالحجاب هو الخط الفاصل بين السماء والأرض عند موضع مغيب الشمس. وأن سليمان عليه السلام كان مشغولاً بجياده[3] حتى فات

---

(١) ينظر: خصائص التراكيب: ١٧٨-١٧٩ولمسات بيانية- د. فاضل السامرائي: ١٦٣.

(٢) سورة ص:٣٢-٣٣.

(٣) التي عبر عنها بـ**(حب الخير)**.

موعد الصلاة التي عبر عنها بـ(**ذكر ربي**) وغابت الشمس وانقضى وقت صلاة العصر(١). وأن أوقات الصلاة مرهونة أو متوقفة على مواضع الشمس خلال النهار وبها تُعرف الأوقات(٢). وحذف الفاعل الخاص بالفعل (**توارت**) وهو (**الشمس**) في هذا السياق ليدل على أن المقصود ليس وجود الشمس أو مغيبها بل ليعبر عن غفلة سليمان عليه السلام عن وقت الصلاة وهذا هو المهم الذي أراد السياق التعبير عنه فحذف الفاعل لكي لا يطيل في الكلام وليصل إلى المعنى المقصود بأقصر طريق(٣).

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ٢٤٢٢/٤ وتيسير الكريم الرحمن: ٧١٢-٧١٣.

(٢) ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ (طه: ١٣٠)

(٣) وفي سياق الآية الكريمة احد مواضع حذف الفعل في تركيب الجملة إذ حذف الفعل بعد (طفق) و نصب (مسحا) بفعل محذوف والأصل: طفف يمسح مسحا. إذ إن خبر هذه الأفعال لا يكون إلا مضارعا، وقد ذكر الفعل في سياق قوله تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ (الأعراف: ٢٢) ، والحذف في مثل هذه المواضع أكثر بلاغة لقيام المذكور بدلالة المحذوف فضلاً عن كون التعبير بالمصدر أبلغ من التعبير بالفعل.

٢- **حذف الفاعل لقرينة السياق:**

ويحذف الفاعل أيضاً في تركيب الجملة القرآنية إذا دلت عليه قرينة في السياق فيكون معلوماً للسامع[١]. وذلك كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[٢]، حيث حُذف الفاعل في جملة (**فلما جاء سليمان**) التي هي جملة الشرط. والتقدير عند الزمخشري وابن كثير (ت ٧٧٤ هـ): بلفظ الجمع أي: فلما جاء سليمان الرسل[٣]. أما ابن القيم (ت٧٥١هـ) فالتقدير عنده بلفظ المفرد: أي: فلما جاء سليمان الرسول[٤].

والسبب في هذا الاختلاف في تقدير الفاعل المحذوف راجع إلى السياق القرآني الوارد فيه ذكر الرسل والرسول. ففي الآية التي قبل هذه الآية التي نحن بصددها ذُكر أن ملكة سبأ قد أرسلت أكثر من رسول، قال تعالى على لسانها: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[٥]، فذكرت الآية الكريمة أنها أرسلت مجموعة من الرسل أو ما يسمى (**وفداً من الرسل**) المعبر عنهم بقوله (**المرسلون**). أما إذا نظرنا إلى الآية التي بعدها، أي بعد كلام سليمان عليه السلام فيبدو فيه أن المرسل هو واحد حيث قال

---

(١) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١/٢٦٧.

(٢) سورة النحل: ٣٦.

(٣) ينظر: الكشاف: ٣/٨٥٨ وتفسير ابن كثير: ٣/٢٠٨٩.

(٤) ينظر: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن: ٧٤.

(٥) سورة النحل: ٣٥.

تعـالى علـى لسـان سـليمان (عليه السلام): ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[1]. ولكـن بعـد التـدقيق والتحقيـق يبـدو أن الملكـة قـد أرسـلت مجموعـة مـن رجالهـا إلـى سـليمان (عليه السلام) ولكـن هـذه المجموعة تأتمر بأمر واحد منهم والذي هو أفضلهم لذلك توجه سليمان (عليه السلام) بالكلام إليه مشافهةً لِما وجده فيه من نباهة ورجاحة عقل، أي أنه أوصاه من غير كتاب[2].

لـذلك كـان كلامـه (عليه السلام) موجهـاً إليـه بصـيغة المفـرد. ويمكـن أن نعُـد الانتقال من لفظ الجمع في قولـه **(أتمـدونني بمـال)** إلـى المفرد في قولـه **(ارجـع إلـيهم)** التفاتاً من الجمع إلى المفرد وذلك لتلوين الأسلوب في الخطاب القرآني وهو من الخصائص الأسلوبية البارزة في أسلوب القرآن الكريم.

ويبدو أن حذف الفاعل في هذا السياق كان لشدة ظهوره ولدلالة ما سبقه عليه متمثلاً بقوله تعالى على لسان الملكة: ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[3]. فلذلك حُذف الفاعل اختصاراً وللتركيز على الحدث وهو

---

(١) سورة النحل:٣٧.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن:٦٠٥.

(٣) سورة النمل من الآية: ٣٥.

أن سليمان عليه السلام لم يقبل الهدية منهم بل أنكر عليهم ذلك أشد الإنكار وذلك بقوله: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[1].

٣- حذف الفاعل بعد بناء الفعل للمجهول:-

جميع المواضع التي مرت بنا في حذف الفاعل هي مواضع حذف للفاعل عندما يكون الفعل مبنياً للمعلوم ولكن يُحذف الفاعل في أسلوب الجملة القرآنية أيضاً عندما يكون الفعل مبنياً للمجهول، وذلك لأن مدار المبني للمجهول يدور حول حذف الفاعل من الجملة وبناء الفعل للمجهول وهو لا يخرج عن كونه خروجاً عن تضام الجملة عن طريق الحذف.

ويُعدل إلى البناء للمجهول عندما لا يصح نسبة الفعل إلى الله تعالى وذلك تأدباً مع الله عز وجل ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[2]، فنلاحظ أن إرادة الشر نُسبت إلى المجهول في بناء الفعل (**أُريد**) ولم تُنسب إلى الله تبارك وتعالى وذلك تأدباً مع الله تعالى في حين نجد أن إرادة الرشد نُسبت إلى الله صراحة بالبناء للمعلوم[3]

---

(١) سورة النمل: ٣٧.

(٢) سورة الجن: ١٠.

(٣) أما في حالة البناء للمعلوم فإن المتكلم ينسب الشر لنفسه وينسب الخير لله تعالى تماشياً مع أسلوب القرآن في هذا التأدب. وذلك كما في قوله تعالى: على لسان إبـــــراهيم عليه السلام ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: ٧٨-٨٠) فنسب الخلق والهداية والإطعام والسقي والشفاء إلى الله تعالى ، أما المرض فقد نسبه لنفسه تأدباً مع الله. ومثله تأدب الخضر عليه السلام مع=

فقال ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وفي ذلك منتهى الأدب ومراعاة لمقتضى الحال التي تعرف به البلاغة(١).

ومن الممكن أن يسهم بناء الفعل للمجهول وحذف الفاعل في تصوير بعض المشاهد الساخرة من المشركين وأعمالهم كما في قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾(٢)، إذ إن جملة المبني للمجهول تصور بكل أركانها تلك الصورة الساخرة، صورة العجل يُحشر في القلوب ويُدخل فيها إدخالاً بفعل قوة خارجية. وذلك من فرط حبهم لعبادته أي: إنها صورة مُتخيلة تعبر عن حبهم وتعلقهم بهذا العجل وشدة تعلقهم به(٣).

ومن الممكن أن يوحي هذا النمط من التعبير بأن الفاعل عظيم الشأن، ويمتلك قوة خارجية، وأن الفاعل الموجود هو ليس الفاعل الحقيقي. كما في قوله تعالى: ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ

= ربه حيث أضاف عيب السفينة إلى نفسه ولم ينسب ذلك إلى الله تعالى مع أن الله هو الذي أوحى إليه بذلك. وللمزيد من التفصيل ينظر: ابن القيم وحسه البلاغي: ٩٦-٩٧.

(١) ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن – د. عبد الفتاح لاشين: ٨١.

(٢) سورة البقرة من الآية: ٩٣.

(٣) ينظر: جماليات المفردة القرآنية – د. أحمد ياسوف :١٣ والتصوير بالكلمات– ناديا سلطان: ١٣٧.

﴿١١٩﴾ ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾[1]، فنلاحظ أن الفعل **(فغلبوا)** جاء مبنياً للمجهول؛ وذلك لأن الغرض منصبٌ على بيان أن السحرة غُلبوا وأن سحرهم أُبطل مع كونهم بارعين فيه، وفي ذلك إشارة إلى أن الذي غلبهم في الحقيقة ليس موسى عليه السلام وإنما هي قوة خارجة عن قدرة موسى عليه السلام أيدته وجعلت عصاه تلقف ما يلقون. ولو أن السياق جاء بصيغة المبني للمعلوم وقال **(فغلبهم)** لكان المراد هو موسى عليه السلام وأن الغلبة تعود إليه وحده. والحقيقة الثابتة ليست كذلك إذ أن موسى عليه السلام عندما رأى حبالهم وعصيهم تسعى من سحرهم أوجس في نفسه خيفة لولا أن ثبته الله[2].

وفي الجملة الأخيرة من الآية وهو قوله ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾ إشارة إلى السرعة الفائقة في وقوع الحدث وبيان أن هناك قوة عظيمة مجهولة قد سلبت عنادهم وكفرهم فخروا في ساحة الحق ساجدين. وذلك من خلال بناء الفعل **(فأُلقي)** للمجهول وحذف الفاعل في هذا التعبير. وهذا بعض ما في التعبير من الحسن والجمال[3].

ونلاحظ الدقة في استعمال المبني للمجهول في تركيب الجملة القرآنية متمثلة في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ

---

(١) سورة الأعراف: ١١٨-١٢٠.

(٢) ينظر: الآيات (٦٥-٦٨) من سورة طه وخصائص التراكيب: ١٧٧-١٧٨.

(٣) ينظر: خصائص التراكيب: ١٧٨.

﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١) فالبناء للمجهول في الأفعال **(قيل وغيض وقضي)** يدل على أن هذه الأحداث لم تُقضَ إلا بأمر آمر وقدرة قادر عظيم، وفيه إيحاءٌ بجلال العظمة والكبرياء للذات الإلهية. يقول الزمخشري: **(ومجيء أخباره على الفعل المبني للمجهول لدلالة على الجلال والكبرياء، وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر، وتكوين مكوّن قاهر وأن فاعلها فاعل واحد لا يُشارَك في أفعاله)**(٢).

وحذف الفاعل والتعبير بالمبني للمجهول في قوله **(وقيل يا أرض)** يشير إلى (قوة ظهوره، وأن ذلك الفعل الهائل أعني مخاطبته الأرض وتوجيه الأمر المستعلي إليها لا يكون إلا من الذي خلقها فسواها وكذلك السماء، وحذف الفاعل في قوله **(وغيض الماء)** للإشارة إلى الإجابة السريعة فما أن أُمرت الأرض بأن تبلع والسماء بأن تقلع إلا وقد غيض الماء، وكأن قوة هائلة مجهولة اختطفته وابتلعته فذهب معها)(٣). ثم يأتي التوكيد والتقرير عن طريق قوله **(قضي الأمر)** وكأن شيئاً لم يحدث للوصول إلى النتيجة النهائية التي هي **(استوت على الجودي)** وحذف الفاعل في الجملة فيه دلالة على الفخامة وعِظم الشأن(٤).

---

(١) سورة هود: ٤٤.

(٢) الكشاف: ٥٠٥/٢ والمشاهد في القرآن الكريم: ٤٠٦-٤٠٧.

(٣) خصائص التراكيب: ١٧٦-١٧٧.

(٤) ينظر :الطراز:٥٠٨/٣ و من بلاغة القرآن: ٥٧.

وظاهرة الاستغناء عن الفاعل عن طريق البناء للمجهول وصرف الحدث عن محدثه، ظاهرة أسلوبية تكثر في مشاهد القيمة وقيام الساعة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[1] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[3].. وغيرها. والسبب في استعمال هذا الأسلوب في مشاهد الآخرة؛ ذلك أن الخطاب القرآني موجه إلى الناس، فأراد لفت أنظارهم إلى هذه الأحداث العظام الجسام، وهذا هو المقصد المهم في هذا التعبير من دون أن يشغلهم عن مُحدث هذه الأفعال، فأياً كان النافخ في الصور وأياً كان الذي يدك الأرض وعن الكيفية التي تجيء بها جهنم وكم مَلَكٍ يجيء بها؟ فهذا ليس هو المهم، علاوة على كون المتلقي يعلم تماماً أن هذه الأحداث العظام لا تحصل إلا بإذن الله ﷻ. إذن فالفاعل معروف من خلال الاختصاص بهذه الأفعال دون غيره؛ لأنه هو من يأمر بكل هذه الأحداث. إذن فالبناء للمجهول يوحي بعظمة من يأمر بهذه الأحداث وقدرته[4].

---

(١) سورة الحاقة: ١٣-١٤.

(٢) سورة إبراهيم: ٤٨.

(٣) سورة الزمر: ٧٣.

(٤) ينظر: الإعجاز البياني للقرآن- د. عائشة عبد الرحمن: ٢٢٢-٢٢٥ والطبيعة في القرآن الكريم- د. كاصد ياسر الزيدي: ٤٨٢-٤٨٣ والمشاهد في القرآن=

إذن فالغرض من بناء الفعل للمفعول وحذف الفاعل هو الإعلام بوقوع الفعل بالمفعول، ولا غرض في إبانة الفاعل من هو...(١).

ولكل جملة في القرآن الكريم نسقها الخاص بها وعلاقاتها السياقية – التي تربط بين عناصرها– الخاصة أيضاً. فقد تؤثر الجملة القرآنية أسلوب البناء للمعلوم وقد تعدل عنه إلى أسلوب البناء للمجهول فيحذف الفاعل. وهذه ظاهرة واسعة النطاق في السياق القرآني. فإذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾(٢) وقارناه بقوله تعالى في السورة نفسها: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(٣)، وجدنا أن سياق الآية الأولى قد آثر التعبير بأسلوب البناء للمجهول وذلك في جملة **(طُبِع على قلوبهم)**، أما في سياق الآية الثانية فجاءت الجملة **(وطبع الله على قلوبهم)** مبنيةً للمعلوم أي ذُكر فيها الفاعل وهو لفظ الجلالة (الله).

=الكريم: ٤٠٦–٤٠٨ والبلاغة فنونها وأفنانها: ٢٦٨/١ ومن أساليب التعبير القرآني– د. طالب محمد إسماعيل الزوبعي: ٣١٦–٣١٨.

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١١٤/٣ ومن أساليب التعبير القرآني: ٣١٩.

(٢) سورة التوبة: ٨٦–٨٧.

(٣) سورة التوبة :٩٣.

وإذا حاولنا البحث عن السر في ذلك لوجدنا أن قوله **(طُبع)** جاء في آخر جملة في الآية الأولى والتي افتتحت بقوله **(وإذا أُنزلت سورة)** أي بالبناء للمجهول أيضاً. وذلك لأن الآية لما صُدّرت بفعل عُلِم فاعله بل أن هذا الفعل لا يكون إلا له وهو إنزال السورة. وهذا لا يقتضي ذكر الفاعل جاء ختام الآية محمول عليه لأنه معلوم فإن الله هو الذي يطبع على قلوبهم، فلما عُلم بأن الله ينزل السورة، كان ذلك تناسباً بين أول الآية وآخرها. أما في الموضع الثاني – المبني للمعلوم – فهو موضع تبيين حال المذكورين في السياق الذي قبله وهو قوله تعالى: ﴿ **لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ** ﴾[1]. فلما تبين في هذا الموضع مضادة حالهم لأحوال غيرهم وكان موضع تنبيه وتأكيد وتخويف وتحذير، فسمي الفاعل وهو **(الله)** وذلك للتناسب في ذكر الفاعل وحذفه من الموضعين[2].

---

(١) سورة التوبة: ٩١-٩٢.

(٢) ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ٣٢١-٣٢٢.

وهذا ما أشار إليه **ابن الزبير الغرناطي**[1] فقال: **(إن مطلع الآية قبلها قوله تعالى:** (وإذا أنزلت سورة) **على بناء الفعل للمفعول فجاء قوله** (وطُبع على قلوبهم) **على ذلك ونوسب بختام هذه الآية بداءة ما قبلها** وأما الثانية فلم يقع قبلها فعل بُني للمفعول وقد ذكر الفاعل فيها فجرى الكلام على ما يجب فقيل (وطبع الله على قلوبهم))[2].

وأسلوب القرآن الكريم يغاير في استعمال الفعل فيستعمله مبنياً للمعلوم حيناً ومبنياً للمجهول حيناً آخر وذلك تبعاً للسياق الذي ورد فيه الفعل. فقد حذف الفاعل وبني الفعل للمجهول في سياق قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[3]. وفي سياق آخر جاء الفعل

---

(١) وهو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي الغرناطي. ولد بجيان سنة ٦٢٧ أو ٦٢٨ هـ في أسرة عريقة النسب ذات ثراء ووجاهة و ونشأ في غرناطة وبها اشتهر واليها نُسب وبها عُرف. وقد ولي القضاء والإمامة بجامع غرناطة الكبير وهو مالكي المذهب وله مؤلفات كثيرة في أصول الفقه وفي علم الكلام واللغة والتفسير. ومن ابرز تلامذته أحمد بن الحسن الزيات (ت ٧٢٨) وأثير الدين أبو حيان النحوي(ت٧٤٥). توفي ابن الزبير سنة (٧٠٢ هـ) في غرناطة. ولمزيد من التفصيل ينظر: مقدمة ملاك التأويل- ابن الزبير: ٦١- ١٠١.

(٢) ملاك التأويل: ٥٩٧/١.

(٣) سورة المائدة: ٣.

مبنياً للمعلوم وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[1].

فقد حُذف الفاعل وبُني الفعل للمجهول في آية سورة المائدة، فقال(**حُرمت**) وذلك لأن سياق سورة المائدة الوارد قبل هذه الآية كان سياق بناء للمجهول فقال (**أُحلت لكم بهيمة الأنعام**) وكذلك السياق الوارد بعد هذه الآية وهو قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ وقوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾ وقد حذف الفاعل في كل ما سبق لأن مقتضى الحال وداعية المقام والنسق الفني لجمل هذا السياق كلها قرائن تُعلمنا أن الفاعل هو الله وحده. يضاف إلى ذلك وضوحه وظهوره مما لا يخفى على أحد، فضلاً عن التطابق بين أول الكلام وآخره، وهذا أليق لسياق الجمل وارتباط الكلام بعضه ببعض.

أما سورة النحل فقد بدأت الآية بإسناد نعمة الرزق إلى الله تعالى في قوله: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾[2] فأظهر الفاعل؛ لأن الرزق من خواص ربوبيته ﷻ فكان الأليق بسياق المعنى ذكر الفاعل، ثم أمرهم بالشكر على هذه النعمة العظيمة، فقال: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ

---

(١) سورة النحل: ١١٥.

(٢) سورة النحل: ١١٤.

﴿إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[1] وفيه أيضاً ظهر لفظ الجلالة **(الله)** ولم يقل **(اشكروا نعمته)**، ثم ختمت الآية بتخصيص العبادة به وحده، فقال **(إن كنتم إياه تعبدون)** فقُدم الضمير المنفصل الواقع في محل نصب مفعول به **(إياه)** على الفعل والفاعل **(تعبدون)** ، وهكذا هيّأ بناء السياق الكريم لأسلوب المبني للمعلوم فكان لا بد من مجيء الجملة بعد كل هذه الأشياء مبنية للمعلوم[2].

ومن الملاحظ أيضاً أن جملة **(وما أهل لغير الله به)**[3] قد جاءت مبنية للمجهول في سياق الآيتين؛ وذلك لأن الاهتمام فيها كان منصبّا على الحدث الذي هو **(الإهلال)** الذي هو ما يُهلّ به تقرباً لغير الله ﷻ من ذبح وغيره، بغض النظر عن الفاعل أو المحدث لهذا الإهلال، لذلك حذف الفاعل؛ لأنه غير مقصود أو غير متعين ولكي يدخل المعنى في باب العموم، أي ليعم كل ما يُهلُّ به لغير الله ﷻ فهو محرمٌ على المسلمين.

ومما يجدر ذكره أن الفعل **(أُهل)** قد ورد أربع مرات في القرآن الكريم[4] ولم يرد إلا مبنياً للمجهول أي لم يستعمل مبنياً للمعلوم في أسلوب القرآن

---

(١) الآية السابقة.

(٢) ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ٣٢٣-٣٢٤.

(٣) سورة المائدة: ٣ وسورة النحل: ١١٥.

(٤) ينظر: سورة البقرة: ١٧٣ و سورة المائدة: ٣ وسورة الأنعام: ١٤٥ وسورة النحل: ١١٥.

الكريم، ولذلك ورد في السياق الثاني مبنياً للمجهول وكان السياق كله بالبناء للمعلوم للسبب نفسه.

حذف عنصري الإسناد الرئيسين في الجملة الفعلية:

ونقصد بهما الفعل والفاعل ولا يبقى في الجملة حينئذ إلا ما يدل على حذفهما كالمفعول به أو المفعول المطلق أو غيرهما.

فلو نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾[1]، وجدنا أن جملة **(ناقة الله وسقياها)** مبنية على حذف الفعل والفاعل، والأسلوب القرآني يحرص في مثل ذلك على إلقاء المفعول به بسرعة؛ لأنه هو المقصود في التعبير فيكون حينئذ أكثر امتلاءً وأكثر إصابة.

والأصل في تركيب الجملة: **ذروا ناقة الله واحذروا عقرها**. وهو نداء من نبي الله صالح عليه السلام إلى قومه لكونه رحيماً بهم ويخاف أن يمسهم عذاب الله إن هم ذبحوها. فصاح بهم محذرا: ناقة الله وسقياها. ولو أنه ذكر الفعل والفاعل في هذا السياق لذهب بكل ما يدل عليه الحذف في أسلوب الجملة من لهفة وخوف عليهم. زيادة على ما في الحذف من بيان شدة حرصه على نجاة قومه، واندفاعه السريع نحو دفع الخطر عنهم. ويمكننا تفسير جمال أسلوب الحذف في تركيب التحذير والإغراء بما يشبه الذي ذكرناه في هذا الموضع؛ لأن الحذف في مثل هذه الأساليب مطرد.

---

(١) سورة الشمس: ١١-١٣.

ومن المواقع الجيدة الدقيقة لحذف الفعل والفاعل في أسلوب الجملة القرآنية قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾(١)، ففي السياق حذف الفعل والفاعل معا وإقامة المصدر – المفعول المطلق – مقامهما. فالتقدير: فاضربوا الرقاب ضرباً، وقد ألقى هذا الحذف على الجملة قوةً ونفاذاً وتناسباً بين اللفظ والمعنى، حيث نجد أن هنالك ملائمة بين الحذف وسرعة الضرب. إذ إن الضرب المأمور به هو الضرب السريع الخاطف فور لقاء الأعداء.

٢- الحذف في الجملة الاسمية:

حذف المبتدأ:

المبتدأ هو أحد الأركان الأساسية في الجملة الاسمية والأصل أن يكون مذكوراً ومتصدراً فيها وهو المسند إليه فيها. ولكن مع ذلك قد يُعدل إلى حذفه في تركيب الجملة إذا دلّ عليه دليل وإذا كانت البلاغة في حذفه وعدم ذكره. وهنالك أغراض بيانية ودلالية لحذفه في أسلوب الجملة القرآنية إلا أنه مع كل حذف لابد من وجود قرينة تدل عليه(٢). ومن أبرز المواضع التي يحذف فيها المبتدأ في تركيب الجملة القرآنية هي:

١- إذا كان المبتدأ خاصاً بالخبر:

فيُحذف المبتدأ في تركيب الجملة القرآنية للاهتمام بالخبر، وللإشارة إلى أنه لا يمكن أن يكون لغيره، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ

---

(١) سورة محمد: ٤.

(٢) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١ /٢٦٣.

﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾[1]. فنلاحظ في هذه الآية الكريمة أن قوله(**عالم الغيب**) هو خبر لمبتدأ محذوف تقديره (**هو**)، أي: هو عالم الغيب والشهادة، ويمكن أن نقدره بلفظ الجلالة(**الله**) فيكون:الله عالم الغيب والشهادة. وفي الحالتين قد حُذف المبتدأ؛ لان الاهتمام واقع على الخبر لبيان أن (**عالم الغيب**) لا يكون إلا له سبحانه وتعالى. وفضلاً عن ذلك فان المخاطب على علم باختصاص الخالق ﷻ بعلم الغيب دون غيره، وفي التعبير على صورة الحذف في هذا السياق الجليل إشارة إلى الوحدانية والربوبية[2].

ونلاحظ في هذا السياق أن الشهادة قد عُطفت على الغيب، بيد أن الغيب في تضاد مع الشهادة فمعنى الغيب هو الذي لا يعلمه إلا الله ﷻ أما الشهادة فمعناها هو المُشاهد والحادث، وهو الذي يشترك به علم الله وعلم العباد. فالغيب إذن هو الغائب عن العباد، أما الشهادة فهو المشاهد للعباد[3]. وجاء العطف بينهما من قبيل عطف وجمع الصفات المتضادة أو المشاهد المتناقضة، كما في الجمع بين صفات أهل الجنة وصفات أهل النار... وغيرها.

---

(١) سورة الرعد:٩.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم –أبو يعقوب السكاكي:١٧٦ وخصائص التراكيب:١٧٤-١٧٥.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير:٢/١٤٨٥.

ومما يجدر بالذكر أن هذا التركيب **(عالم الغيب والشهادة)** قد ورد في أسلوب القرآن الكريم عشر مرات، وقد جاءت جميع هذه المواضع مسبوقة بواو العطف وعلى هيئة واحدة، وهي تقديم الغيب على الشهادة في جميع المواضع(١)، أي: إن الأسلوب القرآني قد التزم بناءً واحداً في هذا العطف أو النسق؛ وذلك لأن الإيمان بالغيب أولى وأهم من الإيمان بما هو مُشاهد وحادث أمامهم؛ لذلك جعل الله ﷻ الإيمان بالغيب من أهم صفات المؤمنين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾(٢) إذن فالقرآن التزم بهذا التقديم؛ لأهميته بالنسبة إلى الإيمان والعقيدة الصحيحة.

ومن مواضع ذلك في تركيب الجملة القرآنية قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾(٣)، فنلاحظ أن جملة مقول القول قد حُذف منها المبتدأ ولم يبقَ منها إلا الخبر، والتقدير: هذا ساحر كذاب، وحُذف المبتدأ هنا؛ لأن الخبر لا يكون إلا لموسى؛ لأنه خاص به. وهذا معلوم في السياق الوارد قبل هذه الآية إذ فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾(٤). فنلاحظ أن الخبر في هذه الجملة لا ينصرف إلا لموسى

---

(١) ينظر: الفوائد في مشكل القرآن – عزالدين بن عبد السلام: ٨٧.

(٢) سورة البقرة: ٣.

(٣) سورة غافر: ٢٤.

(٤) سورة غافر: ٢٣-٢٤.

عليه السلام وذلك لأنه جاءهم بالآيات البيّنات التي تبطل سحرهم؛ لذلك كان السحرة هم أول من آمن به. ولكننا نلاحظ في سياق آخر من القرآن قد ورد ذكر المبتدأ في الجملة نفسها وهو قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾[1]. فقال هنا (**هذا ساحر كذاب**) ، وذلك لأن هذه الآيات قد نزلت في الرسول محمد ﷺ وحذف المبتدأ هنا يوهم غير ذلك؛ لأنه لم يرد ذكر للرسولﷺ قبل هذه الآية، زيادة على كون حجة الرسول ﷺ هي القرآن وليس كما كان مع موسىعليه السلام فلذلك آثر السياق القرآني في الموضع الثاني ذكر المبتدأ؛ لأن حذفه يوقع اللبس بالمعنى المراد[2]. فالسياق القرآني يحذف من الجملة عندما يكون في الحذف غاية لا تُدرك بالذكر، ويذكر عندما يكون في الذكر تمام المعنى وإيضاح للمطلوب.

---

(١) سورة ص:٤.

(٢) ينظر:التفسير الكبير:٥٤/٢٧ وتفسير ابن كثير:٢٤١٣/٤.

٢- في جواب الاستفهام:

ويكون حذف المبتدأ في هذه الحالة لغرض الإسراع في ذكر الخبر؛ لأنه المقصود بالوصف أو البيان. كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾[١]. وقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾[٢] والتقدير في الموضعين:هي نار...، وقوله ﷻ: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾[٣] أي: هم في سدر مخضود... وغيرها كثير في السياق القرآني، ويكثر هذا الأسلوب في حذف المبتدأ في جواب الاستفهام للإسراع في ذكر الخبر بعد أن أثار الشوق بالسؤال عنها[٤].

٣- بعد الفاء المقترنة بجواب الشرط:

ويكون حذفه في هذه الحالة لغرض الإيجاز- وهو مدار الحذف- وان ذكره يبعث في النفس السأم لشدة وضوحه. وذلك كما في قوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾[٥]، أي: فعمله لنفسه وإساءته

---

(١) سورة الهمزة:٥-٦.

(٢) سورة القارعة:١٠-١١.

(٣) سورة الواقعة:٢٧-٢٨.

(٤) ينظر: من بلاغة القرآن:١٢٠وبناء الجملة العربية:٢١١ والبلاغة فنونها وأفنانها:١/٢٦٥.

(٥) سورة فصلت:٤٦.

عليها. ومثله قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾[1]، أي: فهو طل. ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾[2]، والتقدير: فهو يؤوس قنوط. فوجود الخبر في كل ما سبق يُغني عن وجود المبتدأ لشدة وضوحه[3].

٤- بعد القول وما اشتق منه:

ويكون في هذه الحالة أيضاً حذفه للإيجاز، وعدم الفائدة من ذكره؛ لشدة وضوحه حتى كأن ذكره يصير عبثاً وأن البلاغة في حذفه[4]. وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[5]. أي قالوا: القرآن أساطير الأولين. ومثله قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾[6]، أي: أنا عجوز عقيم، وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[7] والتقدير هو

---

(١) سورة البقرة:٢٦٥.

(٢) سورة فصلت:٤٩.

(٣) ينظر:من بلاغة القرآن:١٢٠.

(٤) ينظر:البلاغة فنونها وأفنانها:٢٦٥/١.

(٥) سورة الفرقان:٥.

(٦) سورة الذاريات:٢٩.

(٧) سورة الشعراء:٢٣-٢٤.

رب السموات[1].

حذف الخبر:

والخبر هو الركن الأساسي الثاني في الجملة الاسمية وهو المحكوم به على المبتدأ أو المخبر به ويأتي على صور عديدة في تركيب الجملة القرآنية، منها أن يكون خبراً للمبتدأ- وهو الأصل- كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2]، أو ما أصله الخبر، كما في خبر كان وأخواتها ، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[3]، أو خبر (إن) وأخواتها، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[4]، ويكون المفعول الثاني لـ(ظن) وأخواتها، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾[5]. ويمكن أن يأتي الخبر فعلاً تاماً، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم

---

(١) ولمزيد من التفصيل في مواضع حذف المبتدأ ينظر :البرهان في علوم القرآن:٣/١٣٥-١٣٨ وعلوم البلاغة:٨٢-٨٥ والبلاغة فنونها وأفنانها:١/٢٦٣-٢٦٨.

(٢) سورة الكهف:٤٦.

(٣) سورة النساء:٩٢.

(٤) سورة مريم:٣٦.

(٥) سورة الكهف:٣٦.

﴿بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾[1]، فقد أسندت المحبة إلى لفظ الجلالة فهي الخبر، أي فعل المحبة[2].

والأصل ذكر الخبر في تركيب الجملة الاسمية، ولكن قد يُعدل إلى حذفه لأسباب وأغراض بلاغية وأسلوبية لا تتحقق إلا بحذفه. وفي السياق القرآني ورد حذف الخبر كثيراً، ولكن مع كل حذف هنالك دليل يدل عليه، وهناك مواضع للحذف يمكن التعرف فيها على المحذوف بسهولة ومواضع أخرى تحتاج إلى تأمل وإثارة الفكر لمعرفة أصل المحذوف.

ومن أبرز مواضع حذف الخبر في تركيب الجملة القرآنية هي:

١- بعد همزة الاستفهام:

فيحذف الخبر بعد همزة الاستفهام، وذلك عندما يكون هناك دليل يدل عليه فيُغني عن ذكره. كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[3]، فاسم الاستفهام (مَنْ) مبتدأ خبره محذوف دلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾. والتقدير: كـ(من) طبع على قلبه وأقساه[4].

---

(١) سورة الصف: ٤.

(٢) ينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ٨٣-٨٤.

(٣) سورة الزمر: ٢٢.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/١٩٣ وبلاغة القرآن: ١٢١.

وفي حذف الخبر دلالة على عدم الموازنة أو أن الموازنة غير مستساغة بين مَنْ هو على نورٍ من ربه وبين صاحب القلب القاسي عن ذكر الله[1]؛ لأن الأول ذو مكانة عالية عند الله، أما الثاني فهو في ضلال مبين عن ذكر الله وتوحيده. زيادة على ما في الحذف من عدم الاهتمام بالثاني وفيه الإهانة والاحتقار؛ لذلك أغفل ذكره، وذكر ما يدل عليه في سياق الجملة.

ونظير ذلك وفي سياق السورة نفسها قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ** ﴾[2]. فاسم الاستفهام (مَنْ) مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما ذُكر في سياق الآية الكريمة، والتقدير: كمن أمِنَ العذاب[3].

ونقل **القرطبي** (ت٦٧١ هـ) عن **الأخفش** (ت٢١٥ هـ) أن التقدير: **((أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب) أفضل أم مَن سَعِدَ. كما في قوله تعالى:** ﴿**أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ**﴾. وأياً كان التقدير فإن المحذوف يدل عليه سياق الكلام أو ما يكون في سياق آخر مشابه له.

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٦١/١٥ ومحاسن التأويل- محمد جمال الدين القاسمي: ١١٨/١٤.

(٢) سورة الزمر: ٢٤.

(٣) محاسن التأويل: ١١٨/١٤.

ويبدو أن هذا الأسلوب في حذف الخبر من تركيب الجملة القرآنية كثير في القرآن الكريم وذلك لأن الاستفهام في مثل هذه الحالات يفيد الإنكار أو التوبيخ(١)، والحذف في مثل هذه المواضع يؤدي إلى سرعة الوصول إلى الجزاء المترتب على هذا الإنكار أو التوبيخ، وهو المقصود ليعلم المخاطب ما هو الجزاء المترتب على ذلك. وأن المذكور في سياق الجملة أو الآية يغني عن المحذوف، والسبب في حذف الخبر في هذه الجملة أو هذا السياق هو عكس السبب في الآية السابقة فالحذف هنا يشير إلى تعظيم المحذوف وأنه أكرم على الله من أن يذكر في مقابلة الشقي الذي يتقي النار بوجهه.

٢- بعد (لا) التبرئة:-

وهو من المواضع الدقيقة في الحذف في أسلوب الجملة القرآنية. ذلك أنه يُحذف كل ما في الجملة ولا يبقى منها إلا كلمة واحدة. إذ أنه يُذكر في السياق نفسه ما يدل على العناصر المحذوفة في الجملة، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾(٢). فالسياق يتحدث لنا عن قصة إيمان سحرة فرعون عندما رأوا

---

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ الزمر: ٩. أي كمن ليس كذلك.

(٢) سورة الشعراء: ٤٩-٥٠.

الحق مع موسى عليه السلام فأخذ فرعون يتوعدهم بكلمات قوية مجلجلة تحمل في معناها أشد العذاب أو العقاب. ولكن مع ذلك الوعيد الصادر من فرعون لهؤلاء السحرة إلا أنهم يردون عليه بكلمة واحدة (**لا ضير**)، وحذفوا بقية الجواب وذلك يدل على عدم مبالاتهم بكل وعيد فرعون لهم، وأن اختزال الجملة على هذه الصورة يدل على سخريتهم منه وعدم اكتراثهم به أو بعقوبته.

ومما يثير الانتباه ذلك التناسب العكسي بين طول كلام فرعون وغضبه وقِصَر كلام السحرة وعدم اهتمامهم. وهذا مما يزيد حسن الحذف في هذه الجملة؛ إذ ذكرت (لا) النافية للجنس أو لا التبرئة مع اسمها (**ضير**) وحُذف الخبر ومتعلقات الجملة من الجار والمجرور والتقدير: لا ضير علينا في كل ذلك أو لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عذاب الدنيا وفي ذلك دلالة على شدة استبصارهم وقوة إيمانهم[1].

ونظير ذلك ما ورد في وصف الاضطراب والفزع وقت البعث وقيام الساعة في قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ** ﴾[2]، أي (فلا فوت لهم أي لا يفوتون الله ولا يسبقون القدر، فحُذف الخبر وبقيت كلمة واحدة، وسياق السرعة الفائقة والحركات المتلاحقة جعل حسن الحذف لا يتناهى، وقد بُني هذا التعبير على التركيز الشديد وكأن كل كلمة فيه جمع هائل في هذا الحشد الذي ضم أطراف البشرية كلها من

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٣/٦٧-٦٨ وخصائص التراكيب: ٢٧٧-٢٧٨.

(٢) سورة سبأ: ٥١.

لدن آدم عليه السلام إلى آخر نفس تموت، وحذفُ الجواب يؤذنُ بمزيد من صور الهول التي لا تتناهى ولا تنضبط ولا يصفها أبلغ بيان) [1].

٣- موضع آخر لحذف الخبر:

ويمكن أن يكون في حذف الخبر في تركيب الجملة القرآنية دلالة على قرب الخالق ﷻ من عباده أو قرب رحمته منهم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2]، وهذا التعبير في أسلوب الجملة القرآنية من باب الاستغناء بالمذكور عن المحذوف؛ لكونه تبعاً له ومعنى من معانيه أو صفة من صفاته، فإذا ذُكر الأول أغنى عن ذكر الآخر لأنه يفهم منه.

فالأصل في تعبير الآية هو: إن الله قريب من المحسنين وأن رحمة الله قريبة من المحسنين فاستغنى السياق بخبر المحذوف عن خبر الموجود[3] وقد سوغ لذلك ظهور المعنى وبيانه[4].

---

(١) خصائص التراكيب: ٢٧٨.

(٢) سورة الأعراف: ٥٦.

(٣) ويسمى هذا الفن بـ(الإحتباك) وهو أن يحذف من الأول ما يثبت نظيره في الثاني وفي الثاني ما يثبت نظيره في الأول ، وهو مأخوذ من الحُبُك الذي معناه الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب. وهو كثير في أسلوب القرآن الكريم. ولمزيد من التفصيل، ينظر: حول الإعجاز البلاغي في القرآن- د. حسن طبل: ٢٣-٢٨.

(٤) ينظر: التفسير القيم: ٢٧٢ و ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن- د. عبدالفتاح لاشين: ٩٠-٩١. والتعبير القرآني- د. فاضل صالح السامرائي: ٩٠.

ويتلمس **ابن القيم** الملامح الأسلوبية لهذا الحذف فيقول: (إن الرحمة صفة من صفات الرب تبارك وتعالى والصفة قائمة بالموصوف لا تفارقه لأن الصفة لا تفارق موصوفها. فإذا كانت قريبة من المحسنين فالموصوف تبارك وتعالى أولى بالقرب منهم، بل قرب رحمته تبع لقربه هو تبارك وتعالى من المحسنين... ففي حذف التاء ههنا تنبيه على هذه الفائدة العظيمة الجليلة، وأن الله تعالى قريب من المحسنين، وذلك يستلزم القرْبين قربه وقرب رحمته. ولو قال إن رحمة الله قريبة من المحسنين لم يدل على قربه تعالى منهم؛ لأن قربه تعالى أخص من قرب رحمته والأعم لا يستلزم الأخص بخلاف قربه، فإنه لمّا كان أخص استلزم الأعم وهو قرب رحمته)(١).

وفي ذلك دلالة على ما في الحذف في أسلوب الجملة القرآنية من بلاغة في الإيجاز ودقة في المعنى، فالرحمة صفة من صفات الخالق ﷻ والصفة ثابتة للموصوف وملازمة له لا تفارقه، فإذا كانت هذه الصفة قريبة من المحسنين فالموصوف – تبارك وتعالى – أولى بالقرب منهم(٢).

وهذا يعني أن الأسلوب القرآني قد اختزل الجملتين في جملة واحدة، ذلك أن التقدير بحسب المعنى هو: إن الله قريب من المحسنين وأن رحمة الله قريبة من المحسنين، بيد أن التعبير القرآني قد جاء بجملة واحدة أدت

---

(١) التفسير القيم: ٢٧٢-٢٧٣ وينظر: التعبير القرآني: ٩٠-٩١.

(٢) وللمزيد من التفصيل ينظر: التفسير القيم: ٢٧٣ وابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: ٩٠-٩١ والتعبير القرآني: ٩١-٩٢.

الغرض وقررت المطلوب. وهذا من أبرز سمات القرآن الأسلوبية في تركيب جُمَلِهِ.

تعدد أوجه الحذف في الجملة الاسمية :

وقد يُبنى أسلوب الجملة القرآنية على الحذف إلا أنه يحتمل أن يكون المحذوف الخبر ويحتمل أن يكون المحذوف هو المبتدأ ، كما في قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾(١) فيمكن أن يكون المحذوف هو المبتدأ فيكون التقدير: أمري صبر جميل، ويمكن أن يكون المحذوف هو الخبر فيكون التقدير: فصبر جميل أجمل، وكلا التقديرين صحيح، إلا أنه يمكننا أن نرجح المحذوف عن طريق الظواهر الأسلوبية الواردة في سياق الكلام. فيمكننا في هذا الموضع أن نرجح أن يكون المحذوف هو المبتدأ وذلك لأن حذف المبتدأ هو الأكثر في سياق الكلام لأن بناء الكلام في أغلب الأحيان يكون على الخبر فلا يصح حذفه، فضلاً عن ذلك أن قرائن السياق والمعنى تدل على مدح صبر يعقوب عليه السلام فحين يكون التقدير هو: أمري صبر جميل يكون المعنى دالاً على حصول الصبر منه عليه السلام بوجه مخصوص لا لغيره ، أما

---

(١) سورة يوسف: ١٨.

حذف الخبر فلا يؤدي ذلك المعنى ولا يدل دلالة مباشرة على حصول الصبر لسيدنا يعقوب عليه السلام[1].

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2]، فيحتمل أن يكون المحذوف هو المبتدأ فيكون التقدير: هذه سورة أنزلناها، ويحتمل أن يكون المحذوف هو الخبر فيكون التقدير: فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها. والاحتمال الأول أقرب للدلالة في تركيب الجملة[3].

ومن أدق المواضع التي ورد فيها الحذف الذي يحتمل الوجهين في أسلوب الجملة القرآنية قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾[4]، فيحتمل السياق أن يكون المحذوف هو المبتدأ فيكون التقدير: ولا تقولوا الله والمسيح وأمه ثلاثة، أي لا تعبدوهم كما تعبدون الله وتساووا بينهم في الصفة والرتبة، ويمكن أن يكون المحذوف هو الخبر فيكون التقدير: لنا أو في الوجود آلهة ثلاثة، فتكون الجملة عندئذٍ مكونة من مبتدأ هو **(آلهة)** و**(ثلاثة)** صفة له والخبر هو **(لنا)** أو **(في الوجود)**

---

(١) ينظر: الإيضاح: ٥٠ والطراز: ٢/٢٥٨ والبرهان في علوم القرآن: ٣/١٤٢-١٤٣ و خصائص التراكيب: ٢٨٢-٢٨٣.

(٢) سورة النور: ١.

(٣) ينظر: الإيضاح: ٥٠ والبرهان في علوم القرآن: ٣/١٤٣ و خصائص التراكيب: ٢٨٣.

(٤) سورة النساء: ١٧١

ثم حذف الخبر بعد ذلك – والحذف هنا مطرد في مثل هذه الحالات مع النفي كما في قولنا في كلمة التوحيد **(لا اله إلا الله)** أي **(لا معبود بحق إلا الله)** – ثم حذف الموصوف وهو المبتدأ **(آلهة)** وبقيت صفته، وهذا من صفات الكلام البليغ أي يحذف الموصوف وتبقى صفته، فصار الكلام **(ولا تقولوا ثلاثة)**(١) ويمكننا من خلال المعنى في الاحتمالين أن نرجح المعنى في الاحتمال الأول أي: حذف المبتدأ و بقاء الخبر؛ وذلك لأن الخطاب كان موجهاً إلى النصارى وهم أصحاب عقيدة التثليث.

ونلاحظ أن هذا الحذف في أسلوب الجملة القرآنية يحمل في طياته فضيلة زائدة على صور الحذف التي يتحدد فيها نوع المحذوف، تلك هي تكثير الفائدة؛ وذلك لأن الحذف الذي يحتمل وجهين يكون أوفر معنًى وأغزر دلالةً وأكثر تأملاً لما فيه من تأويلات وتقديرات.

٣- حذف عناصر أخرى من الجملة:

ونقصد بالعناصر الأخرى متعلقات الجملة، وهي ما زاد على الأركان الأساسية في بناء الجملة التركيبي وتسمى متعلقات الإسناد؛ لأنها يمكن أن تقيد الإسناد أو أحد طرفيه ويمكن أن تضيف معاني أخرى إلى دلالة الجملة. وهذه المتعلقات إما أن تُذكر في تركيب الجملة فتؤدي وظيفتها فيها، أو يؤثر حذفها لأغراض بلاغية وأسلوبية في الجملة. ويمكن أن

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٩٠-٢٩٤ و البرهان في علوم القرآن: ١٣٧/٣ و خصائص التراكيب: ٢٨٣-٢٨٥.

نستدل على حذفها من خلال قرائن السياق وارتباط عناصره ببعضها داخل ذلك السياق. فالأصل في المتعلقات ذكرها إذا تطلبها الإسناد ولاسيما ما يتعلق بالفعل منها كالمفعول به والزمان والمكان والحال والجار والمجرور.

١- حذف المفعول به:

واللطائف الأسلوبية في حذفه كثيرة، يقول عبدالقاهر الجرجاني في حذف المفعول: **(فإن الحاجة إليه أمس، وهو ما نحن بصدده أخص، واللطائف كأنها فيه أكثر وما يظهر بسببه من الحُسن والرونق أنجب وأظهر)**(١).

فيحذف المفعول به في الجملة القرآنية إذا كان الغرض هو إثبات الفعل للفاعل والاقتصار على إثبات المعاني التي اشتُقت منها الأفعال لفاعليتها من غير تعرض للمفعول به وبذلك يصبح الفعل المتعدي كاللازم. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٢)، فالمعنى: هل يستوي مَن له علم ومَن لا علم له؟ من غير أن يقصد النص على معلوم(٣).

---

(١) دلائل الإعجاز: ١١٨.

(٢) سورة الزمر: ٩.

(٣) ينظر: حسن التوسل إلى صناعة الترسل - شهاب الدين الحلبي: ١٦٥ والفوائد المشوق إلى علوم القرآن : ٧٤ ومن بلاغة القرآن: ١٢٢ وبلاغة الكلمة والجملة والجمل: ٢٦٦.

ونرى ذلك جلياً في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾[2] فالمعنى هو الذي منه الإحياء والإماتة والإغناء والإقناء من دون النظر إلى المفعول أو لمن يحصل له ذلك. إذ القصد إثبات الفعل للفاعل واختصاصه بهذه الأفعال دون غيره[3]، وهذا ما نلاحظه في سياق قوله تعالى: ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾[4] أي يكون منه الإحياء والإماتة من غير نظر إلى مَن أحياه الله ولا من أماته[5]. (وهكذا كل موضع كان القصد فيه أن يثبت المعنى في نفسه فعلاً للشيء وأن يخبر بأن من شأنه أن يكون منه أو لا يكون إلا منه أو لا يكون منه فإن الفعل لا يُعدّى هناك؛ لأن تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى)[6].

ومن أبرز المواضع التي يركز فيها أسلوب الجملة على إثبات الفعل للفاعل من دون الاهتمام بذكر المفعول به، قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ

---

(١) سورة النجم: ٤٣-٤٤.

(٢) سورة النجم: ٤٨.

(٣) ينظر: : حسن التوسل إلى صناعة الترسل: ١٦٥-١٦٦ ومن بلاغة القرآن: ١٢٢ وبلاغة الكلمة والجملة والجمل: ٢٦٦.

(٤) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٥) ينظر: دلائل الإعجاز: ١١٩ و خصائص التراكيب: ٢٤٢-٢٤٣.

(٦) دلائل الإعجاز: ١١٩.

مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾[(١)] فقد حُذف المفعول به في هذا السياق في أربعة مواضع في سياق الجمل، فيكون التقدير: **(يسقون أغنامهم أو مواشيهم)** و **(تذودان غنمهما)** و **(لا نسقي غنمنا)** و **(فسقى لهما غنمهما)** ، فالمفعول به معروف من السياق الذي ورد فيه الحذف وأدى الحذف إلى ملمح أسلوبي آخر وهو تثبيت معناه من غير أن يُذكر في الجملة؛ وذلك لأن الفعل أو الحدث قد تضخم حتى غطى مفعوله، الذي هو هدف له. فإذا تخيلنا هذا الحشد الهائل من الناس والمواشي على السقي وكل منهم قد جمع أغنامه وأخذ يدفع بالمناكب والأيدي ويدوس بالأقدام وغنمه تناضل معه من أجل السقي وبينهم وبين السقي صراع الأبطال، وكلهم لا يريد أن يفوته السقي، فهنا يضؤل ذكر المفعول به ولا يكون ذا أثر لو ذكر في الجملة؛ لأن الفعل قد تضخم واحتل مساحة كبيرة من الاهتمام.

والمفعول به مع كل ذلك لا يُنسى كما يرى الجرجاني، إنما يقل الاهتمام به نسبة إلى الفعل وكيف يُنسى وهو الهدف؟ إلا أن السياق يصور من خلال التركيز على الأفعال حال هاتين المرأتين **(وهما تذودان)** أي تحرسان غنمهما وتدفعان بها إلى الماء، ولكنهما **(لا يسقيان)** فالتدافع هنا أقوى منهما ففشلتا في تحقيقه، وماذا عسى أن تفعل هاتان الفتاتان مع

---

(١) سورة القصص: ٢٣.

عماليق الرعاء وأغنامهم وما يثيرونه من تراب ويصدرونه من ضجيج وما يحصل من تدافع ؟ فالنتيجة هي: **(لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير)**، وفي هذا العطف ملمح أسلوبي آخر وهو عبارة عن إجابة عن سؤال يفرضه واقع الحال ويقفز إلى الذهن مباشرة **(أين أبوكما)** ؟ أو المسؤول عنكما؟ وهنا وضحت الصورة أمام موسى عليه السلام فالفتاتان ضعيفتان وأبوهما رجل كبير لا يقوى على هذا العمل والأغنام عطشى والرعاء لا يرحمون فليس أمامه عليه السلام إلا النجدة وإلا النخوة النبوية وقد فعل(١).

ومع إثبات الفعل للفاعل في هذا الأسلوب من الحذف نجد أن موسى عليه السلام رقّ للمرأتين لما كان منهما من ذود وسقي وضعف، ولو ذُكر المفعول به، وقال: **(غنمهما)** لأوهم السياق أن المعنى هو أن موسى عليه السلام قد رقّ للمرأتين لما كان منهما من ذود للغنم وما فيه من عناء؛ لشدة تغلب الغنم وصعوبة ضبطها وانقيادها إلى مكان السقي، وليس هذا المراد، إنما المراد هو أن موسى عليه السلام قد رقّ للمرأتين؛ لأنهما لا تستطيعان مجاراة الرعاء في الذود والسقي(٢). يقول الزمخشري: (فان قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله**(يسقون)** و **(تذودان)** و **(لا نسقي)** ؟ قلت: لأن الغرض هو الفعل

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٢٤ و البرهان في علوم القرآن: ٣/١٧٦-١٧٧ ومن بلاغة القرآن: ١٢٢-١٢٣ و خصائص التراكيب: ٣٤٩ وبلاغة الكلمة والجملة والجمل: ٢٦٢-٢٦٣.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٢٤ وحسن التوسل إلى صناعة الترسل: ١٦٦ والفوائد المشوق إلى علوم القرآن: ٧٤ و خصائص التراكيب: ٣٤٩.

لا المفعول، ألا ترى أنه إنما رحمهما؛ لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما؛ لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل – مثلاً – وكذلك قولهما (لا نسقي حتى يصدر الرعاء) المقصود فيه السقي لا المسقي)[١].

وقد يُحذف المفعول به في أسلوب الجملة القرآنية إشارة إلى التعميم أي: تعميم الفعل وأنه يتناول كل ما يصح أن يدخل تحت هذا الفعل فليس ذكر البعض أولى من الآخر، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[٢] فالدعوة إلى دار السلام (**الجنة**) دعوة عامة لا يختص بها قوم دون آخرين إذ المعنى هو: أن الله يدعو كل من تصح دعوته إلى الجنة أي كل من يريدها على وجه الاستحقاق بالعمل[٣].

ومن بديع أسلوب الحذف في الجملة القرآنية ما ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾[٤] فقد ذُكر المفعول مع الفعل (**ينفعونكم**) وحذف مع الفعل (**يضرون**) ، (وقد تظن أنه إنما فعل ذلك لفواصل الآي ، ولاشك أنه لو ذكر المفعول به لم تنسجم الفاصلة مع فواصل الآي، ولكن الحذف اقتضاه المعنى أيضاً فقد ذكر مفعول النفع

---

(١) الكشاف: ٨٧٧/٣ وينظر: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر – د. عبد الفتاح لاشين: ١٨٩–١٩٠.

(٢) سورة يونس من الآية: ٢٥.

(٣) ينظر: الإيضاح: ٦٤–٦٥ و البرهان في علوم القرآن: ١٦٥/٣ والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٣٧ وخصائص التراكيب: ٣٥٧–٣٥٨.

(٤) سورة الشعراء: ٧٢–٧٣.

فقال (**ينفعونكم**)؛ لأنهم يريدون النفع لأنفسهم، وأطلق الضر لسببين، الأول: أن الإنسان لا يريد الضرر لنفسه وإنما يريده لعدوه. والآخر: أن الإنسان يخشى من يستطيع أن يلحق به الضرر.

فأنت ترى أن النفع موطن تخصيص والضر موضع إطلاق فخص النفع وأطلق الضر، والمعنى أن هذه الآلهة لا تتمكن من الإضرار بعدوكم كما أنها لا تستطيع أن تضركم فلماذا تعبدونها؟ ولو ذُكر المفعول به فقال(**أو يضرونكم**) لما أفاد هذين المعنيين)[1].

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ** ﴾[2] حيث ذكر المفعول به مع الفعل (**أضل**) وحذفه مع الفعل (**هدى**) وذلك لأنه أخرج الفعل الثاني مخرج العموم أي أن فرعون لم يتصف بصفة الهداية البتة. ولو أنه ذكر المفعول به وقال (**وما هداهم**) لكان عدم الهداية مقيداً بقومه فقط. إذ يُحتمل أنه قد هدى غيرهم لكن مع الحذف يفيد أنه قد أضل قومه ولم يهد أحداً منهم ولا من غيرهم[3].

وثمة فرق بين هذا الحذف في أسلوب الجملة والحذف الذي يعبر عن إثبات الفعل للفاعل؛ ذلك أن الأخير يمكن تقدير المفعول به فيه عن طريق السياق وأن الفعل هو المهم، أما الذي يُقصد به العموم فيمكن أن يقع عليهم الفعل بدون تحديد، لذلك يجب أن ننتبه حين نستخرج المعاني

---

(١) التعبير القرآني: ١٩٧.

(٢) سورة طه: ٧٩.

(٣) ينظر: التعبير القرآني: ١٩٧.

الأسلوبية للحذف في الجملة القرآنية خاصة التي تحتمل الوجهين، وهذا ما ألمح إليه الزمخشري في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، ففي مفعول **(لا تقدّموا)** وجهان:

١- إفادة العموم ليشمل المعنى كل ما يقع في النفس مما تقدم.

٢- إثبات الفعل للفاعل، أي لا تقدموا ولا تجعلوا التقدم منكم[2].

ويمكن أن يكون للحذف في أسلوب الجملة القرآنية تأويلات ومعانٍ عديدة؛ مما يوحي ببلاغة الحذف في هذه المواضع، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]، فنلاحظ تنوع الأسلوب بين الذكر والحذف ، ففي جملة ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ المفعول به مذكور وهو الضمير **(نا)** في **(وعدنا)** إلا أنه قد حُذف من الجملة التي بعدها وهي ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا....﴾ إذ لو جرى السياق على نمطٍ واحدٍ لقيل: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ....﴾، وهناك تأويلات كثيرة؛ لدلالة هذا الحذف في أسلوب الجملة القرآنية.

---

(١) سورة الحجرات: ١.

(٢) ينظر: الكشاف: ١١٦٣/٤ وخصائص التراكيب: ٣٥٩-٣٦٠.

(٣) سورة الأعراف: ٤٤.

١- فيرى الزمخشري أن هذا الحذف من باب الإيجاز والتخفيف واستغناء عن المحذوف في الوعد الثاني بالمذكور في الوعد الأول(١).

٢- ويمكن أن يكون حذف المفعول به في الجملة الثانية راجعٌ إلى المخالفة بين وعد أصحاب الجنة ووعد أصحاب النار، إذ أن الثاني منهما يشمل كل ما وعد الله عباده به في البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال يوم القيامة، فهو ليس وعداً خاصاً بالكفار بل هو وعد عام مطلق، إذ إن الحذف في الوعد الثاني لإفادة العموم ليشمل الكفار وغير الكفار، أما الوعد الأول فهو وعد خاص بالمؤمنين؛ لأنه الوعد بنعيم الجنة لذلك ذُكر معه المفعول به(٢).

٣- وحذف المفعول به يبرز المفارقة بين ما يظفر به المؤمنون من حفاوة وتكريم وذلك من خلال توجيه الله الخطاب إليهم وفيه مزيد من التشريف لحالهم. وهذا ما يعبر عنه ذُكر المفعول به في خطاب المؤمنين. أما حذفه في توجيه الخطاب إلى الكفار ففيه إسقاط للكفار عن رتبة التشريف وأشعار بأنهم ليسوا أهلاً لخطاب الله تعالى(٣).

---

(١) ينظر: الكشاف: ٣٦٤/٢ والبرهان في علوم القرآن: ١٦٧/٣ وروح المعاني- الآلوسي : ٨/٢٣.

(٢) ينظر: الكشاف: ٣٦٤/٢ والبرهان في علوم القرآن: ١٦٧/٣ والفاصلة في القرآن الكريم – محمد الحسناوي: ١٥٧.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٨٦/١٤ وتفسير أبي السعود: ٢٢٩/٣.

٤- وهناك وجه آخر يمكن إضافته إلى ما سبق وهو أن هذا الحذف فيه إشعار بالبون الشاسع بين تصديق المؤمنين، وتكذيب الكفار لوعد الله ﷻ ففي ذكر المفعول به مع الوعد الأول إيحاء بإيمان المؤمنين بقلوب حاضرة، وعقول واعية متبصرة لهذا الوعد، أما حذف المفعول مع الوعد الثاني ففيه إيحاء إلى أن هؤلاء الكفار قد أصمّوا آذانهم عن سماعه وغيّبوا عقولهم عن إدراكه(١).

وقد يكون الحذف لمجرد الاختصار كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾(٢)، فالأصل فيه: أهذا الذي بعثه الله رسولاً. إذ الحذف فيه لمجرد الاختصار وفيه إشارة أسلوبية أخرى وهي أنهم في داخل نفوسهم لا يريدون أن يعترفوا بنبوة محمد ﷺ ذلك أن حقدهم وكبرياءهم جعل نفوسهم المتعالية تتخاذل فلا تقول (**بعثه**)، وكأنهم يتحاشون النطق بذلك، حتى لا يثبتوا أنه رسول من رب العالمين(٣).

وهناك مواضع لحذف المفعول به في أسلوب الجملة القرآنية مطردة شائعة كما في فعل المشيئة المسبوق بـ(لو) أو أحد حروف الجزاء. وذلك تجنباً للتكرار، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ

---

(١) ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية : ١٩٠-١٩١.

(٢) سورة الفرقان: ٤١.

(٣) ينظر: الإيضاح: ٦٤ وخصائص التراكيب: ٣٥٧.

﴿أَجْمَعِينَ ﴾[1] وقولـــــه ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2] والتقدير: لو شاء الله هدايتكم لهداكم و من يشأ الله ضلالته يضلله، وهذا كثير في القرآن وفيه تخفيف من ثقل الكلام ولا شك في تفضيل الخفة على الثقل ما دامت الخفة هي المطلوبة والمقام يستدعيها والحال يطلبها. ففي الخفة تكمن البلاغة ويسمو الكلام حتى يصل إلى قوة التأثير وتكون الجملة القرآنية مع الحذف أشد وقعاً على النفس وأتم بياناً[3].

وهذه هي أشهر مواضع حذف المفعول به في أسلوب الجملة القرآنية وهناك مواضع أخرى سوف نتعرض لها من خلال البحث في تضاعيف هذا البحث ولم نذكرها هنا خشية الإطالة والإسهاب والتكرار[4].

٢- حذف المضاف

ويُحذف المضاف كثيراً في أسلوب الجملة القرآنية ويأخذ المضاف إليه مكانة خاصة إذا كان هذا المضاف من متعلقات الجملة، أي أما أن يكون

---

(١) سورة النحل: ٩.

(٢) سورة الأنعام: ٣٩.

(٣) ينظر: الإيضاح: ٦٣ ومن بلاغة القرآن: ١٢٣ والتراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر: ١٥٩-١٦٢ وينظر تفصيل ذلك في البرهان في علوم القرآن: ٣/١٦٧-١٧٢ وعلوم البلاغة: ٨٦-٨٩.

(٤) ينظر من هذا البحث الصفحات :٢٣٧و٢٣٨.

مفعولاً بـه أو نعتـاً أو مجـروراً أو غيرهـا مـن المتعلقـات، ويكـون حـذف المضاف في ذلك كله لأغراض شتى تفهم من سياق الحذف.

ومن حذف المضاف في أسلوب الجملة القرآنية قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[1] والمـراد: أهل القريـة فحُذف المضـاف الـذي هـو المفعول بـه وأُقيم المضـاف إليـه مكانـه[2]، وفـي ذلـك عدول عن المعنـى الأصـلي إلـى المعنى المجازي، إذ إن الحذف في أسلوب الجملة قد أسهم في هذا العدول أو المجـاز عـن المعنـى الأصـلي أو اللفـظ الأصـلي، فسـؤال القريـة لـيس كسؤال أهلها فالمعنى في الأول أشمل وأوسع وأدلّ.

ونظير ذلك قولـه تعـالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾[3]، والتقدير: لمن كان يرجو رحمة الله، فإن في الحذف دلالـة أعم وأشمل لأن رجاء الله يدل علـى الإطلاق ليس رحمته فقط بل يشمل مغفرته وعفوه وجنتـه وغيرها مما يرجو ابن آدم من ربـه، إذن فحذف المضـاف يؤدي معـاني أكبـر من ذكره. وكذلك قولـه: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم ﴾[4] فقد قُدر المحذوف بـ **(عذاب ربهم)** وذلـك استدلالاً بقولـه تعـالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾[5]. ولكن

---

(١) سورة يوسف: ٨٢.

(٢) ينظر: الإيضاح: ١٠٦ ومن بلاغة القرآن: ١٢٣.

(٣) سورة الأحزاب: ٢١.

(٤) سورة النحل: ٥٠.

(٥) سورة الإسراء: ٥٧.

في حذف المضاف(**عذاب**) الذي هو المفعول به يؤدي إلى الإطلاق والتعميم فإن الخوف من الله ليس من أجل عذابه بل لأنه يستحق الخشية والخوف لعظمته وجلاله وسلطانه، وكل تلك المعاني ما كانت لتحصل لولا الحذف، والسياق هو الذي يحدد المحذوف بحسب المراد من دلالته أو قياساً على سياق آخر ورد فيه المحذوف إلا أننا لا يمكن أن نجزم بتقدير ذلك المحذوف إذ لو كان المقدر هو المحذوف لما حذف في أسلوب الجملة القرآنية ولكن مع ذلك يبقى المقدر دالاً على بعض المعاني التي نستطيع الحصول عليها من سياق الجملة القرآنية ويمكن أن يكون المضاف المحذوف في تركيب الجملة القرآنية ليس مفعولاً به، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١) فالتقدير: كمثل باذر حبةٍ أو زارع حبةٍ، أي أن المضاف المحذوف في الجملة هو في الأصل مضاف إليه.

ويعلل الزمخشري هذا الحذف أنه قد جاء لتوجيه النظر والاهتمام بالصدقة نفسها والجزاء عليها هذا الجزاء المضاعف بغض النظر عن مَن صدرت هذه الصدقة ولتخرج مخرج العموم(٢).

---

(١) سورة البقرة: ٢٦١.

(٢) ينظر: الكشاف: ١/١٤٠ ومن بلاغة القرآن: ١٢٣ والمشاهد في القرآن الكريم: ٤٦٣.

ويمكن أن يكون المضاف المحذوف مجروراً بحرف جر، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾[1] فالمعنى أنه ليس في موالاة الله في شيء. أي أنه منسلخ من ولاية الله، وفي حذف المضاف هنا إيحاء إلى أنفسنا معنى براءة الله منه وانقطاع الصلة بينه وبين الله تمام الانقطاع[2]. أي: إن الحذف في أسلوب الجملة هنا أبلغ في أداء المعنى من الذكر.

٣- حذف الصفة:

ويمكن أن يكون المحذوف في أسلوب الجملة القرآنية هو الصفة، كما في قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[3]. فقد حذفت الصفة في جملة **(يأخذ كل سفينة غصبا)** والتقدير: كل سفينة صالحة؛ وذلك لدلالة السياق على المحذوف في ما ورد قبل هذه الجملة على هذه الصفة ذلك أن عيب السفينة لا يخرجها عن كونها سفينة، فضلاً عن ذلك أن ابن عباس[4] ﵄ كان يقرأ **(وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا)** وفي حذف

---

(١) سورة آل عمران: ٢٨.

(٢) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٢٣-١٢٤.

(٣) سورة الكهف: ٧٩.

(٤) قرأ ابن عباس وعثمان بن عفان ﵁ (صالحة) وقرأ أيضاً ابن عباس وابن جبير ﵄ (صحيحة) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١١/٢٤.

الصفة في هذا السياق دلالة على أن الملك كان ينظر إلى السفينة المعيبة وكأنها فقدت حقيقتها(١).

وهناك دواعٍ وأغراض كثيرة لحذف الصفة أو الموصوف في تركيب الجملة القرآنية، وصاحب **(البرهان في علوم القرآن)** يذكر شواهد كثيرة على هذا الأسلوب من الحذف(٢).

٤- حذف الجار والمجرور

ومن بديع حذف الجار والمجرور في أسلوب الجملة القرآنية قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾(٣) حيث حُذف الجار والمجرور **(به)** من تركيب الجملة بدليل قوله تعالى: في سورة يونس: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾(٤)، والسبب في حذف **(به)** من سياق آية الأعراف هو اختلاف السياقين والمقامين إذ أن سياق الأعراف هو سياق إطلاق وحذف فقد جاء قبل آية الأعراف قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٥) فدل التكذيب في الآية على الإطلاق ولم يذكر

---

(١) ينظر: الإيضاح: ١٠٧ ومن بلاغة القرآن: ١٢٤.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/١٥٤-١٥٦.

(٣) سورة الأعراف: ١٠١.

(٤) سورة يونس : ٧٤.

(٥) سورة الأعراف من الآية: ٩٦.

السياق بماذا كذبوا، وهو مشابه للإطلاق في سياق الآية التي بعدها **(فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل)** ولم يذكر بماذا كذبوا أيضاً.

على حين أن السياق في سورة يونس سياق تخصيص وذكر فقد جاء قبل الآية المذكورة قوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾[1] وهو مشابه للذكر في الآية التي بعدها **(بما كذبوا به)**.

فتأمل كيف حذف الجار والمجرور **(به)** في قوله تعالى **(فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل)** لمّا قال **(ولكن كذبوا فأخذناهم)**، فأطلق في الموضعين. وكيف قال في سورة يونس **(فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل)** وذكر الجار والمجرور **(به)** لما قال **(وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا)**، فذكر بماذا كذبوا في الموضعين[2].

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[3] فقد ورد ذكر الجار والمجرور في سياق الجملة وهو **(من غم)** على حين نجده قد حُذف في سياق قوله تعالى في سورة السجدة: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[4]. ويرجع سبب ذلك

---

(١) سورة الأعراف من الآية: ٦٤.

(٢) ينظر: التعبير القرآني: ٨٦.

(٣) سورة الحج من الآية: ٢٢.

(٤) سورة السجدة من الآية: ٢٠.

الحذف إلى أن سياق سورة الحج هو سياق تفصيل؛ فناسب ذلك ذكر الجار والمجرور في الجملة دون سياق سورة السجدة فهو مقام إيجاز علاوة على أن العذاب المذكور في سورة الحج أشد مما ورد في سورة السجدة والعذاب الشديد أكثر مدعاة للغم كما لا يخفى؛ فناسب ذكر الغم في سورة الحج(١).

وهناك ملمح أسلوبي آخر وهو العدول عن كلمة **(الحريق)** الموجودة في سورة الحج إلى كلمة **(النار)** في سورة السجدة ، وذلك لأن سياق سورة الحج يتحدث عن الكافرين قال تعالى ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾(٢)، أما آية السجدة فالسياق فيها يتحدث عن الذين فسقوا، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾(٣)، ولا شك أن الفسق أدنى مرتبة من الكفر عند الإطلاق، يضاف إلى ذلك أنه لما صرّح بذكر الكافرين في آية الحج كان العذاب أشد وهو الحريق. والحريق هو النار البالغة في الإحراق وذلك يناسب أيضاً ذكر الغم في سياقها(٤).

٥- حذف الحال

ومما يمكن حذفه من العناصر غير الإسنادية في أسلوب الجملة هو الحال، وحذفه قليل في القرآن، ولا يُحذف إلا لقرينة أيضاً وأكثر ما يكون

---

(١) ينظر: ملاك التأويل: ٢/٨٥٨-٨٥٩ والتعبير القرآني: ٢٤١-٢٤٢.

(٢) سورة الحج: ١٩.

(٣) سورة السجدة:٢٠.

(٤) ينظر: ملال التأويل: ٢/٨٦٠-٨٦١.

ذلك إذا كان الحال قولاً أغنى عنه المقول كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[١]، والتقدير :قائلين سلام عليكم[٢] والسبب في الحذف هنا للتركيز والاهتمام بقول الملائكة ولكي يصل السياق إلى مقول القول الذي هو **(سلام عليكم)** بسرعة ليبعث الاطمئنان في نفوس المؤمنين.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٣] والتقدير :قائلين ربنا تقبل منا[٤]، وحذف الحال هنا أيضاً للوصول بسرعة إلى مقول القول الذي هو الدعاء لأن الله قريب من عباده على الحقيقة فناسب اللفظ المعنى في القرب كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٥] فالأصل أن يقول: قل إني قريب، لكنه حذف فعل القول لبيان قرب الخالق عز وجل من عباده.

---

(١) سورة الرعد: ٢٣-٢٤.

(٢) ينظر: بناء الجملة العربية: ٢١٠.

(٣) سورة البقرة: ١٢٧.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/١٧٩ وبناء الجملة العربية: ٢١٠.

(٥) سورة البقرة: ١٨٦.

ومن بديع حذف الحال في سياق وذكرها في سياق آخر في الجملة القرآنية قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1]، فقد حذفت الحال في هذا الموضع والتقدير: **لقد جئتمونا فرادى**... والدليل على ذلك ما ورد في سياق مشابه، وهو قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[2]. فنرى أن الحال قد ذكرت في سياق هذه الآية، والسبب في ذكر الحال في سياق آية الأنعام يعود إلى (ما أُعقبت به من قوله ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾[3]، أي ما أعطيناكم في الدنيا مما شغلكم عن آخرتكم. ثم قال ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾[4] أي منفردين عما كنتم تؤملون من أندادكم ومعبوداتكم من دونه سبحانه، فروعي هذا المُعقب به في آية الأنعام فقيل فيها: (**و لقد جئتمونا فرادى**).

أما آية الكهف فقبلها قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[5] ثم قال ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا

---

(١) سورة الكهف: ٤٨.

(٢) سورة الأنعام: ٩٤.

(٣)سورة الأنعام: ٩٤.

(٤) الآية السابقة.

(٥) سورة الكهف: ٤٧.

﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1] مجردين عن كل متعلق. ولم يقع هنا ذكر ولا إشارة إلى ما عُبد من دون الله، فلهذا لم يقع هنا (فرادى)، وذلك بُين التناسب)[2].

ومما مرّ في أسلوب الحذف في بناء الجملة القرآنية؛ يمكننا القول أن الجملة القرآنية قد استعملت كل الطرق التي تؤدي إلى المعنى على أتم وجه ، وكان العدول فيها عن تضام الجملة عن طريق الحذف متنوعاً سواء عن طريق الحذف في الأركان الأساسية للجملة كان أم غير الأساسية فيها؛ وذلك للوصول إلى الأسلوب البليغ فيها، إذ إن أسلوب الجملة القرآنية كان يستأصل العنصر الذي امتزج ببقية العناصر الأخرى فصار وجوده لا قيمة له؛ لأنه متمثل في الموجود من العناصر الأخرى في بناء الجملة، علاوة عمّا لمسناه من خروج الجملة كثيراً عن مقتضى الظاهر أو النمط المألوف في التعبير عن المعاني؛ مما أكسب الجملة القرآنية مطاوعة وحرية الحركة في التعبير عن الصورة المستحصلة من خلال السياق الذي ورد فيه الحذف في أسلوب الجملة القرآنية.

التقديم والتأخير:-

إن الكلمة داخل الجملة تحمل وصفاً إعرابيا يبيح لها التنقل في أثناء الجملة من دون التأثير على قيمتها الإعرابية[3].

---

(١) سورة الكهف: ٤٨.

(٢) ملاك التأويل: ١/٤٦١-٤٦٢.

(٣) ينظر: في النحو العربي-قواعد وتطبيق: ٨٧-٨٨.

إلا أن لكل كلمة في الجملة العربية ترتيباً خاصاً بحسب وضعها اللغوي، فالفعل يتقدم على الفاعل والفاعل يتقدم على المفعول به في نظام الجملة الفعلية، والمبتدأ يتقدم على الخبر في الجملة الاسمية، ثم تأتي بعد ذلك المتممات أو المتعلقات كالظرف والجار والمجرور والحال وغيرها. وهذا هو الأصل في النظام اللغوي للجمل المحفوظة الرتبة. إلا أنه قد يعرض لهذا النظام ما يدعو إلى تقديم أو نقل بعض الكلمات عن موضعها(١).

والجملة القرآنية قد حرصت على أن يكون هذا التقديم مشيراً إلى مغزى ودالاً على معنى لا يتحصل عليه فيما لو كانت الجملة محفوظة الرتبة. إذ تصبح الجملة والسياق الذي وردت فيه تابعاً لمنهج نفسي يُقدم فيه ما تجد النفس في تقديمه فضلاً على تأخيره، فيتقدم أحد أجزاء الجملة حين يكون المحور الذي يدور عليه الحديث وحده. فيكون هو المقصود بالحكم والمعنى وهو المهتم به دون أجزاء الجملة الأخرى(٢).

---

(١) ينظر: من أسرار التعبير في القرآن– د. عبد الفتاح لاشين: ١٩٤ والمعاني في ضوء أساليب القرآن: ١٥٨ وابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: ٩٨.

(٢) ينظر: من بلاغة القرآن: ١١٢.

وكل تقديم يستلزم تأخيراً، فالمبتدأ الذي يترك مكانه للخبر يحدث بينهما التقديم والتأخير ولذلك فإننا لا نسمي تقديم ما حقه التقديم تقديماً وكذلك التأخير [1].

إلا أنه حين نقدم ما لا حق له في التقديم – في قانون حفظ الرتبة– نكون قد أحدثنا تغييراً في مواقع الكلمات في الجملة **(وفي الأثر النفسي، لأن (المقدم) يحتل مركزاً ممتازاً، فهو أول ما تقع عليه العين، وأول ما تتأثر به، وأول ما تعجب به، وأول ما تقع النفس تحت أضوائه فتنشغل به... لأنه في غير مكانه الذي تعودنا أن نراه فيه، ثم تأتي الألفاظ الأخرى فتكون الشحنة التي استحوذ عليها اللفظ المقدم قد قلّت)**[2].

والتقديم والتأخير يكون لغرض بلاغي وسر من أسرار التعبير في أسلوب الجملة، فهو يكسب الكلام **(جمالاً وتأثيراً، ذلك لأنه سبيل إلى نقل المعاني في ألفاظها إلى المخاطبين كما هي مرتبة في ذهن المتكلم حسب أهميتها عنده، فيكون الأسلوب صورة صادقة لإحساسه ومشاعره)**[3].

---

(١) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٧٠ وبلاغة الكلمة والجملة والجمل: ١٠٨.

(٢) بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ١٠٨.

(٣) المعاني في ضوء أساليب القرآن: ٥٨ وينظر: من أسرار التعبير في القرآن: ١٩٤ وابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: ٩٨.

ولابد من أن نشير إلى أن القول بتقديم أحد العناصر في الجملة يعتمد بالدرجة الأساس على تحديد البنية الأساسية للجملة، فلا يمكن الحكم على عنصر ما في الجملة بأنه مقدم وحقه التأخير أو العكس إلا إذا كانت بنية الجملة الأساسية تحكم بوضع هذا العنصر أو ذاك في موضع معين أو رتبة محددة(١).

وسنتناول في هذا المبحث ما يتعلق بالجملة القرآنية من حيث الخصائص الأسلوبية للتقديم والتأخير فيها. ويشمل ذلك التقديم الحاصل بين الأركان الأساسية للجملة القرآنية وغير الأساسية، أي المتعلقات التي تتقدم على الأركان الأساسية حيناً وتتقدم بعضها على بعض حيناً آخر.

التقديم والتأخير في الأركان الأساسية:

١- التقديم في الجملة الفعلية (تقديم الفاعل على الفعل):

إن الركنين الأساسيين في الجملة الفعلية هما الفعل والفاعل – كما مرّ بنا– وعلى هذه الصورة تكون الجملة الفعلية محفوظة الرتبة، أي يأتي الفعل ثم يأتي الفاعل بعده. فإذا تقدم الفاعل على الفعل تحولت الجملة الفعلية إلى إسمية، فيكون الفاعل المقدم مبتدأ ويكون الفعل والضمير العائد في محل رفع خبر المبتدأ – الفاعل في الأصل– ويكون التقديم في مثل هذه الحالة لإفادة الاختصاص(٢).

---

(١) ينظر: بناء الجملة العربية: ١٩٤ و العامل النحوي: ٣٨.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٠١-٢٠٢ والإيضاح: ٣٦

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ﴾[1] فأصل الجملة القرآنية هو يعلم الله ما تحمل كل أنثى...، فقُدِّم لفظ الجلالة (**الله**) على الفعل (**يعلم**) في تركيب الجملة، وهذا التقديم تحول بالجملة من الفعلية إلى الإسمية، وفي ذلك تمكين وتوكيد لقدرة الله وتمام علمه. وهذا ما حققه التقديم في أسلوب الجملة، إذ فيه قصر وتخصيص العلم بما تحمل الأرحام بالله ﷻ فضلاً عما في التعبير بالجملة الاسمية من ثبوت ودوام هذا العلم[2].

ومن بديع تقديم الفاعل على الفعل في أسلوب الجملة القرآنية ما ورد في سياق قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾[3]، فقدَم الفاعل في الأصل(**نورهم**) على الفعل(**يسعى**) والدليل على ذلك التقديم ما ورد في سياق سورة الحديد حيث قال تعالى ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾[4]، إذ جاءت الجملة القرآنية (**يسعى نورهم**) محفوظة الرتبة، ولم يتقدم الفاعل على الفعل.

---

(١) سورة الرعد: ٨.

(٢) ينظر: النظم القرآني في سورة الرعد– محمد بن سعيد الدبل: ٨٤.

(٣) سورة التحريم: ٨ .

(٤) سورة الحديد: ١٢.

والسبب في مجيء الجملة على أسلوبين مختلفين في التقديم والتأخير في الموضعين (أن قوله في سورة التحريم **(والذين آمنوا معه)** يفهم من حيث المعية قرب المنزلة وعلو الحال فتقدم ثبوته فناسب ذلك ورود الجملة الاسمية هنا لما تقتضيه من الثبات وتقدمه واستحكامه. أما قوله في سورة الحديد **(يسعى نورهم بين أيديهم)** فبشارة للمؤمنين، ولم يأت هذا كونهم مع نبيهم فلم يتحصل مما يفهم تمكن المنزلة وثبوتها ما تحصّل في آية التحريم، إنما هذه بشارة، فناسبها التجدد والحدوث، فناسب ذلك الفعل بما يعطيه من المعنى فقيل **(يسعى نورهم بين أيديهم)** ليفهم التكرر وحدوث الشيء بعد الشيء فورد كل على ما يجب ويناسب)[١].

أما في بعض التراكيب الخاصة فيمكن أن يتقدم الفاعل على الفعل ومع ذلك تبقى الجملة فعلية كما في التركيب الشرطي. حيث يتقدم الفاعل في جملة الشرط على الفعل في السياق القرآني وتبقى الجملة فعلية مع ذلك التقديم، ويكون السبب في تقديم الفاعل هو الاهتمام به وتركيز الحدث ولفت النظر إليه كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾[٣]، أو يكون المقدم هو نائب الفاعل، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا

---

(١) ملاك التأويل: ٢/١٠٧١-١٠٧٢.

(٢) سورة التوبة من الآية: ٦.

(٣) سورة الإنشقاق من الآية: ١.

(٤) سورة التكوير: ١٣.

﴿...ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾﴾[١]وغيرها من الشواهد القرآنية التي وردت في السياق القرآني وهي كثيرة[٢].

وكثرة ورود الشواهد القرآنية على ذلك يجعلنا نقبل القول بتقديم الفاعل في كل هذه المواضع بغض النظر عن خلاف النحاة في قبول ذلك أو عدمه. فليست بنا حاجة إلى التأويلات والتقديرات[٣] ما دام هذا التقديم لا يتعارض مع الأصل. إذ أن الجملة في مثل هذه الحالات هي جملة فعلية قد تقدم فيها الفاعل على فعله وذلك لغرض بلاغي ولهدف أسلوبي في سياق هذه الجملة أو تلك.

ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾[٤] نجد أن أصل التركيب الشرطي هو وإن استجارك أحد من المشركين فأجره. فقدم الفاعل وكذلك الجار والمجرور على الفعل الذي هو العامل في كليهما في جملة الشرط.

وتقديم الفاعل (**أحدٌ**) في سياق الجملة يعطي التعبير صفة العموم. أي كل من قَدِم من المشركين إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب وطلب منه

---

(١) سورة التكوير: ٨.

(٢) ينظر: في النحو العربي- قواعد وتطبيق: ٩١.

(٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف-ابن الأنباري- المسألة الخامسة والثمانون: ٢/٦١٥-٦١٦.

(٤) سورة التوبة من الآية: ٦.

الأمـان حتـى يقضـي مـا جـاء مـن أجلـه والخطـاب موجـه إلـى الرسـول ﷺ فاعطـه ذلـك الأمـان مـادام متـرددا فـي دار الإسـلام وحتـى يرجـع إلـى موطنـه(١). فضـلاً عما فـي تنكير (أحدٌ) من دلالـة العموم لتشمل كل من جاء النبيﷺ من المشركين وطلب منه الأمان والبقاء في دار الإسلام أن يعطيه ذلك الأمان مع بقاءه على ما هو عليه من الشرك. ولهذا السبب قُدم الجار والمجرور (**من المشركين**) على عامله الفعل (**استجارك**). وذلك لكي لا يُتصوّر إن شرط إعطاء الأمان هو ترك الشرك والدخول في الإسلام، بل أنه يُعطى ذلك الأمان مع بقائه على شركه.

وهكذا نستطيع أن نتبين الأسباب في تقديم الفاعل في الجملة الفعلية- جملـة الشرط- التـي يتقدم فيهـا الفاعل علـى فعلـه مـن دون الحاجـة إلـى التأويل والتقدير لأن الجملة القرآنيـة هي جملـة تتصف بالمرونـة وتدور مع المعنى حيث دار.

٢- التقديم في الجملة الاسمية (تقديم الخبر على المبتدأ):

ويشمل تقديم الخبر على المبتدأ في الجملة الاسمية سواء كان الخبر مفرداً أو ظرفاً أو جاراً ومجرور. أما المبتدأ فعندما يتقدم على خبره يكون قد وافق الأصل وما جاء على الأصل لا يُسأل عنه. والخبر في الجملة الاسمية هو المحكوم بـه سواء قُدم أم أُخر فـي ترتيب الجملـة الأساسـي، والمبتدأ هو المحكوم عليه بالخبر. ولا بد أن ننبه هنا على أن الخبر في بعض الحالات يكون مُقدماً ويكون صالحاً لأن يكون مسنداً إليه. وفي هذه

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ٢/١٢٧٣-١٢٧٤.

الحالة لا يتغير شيء في أسلوب الجملة سوى تبادل المواقع بين الركنين[١]. وهذا لا يعنينا في هذا الموضع ولكن الذي يعنينا هو الخبر الذي يبقى مسنداً بعد التقديم، أما المسند (الخبر) الذي يتحول إعرابه بعد التقديم فيصير مسنداً إليه فسوف لا نعرض له هنا.

١- تقديم الخبر المفرد:

فيُقدم الخبر المفرد على المبتدأ في أسلوب الجملة القرآنية لغرض اختصاص المبتدأ بالخبر وأنه مقصور عليه فقط، كما في قوله تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[٢]. ففي جملة (**فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا**)، قُدم الخبر (**شاخصة**)على المبتدأ (**أبصار**) بحسب أحد الوجهين الإعرابيين للجملة[٣]. ولم يقل: فإذا هي أبصار الذين كفروا شاخصة. وذلك لأمرين، الأول: في تقديم الضمير (**هي**) دلالة على أنهم

---

(١) ينظر خصائص التراكيب: ٣١٢-٣١٣.

(٢) سورة الأنبياء: ٩٧.

(٣) فتكون (هي) مبتدأ أول و(شاخصة): خبر ثانٍ مقدم و(أبصار) مبتدأ ثانٍ مؤخر والجملة خبر(هي) ضمير القصة فلا تفسر إلا بجملة مصرح بجزأيها، وهذا مذهب البصريين، ويجوز أن تكون (شاخصة): مبتدأ و(أبصار) فاعل سد مسد الخبر، وهذا مذهب الكوفيين؛ لأن ضمير القصة يُفسّر عندهم بالمفرد العامل عمل الفعل، فانه في قوة الجملة. ينظر: ارتشاف الضرب: ٤٨٦/١ والطراز:٢٧٠/٢ والجامع لإعراب جمل القرآن: ٣٢٥.

مختصون بالشخوص دون غيرهم من بقية أهل الحشر. والثاني: إن تقديم: الخبر (**شاخصة**) يفيد أن الشخوص مختص بالأبصار من بين سائر صفاتها من كونها حائرة أو مطموسة إلى غير ذلك من صفات العذاب، أي أنها ليست إلا شاخصة، ولو أنه قال اقترب الوعد الحق فشخصت أبصارهم لما أفاد شيئا من هذا المعنى الذي يكون من التخصيص(١).

ونظير ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾(٢). وقد نزلت هذه الآية في شأن يهود بني النضير عندما تحصنوا بحصونهم في المدينة ووثقوا بها في درأ الخطر عنهم فنزلت الآية لتبين أن حصونهم لن تمنعهم من ذلك ويصور حالتهم تلك(٣)، وفي قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم﴾، قُدم الخبر (**مانعتهم**) على المبتدأ (**حصونُهم**) في أحد وجوه إعرابها(٤)، وأصل الجملة قبل التقديم هو: وظنوا أن حصونهم مانعتهم أو تمنعهم(٥). وقد عدل

---

(١) ينظر: خصائص التراكيب: ٣١٣ ومن أسرار التعبير في القرآن: ١٩٦.

(٢) سورة الحشر: ٢.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير: ٤/٢٨٠٢-٢٨٠٣.

(٤) إن قوله﴿مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم﴾الحشر: ٢ فيه وجهان، أن يكون(حصونهم) مبتدأ مؤخر و(مانعتهم) خبر مقدم والجملة خبر(أنهم)، الثاني: أن يكون (مانعتهم) خبر أنهم، وحصونهم فاعل به. ينظر: الجامع لإعراب جمل القرآن: ٤٧٣.

(٥) ينظر: المثل السائر– ابن الأثير:٢/٢٤٤.

أسلوب الجملة القرآنية عن هذه الرتبة، وذلك لأن في تقديم الخبر **(مانعتهم)** على المبتدأ **(حصونُهم)** دليلاً على فرط اعتقادهم في حصانتها ومبالغةً في شدة وثوقهم بمنعها إياهم، وإنهم لا يبالون معها بأحد ولا يمكن أن ينالهم أذى بوجودها.

وفي جعل الضمير **(هم)** إسماً لـ**(أن)** وإسناد المنع والحصون إليهم دلالة بالغة على ثقتهم في داخل نفوسهم أنهم في عزة ومنعة ولا يستطيع المسلمون غزوهم في عقر دارهم ،ولو كانت الجملة محفوظة الرتبة ولم يُقدم الخبر فيها لما حصلنا على هذه المعاني والفوائد التي حصلنا عليها من خلال العدول عن الرتبة(١).

٢- تقديم الخبر (الجار والمجرور):

ويتقدم الخبر كثيرا في أسلوب الجملة القرآنية ويكون ظرفاً أو جاراً ومجروراً، ويفيد عندئذٍ الاختصاص كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ**﴾(٢) فقدم الخبر- الجار والمجرور- على إسم (إن) في موضعين **(إن علينا جمعه وقرآنه)** و**(إن علينا بيانه)**، والتقديم في الموضعين يفيد الاختصاص والقصر. فالمعنى في الجملتين إن جمع القرآن في صدرك- والخطاب موجه إلى الرسول ﷺ مختص بنا ومن ثم علينا بيانه للناس، وهذا لا يستطيعه احد غير الله ﷻ وهذا التقديم قد اقتضاه سياق الجملتين لما فيه من دلالةٍ لا نحصل عليها

(١) ينظر: الطراز: ٢/٢٣٥ و من أسرار التعبير في القرآن: ١٩٥.

(٢) سورة القيامة: ١٧-١٩.

لو كانت الجملة محفوظة الرتبة، إذ لو أُخر الجار والمجرور؛ لأخلّ ذلك بالمعنى؛ لأن عدم التقديم يقتضي عدم القصر على حين أن هذا الأمر مقصور ومخصص بالخالق ﷻ.

وهنالك لفتة أسلوبية أخرى في هذا السياق وهي دخول (إن) في بناء الجملة في الموضعين لإفادة التعليل علاوة على ربط الكلام بعضه ببعض. ولو لم تدخل (إن) في الموضعين لما ارتبط الكلام وانتفى معنى التعليل، ولما وجدنا هذا المعنى في الاختصاص فضلاً عن الانسياب الإيقاعي في تلاوة الآية(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾(٢)، فتقديم **(علينا)** في جملة **(ذلك حشر علينا يسير)** يدل على الاختصاص أي: **(لا تيسير مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر... الذي لا يشغله شأن عن شأن)**(٣).

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾(٤)، فإن تقديم الجار والمجرور **(إلى ربك)** على المبتدأ **(المساق)** في الجملة يفيد القصر والاختصاص، فالناس يُساقون يوم القيامة إلى ربهم وليس إلى مكانٍ أو ذاتٍ أخرى فسوقُهم لا يكون إلا لله وحده لا إلى غيره.

---

(١) ينظر: لمسات بيانية: ١٥٧-١٥٨

(٢) سورة ق: ٤٤

(٣) الكشاف: ٤/١١٨٣ وينظر: المشاهد في القرآن الكريم: ٤٤٠

(٤) سورة القيامة: ٣٠

ونلحظ أيضا في أسلوب هذه الجملة تقديم الجار والمجرور **(إلى ربك)** على الظرف **(يومئذٍ)**؛ وذلك لأن الجهة المُساق إليها الناس هي المقصودة، وهي الأهم وليس المهم الوقت الذي يُساقون فيه. وذلك لأن فيها منتهاهم ومستقرهم. وقد قال في جملة أخرى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾(١). وقال هناك **(المساق)** ولم يقل **(المستقر)**؛ لأن آية المساق معنية بمفارقة الروح للجسد عند الموت فيُذهب بالروح بعد ذلك، وتساق إلى ربها ثم ترجع إلى القبر، والقبر ليس مستقراً ولا موطن إقامة أبدية بل هو موطن مؤقت، كما في قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ فسماها زيارة ولم يسمها إقامة(٢).

ويمكن أن يؤدي تقديم الجار والمجرور في أسلوب الجملة القرآنية الاسمية إلى تأكيد الوجوب في بعض الأحكام الشرعية كما في آية الحج وهي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾(٣).

فنرى أن فرض الحج ووجوبه على الناس جاء بصيغة تختلف عن أحكام وتشريع غيرها من الأحكام كالصلاة والزكاة والصيام، وكذلك في النهي عن بعض المحرمات كما في تحريم الخمر –مثلاً– فكان أسلوب

---

(١) سورة القيامة: ١٢

(٢) ينظر: لمسات بيانية: ١٦٤-١٦٥

(٣) سورة آل عمران: ٩٧

القرآن الكريم يأتي بأفعال وصيغ تؤدي الحكم الشرعي بصورة مباشرة مع هذه الأحكام. أما في آية الحج فقد خالف الأسلوب القرآني الطريقة المعهودة لهذا النظم المباشر وجاء بأسلوب آخر يدل على تأكيد الوجوب أكثر من غيره. وقد تميز هذا الأسلوب بدقائق دلالية وأسلوبية عديدة، فنلاحظ تقدم لفظ الجلالة بعد أن دخلت عليه لام الاستحقاق والاختصاص، فقال(**ولله**) ثم جاء بعده الجار والمجرور(**على الناس**) أي مَنْ أوجبه الله عليهم. وهي صيغة عموم، ثم جاء بعد ذلك المبتدأ المؤخر(**حج البيت**). ثم عدل في أسلوب الجملة من صيغة العموم في(**على الناس**) إلى أهل الاستطاعة منهم في قوله (**من استطاع**). وفي هذا العدول نوعان من التوكيد، الأول: إن الإبدال فيه تثنية للمراد وتكرير له والثاني: أنه أوجب؛ لأنه جاء في صورتين، الأولى مجملة والأخرى مفصلة.

وفي تنكير (**السبيل**) في قوله (**من استطاع إليه سبيلا**)، دلالة على وجوب الحج على الناس بأي سبيل تيسرت.

ثم أخرج الخطاب على العموم في قوله (**ومن كفر فإن الله غني عن العالمين**)، ذلك أنه لم يقل(غني عنه) ذلك أن الله لما كان غنياً عن العالمين كلهم فهذا يعني الغنى التام والكامل من كل وجه عن كل أحد. خاصةً أن الجملة قد أُكدت بـ(إن) مما يدل على تأكيد هذا الغرض العظيم.

وفي تقديم قوله: (**ولله على الناس**) على المبتدأ(**حج البيت**) ما يثير التساؤل أي المجرورين هو الخبر؟ وما الذي يقتضيه المعنى؟.

والذي يبدو أن الذي يقتضيه المعنى ويطلبه المقام أن يكون **(على الناس)** هو الخبر المقدم؛ لأنه يدل على الوجوب لتضمنه حرف الجر **(على)**، وهذا هو الأقرب للصواب؛ لأنه يقال: **(حج البيت على الناس واجب)** وهو أكثر استعمالاً وتمشياً مع الوجوب من أن يقال: **(حج البيت لله)**: أي حق أو واجب لله[1].

التقديم في متعلقات الجملة:

والتقديم في المتعلقات يشمل تقديم المتعلقات على الأركان الأساسية في الجملة، وتقديم المتعلقات بعضها على بعض. وكل ذلك يكوم لغرض دلالي وأسلوبي في الجملة القرآنية، وذلك عندما يشير التقديم أو التأخير إلى مغزى دلالي لا يستطيع حفظ الرتبة معه أن يؤديه ، ذلك أن التقديم سمةٌ أسلوبيةٌ تسهّل وفاء الألفاظ لخفايا المعاني إلى أروع درجة بياناً وارفعها أُسلوباً.

١- تقديم المتعلقات على أحد ركني الجملة:

أ- تقديم المفعول به:

يتقدم المفعول به على الفعل في أسلوب الجملة القرآنية، ويكون تقديمه في الغالب لغرض الاختصاص كما في قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[2]، حيث قُدم المفعول به **(إياك)** في الجملتين لغرض

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد–ابن القيم: ٢/٤٢-٤٣ وابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: ١٥٩-١٦٣

(٢) سورة الفاتحة: ٥.

الاختصاص، أي نخصك بالعبادة فلا نعبد غيرك ونخصك بالاستعانة فلا نستعين بسواك، وهو من كمال التوحيد والذي بُعث الرسل -عليهم السلام- من أجله، إذ قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[١].

ولو جاء بناء الجملة على الأصل محفوظة الرتبة، أي: نعبدك ونستعينك، لما حصلنا على معنى الاختصاص وإنما يُحتمل أن يُشرك الإنسان أحداً مع الله في العبادة والاستعانة. وعليه جاء قوله تعالى: ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾[٥]، أي لا ترهبون غيري ولا تتقون سواي[٦].

إلا أن الدكتور إبراهيم أنيس يرى أنه لا يصلح أن يَسبق المفعول به ركني الإسناد في مثل الجمل القرآنية السابقة وغيرها من الجمل، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[٧]، وقوله تعالى:

---

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) سورة الزمر: ٦٦.

(٣) سورة العنكبوت من الآية: ٥٦.

(٤) سورة البقرة من الآية: ٤٠.

(٥) سورة البقرة من الآية: ٤١.

(٦) ينظر: الإيضاح: ٦٦-٦٧ ومن أسرار التعبير في القرآن: ١٩٧-١٩٨ ولمسات بيانية: ٣٢-٣٣.

(٧) سورة النحل: ١١٨.

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾[٢]، ويُرجع التقديم في كل ما سبق إلى الفاصلة القرآنية، أي لرعاية الموسيقى في الفاصلة ، فهي عنده أشبه بالقافية الشعرية التي يحرص الشاعر فيها على موسيقاه كل الحرص. أما إذا اعتمدت الجملة على نفي أو استفهام فيمكن فيها أن يتقدم المفعول على ركني الإسناد كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[٤] وقوله ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ ﴾[٥]. ففي مثل هذه الجمل القرآنية يصح عنده تقديم المفعول به[٦].

ونحن لا نميل إلى ما ذهب إليه الدكتور أنيس؛ إذ لا يمكن أن نقبل أن تقديم المفعول في سياق الجمل السابقة راجع للفاصلة القرآنية فقط.إذ من غير المناسب أن نقول في كلام الله – تبارك وتعالى– مثل ذلك القول وذلك أن الشواهد القرآنية الواردة في ذلك كثيرة جداً مما لا يمكن إخضاعه

---

(١) سورة الحاقة: ٣٠-٣١.

(٢) سورة الضحى: ٩-١٠.

(٣) سورة المائدة: ٥٠.

(٤) سورة الأنعام: ١٤.

(٥) سورة القمر: ٢٤.

(٦) ينظر: من أسرار اللغة: ٣٣٣-٣٣٤ وخصائص التراكيب: ٣٦٦.

لقاعدة معينة. فإذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾(١) لوجدنا أنه لو كان التقديم للفاصلة لما تقدم المفعول به في الجملتين ولاكتفى بالتقديم في تركيب الجملة الثانية؛ لأن فيها نهاية الفاصلة. وقال: كذبتم فريقاً وفريقاً تقتلون(٢). يضاف إلى ذلك أن الجملة القرآنية لها شأن آخر مع الاستفهام والنفي. إذ إن الاستفهام والنفي من الأساليب التي تدخل على الجملة فتؤثر فيها كلياً، أي تؤثر على جميع عناصر بنائها الأساسية وغير الأساسية. فإذا كان هناك تقديم لأحد هذه العناصر مع الاستفهام أو النفي تكون هناك دلالة أسلوبية أخرى تضاف للدلالة الأساسية فيها.

ونستطيع أن نضيف إلى ذلك أن التقديم يفيد الاختصاص بالدرجة الأساس في أسلوب الجملة إذ لو قيل بغير التقديم أي:نعبدك ونستعينك لم يفد الاختصاص أي لم تحصر العبادة فقط بالله ﷻ وكذلك الاستعانة(٣). إذ أن التقديم للاختصاص وليس للفاصلة. فالقرآن يمكن أن يخالف الفاصلة إذا استوجب المعنى ولكنه لا يمكن أن يخالف المعنى للفاصلة(٤).

---

(١) سورة البقرة: ٨٧.

(٢) ولمزيد من التفصيل ينظر في هذا البحث الصفحات: ٢٤٧و٢٤٨و٢٤٩.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٢٤٧/١ ولمسات بيانية: ٣٢-٣٣ والبرهان الكاشف عن أعجاز القرآن – ابن الزملكاني: ٢٣٠.

(٤) ينظر: هذا البحث الصفحات:٢٤٤و٢٤٥.

وفي تكرار الضمير **(إياك)** مزيد من الدلالة على الاختصاص والتوكيد وحصر العبادة والاستعانة لله وحده. فلو جاء السياق بضمير واحد أي **(إياك نعبد ونستعين)** لأفاد انه يخصه بالعبادة ولم يفد أنه يخصه بالاستعانة نصاً، علاوة على ذلك لو أنه اقتصر على ضمير واحد فقال: (إياك نعبد ونستعين) لربما فُهم المعنى أنه لا يُتقرب إليه إلا بالجمع بين العبادة والاستعانة، فلا يُعبد من دون الاستعانة، ولا يُستعان من دون عبادة، وهذا غير المراد في الأصل(١).

وتقديم جملة العبادة**(إياك نعبد)** على جملة الاستعانة **(وإياك نستعين)** من باب تقديم الغايات على الوسائل والسبب على المسبب. إذ أن العبادة غاية العباد التي خُلقوا لها والاستعانة وسيلة إليها، فقدمت العبادة على الاستعانة لأن تقديم القربة أو الوسيلة انجح لحصول الطلب وأسرع لوقوع الإجابة. فضلاً عن ذلك أن **(إياك نعبد)**متعلق بإلوهيته لأن المعبود هو الإله و**(إياك نستعين)** متعلق بربوبيته واسمه (الرب) فقدم**(إياك نعبد)** على **(إياك نستعين)** كما قدم اسم **(الله)** على اسم **(الرب)** في أول سورة الفاتحة(٢).

وقد يقدم المفعول به في أسلوب الجملة القرآنية لإزالة الوهم واللبس الحاصل بتأخيره كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

---

(١) ينظر: التفسير القيم: ٦٨-٦٩ وروح المعاني: ٩/١ ولمسات بيانية: ٣٣.

(٢) ينظر: التفسير القيم: ٦٨-٦٩ والمعاني في ضوء أسليب القرآن: ١٥٨ وابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: ١٢٢-١٢٣.

﴿يُنفِقُونَ﴾[1]. فقُدم المفعول به في جملة **(ومما رزقناهم ينفقون)** على الفعل **(ينفقون)** وذلك (لسر لطيف، وغرض مقصود وهو أن الإنسان قد ينفق ما ليس له، فلو تقدم الفعل على المفعول فقيل(ينفقون مما رزقناهم) لسبق إلى الوهم قبل ذكر المنفق جواز كونه مما ليس له ومع تأخير المفعول يزول هذا الوهم ويرتفع ذلك اللبس)[2].

ويمكن أن يكون في تقديم المفعول به على الفعل لزيادة الاهتمام وليس للاختصاص كما في قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾[4]، فتقديم المفعول به في أسلوب الجملتين جاء لغرض زيادة الاهتمام بنوح وثمود، إذ الهداية لم تقتصر على نوح أو على ثمود، فليس فيها معنى الاختصاص[5].

ويمكن أن يكون المفعول به مُقدماً على الفاعل فقط في أسلوب الجملة القرآنية كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾[6]، وذلك للاهتمام بالمفعول به إذ المعلوم أن الذي ابتلى إبراهيم هو الله ﷻ لذلك اتصل

---

(١) البقرة: ٣.

(٢) من أسرار التعبير في القرآن: ١٩٨ وينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ١٠٨-١٠٩.

(٣) سورة الأنعام من الآية: ٨٤.

(٤) سورة فصلت من الآية: ١٧.

(٥) ينظر: الإيضاح: ٦٦ والجملة العربية- تأليفها وأقسامها: ٤٤.

(٦) سورة البقرة من الآية: ١٢٤.

الفاعل المؤخر بالضمير الذي يعود على المفعول به المُقدم لغرض الاهتمام به والإشارة إليه بالابتلاء(١).

ونظير ما سبق ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾(٢)، فقُدم المفعول به على الفاعل في جملة **(يأتي أحدكم الموت)**، ذلك أن المفعول به هو المهم في هذا الموضع، إذ هو المعني بالتوبة والصلاح وهو الذي يجب عليه أن ينقذ نفسه من الخسران والعذاب لان الموت لاشك آت الإنسان وهو على كل حالاته من الصلاح أو الفساد. وإذا ما عرف أن الموت قريب جداً من الإنسان بل الإنسان خُلق ليموت. لذلك قال الله ﷻ **(من قبل أن يأتي أحدكم الموت)**، أي انه أدخل (من) التي هي لابتداء الغاية الزمانية، أي أن الموت قريب جدا من الإنسان وليس هنالك مهلة فلذلك يجب على الإنسان سرعة التوبة والتعجيل بالإنفاق مما رزقه الله ﷻ(٣).

وقُدم المفعول به على الفاعل أيضا في سياق قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾(٤)، فتقدم المفعول به **(القسمة)** على الفاعل **(أولوا القربى)** في

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٦٧/٢ و بناء الجملة العربية: ١١٩.

(٢) سورة المنافقون من الآية: ١٠.

(٣) ينظر: لمسات بيانية: ١٣٦-١٣٧.

(٤) سورة النساء: ٨٠.

أسلوب الجملة القرآنية؛ وذلك لأن القسمة هي الأهم، وهي المقصودة في الحكم [1].

ب- تقديم الجار والمجرور:

ومن بلاغة التقديم في أسلوب الجملة القرآنية تقديم الجار والمجرور على الفعل كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[4]، فقُدم الجار والمجرور في الجمل السابقة للدلالة على الاختصاص، إذ إن التوكل لا يكون إلا على الله وحده، وكذلك الإنابة ليست إلا لله سبحانه.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾[5]، فنلاحظ أن سياق الآية يحتوي على جملتين، الأولى جاءت محفوظة الرتبة، فتقدم الفعل (**آمنا**) على معموله الجار والمجرور(**به**) وهو قوله تعالى:(**آمنا به**). كما نلاحظ تقدم الجار والمجرور (**عليه**) على عامله(**توكلنا**) في الجملة الثانية(**عليه توكلنا**).

---

(١) ينظر: الجملة العربية- تأليفها وأقسامها: ٤٠.

(٢) سورة إبراهيم من الآية: ١١.

(٣) سورة الأعراف من ألآية: ٨٩.

(٤) سورة الشورى من الآية: ٤٢.

(٥) سورة الملك من الآية: ٢٩.

وهذا الاختلاف في ترتيب الجملتين راجع لاختلاف القصد والدلالة، فالإيمان يختلف عن التوكل، إذ إن الإيمان لا يكون محصوراً في الإيمان بالله وحده بل لابد من توفر أركانه الأخرى، وهي الإيمان بالرسل والملائكة والكتب المنزلة واليوم الأخر وغيرها، مما يتوقف عليه صحة الإيمان، قال تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾(١). وبخلاف التوكل فإنه لا يكون إلا على الله وحده؛ لتفرده بالقدرة والعلم، لذلك تقدم الجار والمجرور مع التوكل؛ ليؤذن باختصاص توكل العبد على الله دون غيره(٢).

وفي أسلوب الجملة القرآنية يمكن أن يتقدم الجار والمجرور على الفاعل للاهتمام به، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٣) فنلاحظ تقديم الجار والمجرور **(بها)** على الفاعل **(إبراهيم)** وذلك للدلالة على عظم الوصية الموصى بها. وهي كلمة التوحيد وأنها أعظم من الذي صدرت منه الوصية ولا يختلف أمرها سواء أكان الموصى إبراهيم عليه السلام أم غيره والتقديم هنا غني عن البيان(٤).

---

(١) سورة البقرة من الآية: ٢٨٥.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٧٦/٣٠ والبرهان في علوم القرآن: ٤١٤/٢ والتعبير القرآني: ٤٨-٤٩.

(٣) سورة البقرة: ١٣٢.

(٤) ينظر: الجملة العربية-تأليفها وأقسامها: ٤٠.

وهناك ملمح أسلوبي آخر في أسلوب الجملة القرآنية في تقديم الجار والمجرور، وهو أن هناك جملاً في سياق القرآن الكريم تتشابه في عدد الكلمات وفي طريقة البناء إلا أنها تختلف في ترتيب عناصرها داخل الجملة القرآنية، وهذا الاختلاف في الترتيب يعود إلى اختلاف المعنى في الجملتين في الموضعين المختلفين كما في قوله تعالى في سورة القصص: ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ﴾(1) وقال في سورة يس: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾(2).

فنلاحظ أن الجملتين تحتويان على الألفاظ نفسها وأن بناءهما النحوي متشابه، إلا أننا نرى أن الجملة في سورة القصص جاءت محفوظة الرتبة. حيث جاء الفاعل(**رجل**) بعد الفعل مباشرة ومن ثم جاءت بعده المتعلقات الأخرى. إلا أن الجملة في سورة (**يس**) قد عدلت عن الرتبة فأُخر الفاعل (**رجل**) وقُدم عليه الجار والمجرور؛ وذلك لأن الفاعل (**رجل**) في الجملة الأولى كانت له أهمية بالغة، وأن مهمته تتطلب منه السرعة في تبليغ موسى ﷺ عن مؤامرة القوم بقتله؛ وذلك لكي يسرع موسى ﷺ في الخروج من المدينة قبل أن يدركه فرعون وجنوده. أما الجملة الثانية التي أُخر فيها الفعل وقدم الجار والمجرور، وذلك لبيان أن الرجل الذي جاء من أقصى المدينة وقال للقوم (**يا قوم اتبعوا المرسلين**) كان بعيداً عنهم، أي انه لم يحضر معهم ولم يشهد مراجعتهم للرسل، فمجيؤه من أقصى المدينة

---

(1) سورة القصص من الآية: ٢٠.

(2) سورة يس من الآية: ٢٠.

إنما جاء للتذكير وللحث على اتّباع المرسلين وهذا لا يتطلب منه السرعة في ذلك التبليغ فتأخير الفاعل في أسلوب الجملة يدل على التروي والتمهل علاوة على ما في مجيئه من أقصى المدينة مثالٌ لمن بَعُدَ فلم يضره بُعده بأتباع الحق ومعرفته به. وأن قربهم من الرسل ومباشرتهم إياهم لم ينفعهم بشيء من معرفة الحق واتّباعه، وهذا هو سر البيان في جمل القرآن فالكلام يتقدم أو يتأخر ليدل على أهمية المُقدم وأنه هو المقصود وأن تأخيره يدل على نكتة بيانية ودلالية أخرى كالتروي والتمهل(١).

ويمكن أن يتقدم الجار والمجرور على الخبر في أسلوب الجملة الاسمية، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٢)، فنلاحظ أن هذا السياق يحتوي على جملتين، جاءت الأولى محفوظة الرتبة وهي قوله تعالى: **(لتكونوا شهداء على الناس)** فلم يتقدم الجار والمجرور على الخبر كما في الجملة الثانية وهي قوله تعالى: **(ويكون الرسول عليكم شهيداً)**، حيث تقدم فيها الجار والمجرور **(عليكم)** على الخبر **(شهيدا)**؛ وذلك لأن الغرض في الجملة الأولى هو إثبات شهادتهم على الأمم، وليس فيها معنى الاختصاص، أما الجملة الثانية التي تقدم فيها الجار والمجرور فتوحي بالاختصاص في

---

(١) ينظر: ملاك التأويل: ٩٠٤/٢ وروائع القرآن وجنة البيان:- د. محمد ضاهر وتر: ٣٨٦ والترادف في القرآن الكريم- د. محمد نور الدين المنجد: ٢٠٩-٢١١.

(٢) سورة البقرة من الآية: ١٤٣.

كون الرسول ﷺ شهيدا عليهم وليس على سبيل مجرد إثبات شهادته عليهم[1]، وهكذا نرى اختلاف الترتيب في الجملتين المتشابهتين يؤدي إلى هذا الفارق الدلالي الدقيق.

٢- تقديم المتعلقات بعضها على بعض

وتقديم المتعلقات في الجملة القرآنية بعضها على بعض يشمل تقديم المتعلقات من غير عطف، كتقديم الجار والمجرور على المفعول به، وتقديم الظرف على الحال أو العكس، أو تقديم النعت على المفعول به وغيرها من المعمولات. ويشمل أيضاً تقديم المعمولات مع العطف. والنوع الثاني وروده في القرآن واسع جداً، و سنتناول كلا النوعين في أسلوب الجملة القرآنية، وسنقف على أبرز الأسرار في ذلك.

أ - تقديم المتعلقات من غير عطف:

ومن ذلك تقديم الجار والمجرور على المفعول به في أسلوب الجملة القرآنية لغرض الاهتمام بالجار والمجرور ولبيان أنه المقصود بالحدث، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾[2]. فقدّم الجار والمجرور (لي) على المفعول به (آية) في قوله (اجعل لي آية)، وذلك لأن الجار والمجرور (لي) عند زكريا عليه السلام أهم من المفعول به، فالأسباب قد انقطعت به وانقطع الأمل في حدوث الحمل لدى زوجه ولتحقق الإيمان القوي الذي يقضي على اليأس وقع

---

(١) ينظر: خصائص التراكيب: ٣٦٤.

(٢) سورة مريم: ١٠

زكريا عليه السلام في حيرة نفسية تؤرقه أيما أرق، فراحت نفسه تطلب الطمأنينة والراحة قبل أن تطلب الآية، أي بتقديم نفسه على الآية، وهذا يجعلنا نتصور مدى العذاب النفسي الذي كان زكريا عليه السلام يعانيه حتى وصف الله عز وجل في بيانه دقائق نفسه وخفاياها إلى درجة أن السياق القرآني قدم ما بداخل هذه النفس على الآية والبرهان.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾[1] فنلاحظ تقديم الجار والمجرور (**منهم**) على المفعول به(**خيفة**) في أسلوب الجملة. وهذا التقديم يفيد الاختصاص والحصر، أي: إن الخوف كان منهم- ضيوف إبراهيم- لا من غيرهم، أي: إنه خافهم لِما رآه من هيأتهم وكلامهم. ولو أنه أخر (**منهم**)؛ لأختلف المعنى وذهب الاختصاص بالخوف منهم، وربما كان ثمة خوفٍ من غيرهم. وهذا مشابه لما ورد في سياق سورة الحجر، إذ قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾[2]، أي: بتقديم (**منكم**) على (**وجلون**)؛ مما يفيد أنهم هم سبب الخوف وهذا التقديم أيضاً يفيد القصر وأن إبراهيم عليه السلام كان خائفاً من الضيوف وحدهم لا من غيرهم؛ بدلالة تقديم الجار والمجرور على متعلقه في الموضعين فضلاً عمل يُحدثه هذا التقديم من تناسق الفاصلة مع بقية فواصل آيات السورة[3].

(١) سورة الذاريات من الآية: ٢٨.

(٢) سورة الحجر من الآية: ٥٢.

(٣) ينظر: لمسات بيانية: ٦٦-٦٧.

وقد يكون في تغيير الرتبة بين المتعلقات أثرٌ بالغٌ على المعنى فيتغير المعنى تبعاً لما قُدم أو أُخر في سياق الجملة، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾(١).

فنلاحظ تقديم الجار والمجرور (**من آل فرعون**) على النعت (**يكتم إيمانه**) وذلك مراعاة للمعنى، فلو أُخر الجار والمجرور عن النعت لتُوهِّم أن الجار والمجرور من متعلق جملة النعت (**يكتم إيمانه**) ولم يُفهم أن الرجل هو من آل فرعون، ولفُهِمَ أيضاً أن الرجل يكتم إيمانه خوفاً من آل فرعون فقط، فتقديم الجار والمجرور في هذه الجملة أزال كل هذا اللبس وأدى المعنى بدقة فائقة(٢).

ويمكن في أسلوب القرآن الكريم أن تتكرر الجملة نفسها في سياقين مختلفين ولكنهما تكونان مختلفتين في ترتيب المتعلقات داخل الجملة. فيقدم المتعلق في الجملة الأولى ويؤخر في الثانية. وذلك كما قوله تعالى في سورة هود: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾(٣) وقال في سياق السورة نفسها على لسان صالح عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً ﴾(٤)، فنلاحظ أنه

---

(١) سورة غافر من الآية: ٢٨.

(٢) ينظر: الإيضاح: ٦٨-٦٩ والجملة العربية- تأليفها وأقسامهم: ٤٨.

(٣) سورة هود من الآية: ٢٨.

(٤) سورة هود من الآية: ٦٣.

في السياق الأول تقدم المفعول به الثاني على الجار والمجرور فقال (**وآتاني رحمة من عنده**)، أما في السياق الثاني فقدم الجار والمجرور على المفعول به الثاني فقال (**وآتاني منه رحمة**) والسبب في ذلك يعود إلى أن الآية الأولى جاءت ردّاً على لسان نوح عليه السلام على ما اتهموه به من أباطيل فرد عليهم أنه قد آتاه الله رحمة من عنده وهي النبوة والرسالة. فضلاً عما في التقديم من وصف بالاعتناء بهذه الرحمة. أما في آية صالح عليه السلام فالأمر قد اختلف لأن السياق قد تغير وذلك لأنه قال في السياق الذي سبقه ﴿هُوَ أَنشَأَكُم﴾[1]، وقال أيضاً ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[2] فناسب تقديم الضمير الذي يرمز إلى ذي الجلال والإكرام. فضلاً عن كون المجرور في الجملة الأولى ظرفاً فهو صريح في وصف الرحمة، أما الجملة الثانية فكان المجرور فيها هو الضمير العائد إلى الله جل جلاله فناسب أن يقع بعد قوله (**آتاني**) لِما في تقديمه من التأكيد. ويعطيه بمفهومه من أن الرحمة من الله تعالى لايشرك فيها غيره وهذا الاختصاص لا يحصل في تأخيره[3].

ومن مواضع التقديم والتأخير للمتعلقات في سياق آيتين مختلفتين ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾[4] وذلك بتقديم

---

(١) سورة هود من الآية: ٦١.

(٢) سورة هود من الآية: ٦١.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ٤/٢٠١ وملاك التأويل: ٢/٦٥٢-٦٥٤.

(٤) سورة الأعراف من الآية: ١٧١.

المفعول به (**الجبل**) على الظرف (**فوقهم**) جرياً على الأصل على حين قال في موضع آخر: ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾[1] وقال أيضا: ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾[2] أي بتقديم الظرف على المفعول به (**الطور**) في سياق الآيتين الأخيرتين.

وتقديم الظرف على المفعول به يدل على الاهتمام بالظرف أكثر من الاهتمام بالمفعول به (**الطور**) وأن تقديم المفعول به (**الجبل**) على الظرف في آية الأعراف يدل على الاهتمام بالجبل أكثر من الاهتمام بالظرف. لذلك قُدم في الذكر في تركيب الجملة ولهذا السبب أخذ السِياق بعد ذلك بالكلام عن الجبل فقال (**كأنه ظلة**) وقال (**وظنوا أنه واقع بهم**)[3].

أما في آية البقرة والنساء فإنه لم يذكر شيئاً عن الطور بعده في السياق ذلك أن الاهتمام لم يكن به بل بالأقوام المذكورين في السياق وهم بنو إسرائيل فقد أخذ السياق يذكر صفاتهم ويبين أحوالهم.

ومن ناحية أخرى نرى أسلوب الجملة القرآنية قد نوّع في استعمال الأفعال، فاستعمل الفعل (**نتق**) في سياق (**الجبل**) أي في الأعراف. على حين استعمل الفعل (**رفع**) مع (**الطور**) في البقرة والنساء. وهذا أيضاً له علاقة بدلالة التقديم والتأخير في أسلوب الجملتين حيث استعمل السياق الفعل (**نتق**) مع الجبل الذي يدل على القوة والشدة والزعزعة والرفع

---

(١) سورة البقرة: ٦٣، ٩٣.

(٢) سورة النساء من الآية: ١٥٤.

(٣) سورة الأعراف من الآية: ١٧١.

والاقتلاع. واستعمل مع الطور الفعل **(رفع)** الذي ليس فيه ما يدل على تلك الشدة والقوة. فلذلك قُدم الجبل؛ لأن لفظة الجبل تُطلق للشيء القوي الثابت من أوتاد الأرض فناسب دلالة الفعل مع دلالة المفعول به. أما لفظة **(الطور)** فتستعمل للأقل شأناً من الجبل ولذلك يُذكر الجبل دائما في مقام الشدة والهول وبيان القدرة العظيمة. كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾[(١)] فاختار السياق في مقام الشدة **(الجبل)** دون **(الطور)** وذلك لأن الأمر متعلق بقدرة الله وعظمته[(٢)].

ب- تقديم المتعلقات في العطف:-

أما تقديم المتعلقات في أسلوب الجملة القرآنية وهي معطوفة بعضها على بعض فيجري على نسق دقيق في مراقبة المعاني وعلاقته بالسياق الذي وردت فيه فيجعل السياق كل لفظة في مكانها المخصص لتعطي الدلالة التي تكشف عن سبب وجودها في ذلك الموضع سواء كانت مقدمة أو مؤخرة.

فتقدم المتعلقات في الجملة القرآنية بحسب الأفضلية، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ

---

(١) سورة الأعراف: ١٤٣.

(٢) ينظر: الجملة القرآنية – تأليفها وأقسامها: ٣٧-٤٠.

مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾[1] ففي سياق الآية الكريمة أكثر من ظاهرة أسلوبية ودلالية.

١- ورد في الجملة تقديم الجار والمجرور (**من النبيين**) على المفعول به (**ميثاقهم**) وذلك للاهتمام والتركيز على الأنبياء المذكورين وأنهم هم المقصودون لا غيرهم.

٢- الإجمال في أسلوب الجملة القرآنية المتمثل في لفظة (**النبيين**) والتفصيل بعد ذلك في ذكر الأنبياء بأسمائهم وأنهم أفضل الأنبياء.

٣- بلاغة تقديم ذكر الرسول محمد ﷺ في قوله(**منك**) وأنه أفضل المذكورين فيكون الرسول محمد ﷺ هو أفضل هؤلاء المفضلين.

أما في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾[2]. فقد قُدم ذكر نوح عليه السلام على ذكر النبي محمد ﷺ وذلك لأن الله تبارك وتعالى إنما أورد هذه الآية في وصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة، فكأنه قال: شرع لكم الدين الأصيل الذي بُعث به نوح عليه السلام في العهد القديم وبُعث به محمد ﷺ خاتم الأنبياء في العهد الحديث والمقام ليس مقام تفضيل أو ترتيب[3].

---

(١) سورة الأحزاب: ٧.

(٢) سورة الشورى من الآية: ١٣.

(٣) ينظر: الكشاف: ١٠٩٨/٣ والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٨٤وبلاغة العطف في القرآن الكريم:٢٢٨.

ويمكن أن يكون ترتيب المتعلقات المعطوفة في الجملة القرآنية بحسب السبق في الحصول، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾(١) فليس في رؤية البرق غير الخوف من الصواعق الناتجة عنه، والطمع في الأمطار التي تكون دائمًا بعد البرق. لذلك نرى تقديم الخوف على الطمع في أسلوب الجملة، إذ أن الصواعق لا يحصل منها المطر في أول البرق ولا يحصل إلا بعد تواتر البرق، فلما كان الأمر المخوف من البرق – الصاعقة– يقع في أول البرق أتى ذكر الخوف في سياق الجملة أولاً، ولما كان الأمر المطمع به – الأمطار– يقع بعد الأمر المخوف جاء ذكره ثانياً. ليكون الطمع ناسخاً للخوف لمجيء الفرج بعد الشدة(٢).

ويمكن أن تكون السببية هي السبب في ترتيب المتعلقات، فيقدم السبب على المسبب، وذلك كما قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾(٣)، فنلاحظ في سياق الآية أكثر من تقديم وعلى النحو الآتي:

١- في جملة **(وأنزلنا من السماء ماءً طهورا)**، تقدم الجار والمجرور **(من السماء)** على المفعول به الموصوف **(ماءً طهوراً)** وذلك لأن

---

(١) سورة الرعد من الآية: ١٢

(٢) ينظر: من روائع البديع في القرآن– أحمد عبد المجيد خليفة: ١٦٧.

(٣) سورة الفرقان: ٤٨ –٤٩.

الجار والمجرور متعلق بالفعل **(أنزلنا)**، هذا أولاً، وثانياً أن المهم هو الجهة التي ينزل منها الماء وهي السماء ، وفي ذلك دلالة على الاختصاص لأن الخالق ﷻ وحده القادر على ذلك.

٢- في جملة **(لنحيي به بلدة ميتا)** وهو مشابه لما سبق في الجملة الأولى.

٣- في جملة **(خلقنا أنعاماً وأناسي كثيرا)** قُدم **(الأنعام)** على **(الناس)** مع كونهما معطوفتان وان**(الناس)** هم أرفع شأناً من **(الأنعام)** فحقه التقديم وليس كما ورد في تقديم الأنعام عليها.

والسبب في ذلك التقديم يرجع إلى أن حياة الأنعام سببٌ في حياة الناس، إذ أن الأنعام من أسباب التعيش والحياة للناس، فحياة الناس بحياة أرضهم وأنعامهم [١]. فضلاً عن ذلك فقد وردت **(أناسي)** موصوفة بـ**(كثيرا)**. فلذلك قدم السياق غير الموصوف على الموصوف ليتناسق الكلام ويتماسك بعضه ببعض.

ويمكن أن يكون السبب في تقديم المتعلقات المعطوفة على بعضها في الجملة القرآنية الغرابة في الصفة، أي أن السياق القرآني يقدم الأغرب في الصفة، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾[٢]، فقُدمت **(الجبال)** على **(الطير)**، وذلك لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدلّ على القدرة وأدخل في الإعجاز ، ذلك أن

---

(١) ينظر: المثل السائر : ٢/٢٥٢-٢٥٣ وخصائص التراكيب: ٣٧٠.

(٢) سورة الأنبياء: ٧٩.

الجبال جماد، فحصول التسبيح منها أكثر غرابة من تسبيح الطير لأنها حيوان- أي أنه غير ناطق- فحصول التسبيح منه أقل غرابة من حصول التسبيح من الجبال، ولذلك قدم الجبال في أسلوب الجملة القرآنية(١).

وفي بعض الأحيان يرد تقديم أحد المتعلقات في سياق ويرد تأخيره في السياق نفسه، وهذا لا يكون إلا لسر بلاغي غاية في الدقة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾(٢).

فإذا نظرنا إلى سياق الآية وجدنا أن الجملة الأولى **(وإذا رأوا تجارة أو لهوا...)** قد تقدم فيها المتعلق **(تجارة)** على المتعلق **(لهواً)** المعطوفات بـ(أو) وذلك لأن سبب نزول الآية وذكر اللهو معطوفاً على التجارة أن القافلة كانت تُستقْبل بالطبل والدفوف ولكن الأصل في انفضاضهم من أجل الشراء- التجارة- ولذلك قُدمت في أسلوب الجملة في الذكر، وما الضرب بالطبل والدف إلا بسبب قدوم القافلة. وهذا هو السر في إفراد الضمير بعدها في **(إليها)** ولم يقل **(إليهما)**، أي أن الانفضاض كان بسبب قدوم القافلة ليس غير.

إلا أننا نلاحظ في أسلوب الجملة الثانية **(قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة)** قام السياق بتقديم (اللهو) على (التجارة)؛ وذلك لأن

---

(١) ينظر: الكشاف: ٧٣٩/٢ والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٨٦.

(٢) سورة الجمعة: ١١.

الكلام هنا خرج مخرج العموم وليس هنالك تخصيص كما في الجملة الأولى. إذ ليس كل الناس يعملون في التجارة، ولكن أكثر الناس يميلون إلى اللهو الأغنياء منهم والفقراء. فكان (**اللهو**) أعم فقُدم في الذكر.

وعليه فقد قُدم (**اللهو**) في الحكم العام وقدمت (**التجارة**) في الحكم الخاص، علاوة على وجود نكتة أسلوبية أخرى في سياق الجملة الثانية، وهي تأخير (**التجارة**) في الذكر لتحقيق المجاورة بين لفظ (التجارة) وبين قوله (**والله خير الرازقين**) وذلك لأن التجارة من أسباب الرزق وليس (اللهو)[١].

ويمكن أن تكون المخالفة في تقديم وتأخير المتعلقات المعطوفة في سياقين مختلفين، فيرد المتعلق مقدماً في سياق ويرد مؤخراً في سياق آخر. فيتقدم منها ما هو أوثق صلة بغرض الكلام وسياقه الذي ورد فيه. كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**﴾[٢] ويقول تعالى في موضع آخر: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ**﴾[٣]، فنلاحظ تقديم ضمير المخاطبين على ضمير الأولاد (**إياهم**) في أسلوب الجملة الأولى (**نحن نرزقكم وإياهم**) وهذا يفيد أن الخطاب

---

(١) ينظر: لمسات بيانية: ١٢٩-١٣٠ وللمزيد من الشواهد والتحليل ينظر: الجملة العربية – تأليفها وأقسامها ٣٤-٣٦ و ٤١-٤٢ و ٤٥-٤٦ والتعبير القرآني: ٢٢٩-٢٠٣.

(٢) سورة الأنعام: ١٥١.

(٣) الإسراء: ٣١.

موجه للفقراء بدليل قوله **(من إملاق)** ، أي أنهم كانوا في فقر، فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم. فلذلك قدم البشارة برزقهم على الوعد برزق أولادهم.

أما في الجملة الثانية في السياق الآخر **(نحن نرزقهم وإياكم)** فقد قُدم ضمير الأولاد في **(نرزقهم)** على ضمير المخاطبين **(إياكم)** وذلك لأن الخطاب موجه إلى الأغنياء بدليل قوله **(خشية إملاق)** وذلك لأنهم يخشون الفقر الذي لم يقع بعد. فكان رزق أولادهم هو ما يخشونه بخلاف رزقهم لأنه حاصل لهم. أي أنه قُدم الوعد برزق الأولاد على الوعد برزقهم ليناسب ما يخشونه من الفقر بسبب الأولاد[1]. وهذا من المواضع الدقيقة في التقديم والتأخير في أسلوب الجملة القرآنية.

وبعد هذه الجولة في آيات الله الكريمات يمكننا القول أن أسلوب القرآن الكريم كان حريصاً عامة على الرتب المحفوظة في أسلوب الجملة القرآنية، إلا أنه يتعدى هذا الترتيب كثيراً، وذلك عندما يشير العدول عن الرتبة إلى مغزى دلالي لا يستطيع حفظ الرتبة معه أن يؤديه، وهذا العدول الأسلوبي الدلالي تابع لمنهج نفسي تأثيري، أي يقدم القرآن ما تُفضل النفس تقديمه، وتؤخر ما تفضله مؤخراً، يضاف إلى ذلك ما يتطلبه السياق؛ ليؤدي

---

(١) ينظر: من بلاغة القرآن: ١١٦-١١٧ وخصائص التراكيب: ٣٦٧ والتعبير القرآني: ٢٤٦ وللمزيد من الشواهد القرآنية والتفصيل ينظر: ملاك التأويل: ١/٢٠٥-٢٠٧ و ٥٧٧ و ٥٨١-٥٨٢ و ٦٠٣-٦٠٥ و ٦٢٦-٦٢٩ و ٢/٦٥٢ و ٧٠١ و ٧٣٤ و ٨٧٥.

المعنى بدقة متناهية وصولاً إلى الغرض[1] الذي من أجله حصل العدول عن الرتبة في أسلوب الجملة القرآنية.

طول الجملة :

من المفيد قبل أن نتكلم على طول الجملة القرآنية أن نشير إلى المكي والمدني من آيات القرآن الكريم وعلاقة ذلك بطول الجملة أو قصرها، فالمكي ما نزل من القرآن قبل الهجرة إلى المدينة والمدني ما نزل بعد الهجرة. ففي المرحلة المكية كان المصطفى ﷺ وحيداً أمام قومه فناله منهم أنواع الأذى المادي والنفسي فنزل القرآن في هذه المرحلة مدافعاً عن العقيدة الإسلامية وعن القلة التي آمنت بها، ويشد من أزرهم للاعتصام بالإيمان ويردُّ شبهات المشركين مخاطباً إياهم بالنبرة التي يفهمونها.

أما في المرحلة المدنية فقد اختلف الأمر تماماً فمن الخوف والقلق إلى الأمن والاستقرار وإقامة مجتمع إسلامي فأصبحت الحاجة ملحةً إلى التشريع والى علاقات سلمٍ وحربٍ، فحول القرآن العقيدة إلى سلوك و نظام حياة محكم وعن طريقه بُني الإنسان المسلم بناءً عقائدياً نفسياً متوازناً.

فنرى السور المكية تعالج موضوعات تقرر أصول العقيدة والإيمان، والحملة على الشرك والوثنية والإدلاء بالحجج والبراهين على بطلان تلك

---

(١) هناك أغراض ودلالات بلاغية كثيرة للتقديم والتأخير في تركيب الجملة العربية أجملها الدكتور فاضل صالح السامرائي في كتابه(الجملة العربية – تأليفها وأقسامها) ينظر: الصفحات: ٣٥-٥٧.

العقائد الزائفة، والاستدلال على عظمة الله ﷻ وسلطانه ووجوب طاعته واعتناء القرآن المكي بقصص الأنبياء مع أقومهم وغيرها من الموضوعات.

أما السور المدنية فقد اتّسمت بمعالجة موضوعات معينة، كبيان جزئيات التشريع ودعوة أهل الكتاب إلى الإسلام ووصف المنافقين والتحذير منهم وبيان خطرهم حتى أنزل الله ﷻ سورة خاصّة تحمل اسمهم، كما بيّن الأحكام الخاصة بالعلاقات بين الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم(١).

أما من ناحية الأسلوب فيغلب على السور المكية قِصَر الآيات والسور، وقوة التعبير والتناغم الإيقاعي، وكثرة الفواصل وقصرها، وكثرة عناصر التوكيد في جملها، والاعتناء بوسائل التقرير، كالقسم وضرب الأمثال والتشبيه والتكرار. وقد كثر فيه التجسيم الحسي وإضفاء الحركة والحياة على الأشياء، ولا سيما في مشاهد يوم القيامة وأحوال أهل الجنة وأهل النار وفي القصص.

على حين أن أسلوب السور المدنية قد اتَّسم بطول معظم السور والآيات – كالبقرة مثلاً– وأنها غالباً ما تسلك سبيل الهدوء واللين في أسلوبها واسترسال فواصلها، والحكمة في ذلك أن الموضوعات التي تعالجها تتطلب الهدوء والبسط والإسهاب، ولاسيما أن الخطاب فيها موجّه

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن :٢٣/١ وتأملات في سورة الرعد – د.حسن محمد باجودة :٩-١٠.

في معظمه للمؤمنين؛ مما يتلاءم مع نبرة اللين ويتنافى مع الشدة، كما كان الخطاب في السور المكية في معظمه موجهاً للمشركين[١].

ومن السمات الأسلوبية البارزة للمكي والمدني الإيجاز والتفصيل، فالسور المكية كانت موجزة، موجهّة إلى العواطف، أما السور المدنية فتوجّه عنايتها نحو بناء الإنسان من الداخل عن طريق أحكام تشريعية مفصّلة، وترتبط فكرة التقسيم بالقرآن المكي حيث الجمل القصيرة المقسمة ذات الإيقاع الصوتي السريع بينما ترتبط فكرة الترابط بالقرآن المدني حيث الجمل الطويلة التي تتناسب ومخاطبة العقل، وتفصيل الأحكام تبعاً لحجمها وترتيب النزول، بحسب أسبابه (**حوادثه**) وترتيبه في اللوح المحفوظ.

وكل هذه السمات الأسلوبية تتبع توظيفاً معيناً في كلا النوعين – المكي والمدني– لتؤدي الغايات المرجوة منها وأن المتأمل في القرآن يجد خصائص تشريعية (**مضموناً**)، وأدبية فنية (**شكلاً**) للآيات المكية ليست للآيات المدنية في الوقع والمعنى، وإن كانت الأخيرة امتداداً للأولى في الأحكام والتشريع[٢].

---

(١) ينظر: التعبير الفني في القرآن : ٤٥-٤٦ ومباحث في إعجاز القرآن- د.مصطفى مسلم:١٢٠-١٢١.

(٢) ينظر: التعبير الفني في القران: ٤٧-٤٨ وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق- د.صبحي إبراهيم الفقي : ١/١٢٥.

فسورة مريم – مثلاً– من السور المكية وتنطبق عليها خصائص القرآن المكي مضموناً وأسلوباً، ومنه استخدام أسلوبي القسم والتوكيد، فمثلاً إذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾[1] فيبدو جلياً في هذا السياق – المكي– تمسك أبي إبراهيم بالعقيدة البالية إلى درجة أنه يمكن للأب أن يلحق الأذى بابنه، على حين نجد العاطفة الجياشة والأسلوب الرقيق من ناحية الابن لأبيه؛ لأنه يريد له الخير، وهو يعلم تمام العلم أنه على خطأ كبير في العقيدة والسلوك التعبدي، هذا على صعيد المضمون، أما على صعيد الشكل فقد تجلت سرعة الأحداث والجمل بأساليب متعددة. ما بين الفعلية والاسمية، والاستفهام، والنداء، والقسم، والتوكيد، والنفي، والأمر، وكل ذلك كامنٌ في هذه الكلمات القليلة العدد الكثيرة المعاني والأهداف[2].

ويمكن ملاحظة أن السور المكية تتّبع منهجين في طريقة العرض؛ لاختلاف حال المخاطبين، واختلاف الطور الذي بلغته الدعوة الإسلامية آنذاك.

أولاً: سور تنتهج طريقة إثارة السامع ومفاجأته بما يهزه ويحركه؛ ليصغي إلى ما تتضمنه الآيات وليُعمل فكره فيما احتوته من أفكار، حيث يبرز جانب الإثارة عن طريق استعمال الألفاظ الجديدة التي لم يسمع بها أهل مكة من قبل، أو الصور التي لم يألفوها والنغمات الشديدة الوقع على

---

(١) سورة مريم: ٤٦.

(٢) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ١٢١-١٢٢.

مسامعهم ومشاعرهم وغيرها؛ مما يوقظ الفكر ويحرك القلب، كما في سورة الحاقة – مثلاً – حيث تبدأ السورة الكريمة بثلاث جملٍ قصيرة شديدة الوقع على الأذن والقلب معاً؛ لأن إطلاق اسم (**الحاقة**) على يوم القيامة هو شيءٌ جديدٌ يثير انتباه السامع إلى المعنى المقصود، ومثلها في ذلك **الواقعة والقارعة والصاخّة والطامّة** وكلها تتضمن القوة والشدة والرهبة في الوقت نفسه. ويغلب أيضاً القصر على جملها فضلاً عن آياتها، وكذلك التنوع في بناء الجملة بين الاسمية والفعلية، مما أكسبها جدة وحيوية، فالجمل الفعلية تقوم بتصوير الأحداث كما في قوله

تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾(1)، ﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾(2)، ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾(3)، ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾(4)، ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾(5) وغيرها من الجمل الفعلية في السورة، وتعبر الجمل الاسمية عن الحقائق الثابتة التي لا يمكن أن تتغير كما في قوله ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾(6) وغيرها من الجمل الاسمية في السورة الكريمة.

---

(1) سورة الحاقة :13.

(2) سورة الحاقة : 15.

(3) سورة الحاقة: 16.

(4) سورة الحاقة: 18

(5) سورة الحاقة: 24.

(6) سورة الحاقة: 40-41.

وتبرز السورة أيضاً ما يثير انتباه السامع عن طريق ذكر بعض الأقوام التي كذبت الرسل والحوادث التي حصلت لهم، كثمود وعاد وفرعون والمؤتفكات – وهم قوم لوط الذين انقلبت بيوتهم بهم- وما حصل لهم من ريحٍ صرصرٍ عاتية وصرعى، وأعجاز نخل خاوية وأخذة رابية، وطغى الماء والقاضية... وما توحي هذه الألفاظ في جرسها ومعناها.

ونرى السورة تجنح أحياناً إلى الخروج عن الرتبة الأصلية لعناصر الجملة القرآنية فلتقديم المفعول به والظرف وتأخير الفاعل (**ثمانية**) في الجملة الطويلة (**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**) جماله في الجرس والإيقاع إلى جانب المحافظة على فاصلة الآيات ودقة المعنى(١).

ثانياً : سور تتبع طريقة الجدل وبسط الأفكار، وعرض المشاهد وتفصيل القصص، واستنتاج العبر والعظة، كما في سورة نوح عليه السلام.

وتأتي معظم السور الطوال مدنية وفي مقدمتها سورة البقرة، التي تنطبق عليها خصائص القرآن المدني مضموناً وأسلوباً، ففيها الأحكام وفيها التشريع وفيها القصص وفيها الترغيب والترهيب وغيرها من موضوعات القرآن المدني، فتتمتع بنَفَسٍ طويل وتفصيلات دقيقة في كثير من الجزئيات، منها التدقيق في اختيار البقرة، والمحاورة التي كانت بين موسى عليه السلام وقومه – بني إسرائيل – ومحادثة طالوت وجنوده عندما دعاهم إلى الحرب والخروج من أرضهم، وغيرها من المضامين التي سبكت في قالب رشيق جنباً إلى جنب مع الأحكام الشرعية مثل الصلاة والصيام

---

(١) ينظر: تأملات في سورة الحاقة- د. حسن محمد باجودة: ٢٥ وما بعدها.

والإنفاق والأحكام الاجتماعية كالزواج والطلاق والسفر وغيرها، وان أهم ما يميزها هو طول آياتها وجملها بحيث إنها تحتوي أطول آية في القرآن(١) وهي آية الدَين(٢).

وعلى العموم فإن السور المدنية تمتاز بطول العبارة، وكثرة الجمل الفعلية والاسمية، نحو قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٣) فالواضح في هذه الآية الكريمة كثرة الجمل الفعلية والاسمية على السواء، ومثلها كثير في السور المدنية(٤).

---

(١) ينظر: زبدة التفسير – د. محمد سليمان الأشقر: ١٠ وما بعدها.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٢.

(٣) سورة البقرة: ٨٥.

(٤) ينظر: سورة هود دراسة لغوية ودلالية – أطروحة دكتوراه – عبد الكريم ناصر الخزرجي ، كلية الآداب، جامعة البصرة: ١٠٥ وعلم اللغة النصي: ٣٢٨/١.

وسائل إطالة الجملة القرآنية

تُعد الجملة قصيرة إذا اكتفى بناؤها بعنصريها المؤسسين فقط. فالجملة الاسمية تُعد جملة قصيرة إذا اكتفت بالمبتدأ والخبر المفردين، وكذلك الفعلية إذا اكتفت بالفعل والفاعل فحسب. وهذه هي الأركان الأساسية التي حددها النحاة التي تنعقد بها الجملة؛ لتعطي كلاماً مفيداً. ولم يكن على النحاة – بطبيعة الحال – أن يحددوا الجملة الطويلة؛ لأن الجملة الطويلة لا تنتهي بحد معين يجب التوقف عنده، ولكنهم حددوا العناصر غير الأساسية في بناء الجملة التي يتم بها إطالة الجملة، ويتشابك بناؤها بحيث تصبح جملة مركبة لا بسيطة(١).

ومما يلفت النظر في أنماط الجمل معيار الطول والقصر، وللجمل الطويلة نمطان أساسيان:

١- **النمط المتسلسل**: وهو الذي يُقدم فيه ركن الجملة – موضوع الحديث أو المسند إليه – ثم يأتي الإخبار عنه متسلسلاً متصلاً بعضه ببعض.

٢- **النمط المتصاعد**: وهو الذي يُقدم فيه جزء من أجزاء الجملة – ولاسيما المتعلقات كالظرف والمفعول به– ويُستبقى أساسها إلى النهاية، ويستخدم هذا الأسلوب في البناء المتصاعد للفت انتباه القارئ وإثارة فكره وخياله وتساؤلاته(٢).

---

(١) ينظر: بناء الجملة العربية: ٤٨.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم الأسلوب: ٦١.

وقد تطول الجملة القرآنية من خلال عناصرها الاسنادية الأساسية، كأن يكون المبتدأ مكوناً من مضاف ومضاف إليه أو مصدراً مؤولاً، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[1] تتكون الآية من جملتين، الجملة الأولى وهي جملة الشرط بعد (لولا) الشرطية، فقد طالت هذه الجملة عن طريق النمط المتسلسل، فالمبتدأ فيها مكون من مضاف ومضاف إليه وهو (**دفع الله**)، فـ(**دفع**) مصدر ولفظ الجلالة (**الله**) مضاف إليه من إضافة المصدر إلى فاعله، و(**الناس**) مفعول به للمصدر و(**بعضهم**) بدل من الناس، والجار والمجرور متعلق بالمصدر، وهكذا فإننا نلاحظ أن الجملة الاسمية قد طالت ومع ذلك فهي لم تخرج عن عناصر بنائها الأساسية والسبب يرجع إلى أن المبتدأ كان مصدراً يدل على الحدث فأُضيف إلى ما بعده (**فاعله**)؛ لكي يتمم معناه حتى يكون في موقع المسند[2].

ونلاحظ أيضاً أن جملة جواب الشرط قد طالت عن طريق العطف والوصف بالجملة؛ فكانت هناك أربع معطوفات هي (**صوامع وبيع وصلوات و مساجد**)، ثم وصف الأخير بالجملة (**يذكر فيها اسم الله كثيرا**) علاوة على كون الجملة الأخيرة جملة غير محفوظة الرتبة؛ بتقدم الجار والمجرور على نائب الفاعل. وهذا يعني أننا أمام جملتين، الجملة

---

(١) سورة الحج من الآية: ٤٠.

(٢) ينظر: بناء الجملة العربية: ٤٨.

لأولى مركبة من جملتين: الجملة الفعلية المبدوءة بالفعل (**هُدمت**) وهي الجملة الأساسية. والجملة الثانية: جملة الوصف (**يذكر فيها اسم الله كثيرا**) وهي جملة فرعية. وهكذا تطول الجمل وتتعقد.

وما يقال عن المصدر في بناء الجملة القرآنية يقال عن الأسماء المشتقة التي تعمل عمل فعلها (**اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعل التفضيل وصيغ المبالغة وغيرها**). فكل عنصر من العناصر السابقة يكون مركباً اسمياً بإضافته لمعموله.

ويمكن أن يكون المركب الاسمي مصدراً مؤولاً من الحرف المصدري وصلته، كما في قوله تعالى ﴿**وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[١] وقوله: ﴿**وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ**﴾[٢] وقوله: ﴿**وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾[٣]، فنلاحظ أن الجمل في هذه الشواهد قد طالت؛ لأن المبتدأ في كل جملة من هذه الجمل هو مصدر مؤول من (**إن والفعل**) وفي هذه الحالة تطول الجملة في بنائها الأساسي[٤].

ويمكن أن يكون أحد العناصر الأساسية في الجملة مكوناً من ألفاظ عديدة، فتطول معه الجملة مع كونها لم تخرج عن بنائها الأصلي وذلك

---

(١) سورة البقرة من الآية: ١٨٤.

(٢) سورة النور من الآية: ٦٠.

(٣) سورة البقرة من الآية: ٢٣٧.

(٤) ينظر: بناء الجملة العربية :٤٩.

كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾[١] فنجد أن الفاعل في هذه الجمل هو مجموع قوله (**أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ**)[٢].

وهكذا فانه يمكن أن يكون المبتدأ والخبر والفاعل مركباً اسمياً فتطول معه الجملة من دون أن يُذكر في بنيتها عناصر أخرى غير العناصر الأساسية. ويمكن تحديد المركب الاسمي بأنه: (**كل مجموعة وظائف نحوية ترتبط ببعضها عن طريق التبعية لتتمم معنى واحداً يصلح أن يشغل وظيفة واحدة أو عنصراً واحداً في الجملة، بحيث إذا كانت وحدها لا تكوّن جملة مستقلة**)[٣]. ويأتي ذلك على صور عديدة في السياق القرآني :-

١- **التركيب الإضافي**: وذلك كما في قوله تعالى ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[٤]، فجملة (**ينفع الصادقين صدقُهم**) في محل جر بإضافة(**يوم**) إليها، والمراد هو يوم القيامة.

٢- الأسماء التي تحتاج إلى ما تحتاج إليه أفعالها، كالمشتقات التي تعمل عمل فعلها. وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ

(١) سورة الحديد: ١٦.

(٢) ينظر: بناء الجملة العربية: ٤٩.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) سورة المائدة من الآية: ١١٩.

﴿ بِٱلۡوَصِيدِ ﴾[1]، فاسم الفاعل (**باسط**) قد عَمِل عَمَل فعله ونصب (ذراعيه) على أنها مفعول به لاسم الفاعل.

٣- المصدر المؤول، ويمكن أن يحل محل المبتدأ أو الخبر أو الفاعل، في بناء الجملة الأساسية وذلك كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾[2].

٤- ويمكن أن نطلق اسم المركب الاسمي على الاسم الموصول[3]؛ لأنه لا يتم معناه إلا بوجود جملة الصلة الملازمة له، ويمكن أن يكون الاسم الموصول هو أحد الأركان الأساسية في الجملة القرآنية وأن مجيئه في الجملة يسهم في إطالة بناء تلك الجملة. وسوف يكون لنا وقفة خاصة معه في معرض حديثنا عن أسباب وطرق طول الجملة القرآنية.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه يمكن أن تكون الجملة عبارة عن مركبين اسميين – أي عنصري الإسناد – وقد يحتوي كل منهما في داخل تركيبه على مركب اسمي آخر، وبذلك سوف يتعقد بناء الجملة

---

(١) سورة الكهف من الآية: ١٨.

(٢) سورة الحديد: ١٦.

(٣) وذلك كما في قوله تعالى﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾(سورة يونس:٢٢)

ويتشابك من غير أن يضاف إلى عنصري الإسناد عناصر أخرى غير اسنادية(١).

إن من أهم أسباب طول الجملة القرآنية عن طريق بناء عناصرها الأساسية هو مجيء المسند إليه **(المبتدأ – الفاعل)** اسماً موصولاً، ففي الجملة الاسمية سوف يأتي الخبر بعد جملة الصلة مما؛ يؤدي إلى طول تلك الجملة، فإذا ما أضفنا إلى ذلك كون الخبر جملة فعلية أو اسمية طالت الجملة القرآنية أكثر.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٢) فنلاحظ أن هذه الجملة قد طالت مع أنها جملة مكونة في أساسها من **(إن+اسمها+خبرها)** إلا أن اسم (إن) قد جاء فيها اسماً موصولاً **(الذين)** فاحتاج إلى جملة صلةٍ وهي **(يستكبرون عن عبادتي)** التي ليس لها محل من الإعراب، ثم إن الخبر في هذه الجملة أيضاً جاء جملة فعلية وهو قوله (**سيدخلون جهنم داخرين)** وهذه الجملة قد طالت أيضاً عن طريق دخول أحد عناصر التقييد أو المتعلقات وهو الحال (**داخرين)**، وهذا أدى إلى إطالة الجملة أكثر فأكثر.

وهكذا أصبح لدينا جملة مركبة معقدة تحوي على جملة الصلة وجملة الخبر. وهكذا فقد طالت الجملة عن طريق عناصر بنائها الأساسية المميزة.

---

(١) ينظر: بناء الجملة العربية: ٦٠.

(٢) سورة غافر من الآية : ٦٠.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[1] فنلاحظ أن اسم (إن) قد جاء اسماً موصولاً؛ فاحتاج إلى جملة الصلة، وهو قوله تعالى (**سبقت لهم منا الحسنى**) وقد طالت هذه الجملة عن طريق تعدد الجار والمجرور فيها، ثم جاءت جملة الخبر (**أولئك عنها مبعدون**) وهي جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر ومتعلق آخر. وبذلك طالت الجملة الأصلية التي هي عبارة عن (**إن+اسمها+خبرها**) عن طريق عناصرها الأساسية أيضاً وذلك لمجيء الاسم الموصول فيها أحد الأركان الأساسية في الجملة.

من ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾[2] وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾[3] وقوله تعالى ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4]. وهذا الأسلوب كثير جداً في القرآن الكريم. والملحظ البياني في هذا الأسلوب أيضاً هو أن الخبر يكون دائماً من جنس المبتدأ، بل تجد أن

---

(١) سورة الأنبياء : ١٠١

(٢) سورة فصلت من الآية : ٣٠

(٣) سورة الأعراف من الآية: ٩٢.

(٤) سورة النور من الآية: ١١.

المبتدأ يحمل من المعاني ما يهيئ النفس إلى الخبر حتى لتكاد تعرفه قبل النطق به، أي: إن جملة الصلة هي التي تهيئ لذلك الخبر(١).

والكلام عن الخبر يقودنا إلى أحد الأسباب المهمة لطول الجملة القرآنية، وهو إحلال شبه الجملة محل الخبر في الجملة الاسمية، وهو ما يسمى **بالتعاقب**(٢). والجمل التي تعاقب المفرد هي الجمل ذات المحل الإعرابي، وقد أتاح النظام اللغوي لعدد من الوظائف النحوية أن تُشغل إما بالمفرد وأما بالجملة. ويؤدي هذا التعاقب بين الجملة والمفرد إلى طول الجملة الأساس التي هي الجملة الكبرى أو المركبة التي تكون الجملة المعاقبة للمفرد عنصراً فيها؛ وذلك لأن هذه الجملة قد تستطيل هي الأخرى بالوسائل اللغوية المتاحة؛ فيؤدي ذلك إلى تعقد بناء الجملة الأساسية وإطالتها(٣).

ومن المواضع التي تعاقب فيه الجملة المفرد هو موضع الخبر(٤)، سواء أكان خبراً للمبتدأ أم خبراً لناسخ من النواسخ. فخبر المبتدأ، مثل قوله

---

(١) ينظر: خصائص التراكيب: ١٩٦-١٩٧ والفصل والوصل في القران الكريم- د. منير سلطان : ٢٠٥-٢٠٧.

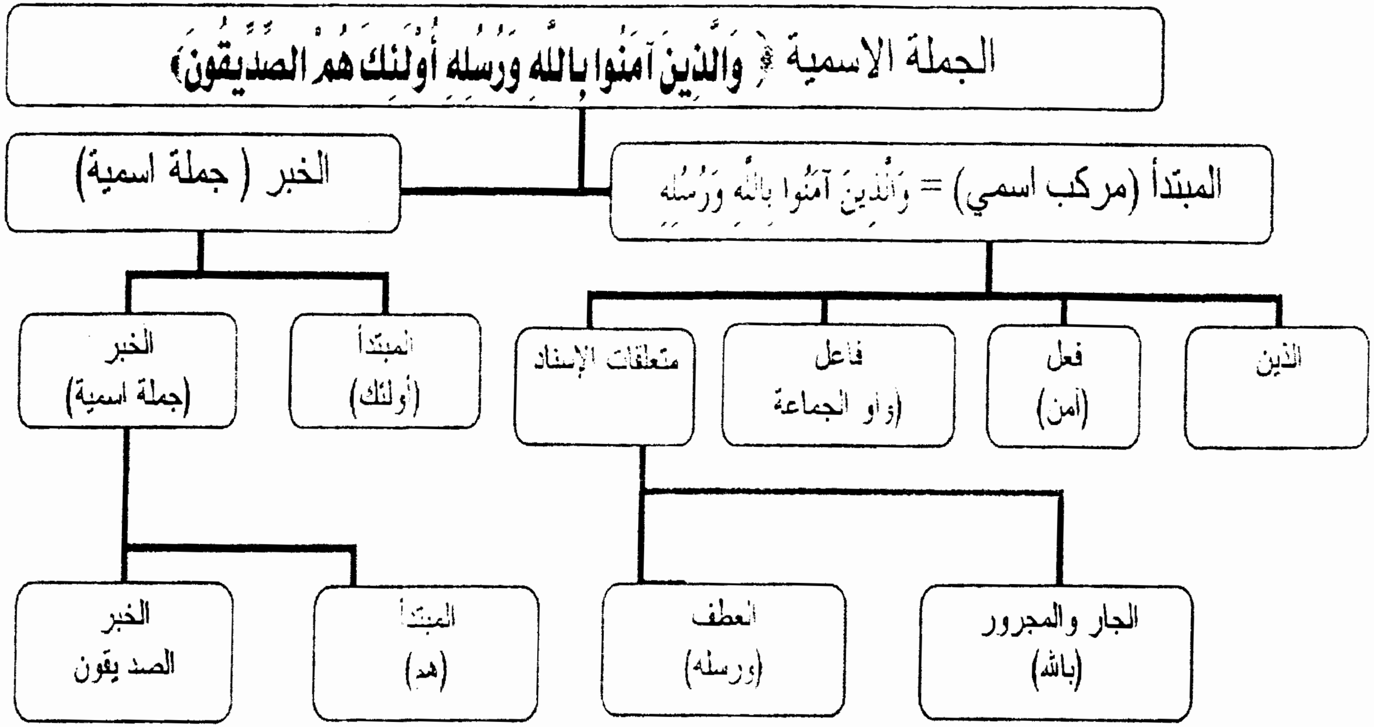
(٢) التعاقب: هو إحلال الجملة أو شبه الجملة محل المفرد، وصلاحيتها في بعض المواقع أن تقوم بما يقوم به وتعاقبه حيث يقع. (بناء الجملة العربية: ٥٩).

(٣) ينظر: بناء الجملة العربية : ٥٩.

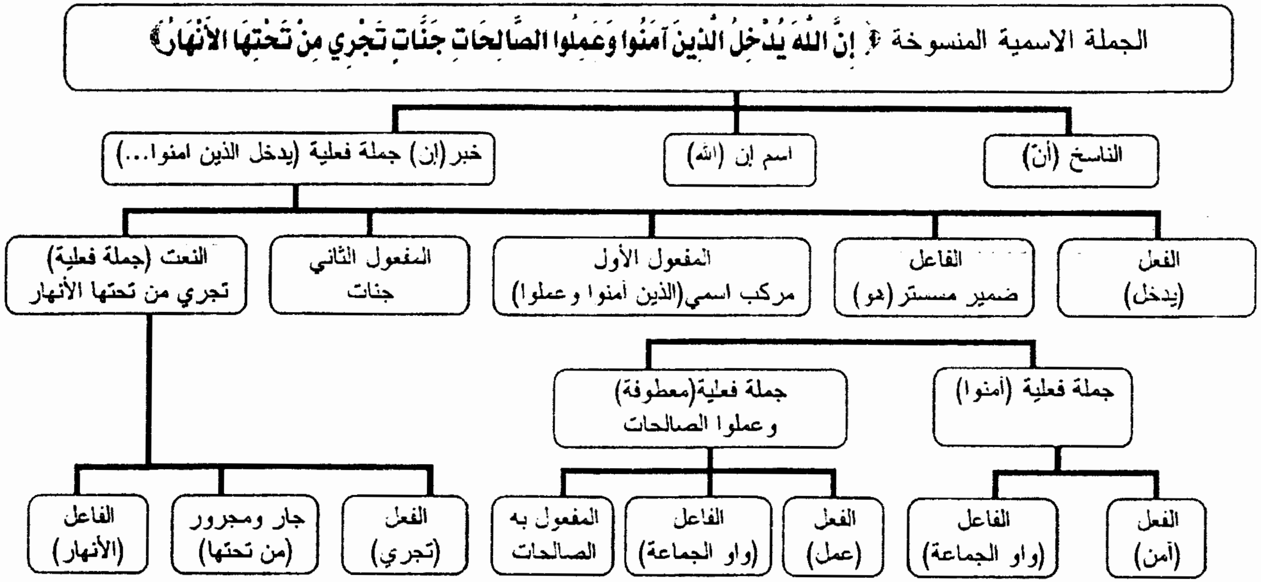
(٤) ويمكن أن تعاقب الجملة المفرد بعض العناصر غير الاسنادية في الجملة كما في المفعول به والنعت والحال والمضاف إليه.

تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾[1] فهذه جملة اسمية مركبة، الخبر فيها جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر وعلى النحو الآتي:

(١) سورة الحديد: ١٩.


الجملة الاسمية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾
المبتدأ (مركب اسمي) = وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
الخبر (جملة اسمية)
الذين
فعل
(آمن)
فاعل
(واو الجماعة)
متعلقات الإسناد
المبتدأ
(أولئك)
الخبر
(جملة اسمية)
الجار والمجرور
(بالله)
العطف
(ورسله)
المبتدأ
(هم)
الخبر
الصديقون

ويمكن أن تكون جملة الخبر خبراً لناسخ من النواسخ، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ﴾[1]. وهذه الجملة تتألف عناصرها على الوجه الآتي:



وهكذا نجد أن الجملة القرآنية قد طالت من جهات عديدة مع أن العناصر البنائية فيها هي عبارة عن **(إن+اسمها+خبرها)**. ويمكن أن تطول الجملة القرآنية عن طريق تعدد أحد أجزائها الأساسية، وهو الخبر الذي يمكن أن يتعدد بشكل غير محدود. وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[1] فالمبتدأ في هذه الجملة هو الضمير المنفصل(هو)، وقد أُخبر عنه بخمسة أخبار متتابعة (**الغفور، الودود، ذو العرش، المجيد، فعال لما يريد**)، والملاحظ أيضاً أن الخبر الخامس قد جاء على هيئة المركب الاسمي **(فعال لما يريد)**، حيث تعلق الجار والمجرور **(لما يريد)** بـ**(فعال)**، ونلاحظ أيضاً أن المجرور مركب اسمي (**ما يريد**)؛ لأنه موصول تُمم بجملة الصلة، ويمكن لهذه الجملة الأخيرة أن تطول هي الأخرى، وقد علل النحاة جواز تعدد الخبر لأنه حكم على المبتدأ والشيء الواحد قد يُحكم عليه بأحكام متعددة[2].

إطالة الجملة القرآنية عن طريق العناصر غير الأساسية

ويمكن أن تطول الجملة القرآنية عن طريق العناصر غير الأساسية – وهي المجال الرحب لطول الجملة القرآنية – وهي كثيرة ومتنوعة، فبعضها

---

(١) سورة البروج: ١٤-١٦.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل:٢٥٧/١ وبناء الجملة العربية: ٥٧.

يطلبها الاسم وبعضها يطلبها الفعل ويمكن أن يجتمع في الجملة الواحدة نوعان أو أكثر من هذه العناصر التي تؤدي إلى طول بناء الجملة[١].

ولا يخفى ما للمتعلقات هذه من أثر في الأداء الجملي للجملة. فزيادة أي متعلق جديد على أي جملة من الجمل بنوعيها وخاصة الفعلية منها تكمن وراءها زيادة في الفائدة تحدد جزأي الجملة الرئيسيين علاوة على أنه يخرج بالجملة إلى معنى غير الذي كان قبل دخوله عليها[٢].

ويمكن توزيع هذه العناصر التي تؤدي إلى طول الجملة إلى مجموعات عديدة :

١- طول التقييد

ويشمل طول التقييد الأفعال والأسماء المشتقة التي تتضمن الحدث، وتعمل عمل الفعل فتحتاج إلى ما يحتاج إليه الفعل. ولكن يمكن التفريق بينهما على أن عناصر التقييد مع الفعل تمثل عناصر جديدة في بناء الجملة، أما مع الأسماء المشتقة فهي عناصر متممة للاسم المشتق بحيث تكوّن معه مركباً اسمياً[٣].

---

(١) ينظر: بناء الجملة العربية: ٥٠.

(٢) ينظر: البلاغة والأسلوبية : ٤٣.

(٣) ينظر: بناء الجملة العربية: ٥٠.

والجملة الفعلية تستطيل عن طريق المقيدات[1] والتي يسميها النحاة بالمعمولات وتسمّى الأخيرة بقيود الفعل؛ لأنها تقيده أي تجعله أكثر دقة وتحديداً فبعد أن يكون عاماً بمفرده يصبح مقيداً بقيد أو أكثر، وكلما زادت القيود في الجملة الفعلية زادت فائدة وقوة إيصال، أي أنه كلما أتى قيد إثر آخر زادت الجملة وضوحاً وفائدةً[2] ومن أهم أغراض تقييد الفعل :

١- تقرير المعنى وتوكيده زيادة على تحديد المعنى وتصويره ورفع احتماله. وذلك كما في قوله تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) وتسمى أيضاً ملحقات الإسناد وهي المفاعيل الخمسة والحال والتمييز والظرف والجار والمجرور، وهي تعمل على تخصيص جهات الفعل المختلفة من حيث وقوع الحدث المتضمن فيه على جهة معينة بأن يكون الفعل متعدياً، فيكون (المفعول به) تقييداً لجهة وقوع الفعل ومن حيث تقييد زمان حدوث الفعل أو مكانه، فيكون(المفعول فيه) وهو الظرف – تقييداً لهذه الجهة... وهكذا مع بقية أنواع المقيدات الأخرى. وللمزيد من التفصيل ينظر: خصائص التراكيب:٣١٧-٣٢٢ وبناء الجملة العربية:٥٠-٥٣.

(٢) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري:٣٣٩-٣٤٠ وخصائص التراكيب:٣١٧-٣١٨.

﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾[١]، فجاء القيد (**بأيديهم**)[٢] في الجملة لغرض التوكيد لأن الكتابة لا تكون إلا باليد، فطالت الجملة القرآنية وزادت توكيداً بدخول هذا القيد[٣].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾[٤]، ففي ذكر القيد (**بأفواهكم**) إطالة في بناء الجملة، وإشعار بتعظيم الأمر المقول، وأنه قد قيل بالأفواه من غير أن يتصل بالقلوب التي تعلم كذبه واختلاقه، وهذا الأسلوب يأتي في جمل القرآن الكريم في مواقف التشديد والإنكار لتربية المعاني وتقريرها في النفوس[٥].

ومن المواضع الدقيقة في ذلك قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ﴾[٦] والمراد في هذا السياق هو إنكار أن يقول الرجل لزوجته : أنتِ عليّ كظهر أمي. وهذا محرمٌ في الشريعة الإسلامية.

---

(١) سورة البقرة: ٧٩.

(٢) ومثله قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾(سورة العنكبوت: ٤٨)

(٣) ينظر : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٤٠.

(٤) سورة النور : ١٥.

(٥) ينظر : المثل السائر : ٣٩٦/٢ والطراز :٣١٦/٢ ومن بلاغة القرآن: ١٠٢-١٠٣ وخصائص التراكيب: ٣١٨.

(٦) سورة الأحزاب: ٤.

وللمبالغة في هذا الإنكار فقد صور السياق القرآني الجمع بين الزوجية والأمومة في صورة جمع القلبين لرجل واحد، وذكر القيد **(في جوفه)** زيادة في التوكيد؛ لأن القلب لا يكون إلا في الجوف[(١)] وذلك ليقوى التصوير على التأثير بوضع جوف يشتمل إلى قلبين، وهذه الصور الغريبة الشاذة أمام الحس والشعور أدعى للنفس في الإسراع إلى الإنكار من جعل الزوجة أماً. مع الإشارة إلى أن زيادة القيد **(بأفواهكم)** في نهاية الآية؛ أعطى زيادة في توكيد المعنى، لأن القول لا يكون إلا بالأفواه[(٢)].

٢- وقد يأتي القيد في الجملة لتوكيد غرابة المعنى ولمجيئه على طريقة المجاز فيحتاج إلى زيادة كشفٍ وتوضيح وتصوير، فيكون هذا القيد الذي أسهم في إطالة الجملة القرآنية مؤدياً كل هذه الأغراض. يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[(٣)] فإن قلت: أي فائدة في ذكر الصدور؟ قلت: الذي تعورف واعتقد أنّ العمى على الحقيقة مكانه البصر، وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها. واستعماله في القلب استعارة ومثل، فلمّا أُريد إثبات ما هو

---

(١) وهنا أمر آخر يستحق الوقوف عنده وهو أن الله تبارك وتعالى قال:(ما جعل الله لرجل) ولم يقل لإنسان فيشمل المرأة؛ لأن المرأة قد يحصل أن يكون في جوفها قلبان أثناء الحمل.

(٢) ينظر: الكشاف: ٣/٩٣٨ والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٤٠ وخصائص التراكيب: ٣١٨-٣١٩.

(٣) سورة الحج: ٤٦.

خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة ونفيه عن الأبصار احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف، ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الأبصار، كما تقول: ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك...)[١].

٣- وقد يُذكر القيد في الجملة لإثارة النفس وبعثها على الطاعة والانقياد وذلك كما قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[٢]، يقول الزمخشري: **(فإن قلت: هلا قيل: يتربصن ثلاثة قروء، كما قيل (تربص أربعة أشهر) وما معنى ذكر الأنفس؟ قلت: في ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعثٍ، لأن فيه ما يُستنكف منه فيُحملن على أن يتربصن، وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال، فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص)**[٣].

٤- وقد تطول الجملة القرآنية بذكر القيد فيها للبيان أو الإيضاح أو الوصف، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾[٤]. فإن القيد

(١) الكشاف: ٣/٧٥٦ والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٤١-٣٤٢.

(٢) سورة البقرة من الآية: ٢٢٨.

(٣) الكشاف: ١/١٢٣ والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٤٢.

(٤) سورة النحل: ٢٦.

(من فوقهم) قد صور هذه الكارثة التي نزلت بهم أكمل تصوير، وإلا فأن السقف لا يخر إلا من جهة الفوق، إذ لا يسمى سقفاً إلا إذا كان من الجهة العليا للبناء. إلا أن ذكره يوصف الحالة التي أخذهم الله بها فضلاً عن طول الجملة القرآنية من ناحية البناء.

يقول **ابن الأثير**(ت٦٧٣ هـ) عن قيمة ذكر هذا القيد: **(ولذكر لفظة (فوقهم) فائدة لا توجد في إسقاطها من هذا الكلام، وأنت تُحسُّ هذا من نفسك، فإنك إذا تلوت هذه الآية يُخيَّل إليك أن سقفاً خرّ على أولئك من فوقهم، وحصل في نفسك من الرعب ما لا يحصل مع إسقاطه تلك اللفظة)**(١).

٥-ويمكن أن تأتي في السياق القرآني جملتان متشابهتان إلا أنه قد زِيد في إحداهما قيدٌ آخر غير موجود في الأخرى؛ وذلك لزيادة في التوكيد والفائدة، وذلك كما في سورة الكهف إذ قال في آية السفينة: ﴿ **قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** ﴾(٢)، أما في آية قتل الغلام فقال: ﴿ **قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** ﴾(٣)، أي: إنه زاد قيداً آخر وهو **(لك)** للمسند في الثانية؛ وذلك لزيادة العتاب على خرقه للاتفاق ووصفه بقلة الصبر، علاوة

---

(١) المثل السائر: ٢/٣٩٧ - ٣٩٨وينظر: من بلاغة القرآن:١٠٢ وخصائص التراكيب: ٣١٩.

(٢) سورة الكهف: ٧٢.

(٣) سورة الكهف: ٧٥.

على تأكيد اللوم في الثانية لأن؛ المخالفة الثانية–وهو سؤال موسى للعبد الصالح–أحوج إلى المزيد من اللوم بتقريره وتأكيده[١].

٢- طول التبعية

وتطول الجملة أيضاً عن طريق التبعية، والتبعية أنواع. بعضها يخص الاسم وحده وهو تبعية النعت، وبعضها الآخر لا يختص بالاسم وحده بل تكون في الاسم وغير الاسم، كما في تبعية التوكيد والبدل والعطف[٢].

تبعية النعت: ويتمم منعوته بدلالته على معنى في المنعوت أو في متعلقه يطلبه بحسب ما يقتضيه المقام من تخصيص أو إيضاح أو تعميم أو مدح أو ذم أو توكيد أو إبهام أو تفصيل. وقد مثل النحاة للمعاني التي يفيدها النعت في دخوله للجملة وهو كثيرة ومتنوعة[٣].

ومن الشواهد القرآنية على دخول النعت في الجملة القرآنية وإطالة بناء الجملة معه قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤]، فالجملة الاسمية **(الحمد لله)** كاملة الأركان الأساسية وهما المبتدأ والخبر، وجاء النعت **(رب العالمين)** للمدح والتعظيم واثبات الربوبية للخالق ﷻ وقد طالت الجملة

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٨٣ والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٤٠ وخصائص التراكيب: ٥٤-٥٥.

(٢) ينظر: بناء الجملة العربية: ٥٤.

(٣) ينظر: المرجع نفسه: ٥٤-٥٥.

(٤) سورة الفاتحة : ١.

القرآنية بوجود هذا النعت خاصة وأنه مكوّن من مضاف ومضاف إليه مما أسهم في طول الجملة بشكل أكبر.

وقد يأتي النعت في الجملة القرآنية لبيان السبب والذم في الوقت نفسه وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا﴾[1]، فنلاحظ أن الجملة كانت تستدعي هذا النعت وتطلبه من أجل تمام المعنى وبيانه. ذلك أن سبب دعاء المؤمنين في الإخراج من هذه القرية هو ظلم أهلها. فلو لم يدخل النعت في الجملة لما عرفنا سبب الدعاء في الإخراج. علاوة على ما في النعت من الذم لأهل هذه القرية وذلك بوصفهم بالظلم ولا يخفى ما أحدثه دخول النعت **(الظالم أهلها)** من طول في بناء الجملة.

تبعية التوكيد: ويدخل التوكيد في الجملة على سبيل التقييد للمؤكَّد ولاسيما التوكيد اللفظي، إذ إنه إعادة اللفظ أو تقويته بما وافقه في المعنى، وفي تقويته بإعادة اللفظ رفع احتمال التجوز أو توهم التجوز بمعنى من المعاني[2].

ومن التوكيد الفظي في الجملة القرآنية قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾[3] فجاء التوكيد اللفظي

---

(١) سورة النساء من الآية : ٧٥.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/٢٣٦ و بناء الجملة العربية: ٥٥.

(٣) سورة الفجر: ٢١-٢٢

(دكا)[1] في الجملة الأولى؛ ليوضح ويؤكد أن الأرض سوف تُدك مرة بعد مرة، فيتكسر كل شيء على ظهرها حتى تصبح مستوية، ونلاحظ أن التوكيد **(دكا)** قد بين أن المراد من الفعل **(دُكت)** والمفعول المطلق**(دكا)** هو الدك الحقيقي للأرض وليس المجازي. وبذلك قُيّد المعنى في الجملة وأطال في بنائها.

وهذا ما نلحظه أيضاً في الجملة الثانية **(وجاء ربك والملك صفاً صفاً)**، والمراد بـ**(الملك)** الملائكة و**(صفا صفا)** أي صفوف متراصة، فنلاحظ أن التوكيد الفظي**(صفا)** قد أكد هيئة الملائكة وأزال شبهة المجاز وبيّن أن الملائكة يصفّون يوم القيامة في صفوف على الحقيقة[2].

ومن شواهد التوكيد المعنوي الذي تطول معه الجملة القرآنية قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾[3]، فنلاحظ أن الجملة قد اكتملت أركانها الأساسية من الفعل والفاعل في قوله **(فسجد الملائكة)**، ولكن لما كان هناك من امتنع عن السجود لآدم وهو **(إبليس)** جاء بالتوكيد المعنوي **(كلهم)** لبيان أن الملائكة لم تتأخر في إطاعة الأمر في السجود ، مع عدم تخلف أحد منهم. وهذا واضح في إيراد التوكيد الثاني **(أجمعون)**

---

(١) ومن العلماء من ذهب إلى أن اللفظين (دكا دكا) معا حال وهو مؤول بنحو مكرراً دكها ومثله(صفا صفا)، ولكن يبدو عند حمل المعنى على حقيقته يكون التوكيد أظهر . ينظر: شرح ابن عقيل :٣/٢٤٤ .

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢/٣٧.

(٣) سورة الحجر: ٣٠

وهذا الأخير يزيد من توكيد سجود الملائكة. فزاد التوكيد توكيداً مع تقييد السجود بالملائكة فقط دون إبليس الذي أُخرج عن طريق الاستثناء في الآية التي بعدها، وهو قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[1]. إذن فقد طالت الجملة عن طريق دخول التوكيد المعنوي (**كلهم**) والملحق بالتوكيد المعنوي (**أجمعون**) وذلك للسبب الذي بيّناه.

تبعية البدل: ومن الأركان غير الأساسية التي تسهم في طول الجملة القرآنية هو البدل وهو يُعدّ أيضاً من المقيدات؛ وذلك (**لأن البدل لا يخلو عن بيان أو إيضاح وإن لم يكن المقصود منه بالذات ذلك**)[2]، وهذا ما دعا الكوفيين إلى تسميته بـ(**الترجمة والتبيين**)[3]، وهذا يعني أنه يُذكر لإيضاح وتبيين المبدل منه. ويأتي البدل أما **بدل كل عن كل** أو ما يسمى **ببدل المطابقة**. وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[4]، فنلاحظ أن البدل (**صراط الله**)، كيف بيّن ووضح المقصود بـ(**صراط مستقيم**)، بحيث أنه لا

---

(١) سورة الحجر: ٣١

(٢) حاشية الصبان: ٣/١٢٣.

(٣) ينظر: المصطلح النحوي – عوض حمد القوزي :١٦٣.

(٤) سورة الشورى: ٥٢-٥٣.

يوجد صراط مستقيم غير صراط الله ﷻ علاوة على وجود عناصر أخرى قد أسهمت في إطالة الجملة القرآنية.

وأما **بدل بعض من كل** وهو بدل الجزء من كله وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾(١). فقد أوجب الله فريضة الحج على الناس بصيغة العموم فقال **(على الناس)** ثم أبدل منه أهل الاستطاعة فقال **(مَنْ استطاع)** وفي هذا الأسلوب من التعبير نوعان من التأكيد، أحدهما : أن الإبدال فيه تثنية للمراد، وتكرير له والثاني: أنه أوجب هذا الإيجاب في صورتين إحداهما مجملة في قوله **(على الناس)** والأخرى مفصلة متمثلة في قوله تعالى **(مَنْ استطاع إليه سبيلاً)**. وفي هذا التعبير تقوية للمعنى وتأكيد للمضمون ، فضلاً عما أحدثه هذا القيد **(البدل)** من إطالة الجملة القرآنية خاصة وأن الأخير كان على هيئة المركب الاسمي؛ لأنه اسم موصول(٢).

وأما **بدل اشتمال**، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾(٣). يقول الزمخشري: **(قتال فيه) بدل الاشتمال في الشهر)**(٤). ذلك أن السؤال ليس

---

(١) سورة آل عمران: ٩٧.

(٢) ينظر: بدائع الفوائد- ابن القيم الجوزية: ٤٣/٢ وابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: ١٦٢-١٦٣.

(٣) سورة البقرة: ٢١٧.

(٤) الكشاف: ١١٨/١

منصباً على الشهر الحرام بل أن السؤال عن القتال في ذلك الشهر. لذلك أخذ السياق بعدها يفصل عن ذلك فقال **(قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به)**. ونلاحظ أن البدل هو المقصود بالحكم وكان المبدل منه معبراً إليه. إذن فالذي مهّد للأحكام التي بعده والمترتبة عليه هو البدل، وكأنه ربط عناصر السياق ببعضها فربط ما تقدّمه بالذي بعده. وأدّى إلى طول الجملة القرآنية عن طريق أحد العناصر غير الأساسية في الإسناد.

تبعية العطف: وتكون بالتشريك بواسطة حروف العطف بين المعطوف والمعطوف عليه، والتقييد في تبعية العطف آت من كون المعطوف عليه ليس منفرداً بالحكم الذي يكون في الجملة بل يشاركه فيه المعطوف فيأخذ الحكم نفسه فضلاً عن الإعراب. وليس هناك حدٌّ تقف عنده تبعية العطف فليس هناك حد لمعطوفات المشاركة في الحكم وخاصة مع بعض الحروف كالواو والفاء وثم و أو.

ومن الشواهد القرآنية على طول الجملة عن طريق تبعية العطف قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[1]. فهذه جملة طويلة جداً مع كون المسند فيها – الفعل- هو فعلا لازم لا يتعدى إلى المفعول به بنفسه فلا يُعدّى إلا بحرف جر كما هو واضح في الجملة. إذ

(١) سورة النساء: ١٦٣.

أن الجملة الأصلية قبل دخول العطوفات هي**(وأوحينا إلى إبراهيم)**. إلاّ أنه لما كان إبراهيم عليه السلام لا يختص بحكم الوحي وحده بل يشاركه فيه الأنبياء والرسل جميعاً سوغ ذلك أن يُعطف عليه أسماء الأنبياء. وهكذا فقد طالت الجملة القرآنية وبشكل كبير جداً عن طريق تبعية العطف.

٣- طول التعدد:

لقد رأينا- سابقاً- أنه يمكن للجملة القرآنية أن تطول عن طريق تعدد أحد عناصرها الأساسية وهو الخبر. وهنا سنبحث طول الجملة القرآنية عن طريق تعدد الأجزاء غير الأساسية في الجملة، والمقصود بالتعدد هنا أن يكون بغير وسيلة التشريك - حروف العطف- فهناك أجزاء غير أساسية يمكن أن تعدد فتطول بتعددها الجملة، وبعضها يتعدد إلى حد معين، وبعضها الآخر يتعدد بلا تحديد.

- **تعدد المفعول به:** وتعدد المفعول به في الجملة مرتبط بمعنى الحدث الذي يطلبه. فهناك أحداث تتطلب مفعولاً به واحداً وهي الأفعال المتعدية لمفعول واحد، وهناك أحداث تطلب مفعولين وهي الأفعال المتعدية لمفعولين، وهناك أحداث تطلب ثلاثة مفاعيل، ويمكن في بعض الحالات أن يتحول الفعل اللازم إلى فعلٍ متعدٍ[1] لمفعول. وهكذا يتحول المتعدي لمفعول واحدٍ إلى متعدٍ لمفعولين والمتعدي لمفعولين إلى متعدٍ إلى

---

(١) والحالات التي تؤدي إلى تعدية الفعل اللازم هي دخول الهمزة عليه أو تضعيفه أو التعدية من خلال دخول حروف (الباء والى واللام) على المفعول.

ثلاثة مفاعيل. والتعدد في المفعول به ينتهي عند هذا الحد، فلا توجد جملة واحدة تحتوي على أكثر من ثلاثة مفاعيل.والأمثلة على ذلك في القرآن الكريم كثيرة .

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾[1] فجملة **(نُري إبراهيم ملكوت السموات والأرض)** قد طالت من خلال تعدد المفعول به في أسلوب الجملة فالمفعول به الأول **(إبراهيم)** والمفعول به الثاني**(ملكوت السموات والأرض)**. فالمفعول به الأول جاء مفرداً. أما المفعول به الثاني فقد جاء على هيئة المركب الاسمي **(المضاف والمضاف إليه)** مما زاد في طول الجملة. فضلاً عن العطف الموجود في المضاف إليه في المفعول الثاني.

ومنه قوله تعالى: ﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[2] فنلاحظ أن الجملة القرآنية قد طالت من خلال تعدد المفعول به. وإذا ما أضفنا إلى ذلك أن المفعول به الأول: **(من أتبع رضوانه)** جاء على هيئة المركب الاسمي المكون من **(الاسم الموصول+ جملة الصلة)**، والمفعول به الثاني كذلك قد جاء على هيئة المركب الاسمي المكون من**(المضاف والمضاف إليه)** وهو **(سبل السلام)**، وهذا يعني أن الجملة

(١) سورة الأنعام: ٧٥

(٢) سورة المائدة: ١٦.

قد طالت عن طريق تعدد المفعول به فضلاً عن مجيء المفعولين مركباً اسمياً. مما أسهم في طول الجملة القرآنية بشكل أكبر.

- **تعدد النعت** : وذلك كما في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾(١)، فالجملة القرآنية في هذا السياق قد طالت كثيراً من خلال تعدد(**النعت**)، وهذا يوحي بأن النعت يمكن أن يتعدد في بناء الجملة بصورة غير محددة، وكما هو واضح في سياق الآية الكريمة. وفي ذكر هذه الصفات وتعددها تعريض بوجوب اتصاف الأزواج بها، لاسيما أزواج النبي ﷺ ورضي الله عنهن وهناك أغراض بيانية أخرى كثيرة(٢).
- **تعدد الحال:** وقد علل النحاة جواز تعدد الحال في الجملة لشبهها بالخبر والنعت(٣).

ومن الشواهد على تعدد الحال في تركيب الجملة القرآنية قوله تعالى: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾(٤) فنلاحظ تعدد الحال في هذه الجملة، فـ(**ركعاً**) حال أولى، و(**سجداً**) حال ثانية، وقد أُعربت جملة(**يبتغون**) حالاً ثالثة، ويمكن أن تكون جملة استئنافية جاءت

---

(١) سورة التحريم: ٥.

(٢) ينظر: محاسن التأويل: ١٦/١٣٩-١٤٠ وتيسير الكريم الرحمن: ٨٧٣-٨٧٤.

(٣) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/٤٢ وبناء الجملة العربية: ٥٨.

(٤) سورة الفتح من الآية: ٢٩.

للتعليل[١]. وهكذا فقد طالت الجملة القرآنية عن طريق تعدد الحال فيها. فضلاً عن مجيء الحال الثالث جملة. وهذا يعني أن الحال في الجملة القرآنية يمكن أن تتعدد فتأتي مفردة وتأتي جملة.

ومن الشواهد على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[٢]، فنلاحظ أن الحال قد تعددت في هذه الجملة، وجاءت الحال الأولى مفردة **(خائفاً)** والحال الثانية جملة **(يترقب)**. ولا شك أن تعدد الحال في هذا الموضع مع إطالته بناء الجملة فهو يعطي تصويراً دقيقاً لصاحب الحال وهو **(موسى)** عليه السلام في هذا السياق. فالحال الأولى صورت هيئة موسى عليه السلام من الداخل المتمثلة بالخوف، أما الحال الثانية فقد صورت هيئته من الخارج المتمثلة بالترقب. وهذا من الدواعي المهمة لتعدد الحال في الجملة القرآنية فضلاً عن كونه من الأسباب المهمة في إطالة الجملة القرآنية.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾[٣]، فقد تعددت الحال في جملة الجواب[٤] – جواب الشرط– مما أدى إلى طولها وهذا التعدد يطلبه المعنى فلا يتم إلا به وذلك في تصوير حالة موسى عليه السلام عندما رأى العصا وهي تهتز تمهيداً لصيرورتها أفعى كبيرة. وهذا يدل دلالة واضحة على أنه لم يكن على علم بالسحر، ولم يكن

(١) ينظر: الجامع لإعراب جمل القرآن: ٤٤٢.

(٢) القصص من الآية: ٢١

(٣) النمل من الآية: ١٠

(٤) ينظر: الجامع لأعراب جمل القرآن: ٣٥٤.

يوماً يزاولـه ﷺ وهذه الأحوال **(مـدبراً)** و**(لـم يعقـب)** تعطـي تصـويراً دقيقاً لحالته في ذلك الموقف.

إذن تعـدد هـذه الأجـزاء غيـر الاسـنادية – أي النعـت والمفعـول بـه والحال– في بناء الجملة القرآنية يؤدي إلى إطالتها. ولو استقرينا كثيراً من الآيات القرآنية لوجدنا أن أكثر الأجزاء تعدداً في سياق الجملة القرآنيـة هو الخبر– وهو من الأركان الإسنادية – والنعت والحال– من غير الإسنادية– وذلك لأنهم يعتمدون على الوصف المتعدد وبعض الأحكام الوصفية.

٤– الاعتراض

لقد أتاح النظام اللغوي لترتيب عناصر الجملة أن يُذكر بين عناصرها جملـة أخـرى يسـميها النحـاة والبلاغيـون **(الجملــة الاعتراضــية)** والجملـة الاعتراضية من حيث الموقع الإعرابي لا محل لها من الإعراب. أي أنها لا تمثل عنصراً إسنادياً ولا غير إسنادي في بناء الجملة. إلا أنها لا تنفك عن الجملة الأصلية ولا تزول عنها من حيث معناها. وذلك لأنها تعترض بـين عنصـرين متضـامين متلازمـين **(لإفــادة الكــلام تقويــةً وتســديداً أو تحســيناً)**[١] وقـد عبـر ابـن هشـام عـن الـتلازم بـين عناصـر الجملـة بالتطالب[٢].

---

(١) مغني اللبيب: ٢/٤٧

(٢) ينظر: مغني اللبيب: ٢/٥٧ وبناء الجملة العربية : ٧٠.

والاعتراض عند النحويين هو ما يقع في الجملة بين شيئين متطالبين[1] والمقصود بالتطالب بين عناصر الجملة الواحدة هو أن يطلب كل منهما الآخر، فالفعل يطلب فاعله والمتعدي منه يطلب مفعوله والمبتدأ يطلب خبره والخبر يطلب المبتدأ... وهكذا مع بقية العناصر الأخرى.

والمعترض فيه هو كلام أجنبي عن الجملة من ناحية الشكل والبناء الجملي بحيث لو أُسقط لبقي الكلام على حاله في استيفاء عناصر الجملة. إلا أن الاعتراض لا ينفك عن المعنى، فدخول الاعتراض بين عنصريين متلازمين أو متطالبين يثير الانتباه ويلفت التفكير ولهذا تطلب سلوك العربية أن تضع هذا الاعتراض بين عنصرين كل منهما يطلب الآخر طلباً شديداً بحيث يتوقع المستمع ذكر ثانيهما عند ذكر أولهما[2]. فوقوع الاعتراض – مثلاً– بين النعت والمنعوت في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**﴾[3] **(إنما جاء تفخيماً لشأنه وتعظيماً لأمره كأنه قال: وإنه لقسم لو علمتم حاله أو تحققتم أمره لعرفتم عظمة وفخامة شأنه)**[4] ثم إننا ومن خلال تدبرنا للاعتراض في أسلوب القران الكريم لم نجده

---

(١) مغني اللبيب: ٥٧/٢

(٢) ينظر: الطراز: ٢٨٣/٢ وبناء الجملة العربية : ٧٠.

(٣) الواقعة : ٧٦.

(٤) الطراز : ١٦٧/٢وبناء الجملة العربية: ٧٠.

معزولاً في معناه عن معنى الجملة التي اعترض بين أجزائها. بل أن المعنى يتغير كلياً إذا أُسقط هذا الاعتراض منها[1].

وقد عدّ البلاغيون الاعتراض وسيلة من وسائل الإطناب في الكلام[2] إلا أننا يمكن أن نعدّه وسيلة مهمة من وسائل طول الجملة الأصلية وتركيبها. فكل ما يتعلق بالجملة يعد منها وإن لم يكن له موقع من الإعراب؛ ذلك أننا عندما نحلل جملة تحتوي في داخلها على جملة اعتراضية تحليلاً نحوياً أو أسلوبياً لا يمكن بحال من الأحوال أن نغفل هذه الجملة الاعتراضية لأنها – شئنا أم أبينا – جزء من الجملة الأصلية. لذلك سوف نقف وقفة أسلوبية طويلة متأملة عند الاعتراض، لما لهذا الموضوع من أثر في تركيب الجملة القرآنية من جهة وفي إطالة الجملة من جهة ثانية.

مواضع الاعتراض في الجملة القرآنية:

لقد بذل دارسو الإعجاز البياني للقرآن – وفي مقدمتهم الزمخشري– ودارسو علوم القرآن – وفي مقدمتهم **الزركشي** (ت ٧٩٤ هـ)– جهوداً متميزةً، ولمحات مضيئة في دراسة هذه الظاهرة اللغوية، ووقفوا عند مواضع متعددة لجملة الاعتراض في الكتاب العزيز، وحاولوا الكشف عن النكات البلاغية والأسلوبية التي حققتها جملة الاعتراض في تركيب النص

---

(١) وهذا ما سنحاول دراسته في هذا المبحث.

(٢) ينظر: الإيضاح: ١١٦–١١٩ والبلاغة فنونها وأفنانها: ١/٥٠٠–٥٠٤ ومن أساليب التعبير القرآني: ١٧٤–١٧٥.

القرآني وقد تجاوزت الجملة الاعتراضية مئة وسبعين موضعاً في القران الكريم[1].

والذي يتأمل الاستعمال القرآني لجملة الاعتراض لا يستطيع أن يسلّم أو يتفق مع مَن يقول: **إن جملة الاعتراض ليس لها محل من الإعراب ولو أُسقطت لم تختل فائدة الكلام**[2]. ولعلنا من خلال هذه الوقفة المتأملة مع الاعتراض في الجملة القرآنية نستطيع أن نقف عند الملامح الأسلوبية لهذا الأسلوب في سياق القرآن الكريم. مع الأخذ بنظر الاعتبار أن الاعتراض من أبرز الأسباب التي تستطيل معها الجملة القرآنية سواء أكان الاعتراض بين الأركان الأساسية للجملة أو غير الأساسية علاوة على وقوع الاعتراض بين الجمل وربما يكون بأكثر من جملة. والمواضع التي يقع فيها بين عناصر الجملة الواحدة هي:

١- بين المبتدأ والخبر:-

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[3]، فجملة **(لا نكلف نفساً إلا وسعها)** هي جملة اعتراضية وقعت بين المبتدأ وخبره فقد جاء المبتدأ على هيئة المركب الاسمي الموصول **(الذين)** وجملة الصلة **(امنوا وعملوا...)** والخبر أيضا عبارة عن جملة اسمية مكونة من المبتدأ والخبر.

---

(١) ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ١٧٥-١٧٦.

(٢) وهذا ما يصرح به العلوي ،ينظر:الطراز : ٢/٢٨٣.

(٣) سورة الأعراف: ٤٢.

وهذا يعني أن الجملة القرآنية الأصلية قد استطالت من خلال استطالة المبتدأ واستطالة الخبر. فلما دخلت الجملة الاعتراضية في تركيبها طالت أكثر. فضلاً عن الإفادة التي حققتها جملة الاعتراض في السياق القرآني. فقد أفادت (**الترغيب في اكتساب ما يؤدي إلى النعيم المقيم ببيان سهولة مناله ويسر تحصيله**)[1]. يضاف إلى ذلك ما أدته الجملة الاعتراضية من تقوية الكلام وتحسينه وزيادته بلاغة وتبياناً[2].

٢- بين ما أصله مبتدأ وخبر:-

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ** ﴾[3]. فقد وقعت جملة (**إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً**) اعتراضاً بين اسم (**إن**) المبتدأ في الأصل - وهو المركب الاسمي المكون من الاسم الموصول وصلته، وبين الخبر (**أولئك لهم جنات عدن...**)[4] ونلاحظ أن الخبر أيضا قد جاء جملة. وهذا يعني أن الاعتراض قد زاد في طول الجملة لأن

---

(١) تفسير أبي السعود: ٢٢٨/٣.

(٢) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٧٧ ومن أساليب التعبير القرآني: ١٧٨. وروائع القرآن وجنة البيان:٤٧.

(٣) الكهف: ٣٠.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القران: ٥٨/٣ و الفصل والوصل في القرآن الكريم: ١٧٥.

الجملة الأصلية هي في أصلها جملة طويلة قد طالت من خلال أركانها الاسنادية فاسم (إن) ورد على صيغة المركب الاسمي، أما الخبر فقد عاقبت فيه الجملة الاسمية المفرد.

٣- بين الفعل ومفعوله:-

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[١]، يقول الزمخشري: ((**كأن لم تكن بينكم وبينه مودة**) اعتراض بين الفعل الذي هو (**ليقولن**) وبين مفعوله وهو (**يا ليتني**) والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادّة؛ لأن المنافقين كانوا يوادّون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر)[٢].

٤- بين الموصوف وصفته:-

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾[٣] فقد جاءت جملة الاعتراض (**لو تعلمون**) بين الموصوف (**قسم**) – وهو الخبر- وبين صفته(**عظيم**) وذلك لغرض التأكيد[٤].

---

(١) سورة النساء:٧٣.

(٢) الكشاف: ٢٣٤/١ والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٧٧-٣٧٨.

(٣) سورة الواقعة: ٧٥-٧٧.

(٤) ينظر: من أساليب التعبير القرآني :١٧٩.

ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾[1]، فقوله تعالى(**مدهامتان**) صفة لـ(**جنتان**) وقد توسطت بينهما جملة الاعتراض (**فبأي آلاء بكما تكذبان**) لغرض التنبيه ولفت الانتباه.

ويمكن أن نعد منه قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴾[2] ذلك أن جملة (**فمن شاء ذكره**) وقعت معترضة بين (**تذكرة**) وبين شبه الجملة (**في صحف مكرمة**) التي هي وصف لـ(**تذكرة**)، وقد جيء بالاعتراض هنا للترغيب في التذكرة والحث على حفظها[3]. فضلاً عن الزيادة في بناء الجملة وإطالتها.

٥- بين البدل والمبدل منه:-

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾[4] إذ وقعت جملة (**إنه كان صديقاً نبيا**) معترضة بين المبدل منه (**إبراهيم**) وبين بدله وهو قوله (**إذ قال لأبيه**). والاعتراض وقع هنا للبيان والمدح، أي مدح إبراهيم عليه السلام بأنه كان صديقاً نبياً مرسلاً من الله ﷻ فزادت الجملة

---

(١) سورة الرحمن: ٦١-٦٤.

(٢) سورة عبس: ١-١٣.

(٣) ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ١٩١.

(٤) سورة مريم: ٤١-٤٢.

الاعتراضية السياق بياناً وإيضاحاً. فضلاً عما حققته من زيادة في طول الجملة القرآنية.

٦- بين المتعاطفين:-

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ﴾[١] فقوله تعالى (**إن فرعون وهامان ...**) جملة اعتراضية واقعة بين الجملة المعطوفة والجملة المعطوف عليها، وهي مؤكدة لمعنى خطئهم[٢].

ومن دخول الاعتراض أيضاً بين المتعاطفات قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٣] فجملة (**كل من الصالحين**) وقعت معترضة بين المتعاطفات؛ وذلك لغرض الثناء عليهم بالصلاح.

---

(١) سورة القصص: ٨-٩.

(٢) ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ١٧٩.

(٣) سورة الأنعام : ٨٥-٨٦.

٧- بين الحال وصاحبها:-

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾(١) فـ(**آمنين**) حال، وقد وقعت جملة (**إن شاء الله**) معترضة بينها وبين صاحب الحال في الفعل (**لتدخلن**) وقد جاءت الجملة الاعتراضية هنا لإفادة التبرك(٢).

٨- بين المعدودات:-

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾(٣) فنلاحظ هنا طول الاعتراض بين المعدودات فقوله تعالى (**قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين**) جاءت على سبيل الاعتراض أي أن القول ومقوله قد اعترض بين المعدودات؛ مما ساهم في طول الكلام علاوة على التوكيد(٤).

---

(١) سورة الفتح: ٢٧.

(٢) ينظر:: من أساليب التعبير القرآني: ١٩٢.

(٣) سورة الأنعام: ١٤٣-١٤٤.

(٤) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٧٩.

٩- بين الشرط وجوابه:-

ومن تلك المواضع قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾[1] فجملة **(لن تفعلوا)** قد وقعت معترضة بين جملة الشرط **(فإن لم تفعلوا)** وجملة الجواب **(فاتقوا النار التي وقودها..)** وقد أدت الجملة المعترضة هنا معنى التحدي والتعجيز على الإتيان بسورة مثل سور القرآن الكريم. وهذا من المواضع الدقيقة لدخول الجملة الاعتراضية وما تؤديه من معنى فضلاً عن الزيادة في طول الجملة القرآنية.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[2] فدخلت جملة**(والله أعلم بما ينزل)** معترضة بين جملة الشرط بعد **(إذا)** وبين جوابها، **(فكأنه أراد أن يجيبهم عن دعواهم فجعل الجواب اعتراضاً)**[3] وفائدة الاعتراض هنا هو إعلام القائلين: (أنه مفتر) أن تبديل الآيات فضلاً عن تنزيلها هو من الله وحده وليس منه ﷺ والله ﷻ أعلم بذلك منهم[4].

---

(١) سورة البقرة: ٢٤.

(٢) سورة النحل: ١٠١.

(٣) البرهان في علوم القرآن : ٥٩/٣ والفصل والوصل في القرآن الكريم: ١٧٥.

(٤) ينظر: المثل السائر: ٤٩/٣ ومن أساليب التعبير القرآني: ١٧٧.

ومن المواضع الدقيقة في ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾[1] فجاء الاعتراض بجملة **(ونحن عصبة)**، وهي جملة اسمية استئنافية في المعنى، ولكنها اعتراضية من ناحية البناء التركيبي. إذ أنها جملة اسمية وقعت معترضة بين الشرط وجوابه، وذلك لأن الشرط وجوابه متلازمان سواء ارتبطا بالفاء أم بغيرها كما نلاحظ في هذا السياق الشرطي.

وفي الحقيقة قد أدى الاعتراض في هذا السياق إلى غاية في الإحكام وحسن السبك رغم تعدد العناصر وتداخلها مع بعضها، وهذا مما يدفعنا إلى القول أن الاعتراض هو فصل من ناحية الشكل أو البناء الشكلي فقط أما من ناحية المعنى فهو يؤدي إلى الإيضاح والإحكام وحسن التناسق فضلاً عن المساهمة الفعالة في إطالة الجملة أو السياق، وجاء الاعتراض هنا للتنويه إلى أن كثيراً من حالات الرياء الاجتماعي تقوم على أساس طمأنة الطرف القلق وهو الأب هنا بأكثر من دليل حتى يقتنع وفي هذا نفع للمتلقي؛ لأن فيه فضح تلك الأنواع من النفاق.

ونلاحظ في هذا السياق ملمحاً أسلوبياً آخر وهو العدول من الجملة الشرطية الفعلية إلى الجملة الاسمية المؤكدة بـ(**إن واللام المزحلقة)** وقد حُذف جواب الشرط وأغنى عنه جواب القسم؛ لأن القسم قد تقدم على الشرط بدليل اللام الموطئة له.

---

(١) سورة يوسف: ١٤.

وهكذا نجد أنه قد تضافرت ظواهر عديدة – ومن ضمنها الاعتراض – في هذا النظم لقصد وضع المتلقي على الحالة النفسية المتأرجحة لأخوة يوسف ﷺ بين حنان الأخ والكذب على الأب، ونداء الضمير الذي يحاولون كتمانه من خلال الجملة الفعلية التي تعكس حركة أكل الذئب الوحشية. ثم ثبات الخسران في نهاية المطاف إن تم ذلك الأمر.

وما يدل على العلاقة الوثيقة بين معنى الجملة أو السياق وبين الاعتراض ما نجده في سياق قوله تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً** ﴾[1] فإذا نظرنا إلى الاعتراض **(من ذكر أو أنثى وهو مؤمن)** وجدنا أنه قد حقق جانباً مهماً في أسلوب الجملة القرآنية[2]. إذ بدون هذا الاعتراض يمكن أن يُفهم المعنى على أن العمل الصالح يكون نافعاً لصاحبه وبشكل مطلق، أي للمؤمن والكافر. أما بدخول هذا الاعتراض فيحصل فيه تقيد للإطلاق. إذ من المعروف أن الكافر أو المشرك لا ينفعه يوم القيامة عمله الصالح لأن الركن الأساسي في قبول العمل هو الإيمان وعدم الإشراك بالله ﷻ لذلك يقول الله ﷻ في سورة الكهف: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا** ﴾[3]، وقد ذكر في الاعتراض قوله **(من ذكر أو أنثى)** وذلك للدلالة

---

(١) سورة النحل: ٩٧.

(٢) ينظر: حسن التوسل إلى صناعة الترسل. : ٢٢٦.

(٣) سورة الكهف: ١١٠.

على أنه لا فرق بين الجنسين في الإيمان والعمل الصالح والحساب يوم القيامة. وهكذا نجد أن الاعتراض كان ذا أهمية دقيقة في الربط بين أجزاء الجملة أو التركيب من ناحية المعنى، فضلاً عن استطالة الجملة بدخول هذا الاعتراض في الكلام.

١٠- بين القَسَم وجوابه.

ويقع الاعتراض أيضاً في الجملة القرآنية بين القسم – المقسم به- وجوابه، وذلك كما في قوله تعالى ﴿ **قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ** ﴾(١) فجاءت الجملة الفعلية المؤكدة بـ(**لقد**) وهي (**لقد علمتم**) معترضة بين المقسم به (**تالله**) وجملة الجواب وهي (**ما جئنا لنفسد في الأرض**) والغرض البياني من دخول الاعتراض هو تقرير إثبات البراءة من تهمة السرقة بالنسبة لأخوة يوسف عليه السلام فالاعتراض يؤكد أنهم لم يأتوا للإفساد في الأرض والسرقة وهو من المواضع الدقيقة للاعتراض في السياق القرآني(٢).

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ **قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾(٣) وفعل القسم محذوف والأصل: أقسم بالحق، وجملة

---

(١) سورة يوسف: ٧٤.

(٢) ينظر: الطراز: ٢/٢٨٤.

(٣) سورة ص: ٨٤-٨٥.

(والحق أقول)، اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه، ومعناه: ولا أقول إلا الحق، وجملة الجواب هي: لأملأن[1].

الاعتراض بأكثر من جملة:

ومما يسهم في إطالة الجملة بشكل لافت للنظر هو دخول أكثر من جملة اعتراضية في الجملة الأصلية مما يؤدي إلى طول الجملة بشكل كبير. وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ** ﴾[2]. فقد جاء الاعتراض وهو عبارة عن جملتين معطوفتين على بعضهما **(حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين)** بين المفعول الأول **(الإنسان)** وبين المفعول الثاني **(أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير)** وهو الموصى به. وفائدة هذا الاعتراض هو تذكير الولد- الإنسان- بما كابدته أمه من المشقة في حمله وفصاله، فذكْرُ الحملِ والفصالِ يفيد زيادة التوصية بالأم، لتحمُّلها المشاق والمتاعب في حمل الولد ما لا يتكلفه الوالد، ولهذا جاء في الحديث الشريف التوصية بالأم ثلاث مرات[3] وبالأب مرة واحدة[4].

---

(١) ينظر: الكشاف: ١٠٤٤/٣ ومن أساليب التعبير القرآني: ١٧٨.

(٢) سورة لقمان: ١٤.

(٣) ينظر: صحيح مسلم- مسلم بن الحجاج النيسابوري: ١٩٧٤/٤ رقم الحديث (٢٥٤٨).

(٤) ينظر: المثل السائر: ٤٩/٣-٥٠ والبرهان في علوم القرآن: ٥٨/٣ ومن روائع البديع في القرآن الكريم: ١٩٦.

وهذا يعني أن الاعتراض قد خص الأم بالذكر وأطال الكلام تنبيهاً على اختصاصها بمزيد المشقة وبيان المباشرة له في كل أحواله وفي هذا الاعتراض نتلمس حسن الوصف وروعة السياق فضلاً عن إطالة الجملة القرآنية.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1] فقد اعترض بقوله (**عليه توكلت وإليه أنيب**) وهو عبارة عن جملتين عُطفت الأولى على الثانية وقع بين الصفة (**فاطر السموات والأرض**) – وهي عبارة عن مركب اسمي ناتج من إضافة اسم الفاعل (**فاطر**) إلى معموله (**السموات والأرض**) – والموصوف وهو لفظ الجلالة (الله)[2]. وهكذا فإننا نلاحظ كيف استطالت الجملة القرآنية من خلال الاعتراض بجملتين بين الموصوف وصفته ومن خلال مجيء الصفة مركباً اسمياً. وهذا الاعتراض – التطويل في الجملة– يتطلبه المعنى، وذلك لأن قوله (**ذلكم الله ربي**) بحاجة إلى بيان بأهم الأشياء التي يختص بها العبد مع ربه وهو التوكل والإنابة، فالتوكل والإنابة من خصوصيات الرب التي لا يشاركه فيها أحد بل هي من أهم الروابط التي تكون بين العبد وربه. وهكذا فقد جاءت جملتا الاعتراض لبيان تلك الخصوصية وأنها لا تكون إلا بالله، وهذا واضح من خلال تقديم الجار

---

(١) سورة الشورى: ١٠-١١.

(٢) ينظر: الكشاف: ٣/١٩٧ ومن أساليب التعبير القرآني: ١٨٢.

والمجرور في الجملتين على الفعل؛ وذلك من أجل الاختصاص الذي نحن بصدده.

وقوع الاعتراض في الاعتراض:

فعندما يقع الاعتراض داخل الاعتراض تطول الجملة بشكل أكبر لأن الاعتراض قد وقع بين عناصر الجملة الواحدة أو التركيب. ومن ذلك ما وقع في تركيب القسم في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[1]. ففي السياق القرآني القسمي اعتراضان،أحدهما :الجملة الاسمية وهي قوله تعالى **(وإنه لقسم -لو تعلمون- عظيم)** فجاءت هذه الجملة معترضة بين القسم وجوابه، وذلك لقصد المبالغة بالمقسم به واهتماماً بذكر حاله قبل جواب القسم، وفيه إعظامٌ له، وتفخيم لشأنه. وذلك يكون أوقع في النفوس وأدخل في البلاغة. ثانيهما: الجملة الفعلية بين الموصوف والصفة وهو قوله **(لو تعلمون)**، فإنه سبحانه وسطه بين الموصوف والصفة تفخيماً لشأنه وتعظيماً لأمره، كأنه قال: وإنه لقسم لو علمتم حاله أو تحققتم أمره لعرفتم عظمة شأنه وفخامته. وهكذا نرى أن هذين الاعتراضين **(قد اختصّا بمزيد البلاغة وموقع الفخامة مبلغاً لا يُنال)**[2]، فضلاً عن طول البناء في التركيب القسمي الذي يسميه بعضهم بجملة القسم. ومهما يكن من أمر فان الاعتراض قد تداخل في

---

(١) سورة الواقعة: ٧٥-٧٧.

(٢) الطراز: ٢٨٤/٢ و ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ١٨٤.

الاعتراض. أي: إن الجملة الاعتراضية الفعلية قد وقعت اعتراضاً داخل الجملة المعترضة الاسمية، ووقعت الأخيرة معترضة بين القسم وجوابه.

ومما يجدر ذكره هنا أن الجملة الاعتراضية مثلما تقع بين عناصر الجملة الواحدة؛ فتؤدي إلى طول بنائها، فإنها تقع -أي الجملة- معترضة بين الجمل فتؤدي إلى طول السياق، ويمكن أن يكون الاعتراض بجملة أو أكثر من جملة فيطول السياق أكثر، وكلما زادت الجمل المعترضة زاد السياق طولاً.

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[1] جاءت الجملتان **(إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)** معترضتان بين جملة **(فأتوهن من حيث أمركم الله)** وجملة **(نساؤكم حرث لكم)**.

ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[2] فقوله تعالى **(والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى)**

(١) سورة البقرة: ٢٢٢-٢٢٣.

(٢) سورة آل عمران: ٣٦.

جملتان معترضتان بين جملة قوله تعالى **(واني وضعتها أنثى)** وجملة قوله **(واني سميتها مريم)** والأمثلة على ذلك في السياق القرآني كثيرة جدا[1].

وعليه فإن الاعتراض في الأسلوب القرآني يحقق تأثيراً نفسياً رائعاً، ويكسب السياق طعماً حلو المذاق ورغبة في تواصل الاستماع والفهم، ويحقق راحة وتشويقاً عميقاً.

فقطع الجملة الأولى بجملة جديدة لا علاقة لها ببناء الجملة الأولى – إلا أنها متصلة معها أشد الاتصال من ناحية المعنى – تكسب النفس فسحة زمنية للتفكير والتأمل، ثم التشويق لما سيأتي من كلام يتمم فائدة العبارة فتتجدد في النفس رغبة متواصلة للاستماع والفهم والإصغاء؛ بسبب تنوع أساليب العبارة الواحدة وتزاحم النكات البلاغية فيها فضلاً عن الأسلوبية[2].

الظواهر الأسلوبية لطول الجملة القرآنية :

لا يخفى أن القرآن الكريم يعكس أسرار التركيب في اللغة العربية، إذ يتجلى فيه التفنن في التعبير في تأدية الغرض الذي يريده، ومن ذلك ما يخص طول الجملة أو قصرها وارتباطه بعملية الإبداع، إذ كلما قصرت الجملة وأدت معاني كبيرة وكثيرة في الوقت نفسه بدت الجملة القرآنية أكثر

---

(١) وللمزيد من الشواهد القرآنية على وقوع الاعتراض بين الجمل ينظر: من أساليب التعبير القرآني : ١٨٨-١٩٧ ومن روائع البديع في القرآن الكريم: ١٩٤-٢٠٣ وسورة هود دراسة لغوية ودلالية: ٢٢٠-٢٢٢.

(٢) ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ١٩٤.

إبداعا وأعظم مكانة وأشد بلاغة، وأوفى معنى ويتم ذلك كله مع مراعاة بعض المقامات التي يلائمها الطول والإسهاب في إيصال المضامين.

وللقرآن منزلة خاصة في هذا المضمار، فضلاً عما أضافه من إمكانات كبيرة للنحو بالمفهوم الجمالي التركيبي مع استحداث طرق فنية تربط بين المفردات وبين الجمل والعبارات[1]، مؤديا بذلك دلالات اتسمت بالتنوع والكثرة بما يتلاءم وأغراضه عامة، وما يتصل بالجملة ومقاصدها خاصة ومن أبرز تلك الظواهر الكامنة في الصياغة والتعبير:-

١- التطويل مع قدرة الاختصار:-

فالأسلوب القرآني يتفنن في التعبير عن المعنى المراد من خلال الصياغة، فيمكن أن يأتي بجمل عديدة في سياق معين على حين لو نظرنا إلى هذه الجمل وجدنا أنه يمكن اختصارها في جملة واحدة مع إيفاء المعنى، إلا أن الأسلوب القرآني قد آثر التطويل لنكتة دلالية وأسلوبية معينة. فمن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[2]، فالآية الكريمة قد احتوت على جمل عديدة، وكان يمكن للأسلوب القرآني - المعجز - اختصارها في جملة واحدة موجزة كل الإيجاز - وتفي بالمعنى - وذلك كقوله **(أعرض عنهم)** أو **(ليس لك من الأمر شيء)** أو **(أنهم لا يهتدون)** كما ورد ذلك في غير موضع من القرآن الكريم أو غيرها من التعبيرات المختصرة أو

---

(١) ينظر: البلاغة والأسلوبية: ٤٣.

(٢) سورة التوبة: ٨٠.

الجمل القصيرة، التي تفي بهذا المعنى وتؤدي الغرض. إلا أن القرآن الكريم قد جنح إلى هذا الأسلوب في التعبير أو العرض تمشياً مع ما في نفس النبي ﷺ من أملٍ في الاستغفار للمنافقين، فتكرار جمل الاستغفار تعبر عما في نفسه ﷺ من رغبة في ذلك الاستغفار(١).

ورد عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال (لما نزلت هذه الآية أسمع ربي قد رخص لي فيهم فوالله لاستغفرن لهم أكثر من سبعين مرة لعل الله أن يغفر لهم). فقال الله من شدة غضبه عليهم: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾)(٢). وبذلك انقطع الأمل في المغفرة لهؤلاء المنافقين.

وعلى كل حال فقد كانت الآيتان طويلتين في الموضعين لِما تضمان من جمل إلا أن هذه الجمل كان يمكن اختصارها- كما أسلفنا- إلا أن التطويل في الموضعين كان له ما يبرره من معنى.

---

(١) ينظر: محاسن التأويل: ٨/١٧٤-١٧٥ والإعجاز الفني في القرآن – د. عمرالسلامي: ١٤٢.

(٢) سورة المنافقون: ٦.

٢- التنويع بين الطول والقصر:

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1]، فنلاحظ في هذا السياق أن جملة الهداية قد وردت مرتين، المرة الأولى كانت فيها الجملة طويلة، وهي قوله تعالى ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ فقد طالت الجملة لأسباب عديدة ، منها طول بناء المفعول به الأول **(من اتبع رضوانه)** إذ إنه قد جاء على هيئة المركب الاسمي **(الموصول+جملة الصلة)** والمفعول به الثاني أيضا جاء على صيغة المركب الاسمي **(سبل السلام)**، أي: إنه مركب من المضاف والمضاف إليه ، علاوة على دخول الجار والمجرور في بناء الجملة. ونلاحظ أيضاً أن الفعل **(يهدي)**في هذه الجملة كان متعدياً في نفسه إلى المفعولين.

أما في جملة الهداية الثانية في السياق نفسه وهي قوله تعالى ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ فقد جاءت قصيرة قياسا بالجملة الأولى. ذلك أن المفعول الأول كان ضميراً متصلاً بالفعل، كما نلاحظ أيضا أن الفعل **(يهدي)** لم يتعد إلى المفعول به الثاني إلا بوساطة الحرف **(إلى)**.

---

(١) سورة المائدة: ١٦.

وإذا تأملنا الجملتين وجدنا أن هناك ما يقتضي هذا الاختلاف في النظم. فالجملة الأولى قد طالت؛ لأنها أشبه ما تكون بالبيان لما ورد في الجملة السابقة لها، وهي قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾(١) فالنور هو محمد ﷺ والكتاب هو القرآن الكريم، فلما تعددت أسباب الهداية طالت جملة الهداية؛ لأن الذي يعرف الهداية لابد من أن يُوضح له كيفية الهداية خاصة وأن سبل الهداية أو سبل السلام متعددة. إذن فالمقام هو مقام تفصيل وسبل السلام كثيرة وهي طرق الخير المتعددة في الإسلام ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٢). فجعل الله السبل متعددة للذين اهتدوا في الأصل المُعبر عنهم بقوله تعالى ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾.

وهذا هو السبب في طول هذه الجملة، أما الجملة الثانية-القصيرة- فهي تتحدث عن الهداية الأصلية التي تُخرج صاحبها من الظلمات إلى النور؛ لذلك جاءت مسبوقة بقوله تعالى: ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾(٣)، وهذا الهداية لا تحتاج إلى تفصيل؛ لأن الهداية تكون في أصلها إلى صراط واحد. فليس هناك إلا صراطٌ واحدٌ يجب اتّباعه وهو الصراط المستقيم.

---

(١) سورة المائدة: ١٥.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٣) سورة المائدة من الآية: ١٦.

لذلك قال الله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[1]. ثم زاد هذا الصراط بيانا وتوضيحا فقال: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[2]. فالمقام إذن ليس مقام تفصيل؛ لأن الذي في الظلمات يحتاج إلى من يخرجه منها ويدله على الطريق الصحيح ويوصله إليه لأنه ليس في الطريق الصحيح [3]. وهذا المعنى يحتاج إلى كلام مباشر وقصير بعيداً عن التطويل؛ فلذلك قال ﷻ: ﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ والله أعلم.

ويمكن أن تطول الجملة نفسها في موضعين مختلفين لنكته بلاغية وأسلوبية غاية في الدقة كما رأينا ذلك – سابقاً– في سياق سورة الكهف، ففي آية خرق السفينة قال العبد الصالح لموسى عليه السلام: ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾[4]، أما في آية قتل الغلام فقد قال له: ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾[5] فزاد القيد **(لك)** في هذه الجملة[6].

---

(١) سورة الفاتحة: ٦.

(٢) سورة الفاتحة: ٧.

(٣) ينظر: لمسات بيانية: ٤٢-٤٧.

(٤) سورة الكهف: ٧٢.

(٥) سورة الكهف: ٧٥.

(٦) ينظر: خصائص التراكيب: ٣١٩ والصفحة (٧٧) من هذا البحث.

٣- **التقابل بين الجمل :**

إن التعبير القرآني يلجأ – كثيراً- إلى عدم إطالة الجملة، وذلك على وفق فن التقابل بين الجمل المتضادة ، أي التي تحمل معاني متضادة، فبدل أن يُطيل في بناء الجملة أو يعدد ما تحمل الجملة من معانٍ يأتي بالضد في جملة أخرى لهذا المعنى الذي تحمله، فيكون المعنى مجملاً – مختصراً – والجملة في الحالتين قصيرة البناء، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ** ﴾[١]، فنلاحظ ذلك التقابل بين جملة **(وما تغيض الأرحام)** وجملة **(وما تزداد...)** المعطوفة عليها. فجملة **(تغيض)** مناقضة لجملة **(تزداد)** وكل من الجملتين تحمل معاني كثيرة قد عُفي السياق من سردها بذلك التقابل الذي وردت به الجملتان. علاوة على قِصَرها فإن مما تنقصه الأرحام و تزداده، عدد الولد، وهيئة جسده من تمام خلقه أو نقصانه. ويضاف إلى ذلك مدة الولادة فقد تكون تسعة أشهر أو أقل من ذلك، أو قد تزيد على ذلك فضلاً عن جنس المولود، ذكراً كان أم أنثى وما يتبع ذلك من رضى والديه أو عدمه، وكل صفة حاضرة أو مترقبة. المهم أن كل تلك المعاني وغيرها قد عبر عنها السياق القرآني بجملتين قصيرتين متقابلتين. فما أروعه من إيجاز في اللفظ وإكثار في المعاني[٢].

---

(١) سورة الرعد: ٨.

(٢) ينظر: النظم القرآني في سورة الرعد:٨٤ و ١٣٥-١٣٦ والإعجاز النحوي في القرآن الكريم – د.فتحي عبد الفتاح الدجني:١٧٩.

٤- **الدلالة بأقصر جملة على أوسع معنى:**

إن الأسلوب القرآني يعطي معاني واسعة بجمل قصيرة، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾[١] حيث جمع القرآن في هاتين الجملتين جميع الضمانات التي أعطاها الله لآدم بعد خلقه، إذ جمعت الجملتان بهذه الألفاظ وطريقة صياغتها كل أصول معايش الإنسان. وإذا نظرنا إلى الفعل (تضحى) وحده وجدناه يغطي دلالات المأوى والسكن، وفي نفيه في هذا السياق قد ضمن الله ﷻ للإنسان الأمن والسلامة من شمس الضحى في مسكنه.

٥- **التفصيل بعد الإجمال:**

إن الإجمال في جملة قصيرة والتفصيل لهذا الإجمال بجمل عديدة من الظواهر الأسلوبية المهمة في جمل القرآن الكريم من ناحية الطول والقصر، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٢] ففي الآية إجمال في قوله تعالى: (**فكلا أخذنا بذنبه**) وهو عبارة عن جملة قصيرة غير محفوظة الرتبة، فتقدم فيها المفعول به على الفعل، وهي مع ذلك جملة بسيطة. ثم جاء التفصيل بعد

---

(١) سورة طه: ١١٨-١١٩.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٠.

ذلك بجمل عديدة معطوفة، تفصّل ما أُجمل في الجملة الأولى. ولكن إذا نظرنا إلى هذه الجمل التي جاءت بعد الجملة الأولى، وجدنا أنها قد اتصلت معها عن طريق العطف بالواو. ومع أنها جمل مستقلة من ناحية البناء إلا أنها لا يمكن أن تنفصل عن الجملة الأولى من ناحية المعنى[1].

وكأن السياق كله أصبح جملة واحدة طويلة توضح وتفصح عن هؤلاء الأقوام الذين أخذهم الله سبحانه وتعالى بذنوبهم، علاوة على كوننا لا نستطيع أن نقف عند نهاية أي منها إلا عندما ينتهي ذلك التفصيل ، فالجمل متلاحمة في هذا السياق أشد التلاحم. فقد ابتدأ السياق- أي التفصيل- بالحاصب وهي الريح العاصف التي فيها حصباء، وقد وجهها الله سبحانه وتعالى إلى قوم لوط عليه السلام. والجملة الثانية **(ومنهم أخذتهم الصيحة)** كانت من نصيب قوم شعيب وصالح عليه السلام أي مدين وثمود. أما الخسف في الجملة الثالثة **(ومنهم من خسفنا به الأرض)** فكان من نصيب قارون، أما الغرق فكان لقوم نوح عليه السلام وفرعون. وهذا التسلسل في العذاب غير منقطع حتى نهاية الجمل التي تفصل العذاب أي عند **(أغرقنا)**، وكان الترتيب في آيات العذاب متناسقاً حيث بدأ بما نزل من السماء وهي الريح الحاصب ثم بالصيحة التي وقعت على الأرض أي سطحها ثم الخسف حيث غارت بهم داخل الأرض، ثم الغرق حيث النزول بهم إلى أعماق البحر. وهكذا فالسلسلة مرتبطة في حلقاتها حتى النهاية كارتباط الجملة

---

(١) ومنه قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ (سورة النور:٤٥) .

بعناصرها. وكان ذلك كله مجملاً في جملة واحدة قصيرة وهي قوله تعالى (**كلاً أخذنا بذنبه**)(١).

وقد ربُطت الجملة الفرعية-جمل العذاب- بوسيلتين، الأولى (**الواو**) والثانية (**منهم**) حيث كان الربط بها أشد وأقوى؛ وذلك من خلال تكرارها أربع مرات وذلك للتنويع بحسب الأقوام الذين نزل بهم العذاب.

ونلاحظ هذه الخاصية أيضا في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ** ﴾(٢). فنلاحظ إن جواب السؤال وهي الجملة (**هي عصاي**) في حقيقتها جملة قصيرة وبسيطة جداً، فلم تتألف إلا من المسند والمسند إليه، وهما المبتدأ (**هي**) والخبر (**عصاي**). ولكن لما أراد السياق القرآني أن يبين أن هذه العصا هي مجرد عصا جعل موسى عليه السلام يطيل الكلام عنها ويسترسل ليبين لاحقاً إنها قد أصبحت أفعى بقدرة الله عز وجل وليس لأنها عصا سحرية تختلف عن غيرها من العصي. فكان لابد من إطالة الجملة من خلال التفصيل لبيان ماهيّة العصا منذ البداية، وأنها سوف تتحول إلى أفعى بأمر الله وأنه قادر سبحانه على تحويل أي عصا أخرى إلى هذه المعجزة الإلهية وبيان نبوة موسى عليه السلام للقوم. علاوة على وجود قصد آخر

---

(١) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ١٣٥-١٣٦.

(٢) سورة طه: ١٧-١٨.

كان في نفس موسى عليه السلام وهو حبه ورغبته في إطالة الكلام في حضرة الذات الإلهية؛ فزاد في الكلام وذكر أوصافاً لعصاه لم يُسأل عنها(١).

(١) ينظر: من بلاغة القرآن:١١٨وخصائص التراكيب:١٩١- ١٩٢ والمعاني في ضوء أساليب القرآن:٨٠.

الفصل الثاني

أساليب
الجملة القرآنية

١. التوكيد
٢. النفي
٣. الاستفهام

توطئة:

مما لا يخفى أن القرآن الكريم هو أرقى أساليب البيان العربي؛ ولذلك فإننا لا يمكن أن نصل إلى ذروة التذوق الفني للجملة العربية حتى نضع أيدينا على أهم أسرار التعبير في أسلوب الجملة القرآنية؛ لأن الحديث عن جمل القرآن الكريم هو حديث عن أبرز وجوه الإعجاز القرآني، وهو حديث عن جودة النظم وحسن السبك. ومن المعروف أن نظمه وتأليفه هو الوجه الذي تميز به عن سائر الكلام، وقد تعاضد في هذا النظم بلاغة معانيه، وفصاحة ألفاظه، وتناسق جمله.

ومن تلك الوجوه التي تعبر بها الجملة القرآنية عن المعاني الإعجازية هو استعمالها **للأساليب اللغوية** التي تتيحها اللغة ولكن الاستعمال القرآني له وجوه مختلفة ومميزة. وتتكون هذه الأساليب اللغوية من خلال دخول الأدوات المستعملة في تلك الأساليب على تركيب الجملة[(١)]، فيتكون أسلوب الاستفهام ـ مثلاً ـ من دخول أدوات الاستفهام على تركيب الجملة . الاسمية أو الفعلية . فيعطينا ذلك دلالة **الاستفهام وكذلك النفي والشرط والقسم** وغيرها[(٢)]. وتختلف المعاني التي نحصل عليها في أسلوب الجملة باختلاف الأدوات الداخلة على الجملة سواء ذلك كان في الإنشاء أم الخبر. ومن هذه الأدوات – التي تنتج من دخولها على

---

(١) أي: إن الأسلوب هو حصيلة تضام الأداة مع الجملة.

(٢) ينظر: الألسنية العربية–ريمون طحان: ٢/٨٤.

الجملة الأسلوب اللغوي – ما يتسلط على أحد العناصر في بناء الجملة ومنها ما يتسلط على عناصر بناء الجملة جميعها.

وسنتناول في هذا الفصل من هذه الأساليب **التوكيد والنفي والاستفهام**[١]، إذ إن التوكيد يمكن أن يكون مسلطاً على أحد عناصر الجملة ويمكن أن يكون مسلطاً أو شاملاً للجملة بأكملها– تبعا للمؤكد الداخل في الجملة – فيكون عندئذٍ مؤكِداً للإسناد الذي تم بين طرفي الجملة الاسمية أو الفعلية[٢].

أمّا الاستفهام والنفي[٣] فهما من المعاني التي تتسلط على عناصر الجملة كلها فتحول معناها إلى المعنى الذي تم بدخول تلك الأداة. إذ إننا إذا سلطنا النفي – مثلاً – على الجملة فلا يتوجه النفي إلى أحد طرفيها وإنما يتوجه إلى الحكم القائم بين الطرفين[٤].

---

(١) لقد آثرنا البحث في هذه الأساليب في هذا الفصل لأن أدواتها يمكن أن تدخل في الجملتين الاسمية والفعلية على السواء. أما الأساليب التي تخص بدخولها على إحداهما، كما في النداء والأمر وغيرها فليس موضعها هنا، فضلاً عن كون هذه الأساليب الأكثر شيوعاً في الاستعمال القرآني.

(٢) ينظر: في النحو العربي– قواعد وتطبيق: ١٥٦.

(٣) أما الشرط والقسم فآثرنا أن نجعلهما ضمن الفصل الثالث – التلازم بين الجمل– لأنهما في الأصل قائمان على جملتين متلازمتين.

(٤) ينظر: خصائص التراكيب: ٢٨٤ وبناء الجملة العربية: ١٩٠.

التوكيد:-

التوكيد من المعاني المهمة التي تطرأ على الجملة العربية بشكل عام وعلى الجملة القرآنية بشكل خاص، ذلك أن التوكيد يعني تثبيت الشيء وتقريره(١).

يقول الزركشي: **(فإن كان المخاطب ساذجاً أُلقي إليه الكلام خالياً من التأكيد، وإن كان متردداً فيه حسن تقويته بمؤكد، وإن كان منكراً وجب تأكيده)**(٢) والمتتبع لجمل القرآن يرى أن القرآن الكريم قد يؤكد في مواضع كثيرة فيه وليس في ذهن المخاطب شيء من التردد أو الإنكار ٠ بل يكون التوكيد لزيادة الاهتمام في الشيء المؤكَد ولتثبيت معناه(٣).

من أجل ذلك كان اهتمام البلاغيين بدواعي وأغراض التوكيد بقدر ما يتعلق الأمر بتقوية المعنى وتثبيته، لذلك فقد توسع البلاغيون في التوكيد ليشمل ظواهر بلاغية كثيرة أفادت فيما إفادته التوكيد أيضاً كما في التشبيه والاستعارة والكناية وبعض الأنواع التي تفيد المبالغة في المعاني وتثبيتها(٤).

---

(١) ينظر: في النحو العربي– قواعد وتطبيق: ١٥٦.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢/٣٩٠.

(٣) كما نرى ذلك في تحليل بعض الجمل القرآنية في هذا المبحث.

(٤) ينظر: اللغة في الدرس البلاغي–أطروحة دكتوراه – عدنان عبد الكريم جمعة ، جامعة البصرة،كلية الآداب: ٢٥٤.

إن التوكيد يمكن أن يكون مسلطاً على أحد العناصر في الجملة ويكون مؤكِداً له، ويمكن أن يكون التوكيد شاملاً للجملة بأكملها فيكون عندئذٍ مؤكِداً للإسناد الذي تم بين طرفي الجملة(١).

فالتوكيد من الخصائص المهمة في أُسلوب الجملة القرآنية؛ ذلك أن التوكيد في القرآن الكريم وحدة متكاملة منظور إليه نظرة شاملة فهو يؤكد في موضع ما بإحدى الأدوات أو الطرق ويترك التوكيد أو يزيد عليه أداة أخرى في موضع آخر يبدو مشابهاً له، وذلك لانعدام الحاجة إلى التوكيد لعدم وجود المسوغ له أو للحاجة في إيراد مؤكدات أخرى تبعاً للسياق الذي ورد به التوكيد(٢).

ومما ذكره الدكتور أبو موسى من دواعي التوكيد وأغراضه في أسلوب القرآن الكريم:أن التوكيد قد يكون لتحقيق المعنى عند المتكلم، وهو يريد أن يوطن نفس المخاطب لتلقيه، ومنها مواجهة إنكار المخاطب، ومنها إماطة الشبهة لغرابة الخبر وحاجته إلى التقرير والتحقيق، وقد يكون التوكيد مظهراً لتعلق النفس بالخبر واهتمامها به، وأنه جدير عندها بالتقوية والتقرير اهتماماً به، وشدّاً للأذهان إليه، وقد يكون التوكيد لمواجهة تطلعات النفس وحسم آمالها وأطماعها، وقد يكون لتقرير وعد الله وتثبيته

---

(١) ينظر: في النحو العربي: قواعد وتطبيق: ١٥٦.

(٢) ينظر: التعبير القرآني: ١١٥-١٢٠.

حتى تزداد النفوس اطمئنانا إليه ووثوقا به، فلا تلتفت إلى أماني الشيطان وتزيينه[١].

طرق التوكيد وأدواته:

ومؤكِدات الجملة القرآنية كثيرة ومتنوعة ولا يمكننا الإحاطة بها ذلك أن **(كثيراً من طرق بناء الكلام تعطيه تقوية ووكادة فالذكر قد يفيد توكيداً والوصل والفصل والتكرار والاعتراض والالتفات وصور التشبيه والاستعارة وأنواع المجاز والكناية كل هذه وغيرها تفيد أنواعاً من التوكيد والمبالغة في تثبيت المعنى أو نفيه)**[٢]، إلا أن هناك أدوات وطرق مشهورة في التوكيد وبها عرف في دلالتها الأصلية ويكون التوكيد بهذه الطرق أو الأدوات في الجملة هو توكيد الإسناد الذي تم بين طرفي الجملة[٣].

وأدوات التوكيد في الجملة - كما ذكرها النحويون والبلاغيون - هي: **(إنّ)** ولام الابتداء، وضمير الفصل، والقسم، و**(إما)** الشرطية، وحرفا التنبيه **(ألا)** و**(أما)**، والحروف الزائدة:**(أن)** و**(إن)** و**(ما)** و**(من)** و**الباء**، و**(قد)**

---

(١) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٤٢-٢٤٤ وخصائص التراكيب: ٩٤-٩٩.

(٢) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٤٥.

(٣) ينظر: في النحو العربي - قواعد وتطبيق: ١٥٦.

التي هي للتحقيق، والسين وسوف الداخلتان على فعل دال على وعد أو وعيد ، وتكرير النفي، و(**إنما**)،ونونا التوكيد)[1].

وهذه الأدوات وردت في كثير من الآيات والجمل القرآنية، وكان استعمالها في السياق القرآني غاية في الدقة والبلاغة؛ لما يتطلبه السياق حتى يحقق المعنى المراد، وسوف نتناول بعض ما ورد من أدوات التوكيد في أسلوب الجملة القرآنية بالعرض والتحليل.

فمن أدوات التوكيد المهمة هي (إنّ) وهي الأصل في التوكيد[2]، وهي خاصة بالدخول على الجملة الاسمية؛ لذلك يرى الدكتور المخزومي أنها يمكن أن تركب مع المسند إليه وتكون بمنزلة الكلمة الواحدة ويكون عندئذٍ حقها الرفع[3] كما في قوله تعالى:﴿**هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ**﴾[4].

ولا يمنع تخفيف (إنّ) من إفادتها التوكيد، سوى أن المضعفة النون آكد من المخففة. أما (أنّ) المشددة المفتوحة الهمزة فهي كالمكسورة إلا إنها تجعل ما بعدها مفرداً بوصفه مصدراً مؤولاً ومؤكداً. فالمهم بعد ذلك هو أن كلاً منهما يفيد التوكيد، وأنهما تتصدران الجملة. ومن أبرز خصائصها

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها: ١/١١٤.

(٢) ينظر: المرجع نفسه:١/١١٥.

(٣) ينظر:في النحو العربي- قواعد وتطبيق: ١٥٧ويمكن مراجعة توجيه قراءات (إنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) في مشكل إعراب القرآن- أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي:٢/٤٦٦ وشرح المفصل:٣/١٢٩-١٣٠.

(٤) سورة طه: ٦٣.

أنها تربط الجملة بما قبلها، فلو أُسقطت لذهب رونق النظم وأصبح الكلام مفككاً. وهناك خصائص أخرى لها ذكرها صاحب دلائل الإعجاز[1].

وقد استُعملت (إنَّ) كثيراً في أسلوب جملة القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2]. فنلاحظ دخول (إنَّ) على الجملة الاسمية للتوكيد . توكيد نسبة الخبر إلى اسم (إنَّ). ونلاحظ كذلك دخول لام الابتداء(اللام المزحلقة) على خبرها- وهذا كثير في السياق القرآني - وذلك زيادة في التوكيد ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾[4].

ومن أدوات التوكيد في الجملة القسم. وقد يكون بالواو، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[5]، وقد يكون بالباء أو التاء كذلك، ويدخل على الجملتين الاسمية والفعلية، كما في قوله تعالى﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ

---

(١) ينظر : دلائل الإعجاز: ٢٥٠-٢٥٢.

(٢) سورة البقرة: ١٤٣

(٣) سورة الحشر: ١٣.

(٤) سورة البقرة: ٢٢١.

(٥) سورة النساء: ٦٥

﴿مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ﴾[2]، وسوف نفصل القول في أسلوب القسم في التعبير القرآني في الفصل الثالث من هذا البحث.

أما ضمير الفصل فمختص بالوقوع بين جزأي الجملة، ويسميه البصريون(**فصل**) ويسميه الكوفيون(**عماد**)[3]. وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة[4]. ويفيد التوكيد ويوجب بأن يكون المسند ثابتاً للمسند إليه دون غيره، كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[5]، وقد سميت هذه الضمائر بضمائر الفصل بناءً على شكلها شكلها البنائي في الجملة فهي تأتي بين أركان الإسناد في الجملة فتفصلها من ناحية الإسناد، أما من ناحية الدلالة فهي من وسائل الربط القوية في الجملة إذ تخصص المسند بالمسند إليه فتكون الجملة أكثر توكيداً، فإذن تسميتها بـ(**ضمائر الفصل**) من باب الاستعمال اللفظي أو البناء الشكلي للجملة ، أما من ناحية المعنى فهي للتوكيد والربط والتخصيص.

---

(١) سورة يوسف: ٨٥.

(٢) سورة الأنبياء: ٥٧.

(٣) ينظر: شرح المفصل: ٣/١١٠ والمصطلح النحوي: ١٧٥.

(٤) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١/١١٦-١١٧ والفصل والوصل في القرآن الكريم: ٩٣.

(٥) سورة البقرة: ٤.

ومن المظاهر الأسلوبية في أسلوب القرآن الكريم مجيء الجملة اسمية فيكون فيها الخبر جملة، فيبنى الفعل على الاسم (الضمير) وهذا كثير في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾(٢)، وقوله تعالى﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾(٣)، فنلاحظ في جميع الأمثلة السابقة أنه لو لم يأت بالفعل مبنياً على الاسم لاختلف المعنى ، أي: إنه لا يتحقق المعنى المراد إلا ببناء الفعل على الاسم ، أي مجيء الخبر جملة فعلية(٤).

ويأتي التوكيد أيضاً عن طريق البناء على الاسم (الضمير) عندما تكون الجملة الفعلية –الخبر– منفية ، وفي هذه الحالة يكون مجيء الضمير لتوكيد المحكوم عليه لا الحكم كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾(٥). فأصبحت الجملة بوجود الضمير أكثر توكيداً في نفي الشرك عنهم، على حين لو كانت الجملة خالية من الضمير على نحو

---

(١) سورة الأعراف: ١٩٦.

(٢) سورة الفرقان: ٥.

(٣) سورة النمل: ١٧.

(٤) ينظر: الإيضاح: ٣٦.

(٥) سورة المؤمنون: ٥٩.

(والذين لا يشركون بربهم)، لما أفادت في نفي الشرك عنهم كما أفادته الجملة الأولى[1].

ويكثر بناء الفعل على الاسم في أسلوب الجملة القرآنية عندما يكون الخبر مخالفاً لمقتضى الدليل كما في قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ** ﴾[2]، فجملة **(وهم يخلقون)** هي جملة اسمية جاء فيها الخبر جملة فعلية، والمعنى فيها مخالف لمقتضى حال عبادتهم؛ لأن المعبود لا يكون مخلوقاً، فكان عليهم أن ينكروا ذلك فوجب توكيد أن هؤلاء الذين يدعونهم من دون الله هم أنفسهم يُخلقون، فجملة **(وهم يخلقون)** هي جملة حالية جاءت لتؤكد عدم استحقاقها العبادة؛ لأنها ذوات مفتقرة إلى الإيجاد[3].

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ** ﴾[4]، ففي الآيات التي قبلها كان السياق يتحدث عن الاستهانة بآلهتهم وتسفيه عابديها ثم إظهار عدم المبالاة بالعابدين والمعبودين، فأشار الرسول ﷺ إلى القوة التي تدفع عنه وتجعله يعارضهم هذه المعارضة فقال **(إنّ وليي الله الذي انزل الكتاب)** فساق الكلام مؤكداً ليشعرهم بوثوقه فيه،

---

(١) ينظر: الإيضاح: ٣٥-٣٦.

(٢) سورة النحل: ٢٠.

(٣) ينظر: محاسن التأويل: ٥١١/١٠ وخصائص التراكيب: ٢٢٣-٢٢٤.

(٤) سورة الأعراف: ١٩٦.

وانـه يقولـه بموفـور الثقـة ويقين الاعتقـاد ولهـذا جـاء بقولـه (**وهـو يتـولى الصالحين**) للتوكيد ليلائم هذا السياق الذي يقرر لهم فيه حال يقينه وثقته بربـه، ثـم تـراه يـذكر بعـد ذلـك قولـه تعـالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾[1]، فأشـار إلـى مـا يقابل ثقتـه في ناصره سبحانه من عجز آلهتهم من نصرهم. إذ لو أنـه قـال (**يتـولى الصالحين**) بدون بناء الفعل على الاسم (**الضمير**) الذي جاء للتوكيد لكان الكلام خالياً من التوكيد ولم يؤدِ المعنى على الوجه الصحيح[2].

وفــي قولــه تعــالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[3]، فإن معنى (**يوزعون**) هو أن يحبس أولهم على آخرهم بإيقاف أولهم حتى يلحق به آخرهم، وجملة (**فهم يوزعون**) جملة اسمية أُسند فيها الفعل إلـى الاسـم (**الضـمير**) وذلـك ليؤكـد هـذا الخبـر الغريـب فتـأنس بـه النفـوس لأن حشـر الإنـس والجـن والطيـر علـى هـذه الهيئـة مـن الإيـزاع والتداخل أمر غريب تحتاج النفوس إلـى مـا يؤنسـها بـه، ولـو قـال:يوزعون هكذا مرسلاً من غير توكيد بالضمير لما كان التعبير ملائماً لحال النفس المتلقية لمثله والتي تحتاج كما بيّنا إلى ما يؤنسها بالأمر الغريب.

---

(١) سورة الاعراف: ١٩٧.

(٢) ينظر: خصائص التراكيب: ٢٢٤-٢٢٥ والبرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: ٢١٦-٢١٧.

(٣) سورة النمل: ١٧.

ذلك أن التوكيد من أدق العناصر الأسلوبية والبلاغية في الجملة القرآنية[1]، وعليه يمكن أن يعدّ بناء الفعل على الاسم (**الضمير**) في الجملة القرآنية أحد عناصر التوكيد المهمة؛ لأنه يزيد في قوة المعنى وتثبيته.

ومن عناصر القوة في الجملة القرآنية الحروف الزائدة مثل (**لا**) كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[2]، فان **(لا في ((ألاّ تسجد)) صلة بدليل قوله: ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي، ومثلها ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾**[3]**، بمعنى ليعلم فإن قلت ما فائدة زيادتها؟ قلت توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه)**[4].

ومثل ذلك (أن) الزائدة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾[5] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾[6]، و**الباء** الزائدة في خبر ليس و(**من**)

---

(١) ينظر: خصائص التراكيب: ٢٢٦-٢٢٧.

(٢) سورة الأعراف: ١٢.

(٣) سورة الحديد من الآية: ٢٩.

(٤) الكشاف: ٢/٧٠.

(٥) سورة العنكبوت من الآية: ٣٣.

(٦) سورة يوسف: ٩٦.

التي تفيد الاستغراق كما في قوله تعالى:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾[1]، وتكون زائدة للتوكيد بشرطين:الأول:أن يسبقها نفي أو نهي والثاني:أن يكون مجرورها نكرة[2].

ومن أدوات توكيد الجملة القرآنية **(قد)** وهي خاصة بالجملة الفعلية فتدل على التأكيد إذا قُصد منها تحقيق الفعل الذي دخلت عليه، ولا فرق في ذلك بين دخولها على الماضي كما في قوله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[3]، أو المضارع كما في قوله:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾[4]، وقوله تعالى:﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[5].

أما الـ**(سين)** و**(سوف)** فيدخلان على الفعل المضارع فيخلصانه للاستقبال، إلا أن الـ(سين) تدل على الزمن القريب ويدعى **(التنفيس)**، و**(سوف)** تدل على الزمن البعيد ويطلق عليه **(التسويف)**، وتكونان للتوكيد

---

(١) سورة النحل من الآية: ٥٣.

(٢) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني- حسن بن قاسم المرادي:٣٢١ والبلاغة فنونها وأفنانها: ١/١١٨-١١٩.

(٣) سورة المؤمنون: ١.

(٤) سورة الصف: ٥.

(٥) سورة الأحزاب: ١٨.

إن دخلتا على مضارع فيه الوعد والوعيد كما في قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[1].

ومن الأدوات (**نونا التوكيد**) الثقيلة المشددة والمخففة المفتوحة وقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾[2]، والتوكيد بنوني التوكيد في الأفعال مقابل التوكيد ب(**انّ**) في الجملة الاسمية[3].

وفيما مرّ بنا أبرز أدوات وعناصر التوكيد في الجملة القرآنية وهناك عناصر يمكن أن تؤدي غرض التوكيد في بعض الاستعمالات كما في لفظة (**كذلك**) في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾[4]، إذ أن الغرض الأساسي في استعمال (**كذلك**) هو التشبيه. ولكن لا يمكننا القول أن (**كذلك**) فد أدت غرض التشبيه في سياق الآية الكريمة. إذ أن التشبيه في مثل هذا التركيب أمر مستبعد وغير منطقي. ولكنها قد أفادت في هذا السياق التحقيق إذ كونت مع مبتدئها المحذوف جملة مستقلة[5].

---

(١) سورة الطلاق من الآية: ٧.

(٢) سورة يوسف من الآية: ٣٢.

(٣) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١/١٢٠.

(٤) سورة مريم من الآية: ٩.

(٥) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه – محي الدين الدرويش: ٦/٧١.

كما إن(**كذلك**) هنا أفادت التوكيد على حدوث الحمل وتحقيقه وكأن لحظة التكلم قد تزامنت مع الحمل محققاً مؤكداً لا نقاش فيه.

وهناك كثير من الكلمات التي تحمل الكثير من المعاني، والتي لا يمكن تحديد معناها المقصود إلا بالنظر إلى السياق الذي وردت فيه تلك الكلمة، والعنصر الاجتماعي الذي خرجت من بين تضاعيفه والذي فرض عليها أن تكون في هذا السياق أو ذاك(١).

التوكيد بالقصر:

من أبرز طرق التوكيد في الجملة التوكيد بالقصر، وهو اختصاص المقصور بالمقصور عليه. لا يتعداه إلى غيره، وقصره عليه وارتباطه به، والقصر ليس معنى بلاغياً بل هو معنى وظيفي نحوي، إذ القصر هو التوكيد بل هو من الدرجات العالية في التوكيد، فإذا قلنا: محمد رسول، وصفنا محمد ﷺ بالرسالة وإذا أردنا توكيد تلك النسبة قلنا (**إنّ محمداً رسول**) وإذ ما أردنا أن نبالغ في هذا التأكيد والإسناد قلنا (**ما محمد إلا رسول**) فالقصر إذن هو مبالغة في تأكيد المعنى وظيفياً(٢).

وللقصر طرائق أربع:-

١-النفي والاستثناء:وترتيبه: **النفي+المقصور+الاستثناء+المقصور عليه**) وهذا الأسلوب كثير جداً في الاستعمال القرآني.

---

(١) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية- د.تمام حسان: ١٢٧.

(٢) ينظر: علم المعاني – د.حسن طبل:١٥٦ وبلاغة الكلمة والجملة والجمل:٢٤٥.

٢-القصر بـ(إنما):وتفيد (إنما)القصر لتضمنها معنى **(ما وإلا)** ويأتي المقصور معها مؤخرا دائماً ويكون ترتيب الجملة معها على نحو **(إنما + المقصور+ المقصور عليه)**، والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، فقصر **(المؤمنون)** على صفة **الإخوة** (قصر موصوف على صفة) وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2].

ومن الملاحظ أن التوكيد عن طريق النفي والاستثناء أو(**القصر بالنفي والاستثناء**) كثير في أسلوب القرآن الكريم، ويأتي دائماً لنفي ما سبق في السياق، سواء أكان هذا الذي سبق ملفوظا أو ملحوظا، ونراه في الغالب سابقاً لمعنى منفي ثم يأتي هذا الأسلوب مؤكِدا لذلك المعنى المنفي، أي: إنه أسلوب نفي يؤكد نفياً سابقاً بطريق غير مباشر؛ مما يعطي الكلام قوة إلى قوته، ويزيده بياناً إلى بيانه، وكما هو معلوم أن التعبير غير المباشر أبلغ من التعبير المباشر، إذ كم من الأساليب المجازية تؤدي غرضاً لا تؤديه الحقيقة[3].

---

(١) سورة الحجرات: ١٠.

(٢) سورة فاطر: ٢٨.

(٣) ينظر: من أسرار اللغة: ١٩٤ وأساليب النفي في العربية- د.مصطفى النحاس: ١٢٧.

ويمكن أن يتجه الأسلوب القرآني إلى توكيد أمر معروف فيأتي بهذا الأسلوب للفت الانتباه والتوكيد، وذلك كما في قوله تعالى:﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[1]، فمن المعروف أن هذه الآية نزلت بعد معركة أُحد التي أُشيع فيها قتل النبي ﷺ ؛ مما أدى إلى تشتت المسلمين في هذه المعركة[2]، فأراد الخالق ﷻ أن يبين للمسلمين بعدها أن الرسول ﷺ بشر فيمكن أن يموت أو يُقتل، وليس له قدرة خارقة خارجة عن كونه بشر، فنفى ما دار بخلدهم من أن له القدرة والسلطان ما ليس في إمكانات البشر[3].

ومن المناسب أن نشير هنا إلى الفرق بين القصر بـ(**إنما**) والقصر بالنفي والاستثناء في التوكيد في أسلوب القرآن الكريم، فلو أخذنا قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[5] لتبين لنا أن السياق الأول هو سياق نفي في حين أن السياق الثاني هو سياق تقرير وإثبات. وللاحظنا أيضا أن السياق الأول ليس المراد منه إثبات أنه نذير مبين بل المراد هو النفي، أي نفي أن يكون به جِنّة وهو توكيد للنفي الأول، أما في

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير: ١/٥٦٠-٥٦١.

(٣) ينظر: أساليب النفي في العربية: ١٢٧

(٤) سورة الأعراف:١٨٤.

(٥) سورة الملك: ٢٦.

سياق الآية الثانية فكان المراد هو إثبات وتحقيق أن العلم مقتصرٌ على الله سبحانه، هذا أولاً ، وثانياً إثبات كون الرسولﷺ نذيراً مبيناً، وقصر هذه الصفة عليه.

وهناك فرق آخر بينهما وهو أن **(إنما)** تستعمل في رد الشيء إلى حقيقته وذلك إذا وُصف بصفات لا تليق به كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[1] وذلك لمن يعتقد أن الرسولﷺ ليس من البشر، وعليه تكون **(إنما)** قد جيء بها لتوكيد الإثبات، أما القصر بالنفي والاستثناء فيأتي لتوكيد النفي كما مر بنا، وبذلك يتضح الفرق بينهما[2].

٣- العطف:ويكون بـ**(لا أو بل أو لكن)** فإذا كان طريق القصر (العطف بلا) يكون ترتيب الجملة هو :المقصور+ المقصور عليه+لا.

أي أن يكون المقصور عليه هو المقابل لما بعدها **(المعطوف عليه)**. أما إذا كان طريق القصر بالعطف المنفي مع بل أو لكن فيكون المقصور عليه ما بعدهما:(النفي+المقصور+العاطف+المقصور عليه)، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[3] فقصر محمد ﷺ على كونه رسول الله[4].

---

(١) الكهف من الآية: ١١٠.

(٢) ينظر: أساليب النفي في العربية: ١٢٧-١٢٩ و هذا البحث الصفحات: ١٢٦-١٢٨ و ١٣٣.

(٣) الأحزاب من الآية: ٤٠.

(٤) ينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ٢٤٩-٢٥٠.

٤ - التقديم: يقدم المتكلم في الجملة ما تجد النفس أن تقديمه أبلغ من تأخيره. فيُقدم في الجملة ما كان هو المحور الذي يدور عليه الحديث وهو المقصود. فيكون التقديم فيه القصر والتخصيص وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾[١] فنلاحظ في جملة **(لا فيها غول)** قصر نفي الغول وهي المقصور على خمر الجنة وفيها تخصيص بأن خمر الجنة فقط توصف بهذا الوصف، وقد نفى كل ما توصف به خمر الدنيا من اغتيال العقل وذهابه وغيرها من آفات خمر الدنيا، ولو كانت الجملة على نحو(لا غول فهيا) لما أدت الغرض ولتبادر إلى الذهن أن خمر الآخرة تشترك مع خمر الدنيا في عدم الغول ولكن هناك تفاوت في الدرجة، أما في **(لا فيها غول)** فمعناها أن خمر الآخرة مبرأة تماماً من أي نوع من الغول أو النزف مهما كانت درجته أو هيئته أو أثره. لذا جاء القصر هنا ليؤكد ذلك المعنى؛ وليخصصه بخمر الآخرة دون خمر الدنيا[٢].

التوكيد بالجملة الاسمية:

وقد يكون التوكيد عن طريق إيراد المعنى على صيغة الجملة الاسمية ذلك أن الجملة الاسمية بطبيعتها تدل على الدوام والثبوت فالتعبير بها يكون ذا دلالة على الدوام والاستمرار أي أن يكون ثابتًا مؤكداً كما في

---

(١) سورة الصافات: ٤٥-٤٧.

(٢) ينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ٢٥٠-٢٥١.وللزيادة في التفصيل ينظر: ٢٤٣-٢٦٠.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[1]، فنلاحظ في هذا السياق أن المنافقين لمّا خاطبوا المؤمنين خاطبوهم بالجملة الفعلية **(آمنا)** أما عندما توجهوا بالحديث إلى شياطينهم خاطبوهم بالجملة الاسمية **(إنا معكم)** وذلك يوحي أن إيمانهم كان ادعاءاً وليس على الحقيقة وأنهم يُظهرون الإيمان فقط والمؤمنون يصدقونهم؛ لأنهم مأمورون بأخذ الناس على ظاهرهم، أما شياطينهم فإنهم بحاجة إلى التوكيد مع الخطاب، وهذا يعني أن صفة النفاق جاءت بالجملة الاسمية؛ لتدل على الثبوت وهي الحقيقة الصحيحة؛ لأن مبدأ النفاق قائم على إظهار الإيمان والإسلام وإبطان الكفر[2].

ونظير ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[3]، فقد جاء العدول من الجملة الفعلية إلى الاسمية زيادة في التوكيد؛ لأن الاسمية آكد من الفعلية، علاوة على قوله **(مولود)** والسبب في ذلك أن هذا الخطاب كان موجهاً للمؤمنين الأوائل الذين قُبض آباؤهم على الشرك وعلى الجاهلية، فأُريد حسم آمالهم وأطماعهم في نفع آبائهم في الآخرة وأن يُغنوا

---

(١) سورة البقرة: ١٤.

(٢) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٤٣-٣٤٤ وخصائص التراكيب: ٩٣.

(٣) سورة لقمان: ٣٣.

عنهم من الله شيئا؛ فلذلك جيء به على الطريقة الأكثر تأكيدا وهي الجملة الاسمية(١).

وقد تأتي الجملة الاسمية في السياق القرآني مؤكدة لما قبلها على سبيل التذييل، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾(٢)، ففي الجملة الأولى قد بين الخالق ﷻ أن الحق هو ما أنزله الله من القرآن والإيمان والعلم النافع، وأن الباطل قد اضمحل وهلك. ذلك أن الباطل لا بقاء له مع الحق وجاءت جملة ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾الإسراء: ٨١ مؤكدة للمعنى السابق في الجملة السابقة، أي مؤكدة لزوال الباطل،أي أنها جاءت تحقيقاً لما قبلها من الكلام وزادته تأكيداً وخرجت مخرج المثل السائر(٣).

ونلاحظ ذلك في قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾(٤)، ففي الآية الكريمة هناك جملتان جاءتا لتوكيد

---

(١) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٤٤.

(٢) سورة الإسراء: ٨١.

(٣) ينظر: محاسن التأويل: ١٠/٦١٦-٦١٧.

(٤) سورة التوبة:١١١.

المعنى المتقدم الجملة الأولى هي ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾التوبة: ١١١؛ لأن الكلام كان قد تم قبل ذلك وحسُن السكوتُ عليه وإنما أراد الله سبحانه وتعالى أن يؤكد المعنى ويجعله أكثر وضوحاً؛ فجاء بهذه الجملة، وكذلك الجملة الثانية وهي **(ومن أوفى بعهده من الله)** فهي توكيد ثانٍ لما جاء في الآية الكريمة من معنى العهد الذي قطعه الله سبحانه وتعالى للمؤمنين[1].

التوكيد بالتكرار:

وقد يعمد السياق القرآني إلى التكرار وذلك لتوكيد المعنى وزيادة التنبيه سواء في النفي أو الإثبات ليكمل تلقي الكلام بالقبول فقد يكرر لفظاً معيناً كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[2]، فقد كرر لفظ **(ثم)** ولفظ**(ربك)** وليس في هذا التكرار ما يعيب الأسلوب أو يخل بالمعنى، وقد يكرر تركيباً معيناً أو عبارة معينة كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾[3]، فقد كرر التركيب **(يا قوم)** من أجل التوكيد وتطرية لنشاط السامع.

---

(١) ينظر: من روائع البديع في القرآن: ١٨٩-١٩٠.

(٢) سورة النحل: ١١٩.

(٣) سورة غافر: ٣٨-٣٩.

وقد يكون التوكيد من خلال تكرار جملة كاملة يعمد إلى تكرارها السياق القرآني مرات عديدة كما في سورة الرحمن حيث تكررت جملة **(فبأي آلاء ربكما تكذبان)** إحدى وثلاثين مرة، وسورة المرسلات قد تكررت فيها جملة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ المرسلات: ١٥ عشر مرات، وغيرها من سور القرآن الكريم(١).

التوكيد في الجملة القرآنية:

التوكيد من الخصائص المهمة – البارزة – في أسلوب الجملة القرآنية فهو وحدة متكاملة شاملة، فالأسلوب القرآني يؤكد في مواطن بإحدى الأدوات أو طرق التوكيد ويتركه أو يزيد عليه بأكثر من أداة في موضع آخر، علاوة على التنويع الحاصل في أسلوب القرآن الكريم باختيار المؤكدات فهو يؤكد في موضع ما بالنون الخفيفة – مثلاً – ويؤثر في موضع آخر النون المشددة أو بانّ المشددة مرة وان المخففة أخرى أو يستبدل حرفاً بحرف آخر وكل ذلك يكون بحسب الحاجة إلى ذلك وحال المخاطب ودقة الاختيار(٢)، ويدخل التوكيد في الجملة القرآنية بأساليب عديدة منها:

١- خلو الجملة من المؤكدات:

قد يترك أسلوب القرآن الكريم التوكيد في جملة ما، فلا نجد فيها أي نوع من أنواع التوكيد إلا أن هذه الجملة هي جملة محورية في ذلك

---

(١) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١/٤٨٧-٤٨٨.

(٢) ينظر: التعبير القرآني: ١١٥-١٢٠.

السياق، فعند النظر إليها من الوهلة الأولى نظن أنها بحاجة إلى التوكيد لكننا إذا أنعمنا النظر فيها مرة أخرى وجدنا أن أسلوب القرآن كان دقيقاً في إيراد المعنى؛ لذلك ترك السياق توكيدها، كما في قوله تعالى في سورة يوسف عندما امتنع يوسف عليه السلام عن زوجة العزيز فاتهمته بأنه أراد بها سوءاً: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾[1]، فإذا رجعنا إلى الجملة التي قالها يوسف عليه السلام وهي قوله ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ﴾يوسف: ٢٦ لوجدناها جملة اسمية الخبر فيها جملة فعلية، ولوجدنا أن هذه الجملة الاسمية خالية من أي أداة أو عنصر من عناصر التوكيد سوى اسمية الجملة. وإذا نظرنا إلى سياق الآيات الذي وردت فيه الجملة وجدناه سياق اتهام ليوسف عليه السلام وفيه من الظلم ما فيه لأن عاقبته سوف تكون السجن في النهاية، فكان ظاهر التعبير أن تكون الجملة موازية للاتهام الذي اتُّهم به قوة في التوكيد كأن يدخل عليها (إنّ) أو القسم أو غيره من عناصر التوكيد التي تناسب هذا الموقف، إلا أن السياق القرآني بأسلوبه الرفيع قد آثر أن تكون الجملة على هذه الصورة بدون أدوات توكيد؛ لتوحي بذلك على البراءة وأن يوسف عليه السلام لم يكن في نفسه إقدام على تلك الخطيئة البتة؛ وذلك لأن هذا القول قد استغنى بصدقه عن كل أدوات التوكيد وعن كل تفصيل، فقد جاء الرد موجزا،

---

(١) سورة يوسف: ٢٥-٢٦.

فسيدنا يوسف عليه السلام يدفع التهمة عن نفسه بهذا الرد الموجز البسيط، وهكذا شأن أصحاب الحق يجدون الكلمة المرسلة على طبيعتها من غير تكلفٍ أو حلفٍ أو توكيدٍ ما يغني عن كل قول.

ونلاحظ أيضا كيف آثر السياق الكريم لفظة **(هي)** التي تدل على الغائب على **(هذه)** أو **(أنتِ)** أو غيرها من الألفاظ التي توحي بقوة الرد في حضور الخصم، وذلك فيه إشارة بليغة إلى شيمة الحياء عند يوسف عليه السلام وعصمته من التشهير بها مع أنها قد قصدت الكيد به[1]، وهذا هو تأدب الأنبياء -عليهم السلام- ليكونوا لنا القدوة الحسنة.

٢- دخول المؤكدات في الجملة

وقد يكون الأمر عكس ما ورد في الفقرة الأولى فقد ترد الجملة مؤكدة بطريقة ما من طرق التوكيد أو أدواته ولكننا عند النظرة الأولى نعتقد أنها ليست بحاجة إلى ما دخل عليها من توكيد إلا أننا عندما ندقق النظر نجد أن التعبير القرآني قد اتبع أسلوباً دقيقاً في الإشارة إلى المعنى عن طريق توكيد تلك الجملة، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ**﴾[2]، فجملة **(إنهم مغرقون)** جملة خبرية مؤكدة ، ومقتضى الظاهر أن تُلقى بدون توكيد فيقول: ولا تخاطبني في الذين ظلموا فهم مغرقون؛ وذلك لأنها معلومة جديدة تُلقى إلى نوح عليه السلام ولكن دخل فيها

---

(١) ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ٢٢٠-٢٢١.

(٢) سورة هود من الآية: ٣٧.

التوكيد بـ**(أن)** المشددة التي تدل في أصل وضعها على التوكيد[1]، وذلك لأن الخالق ﷻ يريد أن يلفت الانتباه إلى خطورة المسالة المطروحة أو التي يدور حولها الكلام، فدخل التوكيد في هذه الجملة للإجابة عن سؤال كامن في ذهن نوح عليه السلام – الشفيق بقومه المتسامح معهم– وهو ما هو مصيرهم؟**(العفو، أم الإغراق، أم العذاب في الدنيا، أم العذاب في الآخرة...)** وكان يميل إلى العفو فجاءت الجملة الثانية– المؤكدة – مدركة حاله وملقية حكم الله تعالى القاطع فيهم **(إنهم مغرقون)**، وبذلك قُضي الأمر ورضي النبي الكريم بحكم ربه من دون جدال أو مراجعة. ولم تكن الجملة لتؤدي ذلك المعنى لولا استخدام التوكيد فيها على الطريقة التي جاء فيها، فزادها التوكيد قوة وبلاغة[2]، وهذه الطريقة في التوكيد هي توكيد السياق عن طريق الجملة المذيلة المؤكدة.

٣– الدقة في استعمال المؤكدات:

ويمكن أن تأتي جملتان في سياق معين في الأسلوب القرآني إحداهما مؤكدة والثانية أكثر توكيداً. إلا أننا عند النظر إليهما النظرة الأولى نتصور أن الجملة الأكثر توكيداً لا تحتاج إلى هذا التوكيد بل أن الجملة الأخرى الأقل توكيداً هي التي تحتاج إلى ذلك التوكيد ولكن التعبير القرآني يستعمل التوكيد بصورة دقيقة جداً، وهذا ملمح أسلوبي فريد قد انفرد به القرآن الكريم.

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٥٠.

(٢) ينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ١٠٢ والبلاغة فنونها وأفنانها: ١٣٢/١.

ففـي قولـه تعـالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[1]، جملتان الأولى قد أكدت بـ(**إن واللام وإيراد الخبر بصيغة الاسم (ميتون)**) أي قد أُكدت بثلاث مؤكدات على حين أننا نلاحظ أن الجملـة الثانيـة ﴿ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ المؤمنـون: ١٦ قـد أُكـدت بـ(**إن**) فقط، أي: إنـه قد أكد إثبات الموت بثلاثة مؤكدات مع أن الموت مما لا ينكره أحد ولكن الناس في غفلة عنه؛ لأنهم في إعراض عن العمل لما بعد الموت، وذلك لتماديهم في العمل وكأنهم ينكرونه أي: إنهم لا ينكرونه بأفواههم ولكنهم ينكرونه بأعمالهم التي تدل على الخلود وعدم اعترافهم بأنهم سيموتون، إذن أحوالهم اقتضت هذا التوكيد في الجملة[2]، ولهذا قال (**ميتون**) دون (**تموتون**) لما في التعبير بالاسم من دلالة على الثبوت زيادة على دخول (**اللام**)، وأكد البعث تأكيداً واحداً وهو التوكيد بـ(**إن**) مع العلم أنه أمر غيبي وأنه مما ينكر كما نكرته قريش، ولكن السياق القرآني آثر تأكيد الموت أكثر من تأكيد البعث؛ لأن الذي لا ينكر الموت لا يمكن أن ينكر البعث لارتباط أحدهما بالآخر ، ولكن الأسلوب القرآني أكد جملة الموت أكثر من جملة البعث لكي ينزّل الكافرين منزلة

---

(١) سورة المؤمنون: ١٥-١٦.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/٨٨ والبلاغة فنونها وأفنانها: ١/١٣٠ والالتفات في البلاغة القرآنية: ١٧٩-١٨٠.

الغافلين المتغابين الذين يحتاجون إلى توكيدات وتنبيهات، فإن الإنسان الذي يعمل وهو متذكر الموت يكون في مأمن عند البعث يوم القيامة(١).

ومن ناحية أخرى فان التأكيد بـ(**إن**) الثقيلة واللام في (**لميتون**) وتقديم الظرف (**بعد ذلك**) عليها وتكرار (**ثم إنكم**) مرتين تؤكد جميعها ما في الجملة من إيجاز محكم، غزير بالمعاني حيث وصف الألفاظ حسب المعاني وأهمية هذه المعاني أيضاً، فلكل معنى درجة، والدرجات تختلف وهي في القرآن تتناسب ومقتضيات الجملة.ثم نلاحظ كذلك الشيء نفسه في الجملة الثانية من الآية وإن خلت من لام التأكيد في (**تبعثون**)ولعل السبب في ذلك أن الآيات السابقة نصّت على خلق الإنسان من لاشيء وأشارت إلى البعث بقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ**﴾(٢)، أي جعلنا فيه روحاً وقدرة الكائن الحي، فإذا كان الله قادراً على خلقنا وإيجادنا من العدم فمن اليسير عليه إعادة خلقنا مرة ثانية بل من المنطق أن نُعاد لنُجازى ،إذ لم نُخلق في هذه الحياة سدى، وهذه الإشارة قد تغني الجملة الأخيرة (**تبعثون**) عن دخول اللام فيها للتأكيد(٣).

ومن أدق المواضع في ذلك ما ورد في سياق سورة يوسف في موضعين مختلفين إذ ورد قوله تعالى: ﴿**قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا**

---

(١) ينظر: خصائص التراكيب: ٩٠-٩١ وبلاغة الكلمة والجملة والجمل: ١٠٣ ولمسات بيانية: ٨٧-٨٩.

(٢) سورة المؤمنون: ١٤.

(٣) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ١٣١-١٣٢.

﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2].

فنلاحظ أن السياق الأول هو خطاب موجه من إخوة يوسف إلى يوسف عليه السلام أما السياق الثاني فكان موجهاً من إخوة يوسف إلى أبيهم، ففي السياق الأول قالوا: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ يوسف: ٩١ أي أن الجملة مصدرة بـ(إن) المخففة، أما الجملة الثانية الموجهة إلى أبيهم فقد قالوا فيها ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ يوسف: ٩٧، أي بـ(إنّ) المشددة، ولعله يتبادر إلى الذهن أنه كان ينبغي أن يكون التعبير بالمشددة مع الخطاب الموجه إلى أخيهم والتعبير بالمخففة مع الخطاب الموجه إلى أبيهم إذ إنهم أساؤوا إلى يوسف عليه السلام إساءة مباشرة؛ فكان عليهم أن يستعملوا المشددة في اعتذارهم للدلالة على زيادة في التوكيد بخلاف التعبير مع أبيهم.

غير أننا إذا أنعمنا النظر في سياق الآيات لوجدنا أن استعمال القرآن لـ(إن) المشددة والمخففة في الموضعين كان غاية في الدقة؛ ذلك أن أخوة يوسف لما رأوا أباهم وما حل به من ضرر جزاء فعلتهم من الوهن واللوعة وحرقة الفؤاد والعمى من أثر الحزن، فكل ذلك دعاهم إلى توكيد الاعتذار بإن المشددة والاعتراف بذنبهم، بخلاف حالهم مع أخيهم، فإن الله

---

(١) سورة يوسف: ٩١-٩٢.

(٢) سورة يوسف: ٩٧-٩٨.

أكرمه ومكّن له في الأرض، وكأن جريرتهم تلك عادت عليه بما هو عليه من الخير؛ فكان شعورهم بالذنب مع أبيهم أكبر وأعظم من شعورهم بالذنب مع أخيهم؛ لذلك اختلف أسلوب الجملة القرآنية توكيدا[1].

٤- دخول المؤكدات ونزعها في الجملة المتشابهة في السياق نفسه:

وقد يكون دخول أحد المؤكدات في الجملة القرآنية أو سقوطه من أخرى مشابهة لها في السياق نفسه وراءه سر دقيق في المعنى وذلك كما في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾[2].

فنلاحظ أن اللام المؤكدة موجودة في جملة **(لجعلناه)**في قوله **(لو نشاء لجعلناه حطاما)** أما في سياق آية إنزال الماء فقد سقطت اللام من جملة جعلناه في قوله **(لو نشاء جعلناه أجاجا)**.ويكمن وراء ذلك سر لطيف جداً، وهو أن الموضع الذي فيه اللام يخص عمل الإنسان في الحراثة والزراعة وبذل الجهد فيهما حتى يستوي الزرع على سوقه ،بخلاف الجملة في سياق آية إنزال الماء فإنها لم تؤكد باللام ذلك أن إنزال الماء

(١) ينظر التعبير القرآني: ١٤٤-١٤٥ وللمزيد من الأمثلة والبيان. ينظر:١٤٦-١٥٥.

(٢) سورة الواقعة: ٦٣-٧٠.

من السماء ليس فيه جهد يبذله الإنسان كما في الحراثة والزراعة، ثم ان الإنسان إذا حرث وزرع وبذل الجهد حتى يحين وقت الاستفادة من المزروع وأصبح حُطاماً كان ذلك أشق عليه؛ لأنه يرى ثمرة عمله وجهده تذهب هباءً؛ لذلك قال الخالقﷻ في وصفهم بعد ذلك المشهد **(تفكهون)**أي: نادمون وتذكرون الحرمان بعد الجهد والتعب.

ومن ناحية أخرى فإن إعادة الماء المالح إلى ماء عذب أيسر. وذلك بإحدى الوسائل المعروفة كالتقطير – مثلا- من تحويل الحطام إلى زروع وفاكهة يأكل منها الإنسان، فحالة الحرمان والخسارة أكبر وأعظم، وهذا هو الفرق الدقيق في دخول لام التوكيد في الجملة أو نزعها(١).

ونلاحظ تلك الدقة أيضا في استعمال عناصر التوكيد في أسلوب الجملة القرآنية في سياق قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾(٢)، فجميع الآيات في هذا السياق عبارة عن جمل مستقلة معطوفة على بعضها، ونجد أن أبرز ما يميزها هو التوكيد بضمير الفصل **(هو)** كما في

---

(١) ينظر: التعبير القرآني:١١٩-١٢٠ ووجوه من الإعجاز القرآني- مصطفى الدباغ: ٥٥-٥٦.

(٢) سورة النجم: ٤٣-٥٠.

جملة﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾[1]، والضمير هنا يؤكد أن ما يحصل للعباد هو من اختصاص الخالق ﷻ وهو المتصرف بهم، وليبطل أن يكون لغيره فاعلية في شؤون عباده حتى الإضحاك والإبكاء، وأتى الضمير أيضاً في الجملة الثانية وهي قوله ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾؛ ليؤكد أن بعد الممات هناك حياة أخرى، وفي ذلك التأكيد ردٌّ على المنكرين للحياة بعد الإماتة، وكذلك دخل الضمير في جملة قوله تعالى:﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾[2]، وذلك لكي لا يعتقد الإنسان أنه يستطيع أن يغني نفسه أو يغني غيره وذلك ليستقر في نفس الإنسان أن العطاء والمنع في قبضة واحدٍ لا شريك له، ثم أكد بعد ذلك أيضا بالضمير في قوله:﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴾[3]، وذلك أن قبيلة خزاعة كانت تعبدها فأكد ربوبيته لها سبحانه فورد في هذه الجمل الأربعة التوكيد بـ(أنّ) وضمير الفصل المرفوع بين إسم (أنّ) وخبرها؛ ليؤكد اختصاص الخالق ﷻ بالاتصاف بهذه الأخبار دون سواه؛ لأنه يمكن للمباهت الجاحد ادعاء هذه الأوصاف لنفسه كما فعل ذلك **النمرود** حين

---

(١) سورة النجم: ٤٣.

(٢) سورة النجم: ٤٨

(٣) سورة النجم: ٤٩.

قال لإبراهيم: ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾[1]، عندما قال له إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾[2].

إلا أن الضمير (هو) لم يدخل في جملة قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾[3]؛ لأن خلق الإنسان مما لا يستطيع أحد أن ينسبه لنفسه لا على سبيل الحقيقة ولا على سبيل المجاز بل أنه من الأشياء التي لا ينكرها حتى المشركين أو غيرهم حيث أُخبر ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[4]، وكذلك لا نجد الضمير في سياق قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾[5]؛ لأن إهلاك القرون المكذبة مما لا يمكن أن يُنسب لغير الله تعالى، فلذلك اكتفى بالتوكيد ب(أنّ) وهكذا نجد الدقة في استعمال المؤكدات في سياق **الجملة القرآنية** تبعاً للمعاني وما تنطوي عليه النفوس[6].

---

(١) وذلك بقتله من لم يستوجب القتل وتسريح من وجب عليه القتل، أي الإحياء والإماتة على سبيل المجاز.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٣) سورة النجم: ٤٥.

(٤) سورة الزخرف: ٨٧.

(٥) سورة النجم: ٥٠.

(٦) ينظر: ملاك التأويل: ١/١٦٦-١٦٧ والطراز: ٢/٢١٥ وخصائص التراكيب: ٨٣-٨٤ وللزيادة في البيان ينظر: ملاك التأويل: ١/٤٩٥-٤٩٦.

ونظير ذلك ما ورد في سياق قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾(١)، فنلاحظ في سياق الآيات دخول الضمير في الجمل الثلاث الأولى ليؤكد الفعل الإلهي ويدحض دعوة المدّعين في أنهم سبب الهداية أو الإطعام أو الإسقاء أو الشفاء من المرض، بينما نجد أن الجملة الرابعة لم يدخل فيها الضمير وذلك لأنه لن يدّعي أحدٌ خلق الإنسان وإماتته وإحياءه لذلك لم تكن هناك حاجة أو ضرورة لمجيء التوكيد (٢).

٥- استعمال أدوات التوكيد بمقدار الإنكار قوة أو ضعفا:

ويمكن أن يكون استعمال أدوات التوكيد في أسلوب الجملة القرآنية بمقدار الإنكار قوة أو ضعفاً، فكلما كان الإنكار قوياً زادت أدوات التوكيد في الجملة ويمكن أن يكون ذلك في السياق نفسه كما في البناء الأسلوبي للتوكيد الحاصل في الحوار الذي دار بين أصحاب القرية والمرسلين إليهم إذ قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾(٣). فنلاحظ أن أسلوب القرآن اعتمد التدرج في توكيد

---

(١) سورة الشعراء: ٧٨-٨٠.

(٢) ينظر: وجوه من الإعجاز القرآني: ٥٦.

(٣) سورة يس: ١٣-١٩.

الجملة القرآنية حيث جُعل ذلك بحسب درجة الإنكار. فكلام الرسل عليهم السلام لأصحاب القرية في المرة الأولى كان مؤكدا بإنّ واسمية الجملة فقالوا **(إنّا إليكم مرسلون)** والمسوغ للتوكيد في هذه الجملة هو أنها كانت مسبوقة بجملة **(فكذبوهما)** فلذلك احتاجت الجملة للتوكيد في بنائها الأسلوبي، وبعد هذا التكذيب الصادر من أصحاب القرية وهذا التوكيد من الرسل – عليهم السلام – عمدَ أصحاب القرية إلى التكذيب والإنكار بشكل أكبر عن طريق جملتين معطوفتين، الجملة الأولى **(ما أنتم إلا بشر مثلنا)** وهي جملة مؤكدة عن طريق أسلوب القصر بالنفي والاستثناء ثم الجملة الثانية وهي قولهم**(ما أنزل الرحمن من شيء)** وهذه الجملة عبارة عن توكيدٍ ثانٍ لنفي الرسالة عن الرسل، وهذه الجملة أكثر توكيداً من الأولى من ناحية المعنى إذ أنهم ينكرون كون الله ﷻ قد أنزل شيئاً عليهم أو على غيرهم من الرسل ثم أكدوا– بعد ذلك كله– هذا الكلام بشكل مجمل مر ة أخرى بقولهم **(إن انتم إلا تكذبون)** وهي أيضاً جملة مؤكدة عن طريق القصر بالنفي والاستثناء الذي يمثل أعلى درجات التوكيد طريقة؛ مما يعكس قوة تمسكهم بعدم تصديق الرسل – عليهم السلام – فاستعملوا طرقاً عديدة من التوكيد في ثلاث جمل؛ وذلك ليؤكدوا إنكارهم لرسالة الرسل إليهم، لذلك لمّا وجد الرسل تمسك هؤلاء – أصحاب القرية – بموقفهم في التكذيب والإنكار والتطاول عليهم لجؤوا إلى كلام مؤكدٍ أكثر من المرة السابقة، وذلك بقولهم ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ يس: ١٦،

فنلاحظ تنوع أسلوب الجملة على أكثر من طريقة في التوكيد وعلى النحو الآتي:

١- تكرار جملة ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾يس: ١٤ وهو تكرار لمضمون الجملة أيضاً، وهي تختلف عن الجملة الأولى لكونها جواباً عن إنكار أما الأولى فكانت إخباراً.

٢- جاءت الجملة الثانية مصدرة بقولهم **(ربنا يعلم)** ويُفهم منه القسم، وهو أحد طرق التوكيد المهمة في أسلوب الجملة القرآنية ويؤتى به للتوكيد والتحقيق.

٣- تأكيد الجملة بثلاث مؤكدات وهي **(إنّ واللام واسمية الجملة)**(١).

وهذا يوحي بدقة استعمال القرآن الكريم لمراتب التوكيد في أسلوب الجملة القرآنية إذ كلما كان المخاطب مصراً على الإنكار جيء له بطرق أخرى للتوكيد، وذلك بحسب درجة إنكاره وجحوده.

٦- توكيد الجملة المتشابهة في السياقات المختلفة:

وهناك ملمح أسلوبي آخر للتوكيد في أسلوب الجملة القرآنية وهو أن القرآن قد يؤكد جملة ما في سياق معين، وترد هذه الجملة نفسها في سياق آخر وهي عارية من التوكيد.أو قد يحصل تفاوت في طرائق التوكيد وأدواته للجملة نفسها، ولكن في سياقات مختلفة.

---

(١) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري:٣٤٣ وخصائص التراكيب: ٨١-٨٣ والبلاغة فنونها وأفنانها: ١/١١٤ وبلاغة الكلمة والجملة والجمل: ٩٥.

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾(١) وقال تعالى في سياق آخر: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾(٢)، فنلاحظ أن الجملة في الآية الأولى قد وردت بدون اللام وهي قوله تعالى **(إنّ ذلك من عزم الأمور)**،أما الجملة في الآية الثانية ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾لقمان: ١٧ فقد زادت فيها اللام للتوكيد، والسر في دخولها في الثانية أن الصبر فيها صبر مضاعف؛ لأنه صبر على عدوان البشر، إذ له فيه غريم، وهو مطالب بالصبر والمغفرة معا، وهو أشد على النفس الإنسانية من الصبر على قضاء الله سبحانه(٣).

أما **ابن الزبير** فيعزو دخول اللام إلى (أن آية الشورى لما دخلها معنى القسم وكانت على تقديره، إذ اللام في قوله**(ولمن صبر وغفر)** توطئة له ودالة على تضمين الآية معناه، ناسب ذلك زيادة لام التأكيد في خبر **(إن)** وذلك ظاهر في معنى الآية.وأما آية لقمان فقوله فيها: **(إن ذلك من عزم الأمور)** مجرد إخبار عن حال وقعت الوصية به ولا مدخل للقسم هنا ولا معنى له، فلم تدخل لام التأكيد في الخبر إذ ليس في الآية معنى

---

(١) سورة لقمان: ١٧

(٢) سورة الشورى من الآية: ٤٣.

(٣) ينظر: وجوه من الإعجاز القرآني: ٥٥.

قسم يستدعيها ولا وقع في اللفظ ما يطابقها فورد كل على ما يجب ويناسب)[1].

ويمكن أن يكون هناك تدرج في التوكيد للجملة نفسها في سياقات مختلفة ، وكل ذلك حاصل في تناسب تام بين التوكيد والسياق الذي ورد فيه، فالأسلوب القرآني قد يورد الجملة عارية من التوكيد في سياق ما كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[2]، ونجد أن الجملة نفسها قد أكدت في سياق آخر بـ(إنّ) كما في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[3]، وفي موطن آخر وردت الجملة نفسها ولكنها جاءت مؤكدة بمؤكدين وهما **(إنّ واللام)** في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[4]، فنرى أن السياق القرآني يستعمل أسلوب التوكيد بدقة عالية فهو يراعي في ذلك وضع كل لفظ في مكانه بحسب ما يقتضيه السياق بحيث لا يصح وضع

---

(١) ملاك التأويل: ٢/٩٤٢-٩٤٣. وهناك مواضع أخرى في السياق القرآني قد ورد فيها اللام في موضع وسقط في موضع آخر لنفس الجملة ولكن السياق مختلف. ينظر في ذلك: التعبير القرآني: ١٥١-١٥٣ وملاك التأويل:١/٤٤٨-٤٤٩ و ٤٨٥-٤٨٦ و ٢/٧٣٧-٧٣٨ و ٨١٣-٨١٤ و ٨٩٠-٨٩١ و ٩٤٢-٩٤٣.

(٢) سورة الأنفال من الآية: ٤٨.

(٣) سورة المائدة من الآية: ٢.

(٤) سورة الرعد من الآية: ٦.

تعبير مؤكد في مكان غير مؤكد ولا ما أُكد بأكثر من مؤكد في موطن أكد بمؤكد واحد[1].

ونظير ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾[2] حيث جاءت جملة ﴿هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ق:٢ عارية من مظاهر التوكيد، أما في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾[3]، فجاءت الجملة مؤكدة بـ(إنّ) واللام ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ هود: ٧٢، وجاءت الجملة في سياق آخر مؤكدة بثلاث مؤكدات وذلك في قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾[4]، فوردت الجملة مؤكدة بـ(إنّ) واللام والعدول في صيغة(**عجيب**) إلى (**عُجاب**)، والسبب في تدرج التوكيد في أسلوب الجملة القرآنية؛ راجع إلى التدرج في العجب بحسب قوته ففي (**سورة ق**) ذكر أنهم قد تعجبوا من مجيء منذر منهم فقالوا (**هذا شيء عجيب**) أما في (**سورة هود**) فكان العجب أكبر؛ لأنه من غير المعقول أن تلد العجوز العقيم علاوة على شيخوخة زوجها، وكل ذلك يدعو إلى الغرابة والعجب، فالعجوز لا تلد وإذا كانت عقيماً فهي عن الولادة أبعد؛ فاستدعى ذلك

---

(١) ينظر: التعبير القرآني: ١٩-٢٠ والنظم القرآني في سورة الرعد: ٧٦.

(٢) سورة ق: ٢.

(٣) سورة هود: ٧٢.

(٤) سورة ص: ٥.

التوكيد فأُكد العجب بـ(إنّ واللام) فقال ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ هود: ٧٢. وفي (**سورة ص**) كان عجبُ المشركين أكبر من ذلك كله، إذ كيف يمكن أن يؤمنوا بإله واحد ويتركوا عبادة الآلهة المتعددة، ويتركوا الشرك وهم قوم عريقون فيه؟ ومن فرط تعجبهم وإنكارهم استسهلوا أن يحملوا السيف ويعلنوا الحرب الطويلة على أن يقروا بـ(**لا اله إلا الله**) فالقتل أهون عندهم من النطق بكلمة التوحيد؛ ولذلك كان العجب عندهم أكبر فجاءت الجملة مؤكدة بـ(إنّ) واللام، وعدل من (**عجيب**) إلى (**عُجاب**)، إذ إن(**فعال**) أبلغ من (**فعيل**) في الدلالة على التوكيد عند العرب[1]، وهكذا نجد دخول عناصر التوكيد من الدقة بمكان في أسلوب الجملة القرآنية.

تزاحم عناصر التوكيد في الجملة القرآنية:

ومما يلاحظ في أسلوب الجملة القرآنية أنها قد تتزاحم فيها عناصر التوكيد والتقرير سواء ما كان منها بأداة أو بطريقة نظم أو باختيار لفظ؛ لكي يصل النص القرآني من خلال تلك الاستعمالات إلى مبتغاه في التعبير عّما شرع الله سبحانه وتعالى من حلال أو حرام حتى تكف عنه النفوس المؤمنة إذا كان حراماً، وتندفع إليه إن كان حلالا. كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ

---

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٨/١٥٠-١٥١ والتعبير القرآني: ٣٦-٣٧.

﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾[1]، فنلاحظ أن السياق القرآني قد أكد الأمر الشرعي وهو تحريم الخمر والميسر بوجوه عديدة من مظاهر التوكيد في مقدمتها تصدير الجملة بـ(**إنما**)، وثانيها أنه قرنها بعبادة الأصنام والأزلام ثم وصفها بأنها رجس من عمل الشيطان، والشيطان لا يأتي منه إلا الشر فضلاً عما في دلالة فعل الأمر على التوكيد لأنه أمرٌ بالاجتناب[2].

ويمكن أن يكون استعمال أدوات التوكيد وتعددها في أسلوب الجملة القرآنية فيه دلالة على ثبوت ذلك الحكم المؤكد وبقائه في كل مكان وزمان، كما في قوله تعالى: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ**﴾[3]، فنلاحظ أن الفعل (**لتجدن**) قد أُكد بـ(**لام القسم ونون التوكيد**) وبذلك تكون الجملة قد أُكدت بأكثر من مؤكد وفي ذلك إشارة إلى أن عداوة اليهود للذين آمنوا قد بلغت أشدها واستحكمت في نفوسهم لمن آمن بالإسلام الإيمان الصحيح، وأن هذه العداوة هي حقيقة واقعة وأمرٌ مؤكدٌ لاشك فيه ولا ريب، في كل زمان ومكان[4].

---

(١) سورة المائدة: ٩٠.

(٢) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٤٨.

(٣) سورة المائدة: ٨٢.

(٤) ينظر: دراسات قرآنية – إبراهيم النعمة: ٢١.

وفي سياق الجملة لفتة أسلوبية أخرى، وهي أن السياق بدأ بذكر اليهود وأخّر ذكر الذين أشركوا، لأن عداوة اليهود للمؤمنين أشد من عداوة المشركين فضلاً عن كيد اليهود ومكرهم وخبثهم في هذه العداوة، لأنهم كانوا يعدّون أنفسهم أفضل أصناف البشر على وجه الأرض؛ لذلك فقد كرهوا أن يبعث الله رسولاً من سوى بني إسرائيل حسداً من عند أنفسهم.أما عداوة المشركين للمسلمين فمبنية على أنهم لا يريدون أن يتركوا ما كان عليه آباؤهم فأخذتهم العزة بالإثم وحاربوا هذا الدين؛ لأنه ينهاهم عن أمور كثيرة وعادات سيئة، كانوا يواظبون على فعلها كالزنا والربا والميسر وغيرها، ومهما يكن من أمر فإن السياق القرآني قد جمع بين اليهود والمشركين لأنهم يشتركون في العداوة لهذا الدين(١).

ومن الأمثلة على تعاضد طرق وأدوات التوكيد في أسلوب الجملة القرآنية؛ لتثبيت أحد الأركان الشرعية، ما ورد في قوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾(٢)، فجاء في الجملة أنواع عديدة من التوكيد والتشديد؛ لإلزام المسلمين بهذا الحكم الشرعي بوصفه أحد أركان الإسلام.

فقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ يعني أنه حق وواجب لله في رقاب الناس لا يسقط عنهم، فالجملة اسمية قد تقدم الخبر فيها على

---

(١) ينظر: دراسات قرآنية – إبراهيم النعمة:٢٢.

(٢) سورة آل عمران: ٩٧.

المبتدأ من أجل الاختصاص والقصر، أي هو قصر عن طريق تقديم ما حقه التأخير، ومن طرق التوكيد في أسلوب الجملة أنه ذكر **(الناس)** ثم أبدل عنه بـ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾آل عمران:٩٧ وفي ذلك نوعان من التوكيد:

أحدهما:إن الإبدال تثنية للمراد وتكرير له.

وثانيهما: إن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين، أي ذكره مرتين، وهذا يعني التوكيد عن طريق التكرار، وهو من الطرق المؤثرة في التوكيد[١].

وهناك ملمح أسلوبي آخر للتوكيد في السياق القرآني، إذ قد يأتي التوكيد عن طريق تتابع الجمل الاسمية في السياق القرآني نفسه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٢]، فقد اشتمل سياق الآية الكريمة على سبع جمل قصيرة، وإذا دققنا النظر فيها وجدناها جملاً إسمية مصدرة بالاستفهام في بعضها وهذا الاستفهام إنكاري؛ لأن الكفار ينكرون مسالة المعاد، ولما كان الإنكار منهم قويا توالت التأكيدات بالجمل الاسمية المعطوفة على

---

(١) ينظر: الكشاف: ٤٤٨/١ والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٤٨ والفصل والوصل في القرآن الكريم: ١٠٠.

(٢) سورة الرعد: ٥.

بعضها؛ وذلك لحسم هذا الموقف علاوة على التناسق الصوتي لتلك الجمل الثلاث الأخيرة التي تبدأ بـ(**أولئك**) الذي يملأ جرسه الفم ويقرع الآذان، والتي أدت الجمل بواسطتها معنى وافياً، وقررت ما يستوجبه أمر هؤلاء المنكرين لمسألة عقائدية مهمة. والذين جاءهم العذاب بشكل تدريجي عن طريق الجمل الاسمية المعطوفة، فهم الأغلال في أعناقهم ومن ثم فهم أصحاب النار وأخيراً خلودهم فيها. فكانت تتدرج الجمل في صور العذاب مما هو شديد إلى ما هو أشد، وهذا التدرج يسهم أيضاً في توكيد العذاب لهؤلاء الذين كفروا وضلوا. فيكون التدرج والجملة الاسمية هي إحدى طرق التوكيد في السياق القرآني[(١)].

ومما يلاحظ في هذا السياق أن الآية قد خُتمت بالجملة الاسمية﴿ **هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾الرعد:٥ فهناك توكيد آخر وهو ما أحدثه توسط ضمير الفصل (**هم**) بين صدر الجملة وعجزها.

وهو ما يؤكد العذاب والخلود فيه. فتضافرت طرائق عديدة في توكيد الجملة، وهي إسمية الجملة والتقديم - تقديم الجار والمجرور فيها- وضمير الفصل؛ وذلك لغرض أداء المعنى المقصود[(٢)].

ونختتم موضوع التوكيد في أسلوب الجملة القرآنية بما أورده صاحب كتاب (**الإعجاز الفني في القرآن**) في أن التوكيد يسهم في تسلسل المعاني ليترتب عنه وحدة متناسقة في هذا التسلسل إذ يقول في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ**

(١) ينظر: النظم القرآني في سورة الرعد: ٨١.

(٢) ينظر:المرجع نفسه.

﴿ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾(١).

هذة المجموعة من الآيات تصل إلى سبع جمل، عرضت في الجملة الأولى حال الأبرار وهم في النعيم وتم تأكيد المعنى فيها بـ(إن) الثقيلة المشددة ولام التوكيد ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ الانفطار:١٣، وفي الجملة الثانية ذكر لحال الفجار وهم في الجحيم وتم تأكيد المعنى فيها بـ(إن) الثقيلة المشددة ولام التوكيد وصيغة المبالغة في (فجار) التي على وزن (فعال) فقال: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ الانفطار:١٤، ثم يتسلسل المعنى بالاستمرار في تفصيل واقع الفجار يوم الدين بقولة تعالى: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ الانفطار:١٥ ويؤكد القرآن التصلية بالفعل (يصلونها) نفسة وبجملة تضاعف فيها التأكيد ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ الانفطار:١٦ ومادام يوم الدين يكفرون بة، ويكذبون بوقوعه، احتاج إلى تاكيد أقوى فتسلسل المعنى بتفصيل يوم الدين وهوله وتأكيده بتكرار جملة ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ الانفطار:١٧ مرتين والتشديد على التكرار بصيغة التأكيد وهي (وما أدراك) التي تفيد شدة ذلك اليوم وعنفه وعظمه هوله، ثم يضيف القرآن صفة ليوم الدين – وتعدد الوصف يفيد بدوره التوكيد أيضا – بقولة تعالى:

---

(١) سورة الانفطار: ١٣-١٩.

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾الانفطار:١٩، يوم تستلم النفس لإعمالها وما كسبته والألسن والقلوب، وهو (يوم الدين) يوم العزيز القدير، الذي يملك حكمه وقضاءه ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾الانفطار:١٩، فهو بيد الله لايملكه يومئذ غيره ولا ينازعه فيه أحد(١).

---

(١) الإعجاز الفني في القرآن :٢٠٩ – ٢١٠ بتصرف . وينظر: تنوير المقياس من تفسير ابن عباس – أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي : ٢٨٢– ٢٨٣.

النـــفـي

النفي في الجملة الاسمية:

١- **النفي ب(ليس):**

وهي من أهم أدوات النفي في الجملة الاسمية، ويصحب دخولها على الجملة الاسمية تغيير إعرابي في عنصري الجملة الإسناديين **(ركنيها الأساسيين)** حيث يكون المسند إليه اسماً لـ**(ليس)** ويكون مرفوعاً، ويكون المسند خبراً لـ**(ليس)** ويكون منصوباً بها بعدما كان محله الرفع[(١)]، ونصب المسند هو التغيير الواضح في بناء الجملة الشكلي عند النفي بـ**(ليس)** ويظل هذا التغيير ملازماً حتى مع انتقاص النفي بـ(إلا) أو خروج النفي عن معناه بمضامة حرف الاستفهام[(٢)].

وقد وردت **(ليس)** في استعمال القرآن الكريم تسعاً وثمانين مرة، وقد ورد معها النفي منتقضاً بـ**(إلا)** في موضعين فقط، وذلك في قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ**﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** ﴾[(٤)]، وبذلك تحول النفي إلى إثبات ونلاحظ في الموضعين مجيء

---

(١) وللمزيد من التفصيل في استعمال(ليس) في العربية، ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٤٥٩-٤٦٣.

(٢) لا يدخل على (ليس) من أدوات الاستفهام إلا الهمزة.

(٣) سورة هود من الآية: ١٦.

(٤) سورة النجم: ٣٩.

الجملة القرآنية غير محفوظة الرتبة فتقدم الخبر (**الجار والمجرور**) على اسم (**ليس**).

وفي ست عشرة مرة منها اقترنت (**ليس**) بهمزة الاستفهام وبذلك خرج النفي عن دلالته إلى دلالة أخرى جديدة بمضامة أداة الاستفهام وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ﴾[1]، فتحول النفي بدخول الهمزة إلى إنكار فهو (**تعيين من الله تعالى لهم على التكذيب وقولهم لمّا كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو إلا باطل**)[2].

ويمكن أن تدخل الهمزة على (**ليس**) في الجملة القرآنية فيتحول النفي إلى إثبات ، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾الأنعام: ٥٣[3]، فدخول الهمزة على النفي حوله إلى كلام مثبت بالمعنى ذلك أن الله أعلم بمن يقع منه الإيمان والشكر[4]، (**الذين يعرفون النعمة ويقرون بما تقتضيه من العمل الصالح فيضع فضله ومنته عليهم**)[5].

والظاهرة البارزة أنه عندما تقترن همزة الاستفهام بـ(**ليس**) في سياق الجملة الاسمية في أسلوب القرآن الكريم يكثر اقتران الخبر بالباء الزائدة[6]،

---

(١) سورة الأنعام من الآية: ٣٠.

(٢) الكشاف: ١/٣٢٤.

(٣) سورة الأنعام من الآية: ٥٣.

(٤) ينظر: بناء الجملة العربية: ٢٣٦.

(٥) تيسير الكريم الرحمن: ٢٥٨.

الزائدة[١]، فمن مجموع الست عشرة مرة التي ضامت فيها همزة الاستفهام **(ليس)** وردت الباء في الخبر في إحدى عشرة مرة منها، في حين أنها دخلت في الخبر تسع مرات فحسب من إحدى وسبعين مرة جاء النفي فيها خالصاً في أسلوب الجملة القرآنية أي غير منتقض بـ**(إلا)** وغير مسبوق بهمزة الاستفهام[٢].

وتدخل الباء الزائدة في الجملة القرآنية المنفية في **(خبر)** ليس لتأكيد النفي، إذ إن النفي بدخول الباء في الخبر آكد منه بدونها[٣]، وهناك مواضع كثيرة تدخل فيها الباء على الخبر في الجملة[٤]، والمهم أن الباء

المستقبل فالمسألة ثابتة لا تتغير في كل الأزمان وليست مقتصرة على حال أو ماض أو استقبال. وهذا ما يسمى بالنفي التأبيدي[١].

---

(١) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ** ﴾ الزمر: ٣٦ وقوله:﴿ **أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ** ﴾ هود: ٧٨ وقوله تعالى:﴿ **أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ** ﴾ هود: ٨١ .

(٢) ينظر: بناء الجملة العربية: ٢٣٦.

(٣) ينظر: مغني اللبيب: ١/١١٠.

(٤) وزيادة الباء في الخبر على ثلاثة وجوه: كثير وقليل وأقل، فكثير بعد (ليس) و(ما) و(أو لم يروا) كما في قوله تعالى:﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ** ﴾الأحقاف: ٣٣ ذلك لأنها بمعنى (أو ليس الله بقادر)، والقليل بعد كان وأخواتها المنفية وبعد(لا) العاملة عمل(ليس) وبعد(ظن وأخواتها) المنفية أيضاً، والأقل بعد (أنّ ولكنّ وهل).. ينظر: الأشباه والنظائر:٢/٦٢-٦٣ وأساليب النفي في العربية – د.مصطفى النحاس : ٢٠٧-٢٠٩.

وتأتي **(ليس)** لنفي الحال والاستقبال كما في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[٢] أي لا في الحال ولا في المستقبل، والخطاب موجه إلى الرسول ﷺ، ومثله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾[٣]، أي ليس لك عليهم سلطان في الزمن الحاضر وفي المستقبل.

وتأتي **(ليس)** لنفي الحال فقط ،كما في قوله تعالى:﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾[٤]. أي في الحالة التي تحدث فيها عنهم. وهذا النمط في النفي بـ(ليس) هو أقل الأنواع الثلاثة وروداً في الأسلوب القرآني. أما أكثر الأنواع فيها ما كان نافياً للحال والماضي والمستقبل. وهذا النوع الأخير هو الأشمل[٥].

---

(١) ينظر: أساليب النفي في القرآن – د.أحمد ماهر البقري : ٧٨-٧٩.

(٢) سورة آل عمران:١٢٨.

(٣) سورة الحجر: ٤٢.

(٤) سورة الأنعام: ٨٩ ومنه قوله تعالى:﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾ الغاشية: ٦ فالنفي في الحال إذ صور يوم القيامة وكأننا نشهده الآن.

(٥) ينظر: أساليب النفي في القرآن: ٧٨-٧٩.

٢- **النفي بـ (ما):**

وتنفى الجملة الاسمية أيضاً بـ(**ما**) فيكون لها تأثير إعرابي كالذي تحدثه (ليس)، أي يرفع الاسم بعدها وينصب الخبر. وقد عدّ النحاة ذلك خاصاً بلهجة **الحجازيين** وهو عندهم مشروط بأمرين[(١)]:

١- تبقى الجملة محفوظة الرتبة فلا يتقدم خبرها على اسمها.

٢- عدم انتقاض نفيها بـ(إلا).

هذا من ناحية التأثير الإعرابي أما من ناحية المعنى- معنى النفي- فإن(**ما**) تنفي الجملة الاسمية سواء أحدثت تأثيراً إعرابياً أم لم تحدث.

وشأنها شأن ليس في أسلوب الجملة القرآنية حيث تقترن الباء في خبرها فلا يظهر هذا التأثير الإعرابي لدخولها على الجملة – كما في الاستفهام- إذ لم نلاحظ هذا التأثير الإعرابي في بناء الجملة القرآنية إلا في قوله تعالى:﴿**مَا هَٰذَا بَشَرًا**﴾[(٢)] وقوله تعالى: ﴿**مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ**﴾[(٣)].أما في غير هذين الموضعين فلم ترد (**ما**) في بناء الجملة القرآنية إلا وفي

---

(١) وللمزيد من التفصيل في(ما) وعملها وأنواعها ينظر: الجنى الداني : ٣٢٥-٣٣٨ ومغني اللبيب:١/٢٥٦-٢٧٢.

(٢) سورة يوسف من الآية: ٣١.

(٣) سورة المجادلة من الآية: ٢.

خبرها(**الباء**)[1]. إذ وردت(ما) في بناء الجملة القرآنية الاسمية سبعاً وثلاثين مرة وفي خبرها الباء.

من تلك المواضع قوله تعالى: ﴿**وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ**﴾[3] وقوله تعالى: ﴿**وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ**﴾[4] وقوله تعالى﴿**مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ**﴾[5].

إنّ الحكم بزيادة (**الباء**)[6] في خبر(**ليس**) و(**ما**) ليس معناه أنها يمكن حذفها من تركيب الجملة المنفية القرآنية. وليس في هذا الإصطلاح أيضاً ما يوحي بعدم أهميتها، وأنه يمكن الاستغناء عنها. وإنما مراد النحويين بزيادة الباء في هذه المواضع كونها زائدةً على بناء أو وظائف الجملة الأساسية؛ ذلك أنها وإن جرّت الاسم بعدها في الظاهر إلا أنها لا

---

(١) ينظر: الإعجاز البياني للقرآن: ١٧٠-١٧٧ وأساليب النفي في القرآن: ٧٤-٨٠ وبناء الجملة العربية: ٢٣٧.

(٢) سورة البقرة من الآية: ٧٤.

(٣) سورة البقرة من الآية: ١٦٧.

(٤) سورة الأنعام من الآية: ١٠٧.

(٥) سورة إبراهيم من الآية: ٢٢.

(٦) إن تسمية هذه الحروف بـ(الزائدة) هو من باب التجوز، إذ لا يوجد حرف زائد في القرآن ولكن تسميتها بالزائدة من باب العلاقات النحوية لا الدلالية. إذ كل حرف من هذه الحروف له معنى ودلالة خاصة في توكيد المعنى. ويكون الاسم الداخل عليه مجروراً لفظا فقط.

تغير وظيفته الإعرابية فيبقى ما تقرره له البنية الأساسية. إذن فالباء زائدة من الناحية الشكلية فقط. وهذا لا ينفي أنّ لها معنًى جزئياً تضفيه على معنى ودلالة الجملة التي ترد فيها، على وفق المبدأ الذي يقرر أنّ كل عنصر أو ظاهرة أسلوبية معينة في الجملة لابد له من معنى في بناء الجملة الجديد الذي عُدل به عن البناء الأساسي للجملة. وعلى كل حال فالباء تدخل في تركيب الجملة الاسمية المنفية في خبر (ليس)و (ما) لإفادة أمر تقضي البلاغة بمراعاته وذلك هو تقوية المعنى المراد من الجملة وتوكيده[1].

ويمكن أن يكون الخبر في تركيب الجملة القرآنية المنفية بـ(**ما**) فعلاً كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ**﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ**﴾[3]وقوله تعالى:﴿**مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ**﴾[4]. وفي مجيء الخبر جملة فعلية في سياق النفي القرآني ملمح أسلوبي غاية في الدقة والبلاغة، ذلك أن النفي في سياق الجملتين الأولى والثانية هو تنزيه الخالق ﷻ عن الظلم. ولما كانت الجملة تدل على الحدوث والتجدد ولا تدل على الدوام والاستمرار، أراد الخالق ﷻ بهذا التعبير الفعلي أن ينفي عن نفسه أدنى درجات الحدث العارض له الحاصل عن طريق الفعل وفي ذلك كمال

(١) ينظر: بناء الجملة العربية: ٢٣٨.

(٢) سورة آل عمران من الآية: ١٠٨.

(٣) سورة غافر من الآية: ٣١.

(٤) سورة الأنبياء من الآية: ٦٥.

التنزيه. أي أن النفي قد نفى اتصاف المسند إليه بالمسند **(الفعل)** في أعلى درجات النفي وأبلغها.

وهذا يعلل السبب في أن الأسلوب القرآني إذا أراد أن ينفي الظلم عن الله ﷻ وينزهه من ذلك فلا يتوجه إلى نفي الاسم أي **(ظالم)** وإنما يعدل عن ذلك بطريقتين:

الأولى: بناء الاسم على الفعل كما مر في جملة **(وما الله يريد ظلماً للعالمين)** وجملة**(وما الله يريد ظلماً للعباد)**.

الثانية: العدول إلى المشتق وذلك كما قوله تعالى: ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[1] وقوله:﴿**وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[2]، وأُدخلت (الباء) الزائدة على الخبر لتوكيد النفي، أي: توكيد نفي الظلم وتنزيه الخالق عن ذلك[3].

وجيء بصيغة المشتق**(ظلاّم)** وهي صيغة مبالغة على وزن **(فعّال)** لاسم الفاعل؛ والسبب في ذلك هو أن التعبير بصيغة المبالغة آكد في نفي الظلم عنه ﷻ؛ لأنه لو عذّب مَنْ لا يستحق العذاب لكان ظلاّماً مفرط الظلم فنفي المبالغ فيه نفي لأقل درجاته، وهو أبلغ من نفي الظلم فقط. أي

---

(١) سورة فصلت من الآية: ٤٦.

(٢) سورة ق: ٢٩.

(٣) وكذلك المواضع التي يكون النفي فيهابـ(ليس) كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ (آل عمران:١٨٢ والأنفال: ٥١ والحج: ١٠)

أبلغ من نفي أدنى درجات الظلم؛ لأنه يلزم من نفي كونه ظلاماً نفي كونه ظالماً(١).

٣- النفي بـ(لا):

وتنفى الجملة الاسمية في أسلوب القرآن بـ(**لا**) وهي (**لا**) النافية للجنس وتسمى(لا) **التبرئة**(٢) وهي العاملة على (إن)(٣) وتأتي لنفي الخبر عن اسم الجنس الواقع بعدها مباشرة(٤) فيكون النفي بها بليغاً مؤكداً؛ لأنها تنفي وجود جنس الشيء فيكون نفيها للعموم من وجود الشيء أصلاً.

---

(١) ينظر: الكشاف: ١١٨١/٤ والتفسير الكبير: ١٧٢/٢٨ وفتح القدير – الشوكاني: ١١٠/٥.

(٢) إن مصطلح (لا النافية للجنس) هو مصطلح بصري، أما مصطلح (لا التبرئه) فهو مصطلح كوفي. ينظر: المصطلح النحوي:١٧٢.

(٣) اما العاملة عمل (ليس) في أسلوب القرآن فقليلة الورود ولا يأتي اسمها الا نكرة فلم يرد معرفةً البتة، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ﴾ (الزخرف: ٦٨) ينظر: أساليب النفي في القرآن : ٣٦-٣٧.

(٤) وهناك شروط لعمل(لا) عمل(ان) في الجملة الاسمية وهي: أن يكون اسمها نكرة، وأن لا يفصل بينها وبينه فاصل، وأن يدل اسمها على جنس الأشياء، وأن لا يدخل عليها حرف جر، وأن يأتي خبرها نكرةً أيضاً. ويمكن أن يأتي اسمها مفرداً فيكون مبنياً على ما ينصب به، كما في قوله تعالى:﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ البقرة:٢ وقوله﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ البقرة: ٢٥٦، أما إذا كان اسمها مضافاً أو شبيهاً بالمضاف فيكون منصوباً. ينظر: مغني اللبيب: ٢٠٧/١-٢٠٨.

وتأتي(**لا**) النافية للجنس في أسلوب القرآن لنفي المصدر أو ما كان في معناه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[1] وقوله: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[2].

وقوله: ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3] وقوله: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾[4] وقوله: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾[5].

ولا شك أن نفي المصدر أبلغ من نفي الفعل ففي قوله تعالى: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾[6] دخلت(لا) النافية على المصدر (**كفران**) وهو أبلغ في في النفي من لو أنه قال: فلا يكفر سعيه. ذلك أن نفي المصدر هو نفي الوصف الثابت[7].

ونلاحظ كذلك في أسلوب القرآن الكريم أن(لا) النافية للجنس تدخل على الوصف المشتق فتنفيه ويكون نفيها معه بليغاً مؤكداً، كما في قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾، فعبر عن النصر بالفعل في

---

(١) سورة البقرة من الآية: ٢.

(٢) سورة البقرة من الآية: ٣٢.

(٣) سورة البقرة من الآية: ١٩٣.

(٤) سورة البقرة من الآية: ٢٥٦.

(٥) سورة البقرة من الآية: ٢٥٦.

(٦) سورة الأنبياء من الآية: ٩٤.

(٧) ينظر: أساليب النفي في العربية: ٣٨-٤٠ وأساليب النفي في القرآن: ٣٢.

(ينصركم)- فعل الشرط- أما عندما أراد السياق أن يؤكد هذا النصر في الجواب عدل عن ذكر الفعل (يغلبكم) إلى الوصف المشتق (غالب) الذي هو على وزن (فاعل) مما أدى إلى نفي أن يكون هناك غالب لمن ينصره الله أياً كان جنسه، وفي هذا الأسلوب تحقيق للنصر وتوكيد لتحقيق هذا النصر على الأعداء، ذلك أن النصر بيد الله ﷻ وهذا التعبير فيه من البلاغة والدلالة الشيء الكثير. ومما تجدر الأشارة إليه أن النفي بـ(لا) النافية للجنس يكون للنكرات، ومما لاشك فيه أن التنكير فيه عموم وشمول؛ لذلك عده النحاة هو الاصل و التعريف فرع عليه، وهذا وهذا مما يضيف إلى النفي بـ(لا) النافية للجنس قوة في النفي في أسلوب الجملة القرآنية، فيكون النفي بها أحد المظاهر الاسلوبية المهمة في أسلوب الجملة القرآنية، وهذا هو السبب في عدم ورود (لا) النافية العاملة عمل ليس في أسلوب القرآن الكريم التي أسمها معرفة(١).

بل إن جميع المواضيع التي وردت فيها (لا) العاملة عمل ليس جاء أسمها نكرة ذلك أن القرآن يميل إلى نفي النكرة ليدل بذلك النفي على العموم وهو أبلغ من نفي المعرفة، فهو أوسع وأشمل.

ومما يؤكد دلالة (لا) النافية للجنس على العموم والشمول والاتساع في أسلوب الجملة القرآنية مجيء الخبر معها محذوفاً. وذلك كما في قولة تعالى: ﴿لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾(٢) وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا

---

(١) ينظر: أساليب النفي في العربية: ٢٨-٤٠.

(٢) سورة الشعراء من الآية: ٥٠.

فَوۡتَ ﴾[1] وقولـة: ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ ﴾[2]، وذلـك لأن عموم النفي ينبني عن معنى الخبر فيدل النفي عليه ولا حاجة لذكره[3].

وما دمنا بصدد الحديث عن خبر (لا) النافية للجنس فالغالب في خبرها أن يكون محذوفاً عند الحجازيين وأبداً عن التميميين[4]. أما في أسلوب القرآن الكريم فلم يقع خبر (لا) النافية للجنس اسماً صريحاً وإنما جاء ظرفاً أو جاراً ومجروراً، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ ﴾[5] وقولـه تعـالى: ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[6] وقولـه تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[7]، هذا كثير في أسلوب الجملة القرآنية المنفية بـ(لا)[8].

---

(١) سورة سبأ من الأية : ٥١.

(٢) سورة طه من الآية:٩٧.

(٣) ينظر: بناء الجملة العربية:٢٣٩.

(٤) ينظر الجنى الداني:٣٠٠ ومغني اللبيب:١/ ٢٠٨.

(٥) سورة غافر من الآية:١٧.

(٦) سورة الشورى:١٥.

(٧) سورة المؤمنون من الآية: ١٠١.

(٨) ينظر: أساليب النفي في العربية: ٤٠- ٤٣ .

وقد تأتي (إلا) مع (لا) النافية للجنس في أسلوب القرآن الكريم فتفيد التوكيد أو الحصر، وذلك كما في قوله تعالى:

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1] فهو من الأساليب البليغة في التأكيد، بل هو أعلى درجات التوكيد في الجملة لذلك جاء التعبير به عن كلمة التوحيد، فهو ينفي أن يكون هناك آلهة من أي جنس ثم يثبت الألوهية للواحد الأحد فقط[2].

أما إذا أُريد نفي الجملة الاسمية – التي صدرها أو المبتدأ فيها اسم معرفة– بـ(لا) فحينئذ تكون نافية غير عاملة، ويجب أن تتكرر في هذه الحالة. وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾[3]، وهذه صورة أخرى من صور نفي الجملة الاسمية في أسلوب القرآن الكريم.

وكذلك يجب أن تتكرر(لا) إذا كان المبتدأ نكرة ولكنه تأخر عن الخبر، كما في قوله تعالى﴿ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴾[4]، أما إذا كانت كانت عاملة عمل(ان) فيمكن أن تتكرر كما في قوله تعالى: ﴿لَّا لَغۡوٞ فِيهَا

(١) سورة محمد من الآية: ١٩

(٢) ينظر: أساليب النفي في العربية: ٤٣.

(٣) سورة يس: ٤٠.

(٤) سورة الصافات: ٤٧

﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾[1] ولكن تكرارها في هذه الحالة غير واجب[2]. ولا شك أن التكرار في جميع هذه المواضع يفيد تقوية النفي وتوكيده في **أسلوب الجملة القرآنية**.

وقد تُزاد على (لا) التاء لتأنيث اللفظ أو للمبالغة في النفي، وعندها لا تستعمل إلا إذا بقي من الجملة الاسمية عنصر واحد فقط وهو الخبر غالباً وإلا إذا كان العنصر الباقي والعنصر المحذوف كلاهما اسمي زمان. وقد ورد في السياق القرآني هذا الاستعمال في موضع واحد فقط وهو قوله تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[3]، والتقدير - والله أعلم- فنادى بعضهم بعضاً أن ليس الحين حين مناص أي فرار. وقد قرأ الجمهور **(حينَ)** بالنصب فدعا هذا إلى اعتبار الاسم هو المحذوف وبقي الخبر[4].

٤- النفي بـ(إن)

وتنفى الجملة الاسمية في القرآن الكريم أيضاً بـ(إن) المكسورة الهمزة ساكنة النون الخفيفة، وتكون نافية غير عاملة عند **سيبويه والفرّاء**. وأجاز

---

(١) سورة الطور من الآية: ٢٣.

(٢) ينظر: مغني اللبيب: ١/٢١١ وأساليب النفي في القرآن: ٦٢وبناء الجملة العربية: ٢٤٠

(٣) سورة ص: ٣.

(٤) ينظر: مغني اللبيب: ١/٢٢١-٢٢٣ وبناء الجملة العربية: ٢٤١. ولمزيد من التفصيل في (لات) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٤٥٢-٤٥٧.

الكسائي والمبرد إعمالها عمل(ليس)[1]. ولم ترد (إن) النافية عاملة عمل (ليس) في أسلوب القرآن الكريم إلا في قراءة **سعيد بن جبير** لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾[2]. فقرأ بنون مخففة مكسورة لالتقاء الساكنين ونصب(**عباداً**) و(**أمثالكم**)[3]. أما عند غيره فهي(إن) المشبهة بالفعل والقراءة الشهيرة هي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾، وبذلك تكون خالية من النفي. ويكون المعنى في قراءة سعيد بن جبير السابقة : إن هؤلاء الذين تدعون من دون الله إنما هم حجارة أو خشب، فهم أقل منكم لأنكم أنتم عقلاء ومخاطبون، فكيف تعبدون من هم دونكم؟![4].

ومن المظاهر الأسلوبية المهمة للنفي بـ(إن) في أسلوب الجملة القرآنية، انتقاض نفيها بـ(إلا)[5] وتحول المعنى إلى إثبات لا نفي ويفيد التوكيد عن طريق الحصر، أو ما يسمى بأسلوب القصر في التوكيد وهو من أهم طرق التوكيد في أسلوب الجملة القرآنية. وذلك كما في قوله

(١) ينظر: الجنى الداني : ٢٢٩-٢٣٠ ومغني اللبيب: ٢١/١.

(٢) سورة الأعراف من الآية: ١٩٤.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢١٧/٧.

(٤) ينظر: مغني اللبيب: ٢١/١ وأساليب النفي في العربية: ٦١-٦٣ وبناء الجملة العربية: ٢٤١.

(٥) أوبـ(لما) التي في معناها نحو قوله تعالى:﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ (الطارق: ٤) وقوله تعالى:﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ (سورة يس: ٣٢)

تعـالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[1] وقولـه تعـالى: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[2]. فالجملـة **(إن هو إلا نذير مبين)** في الآية الأولى جاءت مؤكدة لنفي أن يكون به جِنَّة – أي الرسول ﷺ – والجملة **(إن أنا الا نـذير...)** في الآية الثانية جاءت مؤكدة لنفي أن يكون الرسول ﷺ قد مسه السوء. وهذا يتفق مع ما ذهب إليه أهل البيان – عند كلامهم عن الفصل والوصل بين الجمل– في أن الفصل قد وقع بين الجملتين، ذلك أن الجملة الأولى توكيد للثانية[3].

وقد صرح **ابن القيم** بهذا المعنى الذي تفيده (إلا) في دخولها مع النفي بـ(إن) وذلك في معرض حديثه عن سياق الآيتين التاليتين: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾[4] و﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[5] قائلاً(**فالإثبات في الآيتين جميعاً تأكيد لنفي ما ما نفي)**[6].

---

(١) سورة الأعراف: ١٨٤.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٨.

(٣) ينظر: أساليب النفي في العربية: ١٢٥.

(٤) سورة يس: ٦٩.

(٥) سورة النجم: ٣-٤.

(٦) بدائع الفوائد: ١٨٧/٣ وينظر: أساليب النفي في العربية: ١٢٥.

ويمكن أن يأتي المبتدأ بعد(إن) مجروراً بـ(من) الزائدة المؤكدة. وذلك كما قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1] **وقوله تعالى:** ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[2] وقوله تعالى﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾[3]. فتفيد (من) في كل السياقات السابقة التوكيد؛ فتكسب النفي قوة وتنانةً في أسلوب الجملة القرآنية .

وقد يتقدم معها الخبر ويتأخر المبتدأ لما بعد (إلا) في سيق الجملة القرآنية الاسمية. وكما في قوله تعلى ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[5]. وقد تقدم الخبر في الجملتين وهو جار ومجرور على المتدإ؛ وذلك ليدل على الأختصاص عن طرق القصر وهذا واضح في سياق التعبيرين[6].

---

(١) سورة الإسراء: ٤٤.

(٢) سورة فاطر:٢٤.

(٣) سورة الحجر من الآية:٢١.

(٤) سورة فاطر من الآية:٥٦.

(٥) سورة الشورى من الآية:٤٨.

(٦) ينظر: أساليب النفي في العربية: ٦٤ -٦٦

النفي في الجملة الفعلية:

والنفي في أسلوب الجملة الفعلية أوسع منه في الجملة الاسمية؛ ذلك أن النفي معنى يتسلط على كل الجملة الفعلية يتصدرها الفعل في الغالب، والفعل يدل علىالحدث والزمن والاسم لايدل على ذلك ، فنفي الحدث أوسع في نفي المعنى الذي يدل عليه الاسم في الاستعمال اللغوي، ونضيف إلى ذلك أن الفعل هو الركن الاساسي في الجملة الفعلية، ونادراً مايأتي محذوفاً في بناء الجملة القياسي، أما مع النفي فلا يمكن أن تأتي الفعل محذوفاً، إذ لا معنى للنفي مع حذف الفعل من الجملة، علاوة على تعدد صور الفعل في الجلة الفعلية مما أدى إلى تعدد أدى أدوات النفي الداخلة عليها.

والجملة الفعلية التيث يدخلها النفي هي الجملة ذات الفعل المضارع أو الفعل الماضي فقط،أما الجملة ذات فعل الأمر فلا يدخلها النفي ؛ لأنها طلب والطلب إنشاء والإنشاء لايمكن الحكم عليةه بالصديق أو الكذب ولذلك فلا يمكن أن ينفى(١).

وتنفى الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع بكل الأدوات الصالحة لنفي الجملة الفعلية، وهي (لم ولما ولن وماولا وإن)(٢) ويكون الفعل مع

---

(١) ينظر: بناء الجملة العربية: ٢٤٢.

(٢) ينظر: في النحو العربي – قواعد وتطبيق :١١٧ – ١١٨ وبناء الجملة العربية: ٢٤٢.

(لم) و(لما) مجزوماً بعلامة الجزم الخاصة به، مثل قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم﴾[2] وقوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾[3].

١- النفي بـ(لما)

و(لمّا) في الأصل مركبة من (لم) و(ما)، أي أن(ما) دخلت لتأكيد النفي واستمراره في الحال وتوقع ثبوته وهي تختص بالمضارع فتجزمه وتنفيه وبذلك فهي تفارق (لم) في أنها يستمر نفيها إلى الحال، أما المنفي بـ(لم) فربما يحتمل استمرار النفي متصلاً إلى الحاضر وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[4] وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[5]. فمعنى الوحدانية متصلٌ من الماضي إلى الحاضر بل ويشمل المستقبل أيضاً. ويحتمل أن يكون منقطعاً للماضي فقط وذلك

---

(١) سورة الأخلاص:٣.

(٢) سورة البقرة من الأية:٢١٤.

(٣) سورة ص من الآية :٨.

(٤) سورة مريم: ٤.

(٥) سورة الإخلاص: ٤.

كما في قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾[1]، أي في الماضي. وهذا هو السبب في جواز اقتران(لم) بأداة الشرط (إن) ولا يصح ذلك مع(لمّا)؛ لأن استمرار النفي في الحال يتعارض مع وجود الشرط[2].

ويأتي النفي بـ(لمّا) في أسلوب القرآن الكريم لما يُتوقع ثبوته أو حدوثه بخلاف المنفي بـ(لم) فإن المعنى في قوله تعالى: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾[3] أنهم لم يذوقوه إلى الآن. وأن ذوقهم له متوقع.

يقول **الزمخشري** في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾[4]**(ماضي(لمّا) من معنى التوقع: دالٌ على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد)**[5]. يضاف إلى ذلك أن النفي بـ(لمّا) أبلغ من النفي بـ(لم)؛ لأنها تدل على نفي حدوث الفعل في الزمن الماضي متصلاً بالحال[6].

---

(١) سورة الإنسان من الآية: ١.

(٢) ينظر: أساليب النفي في العربية: ٩٩-١٠٠.

(٣) سورة ص من الآية: ٨.

(٤) سورة الحجرات من الآية: ١٤.

(٥) الكشاف: ٤/١١٧٥ ومغني اللبيب: ١/٢٤٢.

(٦) ينظر: مغني اللبيب: ١/٢٤٢. وللمزيد من التفصيل في الفرق بين (لم) و(لمّا) ينظر: ١/٢٤٢-٢٤٣.

٢- النفي بـ(لم)

أما(**لم**) فالنفي بها أوسع من(لمّا) في أسلوب القرآن الكريم. إذ يمكن أن تأتي في جملة ما نافية مؤكدة لما قبلها عن طريق قرينة موجودة في تلك الجملة ويمكن أن تأتي نافية غير مؤكدة. ففي قوله تعالى:﴿ **بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞ** ﴾[(١)] نرى أن (لم) قد نفت أن يكون لله صاحبة، أما توكيد النفي فحاصل بقوله تعالى:(**أنى يكون له ولد**) السابق للجملة المنفية، وهي جملة استفهامية تعطي معنى الإنكار وتؤكد المنفي بـ(لم) أي: تؤكد عدم وجود الصاحبة.

أما إذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿**لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ**﴾[(٢)] فليس في سياق الآية قرائن لفظية أو معنوية تفيد توكيد النفي، أي: إنه أُريد به النفي دون التوكيد؛ لأنه كان مسبوقاً بجملة خبرية[(٣)].

ومن المظاهر الأسلوبية البارزة في أسلوب الجملة المنفية بـ(لم) في السياق القرآني أن تُسبق(لم) بإحدى أدوات الشرط أو أدوات الاستفهام. ولما كانت (لم) تختص بدخولها على الفعل المضارع فتفيد نفي الماضي. فإذا سبقتها أداة شرط قيدت الزمن، غير أن الجزم يبقى بـ(لم) وليس بأداة

---

(١) سورة الأنعام من الآية: ١٠١.

(٢) سورة النور من الآية: ٥٨.

(٣) ينظر: أساليب النفي في القرآن: ١٠٧.

الشرط الداخلة، إذا كانت الأخيرة جازمة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾[1]، فنلاحظ أن الجزم قد أحدثته (لم) وليس (إن) الشرطية؛ والسبب في تسلط النفي دون الشرط في الجزم أن الأداة (لم) **(عامل شديد الاتصال بمعموله ولم يقع إلا مع الفعل المستقبل في اللفظ وإن قد دخلت على الماضي في اللفظ)**[2].

ومثله قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[3]، فنلاحظ أن الزمن قد تقيد بأداة الشرط فتحول إلى المستقبل وذلك لأن(إن) تفيد المستقبل إلا أن الجزم يكون من عمل الأداة (لم)[4].

ويجوز أن تُدغم (إن) مع(لم) في أسلوب الجملة القرآنية وذلك كما في قوله تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾[5] فقد أدغمت (إن) الشرطية في (لم) وأصبحت وكأنها أداة واحدة جديدة تختلف عن الشرط وتختلف عن الجزم. ويمكن أن تكون أداة شرطية نافية جازمة تدل على المستقبل.

---

(١) سورة البقرة من الآية: ٢٤.

(٢) التبيان في إعراب القرآن- أبي البقاء العكبري: ١/٢٥، وأساليب النفي في القرآن: ١٠٨.

(٣) سورة النور: ٢٨.

(٤) ينظر: أساليب النفي في القرآن:١٠٨.

(٥) سورة هود: ١٤.

ومن أدوات الشرط التي يمكن أن تأتي معها(لم) في أسلوب الجملة القرآنية(إذا)، كما في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾[١] أو (لو) كما في قوله تعالى:﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾.

٣- النفي بـ(لن)

ومن الأدوات التي تنفي الفعل المضارع في الجملة الفعلية القرآنية (لن) والفعل معها يُنصب بعلامة النصب الخاصة به، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[٢]، وقوله تعالى:﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾[٣]، وقوله تعالى:﴿فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾[٤]. فنلاحظ في سياق الآيات السابقة دخول (لن) على الفعل المضارع فنفت الجملة وعملت فيها النصب[٥].

ودخول (لن) على الجملة الفعلية في النفي يفيد نفي الحاضر الممتد إلى المستقبل. وهذا يعني أن(لن) أحدثت تغييراً في الدلالة الزمنية للجملة

---

(١) سورة النور من الآية: ٣٩.

(٢) سورة البقرة: ١٢٠.

(٣) سورة التوبة: ٨٣.

(٤) سورة آل عمران من الآية: ١٤٤.

(٥) ينظر: بناء الجملة العربية: ٢٤٢ وللمزيد من التفصيل ينظر: الجنى الداني:٢٨٤-٢٨٥.

الفعليـة، عـلاوة علـى تغييـر الدلالـة الإعرابيـة، فـإذا نظرنـا إلـى قولـه تعـالى﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[1] نلاحـظ أن النفـي ممتـد مـن زمـن التحدث فصاعداً. وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2]، فنلاحظ أن (لن) عند دخولها على الجملة أفادت ان الله لايقبل ديناً غير دين الإسلام منذ نزول هذة الآية إلى يوم القيامة، فـ(لن) في هذا الموضوع معناها نفي الحال النسحب إلى الاستقبال المؤبد[3]. وقد جاءت (لن) في أسلوب القرآن الكريم لدواعٍ مختلفة؛ فتأتي أحيانا للنفي فحسب، وأحياناً أخرى لتوكيد النفي. فمن الاول قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾[4] فمجيئها في هذا السياق كان لمجرد النفي ومثله ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[5].

وقد جاء النفي مؤكداً في أسلوب الجملة القرآنية وذلك عن طريق مضامة (إلا) معها فأصبح المعنى مؤكداً بطريق القصر، وذلك كما في قولـه تعـالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ

(١) سورة مريم من الآية: ٢٦.

(٢) سورة آل عمران: ٨٥.

(٣) ينظر: مغني اللبيب:١ /٢٤٦ وأساليب النفي في القرآن: ١١٨ .

(٤) سورة البقرة من الآية: ٦١ .

(٥) سورة البقرة :٨٠ .

﴿**أَمَانِيُّهُمْ**﴾[1]، وزيادة على التوكيد بالقصر في هذا السياق ، جاء التوكيد عن طريق الجملة المذيلة في آخر السياق، وهي جملة(تلك أمانيهم)؛ لذلك جاءت الجملة الأخيرة متصلة قبلها وذلك على سبيل التوكيد[2].

ومن المظاهر الأسلوبية ذات الأهمية في أسلوب الجملة القرآنية المنفية بـ(**لن**) دلالتها على المبالغة وذلك عندما تأتي (**حتى**) في تضام مع (**لن**)، ونعني هنا (**حتى**) الناصبة للفعل بعدها والتي تفيد انتهاء الغاية، أي التي بمعنى(**إلى أن**)[3]. وذلك كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾[4]، فنرى أن أسلوب الجملة المنفية فيه معنى المبالغة، أي مبالغة في القنوط من إسلامهم وتنبيه على أنه لا يرضيهم إلا ما لا يمكن وقوعه منه عليه الصلاة والسلام.

وهذا المعنى نراه أيضاً في سياق قوله تعالى:﴿**قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ**﴾[5] فهم مصرون على عبادة العجل إلى حين

---

(١) سورة البقرة: ١١١.

(٢) ينظر: أساليب النفي في القرآن : ١٢٠-١٢١

(٣) ينظر: الجنى الداني:٥٠٦ ومغني اللبيب: ١/١١١.

(٤) سورة البقرة: ١٢٠.

(٥) سورة طه: ٩١.

رجوع موسى عليه السلام إليهم مع أنهم كانوا يظنون في قرارة أنفسهم أنه لن يرجع إليهم وذلك بعد أن تأخر عليهم(١).

ويمكن أن تدخل همزة الاستفهام على **(لن)** في أسلوب الجملة القرآنية المنفية بـ**(لن)** فيتحول النفي إلى إثبات وتقرير. وذلك ما في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ** ﴾(٢). فدخول همزة الاستفهام حوّل معنى الجملة إلى الإثبات زيادة على تقرير المعنى وتوكيد النصر الذي سيقع لهم مع قلة عددهم وبساطة عدتهم(٣).

٤- النفي ب(ما) و(لا)(٤) :

وأما النفي بـ**(ما)** في أسلوب الجملة القرآنية الفعلية ذات الفعل المضارع فلا يحدث أي تأثير إعرابي في الجملة على الإطلاق. أما من ناحية المعنى فيتحول المعنى إلى النفي بعد إذ كان إثباتا وذلك كما في

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ١٨٢٦/٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٢٤.

(٣) ينظر: أساليب النفي في القرآن: ١٢٣-١٢٤.

(٤) ومثلهما(إن) النافية ألا أنها في الغالب ينتقض نفيها بـ(إلا) في أسلوب القرآن الكريم فيتحول النفي معها إلى إثبات أما مجيئها للنفي بدون (إلا) أو (لما) فقليل في أسلوب القرآن الكريم، كما في قوله تعالى:﴿ **وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ** ﴾ (الأنبياء: ١٠٩). وللمزيد من التفصيل ينظر: أساليب النفي في العربية: ٦٤-٦٦.

قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾[3][4].

و(لا) النافية للفعل المضارع أكثر أنواع (لا) استعمالاً في أسلوب القرآن الكريم، بل أن نصف ما ورد في القرآن الكريم منها من هذا النوع. وهي عندما تدخل على الفعل المضارع تخلصه للاستقبال[5].

والمتتبع للأسلوب القرآني في النفي بـ(لا) الداخلة على الفعل المضارع يلاحظ أنها ليست متعينة لنفي المستقبل وإنما تأتي لنفي الحال أيضاً وتكون حينئذٍ بمعنى (لم) كما في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[6] وقوله تعالى:

---

(١) سورة البقرة: ١٠٥.

(٢) سورة المجادلة: ٢٢.

(٣) سورة فصلت من الآية: ٣٤.

(٤) ينظر: في النحو العربي- قواعد وتطبيق: ١١٧-١١٨ وبناء الجملة العربية: ٢٤٢.

(٥) ينظر: مغني اللبيب: ١ /٢١٣.

(٦) سورة البقرة من الآية: ١٢.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾(٢). ففي كثير من الجمل القرآنية يقع المضارع بعد(لا) النافية ويُراد به الحال في بعضها والماضي في الآخر. ولهذا أشار **الدكتور إبراهيم مصطفى** إلى أن المضارع فيه معنىً من الاتساع والشمول ما يجعله صالحاً للحال والاستقبال والماضي؛ فناسب ذلك النفي بـ(لا)(٣).

وهناك لفتات أسلوبية متعددة للنفي بـ(لا) في أسلوب الجملة الفعلية القرآنية ذات الفعل المضارع فهي يمكن أن ترد مفردة غير مكررة – التكرار غير واجب في هذه الحالة عكس ما إذا وردت مع الفعل الماضي– كما في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(٤).

ومما يجدر ذكره أن في كل الجمل القرآنية التي ترد على صورة **والله لا يهدي القوم الفاسقين)** و **(والله لا يهدي القوم الظالمين)** (٥) يعدّها يعدّها البلاغيون نوعاً من القصر الذي يأتي من التقديم والتأخير، وهذا

---

(١) سورة البقرة من الآية: ١٣.

(٢) سورة النحل من الآية: ٢٦.

(٣) ينظر: إحياء النحو– إبراهيم مصطفى : ١٧٥ وأساليب النفي في العربية: ٣٨

(٤) سورة التوبة: ٨٠.

(٥) سورة آل عمران: ٨٦.

التعبير وأمثاله عند الدكتور **إبراهيم أنيس** يُعد إثباتاً لا نفياً؛ ذلك أن جملة **(والله لا يهدي القوم الظالمين)** تعادل عنده **(والله يضل الظالمين)**[(١)].

وكذلك يمكن أن تتكرر (لا) فيمثل تكرارها في السياق القرآني الجملي لفتات نفسية وعقلية جميلة ، وذلك كما في سياق قوله تعالى:﴿ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا** ﴾[(٢)]، فيمثل تكرار (لا) في هذا السياق وقفات ذهنية مليئة بالتعجب؛ ذلك أن هذه الأصنام هل تسمع دعاء الناس فتستجيب لهم؟ وإن لم تسمع فهل تبصر بعين الرؤية أو بعين العقل أفعال الناس وما يجول في نفوسهم لمجازاتهم؟ فإذا لم يكن هذا ولا ذاك، فهل تغني الإنسان في قضاء مصالحه وإبعاد السوء عنه أو جلب الخير له ؟[(٣)].

ومما لا شك فيه **(إن النفي بتكرار(لا) في الآية أكثر توكيداً وإثباتاً للنفي مما إذا قيل مثلاً(لا يسمع أو يبصر أويغني) أو أجمل معناها جميعاً في كلمة واحدة كأن يقال(ليست بشيء) وكذلك في الآية الكريمة:**

﴿**وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ**

(١) ينظر: من أسرار اللغة:٣١٦-٣١٧ وأساليب النفي في العربية: ١٩. وفي هذه الحالة تكون الجملة عبارة عن جملة مركبة تكون الجملة الفرعية فيها جملة فعلية منفية، أما الجملة الأصلية فهي جملة اسمية مثبتة وهذه الصورة من الجمل القرآنية تفيد التوكيد في الحكم.ينظر: من أسرار اللغة: ٣١٦-٣١٧

(٢) سورة مريم: ٤٢

(٣) ينظر: أساليب النفي في القرآن: ٦٢

﴿ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾[1]، اعتمدت (لا) على نفي الشيء وضده في الوقت نفسه، فإذا كانت تلك الآلهة المتخذة من دون الله شيئاً بتاتاً في هذا الوجود الرحب فما قيمتها؟)[2].

دقة اختيار أدوات النفي في أسلوب الجملة القرآنية

والأسلوب القرآني يستعمل أدوات النفي بدقة متناهية، فقد يأتي الأسلوب القرآني بسياقين متشابهين إلا أنهما مختلفان باستعمال أدوات النفي في أسلوب الجملة القرآنية المنفية.

فالقرآن الكريم يفرق بين (لن) و(لا) في الاستعمال عند النفي بهما، فيستعمل(لن) لنفي الحاضر القريب من غير أن يمتد النفي بها إلى المستقبل إلا بوجود قرينة ثابتة في السياق. أما (لا) فيمتد معها النفي إلى المستقبل من غير قرينة ثابتة في السياق. كما أن هناك فرقاً صوتياً بينهما فـ(لا) مكونة من اللام بعده الألف ويمتد بها الصوت مع امتداد النفَسْ، وهذا الامتداد يوحي بامتداد معناها، و لا نجد هذا الامتداد مع (لن)[3].

وإذا لاحظنا الأسلوب القرآني وجدناه يفرّق في استعمالهما تفريقاً دقيقاً؛ لاختلاف دلالتهما في النفي. ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) سورة الفرقان: ٣.

(٢) أساليب النفي في القرآن: ٦٣.

(٣) ينظر: ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: ٥٢.

هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] فجاء النفي بـ(لا) في جملة(**ولا يتمنونه أبداً**). ولما كانت مقترنة بحرف الشرط أصبحت من صيغ العموم فانسحب النفي على جميع الأزمنة، وذلك في قوله تعالى(**إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس**). فكان زعمهم هذا لكل وقت من الأوقات. أي: إنهم متى ما زعموا ذلك لوقت من الأوقات أو زمن من الأزمنة، قيل لهم تمنوا الموت فلا يتمنونه أبداً. فكانت (لا) في الجواب لاتساع معنى النفي على جميع الأزمنة.

وأما في قوله تعالى:﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] فقد جاء النفي في جملة (لن يتمنوه أبداً) مقتصراً على نفي الحال[3] دون الاستقبال[4]؛ لأن الجملة المنفية بـ(لن) قد سُبقت بـ(**قل إن كانت لكم الدار الآخرة**). و(**إن وكان**) في هذا

---

(١) سورة الجمعة: ٦-٧.

(٢) سورة البقرة: ٩٤-٩٥.

(٣) ويذهب الدكتور فاضل صالح السامرائي إلى أن(لن) في هذا الموضع أدت إلى نفي الاستقبال. ينظر: التعبير القرآني: ١٨٣.

(٤) ينظر: ملاك التأويل:١/٢٢٧-٢٢٨ وبدائع الفوائد- ابن القيم:١/٩٦ وابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: ٥٢-٥٣.

الموضع ليست من صيغ العموم، وذلك لأن(كان) تدل على الزمان فقط، فيكون معنى الآية وكأنه قال:**(إن كانت قد وجبت لكم الدار الآخرة وثبت لكم في علم الله فتمنوا الموت الآن لذلك جاء في الجواب (ولن يتمنوه) فانتظم معنى الجواب بمعنى الخطاب)**[1].

ويمكن أن نتلمس الفرق بين دلالة أدوات النفي في أسلوب الجملة القرآنية من خلال ما ذكره **أبن القيم** في ردّه على المعتزلة، بخصوص قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾[2] فالمعتزلة ينكرون رؤية المؤمنين لله ﷻ يوم القيامة، أما ابن القيم فيذهب إلى أن هذا موقوف على الدنيا وليس على الآخرة؛ ولذلك جاء النفي بـ(لن)، لأن النفي بها لا يدل على الدوام بخلاف النفي بـ(لا). فنلاحظ أن الأسلوب القرآني استعمل(لن) في نفي الرؤية فقال(**لن تراني**)، وذلك لأن النفي بها لا يتأبد، والدليل على أن تمنيهم الموت حاصل في الدنيا فقط هو تمنيهم الموت في الآخرة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾[3]، فهذا تمنٍ منهم للموت فلو اقتضت (لن) دوام النفي لتناقض الكلام مع قوله تعالى**(ولن يتمنوه أبداً)** وهذا يعني أن عدم

---

(١) بدائع الفوائد: ١/٩٦. وينظر: ملاك التأويل: ١/٢٢٧-٢٢٨ وابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: ٥٣.

(٢) سورة الأعراف: ١٤٣.

(٣) سورة الزخرف: ٧٧.

تمنيهم الموت مقصور على الدنيا فقط، أما في الآخرة فهم يتمنونه من شدة العذاب[1].

وهكذا نجد أن ابن القيم قد استدل على جواز رؤية المؤمنين ربهم ﷻ يوم القيامة بما تدل عليه الأداة المستعملة في نفي الجملة القرآنية، إذ إن(لن) تفيد قصر معنى النفي بها وتنفي الحال و لا يمتد معها النفي إلى المستقبل، بخلاف(لا) فإنها تنفي الحال ويمتد معها النفي إلى المستقبل، أي: إن (لن) لا تدل على معنى التأبيد الذي ذهب إليه المعتزلة الذين يمنعون رؤية المؤمنين لله تعالى؛ لأنهم لا يفرقون بين النفي بـ(لا) والنفي بـ(لن) في الأسلوب القرآني.

وقد ضرب ابن القيم عدة أمثلة في السياق القرآني، يؤيد بها ما ذهب إليه من الفرق بين (لا) و(لن) في النفي، إذ إن النفي بـ(لا) يمتد معها امتداد لفظها، وأن امتداد لفظها يؤذن بامتداد معناها بعكس (لن) فقال: **(وتأمل قوله تعالى:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾[2] كيف نفى فعل الإدراك بـ(لا) الدالة على طول النفي ودوامه، فإنه لا يدرك أبداً وإن رآه المؤمنون فأبصارهم لا تدركه تعالى عن أن يحيط به مخلوق)**[3].

وعند تفسيره لسورة **(الكافرون)** جاء بما يؤكد ذلك أيضا، فقال:**(النفي في هذه السورة أتى بأداة(لا) دون(لن) فلما تقدم تحقيقه عن قرب إن**

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد: ٩٦/١ ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: ٥٤.

(٢) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٣) بدائع الفوائد: ٩٦/١ وينظر: ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: ٥٤.

النفي بـ(لا) أبلغ منه بـ(لن) وإنها أدل على دوام النفي وطوله من (لن) وأنها للطول والمد الذي في نفيها طال النفي بها واشتد)[1]. ويمكن بعد هذا أن نعد اختيار أدوات النفي في أسلوب الجملة القرآنية من الظواهر الأسلوبية المهمة في الأسلوب القرآني. ويمكن أن يحمل دلالات واسعة في أسلوب الجملة القرآنية.

وأما الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي في أسلوب القرآن الكريم فإنها غالباً ما تنفى بـ(ما)، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[4].

وتدخل ما على الماضي في أسلوب القرآن الكريم إذا كان يدل على الماضي القريب من الحال كما عند **الزمخشري**، إذ يقول: **(ما لا تدخل**

---

(١) بدائع الفوائد:١/١٣٧-١٣٨ وينظر: التفسير القيم: ٥٣٠ وابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: ٥٥. وللمزيد من التفصيل في دقة اختيار أدوات النفي في أسلوب الجملة القرآنية ينظر: بدائع الفوائد:١/١٠١-١٠٢ والتعبير القرآني: ٢٢٨-٢٢٩.

(٢) سورة الذاريات: ٣٦.

(٣) سورة الدخان : ٢٩.

(٤) سورة المائدة : ١٠٣.

على ماضٍ إلا وهو قريب)[1]. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:﴿**مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ**﴾[2] وقوله﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ**﴾[3].

ويكثر في أسلوب القرآن الكريم مجيء الكون المنفي بـ(ما) ويكون لنفي الزمن الماضي، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم مئة وخمس مرات. ولذلك فقد ذهب بعضهم إلى أن الجملة في هذه الحالة تكون جملة اسمية ولكن دخلت عليها(كان)؛ لأنه أُريد نفيها في الزمن الماضي[4] فأصبح التركيب(**ما كان**)[5]

كما في قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ** ﴾[6]. وكثيراً ما تقترن (ما) بلام الجحود التي تأتي للتوكيد، وكما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ**

---

(١) شرح المفصل: ١٠٧/٨.

(٢) سورة المائدة من الآية: ١٩.

(٣) سورة الحج من الآية: ٧٨.

(٤) وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أن النفي في الجملة الفعلية القرآنية أوسع من النفي في أسلوب الجملة الاسمية ذلك أن الأولى تدل على الحدث والزمن

(٥) ينظر: بناء الجملة العربية: ٢٤٤.

(٦) سورة آل عمران : ٦٧.

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[2].

وقد تنفى الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي بـ(لا) في القرآن الكريم. وإذا دخلت على الفعل الماضي وجب تكرارها[3] إذ إن تكرارها في هذه الحالة يُعد وسيلة لغوية لبقاء معنى النفي معها أو دلالتها على النفي؛ ذلك أنها إذا دخلت على الفعل الماضي ولم تتكرر تحولت إلى معنى آخر وهو الدعاء وليس النفي[4].

---

(١) سورة الأنفال : ٣٣.

(٢) سورة الأنفال: ٦٧.

(٣) وتتكرر(لا) النافية وجوباً في ثلاثة مواضع. الأول الذي ذكرناه وهو عندما تدخل على الجملة الفعلية التي فعلها ماضٍ، أما الثاني فهو إذا كان ما بعدها جملة اسمية صدرها اسم معرفة أو نكرة ولم تعمل فيها كما في قوله تعالى﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس : ٤٠) وقوله: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ (الصافات: ٤٧) والموضع الثالث: هو إذا دخلت على مفرد يعرب خبراً أو صفة أو حالاً وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ (البقرة: ٦٨) وقوله: ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ (الواقعة: ٣٢-٣٣). ينظر: مغني اللبيب: ١/٢١١-٢١٣ وأساليب النفي في القرآن: ٦١-٦٢.

(٤) ينظر: بناء الجملة العربية: ٢٣٠و٢٤٤.

وقـد وردت لا مكـررة فـي قولـه تعـالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾[1] فكـان معناها النفـي. وجعل بعضـهم ورودها نافيـة فـي قولـه تعـالى:﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾[2]؛ وذلك لأنها متكررة في المعنى لأن معنى الجملة هو (**فلا فك رقبة، ولا أطعم مسكيناً. ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك)**[3]. وقيل هو جارٍ مجرى الدعاء فلا يحتاج إلى تكرير؛ لما في الدعاء من معنى المستقبل[4].

ويمكن أن تكون (لا) بمعنى(لم) في كل ما سبق أي: **لم يصدق ولم يصلِ ولم يقتحم العقبة.** وإذا كان كذلك فلا وجوب لتكرارها مع بقاء معنى النفي ذلك أنه كما لا يجب التكرار في (لم) فإنه لا يجب فيما هو بمعناها[5].

ويذهب **النسفي**(ت٧١٠هـ) إلى أن (لا) لم تتكرر في قوله تعالى**(فلا اقتحم العقبة)** في اللفظ لأنها مكررة في المعنى. إذ يقول: (**وإنما لم تتكرر في الكلام الأفصح لأنه لمّا فسر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء صار**

---

(١) سورة القيامة من الآية:٣١.

(٢) سورة البلد من الآية: ١١.

(٣) الكشاف:١٣٥٧/٤ وينظر: بناء الجملة العربية: ٢٣٠.

(٤) ينظر: مغني اللبيب: ٢١٢/١ وأساليب النفي في العربية: ٣٢.

(٥) ينظر: أساليب النفي في العربية: ٣٢

كأنه أعاد (لا) ثلاث مرات)[1]، فهي إذن مكررة في المعنى دون اللفظ فالإنسان لم يقتحم العقبة ولم يفك الأسير ولم يُطعم المسكين...

وهناك ملمح أسلوبي آخر في أنه يمكن أن تأتي (لا) بمعنى (ما) في أسلوب الجملة القرآنية ذات الفعل الماضي المعتمدة على نفي آخر. وذلك كما في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ**﴾[2]، فجملة **(و لا حرمنا من دونه من شيء)** بمعنى: وما حرمنا... ومثله قوله تعالى: ﴿ **قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ** ﴾[3].

وعليه فإن (لا) تفيد النفي مع الماضي إذا تكررت بنفسها أو مع غيرها من أدوات النفي الأخرى في أسلوب الجملة القرآنية، ويمكن أن تكون للدعاء إذا جاءت مفردة. أي: إنها تؤدي معنًى وظيفياً آخر في أسلوب الجملة القرآنية[4].

---

(١) تفسير النسفي: ٢٦٨/٤ وينظر: أساليب النفي في القرآن: ٦١.

(٢) سورة النحل: ٣٥.

(٣) سورة يونس: ١٦.

(٤) ينظر: أساليب النفي في العربية: ٣٢-٣٤ و ٦١-٦٢.

الجملة الاستفهامية

يمكن أن يكون الاستفهام في أسلوب الجملة بإحدى الأدوات التي تكون عنصراً في بناء الجملة الاستفهامية، وهي حرفا الاستفهام: **الهمزة وهل** وأسماء الاستفهام **(كيف ومتى وأين وأي ومَن وما)** وتكون لها الصدارة في الجملة ويمكن أن تعرب الأسماء مبتدأً أو مفعولاً أو ظرفاً أو نائباً عن المفعول المطلق وغيرها من الوظائف الإعرابية الممكنة لأسماء الاستفهام(١).

وقد تُعطى الجملة معنى الاستفهام وهي خالية تماماً من أدوات الاستفهام المنطوقة؛ وذلك اعتماداً على النغمة في الكلام المنطوق أو قرائن السياق والمقام(٢).

ولا بد من الإشارة إلى مصطلحي **(التصور والتصديق)** الواردين في تقسيم البلاغيين لأدوات الاستفهام، إذ يمكننا أن نجمل القول فيهما بأنه ما كان من تلك الأدوات يُسأل به عن أحد العناصر اللفظية يكون مطلوباً به التصور. أي: إن السائل يخص بالسؤال ذلك العنصر فيطلب تعيينه وتصوره وتكون النسبة حينئذٍ معلومة.

---

(١) ينظر: دلالات التراكيب- د. محمد أبو موسى:٢٠٤ وبناء الجملة العربية: ١٩٣.

(٢) ينظر: بناء الجملة العربية: ١٩٣.

وأما ما يُسأل به من الأدوات عن ثبوت العلاقة الأساسية بين المسند والمسند إليه، فيكون مطلوباً بها التصديق. أي: إن السائل يجهل النسبة بين هذين الركنين ويطلب بالسؤال معرفة أهي واقعة أم لا[١]. وبذلك تكون أدوات الاستفهام في الجملة منها ما هو خاص بأشياء معينة فلا يُسأل به عن غيرها، ومنها ما هو صالح لأن يُسأل بها عن كل شيء.

والهمزة وحدها من أدوات الاستفهام هي التي يُسأل بها عن كل شيء في الجملة. يضاف إلى ذلك أن المسؤول عنه ما يلي الهمزة مباشرةً إذا كانت للتصور، كما يلاحظ أيضاً دخول **(أم المعادلة)**[٢] المتصلة معها همزة التصور، وقد تحذف**(أم المعادلة)** في الجملة جوازاً، وكما ورد في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ** ﴾[٣] والتقدير: أم غيرك؟[٤].

إذن فالتصديق هو معرفة النسبة. أي أن المستفهم بتلك الهمزة يكون عالماً بمفردات الألفاظ في أسلوب جملة الاستفهام ولكنه يجهل النسبة والعلاقة الأساسية بينها. والفرق بين همزة التصور وهمزة التصديق أن الأخيرة لا يأتي بعدها إلا الفعل بخلاف همزة التصور التي يليها دائماً

---

(١) ينظر: دلالات التراكيب: ٢٠٤ وعلم المعاني : ٦٧-٦٨.

(٢) وأم المعادلة في هذه الحالة تقابل المسؤول عنه ويكون الواقع بعدها مفرداً لا جملة.

(٣) سورة الأنبياء: ٦٢.

(٤) ينظر: علم المعاني: ٦٨.

المفرد الذي يُسأل عنه، فضلاً عن كون همزة التصديق لا يُذكر بعدها المعادل؛ لأن التصديق الذي تأتي لطلبه يعني أن النسبة مجهولة، وذكر المعادل مع همزة التصور يعني أن المقابل له مجهول فلا يُعرف حينئذٍ أيستفهم عن النسبة أم عن المفرد(١).

أما **(هل)** فالغالب فيها أن تدخل على الجملة الفعلية لأنها لا تأتي إلا للتصديق، فإذا دخلت على الجملة الاسمية كان ذلك لتحقيق نكتة بلاغية أخرى وهي جعل ما سيحدث وكأنه حادث وموجود فعلاً. وعليه قول الله ﷻ ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾(٢) فدخول **(هل)** على الجملة الاسمية أدلّ على طلب الشكر مما لو أنها دخلت على الفعل فقال: فهل تشكرون. فالجملة الأولى فيها حثٌّ على الشكر أكثر من الثانية(٣).

أما سائر أدوات الاستفهام فيمكن أن يُسأل بها عن تصور شيء معين، ويمكن أن يكون السؤال بها متعلقاً بحكمٍ أو نسبة الإسناد بين المسند والمسند إليه(٤).

---

(١) ينظر: في النحو العربي-قواعد وتطبيق: ٥٩.

(٢) سورة الأنبياء من الآية: ٨٠

(٣) ينظر: في النحو العربي- قواعد وتطبيق: ٥٩ وعلم المعاني: ٦٩.

(٤) ينظر: دلالات التراكيب: ٢٠٥ وفي النحو العربي- نقد وتوجيه:٢٦٤، ويمكن ملاحظة هذه الأدوات في الجمل الداخلة عليها في أسلوب القرآن الكريم في مفتاح العلوم: ٣٠٨-٣١٥ والإيضاح: ٨١-٨٤ و دلالات التراكيب: ٢٠٥.

بناء الجملة الاستفهامية

يستفهم بالهمزة عن الجملة الفعلية والجملة الاسمية على حد سواء، وكذلك(**هل**) إلا أنها تختلف عن الهمزة في أن الجملة الاستفهامية مع(**هل**) تبقى محافظة على نظامها المألوف(**الفعل ثم الفاعل ثم متعلقات الفعل**)، فإذا تقدم الفاعل أو المفعول فعند ذاك تمتنع (**هل**)؛ لأن الاستفهام يكون عند التقديم عن مفرد وليس عن نسبة، و(**هل**) لا يُستفهم بها إلا عن نسبة؛ والسبب في ذلك يعود إلى أن تقدم أي عنصر من عناصر الجملة لا يتم إلا بعد تحقق النسبة فعندما تتغير الرتبة في الجملة يعني ذلك الانتهاء من تحقق النسبة فلم يبق مجال للاستفهام عنها بـ(**هل**)[1].

وقد وردت (**هل**) داخلة على الجملة الفعلية في أسلوب القرآن وذلك في قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا**﴾[2] والجملة الاسمية، كما في قوله تعالى: ﴿**فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[3] فنلاحظ أن ترتيب الجملتين الفعلية والاسمية لم يتغير وذلك سوّغ دخول الاستفهام بـ(**هل**) في الجملتين[4].

وتختلف الهمزة عن (**هل**) في أنها تأتي للاستفهام عن النسبة- **التصديق**- أو عن المفرد- **التصور**- ولكن إذا تغير ترتيب الجملة من خلال عدم حفظ الرتبة لعناصرها؛ فتكون الهمزة عندئذٍ للتصور فقط. وذلك

---

(١) ينظر: في النحو العربي-قواعد وتطبيق: ١١٦-١١٧ و ١٥٣.

(٢) سورة هود من الآية: ٢٤.

(٣) سورة هود من الآية: ١٤ والأنبياء من الآية: ١٠٨

(٤) ينظر: في النحو العربي-قواعد وتطبيق: ١٥٣.

كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾[1]، فالهمزة في سياق هذه الآية جاءت للتصور وذلك لأن الجملة قد تقدم فيها(**صلاتك**) التي هي الفاعل في أَصل الجملة المحفوظة الرتبة قبل دخول الاستفهام عليها[2].

ونرى أن الهمزة كانت للتصور أيضاً في سياق قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾[3] حيث جاء الاستفهام بها عن مفرد. إذ إن تكسير الأصنام – **الفعل**- قد عُرف ولكن المجهول عندهم هو الفاعل لذلك سألوا عن الفاعل فتوجهوا بالسؤال إلى إبراهيم بقولهم (**أأنت فعلت**) أي بتقديم الفاعل المجهول على الفعل المعلوم. فتسلط الاستفهام على الفاعل- **الاسم**- المقدم في الجملة. ولكن لو كانت الجملة قد وردت على نظامها النمطي أي بتقديم الفعل وتأخير الفاعل بعده مثل: **أفعلت أنت هذا**... لكان المعنى في ذلك أنهم يجهلون الفاعل أيضاً، ولكن الاستفهام في الحالة الأولى كان يوحي بتعجبهم من أن يكون إبراهيم هو الفاعل فضلاً عن دهشتهم. وهذا المعنى الأخير لا تؤديه الجملة الثانية التي لم يتقدم معها الفاعل فضلاً عن معنى التقرير[4].

---

(١) سورة هود: ٨٧.

(٢) ينظر: في النحو العربي–قواعد وتطبيق: ١٥٤.

(٣) سورة الأنبياء: ٦٢.

(٤) ينظر:الطراز:٢/٣٠٠ وفي النحو العربي–نقد وتوجيه: ٢٦٤-٢٦٦ ودلالات التراكيب: ٢٠٧.

أي أن تقديم الاسم- **الفاعل في الأصل**- يُشعر بحصول التصور ومعنًى زائداً عليه هو التعجب والدهشة أو الإنكار أو غيرها من المعاني المستحصلة من ذلك(١).

ولا بد من الإشارة إلى أن المستفهم عنه لابد من أن يليَ الهمزة عند الاستفهام بها حتى وإن تقدم على سائر أجزاء الجملة ، فإذا كان فعلاً قُدم الفعل، وإذا كان المستفهم عنه هو الفاعل قدم الفاعل وإذا كان المستفهم عنه هو المفعول قُدم المفعول، أو كان زماناً قُدم الزمان أو مكان وقوع الفعل قدم أيضا (٢)، أما **(هل)** فهي كسائر أدوات الاستفهام فلا يستفهم بها عن مفرد فهي أداة استفهام عن نسبة سواء كانت في جملة فعلية أم في جملة اسمية(٣).

وتختلف **(هل)** عن الهمزة كذلك في أسلوب الجملة فـ**(هل)** لا تدخل على الجملة المنفية فلا يصح أن يليها حرف نفي. وهي بذلك تختلف عن الهمزة التي يمكن أن تدخل على الجملة المثبتة والمنفية وذلك كما في قوله تعالى:﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾(٤). وهذه من الخصائص الأسلوبية المهمة للهمزة إذ يتحول النفي بدخول الهمزة إلى إثبات.

---

(١) ينظر: في النحو العربي-نقد وتوجيه: ٢٦٧ والتراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر : ١٤٣-١٤٤.

(٢) ينظر: في النحو العربي-نقد وتوجيه: ٢٦٦ ودلالات التراكيب: ٢٠٦.

(٣) ينظر: دلالات التراكيب: ٢٠٩.

(٤) سورة الشرح: ١.

وكذلك لا تدخل(**هل**) على أداة الشرط ، ذلك أن جملة الشرط تختلف عن الجملة المستقلة لأنها تدل على أن هناك شيئاً معلقاً وجوده على وجود شيء آخر[١].

ولا يُستفهم بها عن الجملة المصدّرة بـ(**انَّ**) الناسخة في التوكيد؛ لأن وجود (**انّ**) في سياق الجملة يدل على إرادة معنى التوكيد، أي توكيد مضمون ما بعدها، ومعنى هذا أن مضمون الجملة بعدها مفروغ من تحققه فإذا كان ما بعدها واقعاً ومؤكداً فلا سبيل إلى الاستفهام عنه.

وقد تأتي (**هل**) في أسلوب الجملة القرآنية **لغير الاستفهام**، فتكون بمعنى النفي كما في قوله تعالى: ﴿ **هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ** ﴾[٢]، فـ(**هل**) في هذه الجملة بمعنى(**ما**)، ولا تأتي بهذا المعنى إلا إذا كان النفي منتقضاً بـ(**إلاّ**) ليؤدي معنى التوكيد بالقصر.

ويمكن أن تأتي (**هل**) في أسلوب الجملة القرآنية بمعنى(**قد**) وتؤدي ما تؤديه من معنى التحقيق وكما في قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا** ﴾[٣]، أي بمعنى قد أتى[٤].

---

(١) ينظر :هذا البحث الصفحات: ١٨١و١٨٢.

(٢) سورة الرحمن: ٦٠.

(٣) سورة الإنسان: ١.

(٤) ينظر: في النحو العربي – نقد وتوجيه: ٢٦٦-٢٦٩ وعلم المعاني: ٧٠.

أما الهمزة فيمكن أن تدخل على الجملة وهي في نظامها النمطي فتدخل على الفعل، وكما في قوله تعالى:﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾[1] ففي هذا الموضع كانت الهمزة للاستفهام عن النسبة ومعناها الإنكار. يقول الزمخشري: (**(أفأصفاكم) خطاب للذين قالوا (الملائكة بنات الله) والهمزة للإنكار. يعني: أفخصّكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون، لم يجعل فيهم نصيباً لنفسه. وأتخذ أدونهم وهي البنات؟ وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعاداتكم**)[2].

وفي أسلوب القرآن تدخل الهمزة على الاسم- **الفاعل** – إذا كان هو المقصود بالاستفهام و الإنكار فيقدم الفاعل على الفعل سواء كان الفعل ماضياً كما في قوله تعالى:﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾[3]، وفي هذه الحالة يكون الاستفهام لغرض التقرير بأن يكون هو الفاعل فـ(**لا شبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له . عليه السلام . وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان ولكن أن يقر بأنه منه كان، وقد أشاروا له إلى الفعل في قولهم(أأنت فعلت هذا) وقال هو عليه السلام في الجواب(بل فعله كبيرهم هذا) ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت أو لم**

---

(١) سورة الإسراء: ٤٠.

(٢) الكشاف: ٢/٦٣٥ وينظر: محاسن التأويل: ١٠/٥٨٩-٥٩٠ والتراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر : ١٤٤.

(٣) سورة الأنبياء: ٦٢.

أفعل)[1]. وهذا هو الفرق بين دخول الهمزة على الاسم وبين دخولها على الفعل[2].

أو مضارعاً كما في قوله تعالى: ﴿ **أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾[3] والتقديم هنا لإنكار الحكم وتقديم الفاعل جاء للتوكيد عن طريق الاختصاص إذ **(ليس إسماع الصم مما يدعيه أحد فيكون ذلك للإنكار وإنما المعنى فيه التمثيل والتشبيه، وإن ينزل الذي يظن بهم أنهم يسمعون أو أنه لا يستطيع إسماعهم منزلة من يرى أنه يُسمع الصم ويهدي العمي)**[4]. فتقديم الفاعل ودخول همزة الإنكار عليه**(أفأنت)** دليل على أنه لا يقدر على إسماعهم وهدايتهم إلاّ الله ﷻ كما لا يقدر على رد الأصم والأعمى إلى العقل والبصيرة إلا الله وحده[5].

---

(١) دلائل الإعجاز: ٨٨-٨٩ وينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٨٩ والتراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر: ١٤٣.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم: ٣١٥ والتراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر: ١٤٣-١٤٤.

(٣) سورة الزخرف: ٤٠.

(٤) دلائل الإعجاز: ٩٤ وينظر: مفتاح العلوم: ٣١٦ والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٩٢.

(٥) ينظر: الكشاف:٢/٤٨٠-٤٨١ و البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٨٩.

ومشابه لما سبق قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[1]، فأُدخلت الهمزة في أسلوب الجملة وقُدم الفاعل معها دون الفعل(**تُكره**) دليل على أن الله وحده هو القادر على هذا الإكراه دون غيره[2].

وفي مثل هذه الحالة – أي تقدم الفاعل على الفعل- يمكن أن تبقى الجملة فعلية ويكون الفاعل مرتفعاً بفعل مضمر ويمكن أن تتحول الجملة من الفعلية إلى الاسمية، وعدم اللجوء إلى التقدير. والرأي الأخير هو رأي **الأخفش** الذي يذكره **ابن يعيش**، فيقول: **(وإذا وقع الاسم بعد حرف الاستفهام وكان بعده فعل، فالاختيار أن يكون مرتفعاً بفعلٍ مضمر دل عليه الظاهر لأنه إذا اجتمع الاسم والفعل كان جملة على الأصل أولى... ورفعه بالابتداء جيد حسن لا قبح فيه، لأن الاستفهام يدخل على المبتدأ والخبر، وأبو الحسن الأخفش يختار أن يكون مرتفعاً بالابتداء لأن الاستفهام يقع بعده المبتدأ والخبر... ولا يفتقر إلى تكلف تقدير محذوف)**[3].

والدكتور **إبراهيم أنيس** يؤيد ما اختاره الأخفش فيقول: (ولا يظهر الفرق النحوي بين التقديم والتأخير إلا حين تكون الجملة معتمدة على نفي

---

(١) سورة يونس من الآية:٩٩.

(٢) ينظر: الكشاف: ٤٩٢/٢ ومفتاح العلوم: ٣١٦ و البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٨٩.

(٣) شرح المفصل: ٨١/١ وينظر: البلاغة القرآنية في تفسر الزمخشري: ١٠٤.

أو استفهام. وهنا نسوق الآيات:**(أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون)**-**(أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون)**-**(أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون)**-**(أأنتم أشنأتم شجرتها أم نحن المنشؤن)**[١]. ففي كل من هذه الآيات بدأت الآية بالسؤال عن المسند إليه، فانتهت بجملة اسمية تقدم فيها المسند إليه على المسند)[٢].

ويبدو أن تحول الجملة من الفعلية إلى الاسمية في كل هذه الأساليب هو الأقرب إلى الصواب وذلك لأن القول باسمية الجملة يؤدي إلى تسلط الاستفهام على جميع عناصر الجملة أي يكون الاستفهام عندئذٍ **استفهام تصديق أو نسبة**. وهذا واضح من المعنى إذ في كل الجمل السابقة كان الإنكار بالهمزة ليس منصباً على الاسم المتقدم فقط بل على الاسم والفعل، أي النسبة بين المسند والمسند إليه.

وحال المفعول مع الاستفهام بالهمزة كحال الفاعل أي أن يكون هو المقصود بالإنكار أو الاستفهام فيُقدم على الفعل والفاعل في الجملة، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾[٣] وقوله: ﴿ **أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ** ﴾[٤]، فقد جاء المفعول به في الأصل**(غير الله)** بعد

---

(١) سورة الواقعة:٥٩-٧٢

(٢) من أسرار اللغة: ٣٢٤.

(٣) سورة الأنعام من الآية: ١٤.

(٤) الأنعام: ٤٠، ومثلها قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ** ﴾(الزمر: ٦٤)

همزة الاستفهام دون الفعل **(أتخذُ)** و**(تدعون)**؛ لأن الإنكار في الجملة متسلط على الاسم المتقدم – المفعول به– ففي الجملة الأولى كان الإنكار موجهاً إلى اتخاذ غير الله ولياً لا في اتخاذ الولي في الأساس، أي: إن اتخاذ الولي أمر مباح ولكنه غير مباح أن يكون غير الله[1]، فلذلك تقدم المفعول به في الجملة. وكذلك في الجملة الثانية كان الإنكار موجهاً إلى دعاء غير الله ﷻ لا إلى الدعاء نفسه، فالدعاء أمر مشروع إذا كان موجهاً إلى الله ﷻ ولكنه غير مشروع إذا وُجِّه لغير الله؛ لذلك قُدّم المفعول به في أسلوب الجملة مع الاستفهام في الموضعين.

ونظير ذلك ما ورد في سياق قوله تعالى: ﴿ **فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ** ﴾[2]، فقد بُني **أسلوب الجملة القرآنية على تقديم المفعول به مع همزة الاستفهام** وذلك لأنهم بنوا كفرهم على الإنكار، أي إنكار أن مَنْ كان مثلهم بشراً لا يمكن أن يكون رسولاً قد بعثه الله إليهم فيُتبع ويُطاع. وهذا ما يصدقه قوله تعالى: ﴿ **قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا**

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٩٥ والكشاف: ١/٣٢٠ والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٨٩-٢٩٠.

(٢) سورة القمر: ٢٤.

﴿ تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾[1] وغيرها من الآيات التي تثبت عنادهم وكفرهم[2].

ويمكن أن يتقدم **الخبر** على المبتدأ في الجملة الاستفهامية القرآنية، وذلك إذا كان الاستفهام الذي يدل على الإنكار موجهاً نحو الخبر، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾[3]، فالاستفهام هنا يرسم لنا صورة الأب وهو مقبل بفظاظة الكفر وغلظ العناد منادياً ابنه منكراً عليه ذلك.

ومن الملاحظ أن تقديم الخبر في تركيب جملة الاستفهام **(أراغب أنت)** قد أفاد شدة الإنكار والمبالغة في إظهار التعجب من كون إبراهيم عليه السلام في مثل هذا الإعراض عن آلهتهم التي كانوا يعبدونها واستهزائه بها وعدم مبالاته بهذه الآلهة[4].

ولابد من الإشارة إلى أن خصائص صياغة الجملة القرآنية وأحوال الكلمات فيها تظل مؤدية أغراضها مع الاستفهام، تلك الأغراض والدلالات التي كانت تؤديها قبل دخول الاستفهام عليها سواء في الإثبات أو النفي.

---

(١) سورة إبراهيم: ١٠.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز: ٩٥-٩٦ والتراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر: ١٤٧.

(٣) سورة مريم: ٤٦.

(٤) ينظر: المثل السائر: ٢/٢٤٤-٢٤٥ و البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري:٢٧٤ ومن أساليب التعبير القرآني :٢١٣ .

وإذا كان المقرر عند النحاة أو البلاغيين أن المستفهم عنه يلي الهمزة سواء كان فعلاً أو فاعلاً أو مفعولاً أو ظرفاً[(١)] أو خبراً، فهذا لا ينافي ما يكون في التقديم من دلالة في الجملة كالاختصاص والتقوية والاهتمام، فلهذا كان اهتمام عبدالقاهر الجرجاني- مثلاً- منصباً في بحث التقديم مع الاستفهام على توضيح ما يلي الهمزة في كونه هو المراد دائماً بمعناها الاستفهامي أو الإنكاري أو غيره[(٢)].

والسؤال هنا: هل تقديم أحد العناصر في الجملة القرآنية مع همزة الاستفهام يفقد دلالته على التقوية والتخصيص، ويتخصص لهذا الغرض؟ .أي أن المقدم في الجملة هل قُدِّم لأنه المسؤول عنه أو المقرر به أو المنكر أو المتعجَب منه... الخ . أم أن دلالته على التخصيص والتأكيد باقية؟.

في الحقيقة أن المتتبع لأسلوب الجملة القرآنية يلاحظ أن التقديم مع همزة الاستفهام يكون لبيان المطلوب بمعناه ويمكن أن يكون لإفادة التوكيد والتخصيص ولا تزاحم بين النكات البلاغية والأسلوبية في ذلك ، إلا أننا في تحليلنا لهذه الصورة من الجملة القرآنية نهتم ببيان معنى الاستفهام بوصفه أحد الظواهر المهمة التي تعتري الجملة القرآنية، فيتوجه الاستفهام

---

(١) وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ (مريم: ٦٦) وتقديم الظرف هنا يفيد الإنكار.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز: ٨٧-٩٦.

إلى العنصر المستفهم عنه في الجملة لأن ذلك هو الأهم في أسلوب الجملة، ويكون الغرض الأسلوبي من ذلك هو مناط الفائدة فيها(١).

وقد يُحوّل الاستفهام دلالة الجملة من النفي إلى الإثبات وذلك كما قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾(٣).

فعندما تدخل الهمزة على (لم) فانه يعطي غاية في الإثبات(٤)، ففي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ فالمعنى هو الإثبات وليس النفي، وتحقق ذلك عن طريق دخول همزة الاستفهام على الجملة، ثم يأتي اختيار الفعل (ترى) المعبّر عن الرؤية وذلك (ليؤكد صدق الخبر الذي يرويه الخالق، لأن البصر أكثر برهاناً من الخبر، فلم يذكر البيان القرآني تعبير (ألم تسمع) أو(ألم تُخبر) أو غير هذا، وفعل الرؤية يطّرد في كل الأخبار التي يرويها الخالق لنبيه الكريم،

---

(١) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٩٠-٢٩٣.

(٢) سورة الزمر من الآية: ٣٧.

(٣) سورة العلق من الآية: ١٤.

(٤) ينظر: في هذا البحث الصفحات: ١٢٠و١٢٢و١٣٣،في دخول الاستفهام على النفي وتحويله إلى إثبات.

(٥) سورة البقرة من الآية: ٢٤٣.

مثل أخبار عادٍ وثمود وفرعون والطير الأبابيل، ففي الفعل رسمٌ لمشهدٍ من غيب الزمن الماضي)[1].

ومن المظاهر الملفتة للنظر في أسلوب القرآن الكريم مجيء السياق القرآني متشابهاً من ناحية البناء والمعنى، إلا أن صياغة بعض الجمل في تلك السياقات مختلفة عن بعضها، فيمكن أن يرد السياق وقد دخل الاستفهام بالهمزة على الجملة الفعلية، وفي السياق الآخر كان الاستفهام بالهمزة داخلاً على الجملة الاسمية وذلك لتحقيق غرضٍ ما يحدده السياق الذي ورد فيه ذلك الاستفهام، فمن ذلك ما ورد في قصة **سيدنا لوط** عليه السلام.

ففي سياق سورة **الأعراف** جاء قوله تعالى: ﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** ﴾[2] وقال في سياق سورة **النمل** ما يشابه ذلك فقال: ﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن**

(١) جماليات المفردة القرآنية :١١٥.

(٢) سورة الأعراف: ٨٠-٨٢.

قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[1] وقال في سورة **العنكبوت**:﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[2] فنلاحظ أن السياق كان متشابهاً في **الأعراف والنمل** إلا أنه قد اختلف في سورة **العنكبوت** مما يوحي بمظاهر أسلوبية عدة في هذا الاختلاف، منها:

١- جاءت جملة الاستفهام في سورتي الأعراف والنمل جملة فعلية فقال **(أتأتون الفاحشة)** في الموضعين. أما في سورة العنكبوت فجاءت جملة الاستفهام جملة اسمية فقال**(أئنكم لتأتون الفاحشة)**، فضلاً عن كون الجملة الأولى قد وردت عارية من أدوات التوكيد في أسلوب الجملة في حين أننا نرى أن الجملة الثانية قد جاءت مؤكدة بـ**(أن واللام)** في الخبر واسمية الجملة.

إن الجملة في الأعراف والنمل **(أتأتون الفاحشة)**[3] قد جاءت الهمزة فيها للاستفهام المقصود به الإنكار والتعظيم في توبيخهم على الفاحشة، أي على فعلهم الذي لم يأت به غيرهم من الأقوام. لذلك عمد السياق

---

(١) سورة النمل: ٥٤-٥٦.

(٢) سورة العنكبوت: ٢٨-٣٠.

(٣) الأعراف من الآية: ٨٠ والنمل من الآية: ٥٤.

القرآني في سورة الأعراف إلى ذكر الأمم المكذبة من قوم نوح وهود وصالح – عليهم السلام– وذكرت مرتكباتهم السيئة مع رسلهم. وذلك ليبين لقوم لوط عليه السلام أن هؤلاء المكذبين من قبلكم على سوء أفعالهم إلا أنهم لم يسبقوكم إلى فعلكم الشنيع. فناسب ما قدم من أحوال من قبلهم من الأمم أن وبخ قوم لوط بقبيح جريمتهم وأن من كان قبلهم لم يفعلوا فعلتهم هذه فكأنه قد قيل لهم: إن الأمم التي كانت قبلهم على سوئهم وتكذيبهم لرسلهم إلا أنه لم يقع منهم ما وقع منكم من الأمر الشنيع. وهذا يعني أن ذكر الأمم المكذبين قبلهم تقريع لهم بكونهم أول من فعل تلك الشناعة.

وأنهم لما لم يسبقهم أحد إلى تلك الشناعة قيل لهم في سياق الفعل **(أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون)**[1] وهذا توكيد لحالهم لما ورد في سورة الأعراف قبلها. أي أنكم تدركون فحشها ببصائركم وأمرها غير خافٍ عليكم وعلى كل ذي عقل، وأن هذا الفعل لا يصدُر إلا من معاندٍ متصفٍ بأعظم الجهل. ولما لم يتقدم في سياق سورة النمل ذكرٌ لأحوال الأمم قبلهم الذين كذبوا فجاءهم العذاب ولم يتعرفوا على أحوال من تقدَّمهم، عدل السياق القرآني عن توبيخهم بما وُبِّخوا به في سورة الأعراف إلى ضرب آخر من التوبيخ لم يذكره في الأعراف وهو مجيء الجملة الحالية الاسمية **(وأنتم تبصرون)** التي تؤكد الجملة الفعلية السابقة لها **(أتأتون الفاحشة)** أي أنكم تفعلون الفاحشة وهو غير خافٍ عليكم شناعتها وعلى مَن له عقل أو بصر يبصر به.

---

(١) النمل من الآية: ٥٤.

ولما تقدم في سورتي الأعراف والنمل تقريرهم تقريعاً وتوبيخاً ،وعُرِّفوا بعظمة جريمتهم مرة بعد مرة جاء التعبير عن فعلهم وشناعته **بالاستفهام الإنكاري** الداخل على الجملة الاسمية المؤكدة بـ **(أن واللام)**(١) لثبوت هذه الصفة فيهم، إذ قد تقدم تقريرهم التوبيخي مرتين- **في الأعراف والنمل**- فجاء أسلوب الجملة في **العنكبوت** على الاسمية المؤكدة ليدل على ثبوت حالهم وسوء الفاحشة التي يعملونها.وهذا مقتضى الترتيب في السور والآي في السياق القرآني. فجاء كل تعبير على ما يناسب(٢).

٢. جاء جواب الاستفهام مختلفاً في المواضع الثلاثة ، فكان في سورة **الأعراف (بل أنتم قوم مسرفون)**(٣) وجاء في سورة **النمل (بل أنتم قوم تجهلون)**(٤) وجاء في سورة **العنكبوت (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر)**(٥) فما هو السبب في ذلك الاختلاف؟.

السبب في ذلك (**(أنه قصد بما ذكر في سورة الأعراف الإشارة إلى التعريف بانهماكهم في الجرائم وقبيح المرتكبات فنص على أفحشها وحصل الإيماء إلى ما وراء ذلك بما ذكر من إسرافهم(بل أنتم قوم مسرفون)**.

---

(١) وهي جملة (أئنكم لتأتون الفاحشة) من سورة العنكبوت: ٢٨.

(٢) ينظر: ملاك التأويل: ١/٥٤٣-٥٤٧.

(٣) سورة ألأعراف من الآية: ٨١.

(٤) سورة النمل من الآية: ٥٥.

(٥) سورة العنكبوت من الآية: ٢٩.

ولما قيل في سورة النمل (أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) كان أهم شيء أن تنفى عنهم فائدة الأبصار إذ لم تغن عنهم شيئاً فأعقب بقوله: (بل أنتم قوم تجهلون) أي أن مرتكبكم مع علمكم شنيع ما فيه، من أقبح ما يرتكبه الجهّال، ولم يذكر هنا إسرافهم إذ قد حصل فيما ذُكر في الأعراف.

وأما سورة العنكبوت فقصد فيها تفصيل ما أُشير إليه في الأعراف من شنيع ما ارتكبوه من إسرافهم فقيل(أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر)، وورد أولاً- بحسب الترتيب المتقرر عليه السور والآيات - ذكر أفحش مرتكباتهم ثم أجمل القول في سائر جرائمهم، ثم أتبع في السورة الثانية بشنيع حالهم في تلك الفعلة المنصوص عليها من حيث بيان فحشها للأبصار والبصائر ثم أتبع ذلك في السورة الثالثة بتفصيل بعض قبائح أفعالهم والتنصيص عليها وجاء هذا كله على ما يجب))[1].

٣- وهناك لفتة أسلوبية أخرى في سياق الآيات إذ جاء جواب قوم لوط عليه السلام في سورة الأعراف: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[2] وفي سورة النمل: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ

---

(١) ملاك التأويل: ١/٥٤٨-٥٤٩.

(١) سورة الأعراف من الآية: ٨٢ .

﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾[١] وفـي سـورة العنكبـوت: ﴿ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٢] فالجواب مختلف في كل مرة وذلك لا يخلو من دلالة.

والسبب في ذلك الاختلاف هو(أنه لما زِيد في تعنيفهم في النمل وتعريفهم بإتيانهم الفاحشة على علم بها أو مع مشاهدة بعضهم بعضاً وعدم استخفائهم بها، وذلك أقبح في المرتكب فلما زيد في تعريفهم زيد في تعليل الإخراج التنصيص على الآل، لأن قوله:(**آل لوط**) أنصُّ في إخراج جميع من للوط ﷺ من ذويه وأهله في قوله(**أخرجوهم**)[٣] بزيادة التنصيص الأعم بإزاء الأزيد في التقريع. ولما عدد من قبائح مرتكباتهم في العنكبوت ما عدد بقوله :(أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ). فكان تعداد مرتكباتهم أشد توبيخاً في تقريعهم وأنكأ (**لتمييز**) أفئدتهم، كان مظنة تهييج (**واشتعال**) لسيء أخلاقهم وقبيح جوابهم، فأجابوا جواب من استحكم حنقه، وطُبع على قلبه فقالوا :(ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ) تحكيماً وتحقيقاً لتكذيبهم وشاهداً (**بتصميمهم**) على المعاندة والكفر، لأن قولهم في الموضعين قبل: (أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ) على شناعة مرتكبهم فيه ليس كقوله:(ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ) لأن قولهم:(أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُم) يُفهم بفحواه ما يستلزم إخراجهم من مجازاتهم على ذلك)[٤]. أي

---

(١) سورة النمل : ٥٦.

(٢) سورة العنكبوت : ٢٩.

(٣) المذكورة في سياق سورة الأعراف: ٨٢.

(٤) ملاك التأويل:١/٥٤٩-٥٥٠.

على إنكار آل لوط لفعل هؤلاء . أما الجواب الأخير فيدل على المعاندة والمكابرة والتحدي، وهذا سبب التفصيل في هذا السياق أيضاً. وفي ذلك دلالة على دقة استعمال الجملة في الأسلوب القرآني كل حسب موقعه.

ولا بد من الإشارة إلى أن الاستفهام في أسلوب القرآن الكريم على الأغلب **غير حقيقي** فهو يخرج عن أصل وضعه الذي هو طلب الفهم ومعرفة المجهول وقد ورد الأخير في غير موضع في أسلوب القرآن الكريم. كما في قوله تعالى: ﴿ **يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا** ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ** ﴾[3] وغيرها من المواضع التي جاء فيها الاستفهام حقيقياً. وقد يخرج إلى معانٍ مجازية أخرى يقررها السياق القرآني الذي ورد فيه[4].

ومن أبرز تلك المعاني التي يؤديها الاستفهام في الجملة القرآنية النفي أو الإنكار، أي أنه يكون ما بعد أداة الاستفهام منفياً، ويكون معناه في الماضي معنى **(لم يكن)** وفي المستقبل معنى **(لا يكون)** ومن ذلك

---

(١) سورة الأعراف: ١٨٧

(٢) سورة الشعراء : ٢٣.

(٣) سورة المائدة من الآية: ١١٢.

(٤) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٦٣ والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٩٥.

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾[1] أي: لا نؤمن لك، وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾[2]، أي: لا نؤمن. وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾[3]، أي لا أحد. وغيرها من الجمل القرآنية التي تعطي هذا المعنى[4].

ولعل السر في جمال هذا الأسلوب والتعبير به عن أسلوب النفي في تركيب الجملة القرآنية هو(**أن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جواباً يحتاج إلى تفكير، يقع به هذا الجواب في موضعه، ولما كان المسؤول يجيب بعد تفكير وروّية عن هذه الأسئلة بالنفي، كان في توجيه السؤال إليه حملاً على الإقرار بهذا النفي وهو أفضل من النفي ابتداءً**)[5].

ومن المعاني المهمة أيضاً لجملة الاستفهام في أسلوب القرآن الكريم التقرير- وهو كثير في القرآن الكريم- وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾[6]، [6]، فالاستفهام في هذا السياق قد خرج عن معناه الأصلي إلى معنى

---

(١) سورة الشعراء من الآية: ١١١

(٢) سورة المؤمنون من الآية: ٤٧.

(٣) سورة الروم من الآية: ٢٩.

(٤) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٦٣.

(٥) من بلاغة القرآن: ١٦٣ وللمزيد من التفصيل.ينظر: دلالات التراكيب: ٢٢٦- ٢٤٥.

(٦) سورة المائدة من الآية: ١١٦.

التقرير، إذ أن الله ﷻ يعلم ما قاله عيسى ابن مريم عليه السلام لقومه. فهو ﷻ لا يريد أن يستعلم منه، بل كان الغرض هو تقرير المعنى[1]. وقد قُدم الضمير المنفصل(**أنت**) مع الهمزة لبيان أن الاستفهام ليس عن القول بل عن مَنْ قال هذا القول؛ لأن من مزايا الهمزة البارزة أنها تتصل بالمستفهم عنه مباشرة، فالاستفهام هنا هو استفهام تصور.

وقد جاء الفعل (**قال**) في السياق ماضياً في لفظه، مستقبلاً في معناه؛ لأن هذا التقرير سيكون في المستقبل – يوم القيامة– وليس في الدنيا، فيكون معنى السياق هو: وإذ يقول الله يوم القيامة يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس في الدنيا اتخذوني وأمي إلهين من دون الله. والدليل على ذلك قوله تعالى في السياق نفسه: ﴿ **قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ** ﴾[2]. فاليوم هو يوم القيامة.

ونظير ذلك ما ورد في قوله تعالى:﴿**هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـًٔا مَّذۡكُورًا** ﴾[3] فالاستفهام قد خرج عن معناه الأصلي إلى معنى التقرير والتحقيق. ومثله قوله تعالى: ﴿**أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ۝٢ وَأَرۡسَلَ**

---

(١) ينظر: علم المعاني: ٧٢–٧٣.

(٢) سورة المائدة من الآية: ١١٩.

(٣) سورة الإنسان: ١.

عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾[1] فالاستفهام إذا دخل على النفي أصبح الكلام مثبتاً لذلك يعطف عليه بالموجب الصريح كما في هذا السياق[2].

وقد يكون من الصعب ضبط معنى الاستفهام في غرض محدد في أسلوب الجملة القرآنية فيُعمد إلى ذكر جملة من المعاني حول الاستفهام الوارد في تركيب جملة معينة، ففي قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾[3] يقول الزمخشري: (**الهمزة للتقرير والتوبيخ والتعجب من حالهم**)[4].

وفي قوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[5] فالاستفهام قد خرج إلى معانٍ عديدة هي **الإنكار والتوبيخ والعتاب والتعجب**. وهذا (التعدد دليل على ما نريد أن نؤكده من أن المعنى الذي يفيده الاستفهام خفي وسانح ومتفلت، وأننا نحاول السيطرة عليه بمثل

---

(١) سورة الفيل:٢-٣.

(٢) وللمزيد من الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام في أسلوب القرآن الكريم، ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري:٢٩٥-٢٩٨ ومن بلاغة القرآن: ١٦٣-١٦٥ ودلالات التراكيب:٢١٩-٢٢٧وبلاغة الكلمة والجملة والجمل: ١٣٠-١٣٤ وعلم المعاني: ٧١-٧٨.

(٣) سورة البقرة من الآية: ٤٤.

(٤) الكشاف: ١/٦١.

(٥) سورة العنكبوت: ٢.

هذه الأوصاف الكثيرة ... التي نتوهم أنها تحيط به ولكنها لا تستخرج منه إلا بعض إشاراته، أو لا تصف منه إلا ما يظهر)[1].

وفيما يبدو أنه مهما تعددت معاني الاستفهام في الجملة القرآنية إلاّ أنه يبقى أحد هذه المعاني أكثر وضوحاً من غيره من المعاني، ففي قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[2] يبقى غرض التوبيخ في الجملة هو الأكثر شيوعاً وإيحاءً في أسلوبها ودلالتها. وفي قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[3] يبقى غرض الإنكار هو الأكثر إشعاعاً في الجملة وهكذا في بقية الجمل القرآنية.

وقد يكون المقصود من الاستفهام في أسلوب الجملة القرآنية غير المعاني التي ذكرناها وهو من التفنن الأسلوبي للجملة القرآنية. كأن يُراد بالاستفهام – مثلاً– لفت انتباه المسؤول إلى المسؤول عنه ليتبينه أشد التبيين وذلك تمهيداً لإحداث أمر عظيم فيه، وذلك كما في سؤال الخالق ﷻ موسى عليه السلام في قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾[4]، يقول الزمخشري: (**إنما سأله ليريه عِظَم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة**

---

(١) دلالات التركيب: ٢١٨.

(٢) سورة البقرة من الآية: ٤٤.

(٣) سورة العنكبوت : ٢.

(٤) سورة طه : ١٧.

اليابسة من قلْبها حيّة نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه وينبهه على قدرته الباهرة)[١].

وقد يكون المقصود من الاستفهام في أسلوب الجملة القرآنية لفتة أسلوبية أخرى، وهي معرفة الجواب، إذ ليس المستفهم عنه هو المقصود؛ والسبب في ذلك هو أن للجواب أثراً في سياق الكلام والغرض منه. كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا** ﴾[٢]، يقول **الزمخشري**: **(فإن قلت لم طلب أولاً وهو وامرأته على صفة العتيّ والعقر، فلما أُسعفَ بطلْبتهِ استبعد واستعجب؟ قلت : ليُجاب بما أُجيب به، فيزداد المؤمنون إيقاناً ويرتدع المبطلون، وإلا فمعتقد زكريا أولاً وآخراً كان على منهاج واحد: في أن الله غني عن الأسباب)**[٣].

وقد أشار **الدكتور أبو موسى** إلى أن بعض مواقع الاستفهام في أسلوب القرآن الكريم لا تفصح إفصاحاً واضحاً بمعنى الاستفهام إلا بمراجعة السياق الذي وردت فيه جملة الاستفهام[٤].

ومن ذلك أننا لا نستطيع أن ندرك معنى الاستبطاء في قوله تعالى:

---

(١) الكشاف: ٧٠٢/٢. وينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٩٩.

(٢) سورة مريم : ٨.

(٣) الكشاف: ٦٧٧/٢. وينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٠٠.

(٤) ينظر: دلالات التراكيب: ٢١٦ و ٢١٩.

﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾[1] إلا إذا رجعنا إلى السياق الوارد قبله وهو قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾. فالمعنى العام للآية الكريمة هو أن المؤمنين لن يدخلوا الجنة إلا بعد الابتلاء والتمحيص، زيادة على العبرة في تذكر الأقوام قبلهم الذين مستهم البأساء والضراء، والصبر على الشدائد وزلزلوا حتى أن الرسول وصحابته -وهم صفوة القوم والمرابطين معه- استطالوا مدة العذاب واستبطؤوا النصر، وهذا المعنى الأخير لم نكن لنتوصل إليه إلا بالمرور على السياق والإحاطة به أو بالجمل الواردة في هذا السياق[2].

ونظير ذلك جملة قوله تعالى:﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ﴾[3]، فإننا لا نستطيع أن ندرك أن الاستفهام يؤدي غرض التنبيه على ضلال القوم إلا إذا رجعنا إلى السياق الذي وردت فيه جملة الاستفهام فنقرأ قوله تعالى:﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ

---

(١) سورة البقرة: ٢١٤.

(٢) ينظر: دلالات التراكيب : ٢١٩. ٢٢٠ وعلم المعاني ٧١.

(٣) سورة التكوير : ٢٦.

رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[1].

فنلاحظ أن السياق القرآني للآيات يبين أن جبريل عليه السلام هو الذي نزل بالآيات على محمد ﷺ وأن الخالق يقسم على ذلك بالنجوم الخنس والجوار الكنس، أي الجاريات حتى تغيب وكذلك يقسم بـ(**الليل إذا عسعس**) أي إذا أدبر وبـ(**الصبح إذا تنفس**) وظهر فضلاً عما ذكره الله تعالى من أوصاف جبريل عليه السلام بأنه رسول كريم وأنه مطاع في الملأ الأعلى وغيرها من أوصاف النبي ﷺ.

فالذي يكذّب بكل هذا الذي ذكره الله تعالى فلا بد أن يكون في ضلالة، وهذا المعنى لم نحصل عليه من جملة الاستفهام(**فأين تذهبون**) فقط بل حصلنا على ذلك من خلال استعراض جمل السياق الذي وردت فيه جملة الاستفهام[2].

وهكذا نرى أن معاني جملة الاستفهام في أسلوب القرآن الكريم تتنوع بحسب الأداة الداخلة عليها، والسياق الذي وردت فيه جملة الاستفهام.

---

(١) سورة التكوير: ١٥-٢٦.

(٢) ينظر: محاسن التأويل: ١٧/٢٧١-٢٧٤ ودلالات التراكيب: ٢٢٠-٢٢١ وعلم المعاني: ٧٢.

الفصل الثالث

التلازم بين الجمل

١. في الفصل والوصل.

٢. في الشرط والجزاء.

٣. في القسم والجواب.

توطئة:

الجملة القرآنية هي جملة حيّة تتحرك على وفق التأثير في المتلقي، ولكل جملةٍ خصائصها وطبيعتها، وكل جملة لها أثرها في غيرها من الجمل، ولها وقعها في النفس بحسب تكوينها البنائي وأثرها السياقي وعن سر وجودها وفاعليتها، وعمّا يمكن أن تؤديه بوجودها معطوفة أو مستأنفة، موصولة أو مفصولة، مقدمة أو مؤخرة، حالية أو مؤكدة، مبينة أو مفسرة....

وكل ذلك يكون على وفق الأسلوب أو الطريقة التي ارتبطت بها الجمل في السياق وتدفقها وتوالدها وتشعبها وتعاملها مع النفس البشرية في عواطفها ومخيلتها وغرائزها ونزعاتها.

وعن سحرها وجمالها وعن المعنى المراد من توارد الجمل في أسلوب معين دون أسلوب أو تعبير آخر، وعن خروجها عن خطها المألوف أو بنائها النمطي منفردة أو مجموعة مع غيرها من الجمل، ولاشك أن جمل القرآن الكريم خير من ينطبق عليه الكلام؛ لأنه معجز في ألفاظه وجمله ونظمه(١). لذلك سنتناول في هذا الفصل **(الثالث)** الطرق التي تتلازم بها الجمل القرآنية وتترابط.

معنى التلازم: – ونعني به طبيعة ارتباط الجمل القرآنية في السياق ذاته، وهذا الارتباط إما أن يكون معنويا، أو يكون ارتباطا بإحدى أدوات

---

(١) ينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ١٥٧-١٥٩.

الربط، أو يكون بهما معاً في سياقات معينة، كما نرى ذلك في الشرط والقسم وغيرهما، فتكون الجملة مرتبطة بالأخرى ولا تستطيع الأولى الاستغناء عن الثانية والعكس صحيح. وهذا ينطبق على الجمل المتجاورة أو المتباعدة، كما سنرى.

ولما كانت علاقة الإسناد هي الأساس الذي تبنى عليه الجملة، فإن العلاقة بين جمل النص تتعدى هذه العلاقة إلى علاقات أخرى أوسع منها، وهذه العلاقات محكومة بقوانين طبيعة اللغة المستعملة في النص، علاوة على وجود تناسب بين جمل النص الواحد.

ففي كثير من الأحيان لا نستطيع الحكم على الجملة في القرآن الكريم إلا بالرجوع إلى السياق الذي تنتمي إليه، وبهذا المفهوم تكون الجملة **(بنية غير مكتفية بنفسها، بمعنى أن الجملة المجردة تحتاج إلى جاراتها من الجمل حتى تتضح دلالاتها وضوحاً كاملاً وحتى يتحقق الإخبار والإعلام المقصود من وجود النص)**[(١)].

وعليه يمكن أن نفهم **التلازم** بين جمل القرآن من خلال دراسة المظاهر التي تتلازم بها الجمل في السياق القرآني، وذلك مثل الفصل والوصل بين الجمل، وارتباط الجملة الحالية وتلازمها مع الجملة قبلها – التي تحتوي على صاحب الحال – ودراسة الشرط والجزاء، والقسم وجوابه، **فالتلازم** حاصل في كل ذلك عن طريق الرابطة المعنوية فضلاً عن روابط أخرى يقتضيها السياق.

---

(١) علم اللغة النصي: ٥١/١.

وهذا ما نسعى إلى تبيانه من خلال الدراسة.

في الفصل والوصل:

الفصل والوصل ظاهرتان أطال البلاغيون الوقوف عندهما وذلك لإحساسهم بدقة المسلك ومواضعه ومنهم من قصره على الجمل ومنهم من تعداه إلى المفردات(١)، وجعلوا الأداة الرئيسة فيه هي الواو في الوصل والفصل في إسقاطها. وكل منهما يتعلق بظاهرة العطف النحوي(٢).

و**الواو** هي الأداة الرئيسة في وصل الجمل وبها عُرف الباب، وذلك للمكانة التي تحتلها الواو والمعنى الوظيفي الذي تفيده وهي المشاركة وتختلف بقية الأدوات عن الواو بمعناها الوظيفي الخاص بها **فالفاء** تفيد الترتيب والتعقيب و(**ثم**) تفيد الترتيب والتراخي و(**أو**) تفيد التخيير وهكذا، وهذه الوظائف تيسر للمتكلم طريق العطف بتلك الأدوات من جهة(٣)، وتعين السامع على فهم المعنى المراد بها من جهة أخرى(٤).

---

(١) ينظر" دلائل الإعجاز: ١٧١.

(٢) تنقسم أدوات العطف إلى قسمين: ما يعطف مطلقاً. أي يشرك في الإعراب والمعنى وهي (الواو وثم والفاء وحتى و أم و أو) والثاني: ما يعطف لفظاً فحسب. أي يشرك في الإعراب وحده وهي(بل و لا و لكن) ينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ٢٠٦.

(٣) ينظر: بناء الجملة العربية: ١١٢.

(٤) ينظر: علم المعاني: ١٦٠-١٦١.

ولكن الواو تختلف عن باقي الأدوات في ربطها بين الجمل. إذ إنها لا تفيد سوى مطلق الجمع بين الطرفين أو الجملتين؛ وهذا ما أدى إلى اللبس والخطأ في بعض الاستعمالات ولاسيما إذا كان العطف بها بين الجمل التي يدق مسلكها وتتعدد احتمالاتها، وهذا هو السبب في اعتناء البلاغيين بها دون غيرها من أدوات العطف(١).

وعلى كل حال فإن جمل السياق القرآني تتلازم إما وصلا أو فصلا، وإن الأصل في هذا التلازم هو الوصل، ذلك أنه أول ما يتبادر إلى الذهن في حال الكلام عن الوصل والفصل، وأول ما يتبادر إلى الذهن أيضاً من أدوات الوصل هي أدوات العطف، وأشهرها في تأدية هذا المعنى هي **(الواو)**؛ لإفادتها عطف مطلق الجمع مع التشريك.

ولذلك سوف نقدم الوصل على الفصل في هذا المبحث بوصفه الأساس في ربط الجمل وتلازمها ويعدل عن هذا الأساس إلى الفصل، إذ إن الأخير هو طارئ على الوصل ويكون بحذف أدوات الوصل أو الربط في السياق القرآني.

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٧٢ والمعاني في ضوء أساليب القرآن: ٢٢٥ والفصل والوصل في القرآن الكريم: ٥٧-٥٨ و بناء الجملة العربية: ١٥٨ وعلم المعاني: ١٦٠-١٦٢.

١- الوصل

إن أدوات الوصل تمثل العلاقة السياقية الفنية التي تحقق **التلازم بين الجمل** المعطوفة، ومن يحسن وضعها في الكلام فقد أحسن السبك والنسق بيم أجزاء الكلام. لأن هذه الأدوات تقوم بربط الجمل الموصولة أو المعطوفة فضلاً عن معنى آخر يضفيه هذا النوع من التلازم إلى السياق تبعاً لنوع الرابط أو السياق الذي ورد فيه ذلك الوصل(١)، وبعض حروف العطف أصلح من بعضها الآخر في التعبير تبعاً للدلالة الحاصلة من دخولها في السياق، فـ(**الواو**) تفيد التشريك ومطلق الجمع، و(**الفاء**) تفيد الترتيب والتعقيب، و(**ثم**) تفيد الترتيب والتراخي، وإذا أُريد التعبير عن الغاية والتدرج استعملت (**حتى**) مع ملاحظة أنها لا تعطف إلا ما كان جزءاً مما قبلها تحقيقاً أو تقديراً ولا يُعطف بها إلا الأسماء الظاهرة، وإذا أُريد التخيير استعملت (**أو**)، وإذا أريد التسوية جيء بـ(**أم**) وتكون للوصل إذا كانت متصلة وهي **أم المعادلة** مسبوقة بهمزة يُقصد بها التسوية، وهي في هذه الحالة تكون ملازمة لجملتين مؤولتين بالمصدر(٢)، كما في قوله

---

(١) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ٢٠٥-٢٠٧ وبناء الجملة العربية: ١٥٨.

(٢) ويمكن أن تعطف بين المفردات إذا جاءت بعد الهمزة التي يقصد بها التعيين لأحد الشيئين وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾(النازعات: ٢٧)

تعـــالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]،
وقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾[2].

-وقد حدد البلاغيون قواعد وصل الجمل وهي:[3]

١- أن تكون الجملة الأولى لها موقع من الإعراب وأُريد إعطاء الثانية هذا الحكم الإعرابي وكان هناك مناسبة بين الجملتين ولا مانع من وصلهما، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[4].

٢- أن تتفق الجملتان خبراً أو إنشاءً، لفظاً ومعنى أو معنى فقط مع وجود المناسبة بينهما، وليس هناك مانع من الوصل و كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[5]، ومثال الإنشائيتين قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[6]، ومثال الإنشائية

---

(١) سورة البقرة: ٦.

(٢) سورة آل عمران: ١٩٣.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٧٣-١٧٤ ومفتاح العلوم: ٢٧١-٢٧٢ و الفصل والوصل في القرآن الكريم: ١٦٥-١٦٦ و بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ٢٠٤-٢٠٨ واللغة في الدرس البلاغي: ٢٤١-٢٤٢.

(٤) سورة البقرة: ٢٤٥.

(٥) سورة الانفطار: ١٣-١٤

(٦) سورة الأعراف من الآية: ٣١.

معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[1]، وسمّوا ذلك التوسط بين الكماليين.

٣- أن يكون بين الجملتين كمال انقطاع مع إيهام الفصل خلاف المقصود، كما في قولنا(**لا وعافاك الله**).

وإذ نظرنا إلى الأسلوب القرآني نجد أنه قد تعدى هذه القواعد التي حددها البلاغيون؛ وذلك لأن السياق القرآني قد استخدم طرقا أخرى في وصل الجمل بما يخدم المعنى الذي يريد القرآن إيصاله إلى المتلقي، فكانت الخصائص السياقية لوصل الجمل القرآنية متنوعة بما يخدم التعبير الذي ورد فيه ذلك الوصل فيكون الوصل في القرآن الكريم لأسباب من أبرزها:

١- أن تتلازم الجملتان عن طريق الوصل؛ وذلك لأن للجملة المعطوف عليها موضعاً من الإعراب - أي تكون في حكم المفرد- وأريد إعطاء الجملة الثانية هذا الحكم الإعرابي ولا بد من وجود التناسب بين هاتين الجملتين بأحد لوازم التناسب كالضدية والبيان والتعليل[2]، علاوة على عدم وجود مانع للوصل بينهما، ومن ذلك قوله تعالى﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾[3]، فنلاحظ أن جملة **(ويؤت كل**

---

(١) سورة البقرة: ٨٣.

(٢) ينظر: الإيضاح: ٢٦٣.

(٣) سورة هود من الآية: ٣.

ذي فضل فضله) معطوفة على جملة **(يمتعكم متاعا حسنا إلى اجل مسمى)** وذلك لان جملة **(يمتعكم)** عبارة عن فعل مضارع مجزوم؛ لأنه واقع في جواب الطلب في قوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾[1]، والمعنى هو **(استغفروا ربكم من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة)**[2]، فالجملة إذن في محل جواب الشرط المقدر، و**التقدير**: إن تعبدوا الله يمتعكم، فتكون الجملة الثانية إذن **عُطفت** على الأولى؛ لأنها شاركتها في الموقع الإعرابي، وعليه فكأننا عطفنا بين مفردات وليس بين جمل، وأما المناسبة بين **(يؤت)** و**(يمتعكم)** فكلاهما فيه معنى المنع والإعطاء[3].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[4]، فعندما نتأمل هذا السياق نجد أن الجملة الأولى **(يقبض)** قد وقعت خبر للمبتدأ لفظ الجلالة**(الله)** وقد عُطفت عليها جملة **(يبسط)** لتشاركها في الحكم الإعرابي، مع ملاحظة ما بين الجملتين من تناسب، فيجمع بينهما التضاد فالبسط ضد القبض، والضد أقرب حضوراً بالبال عند ذكر ضده لذا عُطفت الجملة الثانية على الأولى لهذا الغرض، مع ملاحظة أن الجملتين خبريتان لفظاً ومعنى.

---

(١) الآية السابقة.

(٢) الكشاف: ٢/٤٩٥.

(٣) ينظر: سورة هود دراسة لغوية ودلالية : ١٨٩-١٩٠.

(٤) سورة البقرة من الآية: ٢٤٥.

- ومن مسوغات الوصل- العطف- بين جملتين مختلفتين خبراً وإنشاءً هو أن السياق يتطلب ذلك التغاير، فيمكن أن تتفق الجملتان في المعنى ولكنهما تختلفان في اللفظ. وذلك كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾(١)، وسياق الجملتين واضح فالجملة الثانية جملة إنشائية لفظا ومعنى والجملة الأولى خبرية لفظاً ومعنى، وبعد التأمل في السياق يتجلى معنى تلازم الجملتين عن طريق الوصل، إذ إن المشركين من قوم هود ﷺ لما عبدوا الأصنام من دون الله وسموها آلهة واثبتوا لها أن الإلوهية نفى هود ﷺ ذلك الاعتقاد بقوله (**أشهد الله واشهدوا**) ففرق بين إشهاد الله تعالى بصيغة الخبر وإشهاد القوم بصيغة الأمر -الطلب- وذلك لبيان الفرق بين الإشهادين، فإشهاد الله إشهاد على التحقيق أما إشهادهم فليس على ذلك، بل مبني على عدم المبالاة لأنهم بالنسبة إليه أعداء فكيف يشهدهم؟ وهذا الإشهاد من باب إقامة الحجة عليهم، أي في تبليغهم وهذا هو مسوغ الوصل بين الجملتين، أي التغاير بينهما في المعنى.

يقول الزمخشري: (**فإن قلت : هلا قيل :أُشهد الله وأُشهدكم قلت: لأن إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشدّ معاقده، وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب. فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف**

---

(١) سورة هود : ٥٤.

ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة، كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه. إشهد علي إني لأحبك، تهكماً به واستهانةً بحاله)[1].

ونضيف إلى ذلك كله أن الاختلاف أو التغاير بين الجملتين في الخبر والإنشاء قد أنزلتهم منزلة المأمور وجعلت هوداً عليه السلام في منزلة الأمر [2].

وهناك وجه آخر لمسوغ الوصل بين الجملتين وهو أنه يمكن أن تكون الجملتان قد اتفقتا في المعنى؛ لأن كليهما خبر في التأويل، أي: إني أُشهد الله وأُشهدكم. ولكنهما اختلفتا في اللفظ، فالجملة الأولى خبرية والثانية إنشائية والمناسبة الجامعة بينهما هي توكيد براءة هود عليه السلام من الشرك، ولكن الأصل يمنع العطف في مثل هذه الحالة، أي يمنع عطف الخبرية على الإنشائية، لكن الأسلوب القرآني تعدى هذا الأصل إلى أنه يمكن عطف الجمل المختلفة خبراً وإنشاءً كما في هذا السياق[3].

---

(١) الكشاف: ٢/٥٠٨ وينظر: خصائص التراكيب: ٢٠٦ وأسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية : ١٠٢-١٠٣.

(٢) ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ١٥٥.

(٣) ينظر: مباحث في علم المعاني – د. محمد طاهر الحمصي : ٢٧١-٢٧٢ وسورة هود دراسة لغوية ودلالية: ١٩٥.

ويتجلى ذلك أيضا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾[1]، فقد وصل السياق القرآني الجملة الإنشائية **(ولا تأكلوا)** بالجملة الخبرية **(وإنّه لفسق)** عن طريق العطف خلافاً للمشهور.

يقول الدكتور **عبد القادر حسين: (ولا ندري لماذا لم يأخذ البلاغيون بجواز عطف الإنشاء على الخبر أو العكس ؟ وإن وجدوا شيئاً من ذلك أوّلوه، وقدّروا عطف خبر على خبر أو إنشاء على إنشاء، ولماذا لم يكن شأن البلاغيين شأن النحاة في قبول هذا الرأي؟ ولو كان البلاغيون رفضوا هذا النوع لأنهم لم يجدوا إلا أمثلةً من صنع النحاة لالتمسنا لهم العذر في هذا الرفض. ولكن القرآن شاهد بهذه الآية[2] على وجود هذه الصورة. ولقد ساورني الشك أول الأمر على اعتبار أن الواو في قوله تعالى(وإنه لفسق) ربما تكون للحال وليست للعطف فتخرج الآية عن صحة الاستدلال بها في عطف الخبر على الإنشاء. ففتشت في تفسير الطبري والكشاف والقرطبي والبيضاوي فما وجدت أحداً قد عرض لهذه الواو في كونها للعطف أو للحال)[3].**

---

(١) سورة الأنعام: ١٢١.

(٢) والآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾(هود: ٥٤).

(٣) أثر النحاة في البحث البلاغي- د. عبد القادر حسين:٩٧-٩٨ وينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم: ٤٦.

٤- ويمكن أن تتلازم الجملتان عن طريق الوصل إذا اختلفتا في اللفظ واتفقتا في المعنى وذلك كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾[١]، فنجد أن الجملة الثانية هي جملة خبرية لفظاً ومعنى وقد وصلت بالجملة الأولى وهي جملة إنشائية لفظاً لأنها مصدرة بالاستفهام إلا أنها بمعنى الخبر، فالاستفهام قد دخل على النفي فتحول إلى إثبات، أي: شرحنا لك صدرك، وبذلك فقد اتفقت مع الثانية في المعنى فصح العطف لوجود الجامع بينهما[٢].

٥- ومن الأسباب في تلازم الجمل عن طريق الوصل في السياق القرآني التقابل الذي يتمثل بالتضاد، الذي يمثل الاختلاف في المعنى، إذ أنه بالضد تُعرف الأشياء وتتضح ويسهم هذا التضاد في تناسق جمل القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝٥٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٣]، فجاء الوصل بين الجمل في هذا السياق للتقابل بينهما. فالذين آمنوا وعملوا الصالحات يقابله الذين كفروا بآياتنا، وجنات النعيم يقابلها عذاب مهين.

---

(١) سورة الشرح: ١-٢.

(٢) ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن: ٢٣١.

(٣) سورة الحج : ٥٦-٥٧.

لذلك جاء الوصل بالواو، وكلما كان الاختلاف كبيراً كان الوصل بأحد الحروف أحسن[1].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2]، فالسياق القرآني قد ربط بين صفتين متقابلتين، فربط بين مغفرة الله – تعالى– لذنوب عباده وبين عقوبته الشديدة. على نحو ما أشار إليهما قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، وهذا كثير في السياق القرآني في وصل المتضادات في المعاني[4].

ومن أبرز التناسب بين الجمل المتلازمة من خلال الوصل؛ لوجود المتضادات فيها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[5]، فنلاحظ في هذا السياق دقة التناسب بين الجمل المتلازمة الموصولة فـ(**الشقي الذي وجبت له النار لإساءته والسعيد الذي**

(١) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ١٧٢.

(٢) سورة الرعد: ٦.

(٣) سورة المائدة: ٩٨.

(٤) ينظر: تأملات في سورة الرعد: ٦٠.

(٥) سورة هود: ١٠٦– ١٠٨.

وجبت له الجنة لإحسانه)[١]، وقد تضمنت الآيات جملتين رئيستين وُصلت أحداهما بالأخرى عن طريق العطف بالواو، الجملة الأولى تناولت الأشقياء ووصفت حالهم ومالهم **(فأما الذين شقوا...)** والجملة الثانية تناولت السعداء وحالهم أيضا **(وأما الذين سُعِدوا...)** وكلتا الجملتين خبرية وهما متضادتان في المعنى[٢]وقد اتخذ القرآن طريقة التقابل وسيلة للإيضاح، علاوة على التلازم بين الجملتين؛ لاختلاف المعنيين[٣]، فهناك تناسب وتناسق في السياق القرآني للجملتين، إذ إن الألفاظ تسير عقب المعاني ولا تسبقه، وهذا هو أحد الخصائص المهمة للسياق القرآني في وصل الجمل وتلازمها[٤].

٦- ومن مظاهر التلازم بين الجمل ووصلها التناظر أو التشابه بين الجملتين في البناء وفي المعنى وذلك كما في قوله تعالى:﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾[٥]، فنلاحظ احتواء الجملتين على فعلين مضارعين **(يستطيعون ويبصرون)** فضلا عن كون الجملتين إنشائيتين واتحاد المسند في الجملتين وهو **(الواو)** والكلام هنا عن الأصنام

---

(١) الكشاف: ٢/٥١٩.

(٢) ينظر: روح المعاني: ١٢/٣٢ وسورة هود دراسة لغوية ودلالية: ١٩٤.

(٣) وللمزيد من التفصيل في التضاد بين الجمل ووصلها. ينظر: علم اللغة النصي: ٢/١٤٧ وما بعدها.

(٤) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ١٧٢.

(٥) سورة هود: ٢٠.

التـي كـانوا يعبـدونها مـن دون الله، فالأصـنام لا تسـتطيع السـمع أو الإبصار[1]، فلذلك وُصلت الجملتان ببعضهما وتلازمت لوجود التناظر في بناء الجملتين واتحاد المسند فيهما فضلاً عن كثرة ورود السمع والبصر مقترنتين ببعضهما في السياق القرآني كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3]، يضاف إلى ذلك كله التناسب الموجود بين الجملتين، فمن محسنات الوصل بين الجملتين الفعليتين أن يكون بينهما تناسب إلى أقصى حد كأزمنة الأفعال والتقديم والتأخير والنفي والإثبات وغيرها.

كذلك من محسنات الوصل بين الجملتين الاسميتين وجود تناسب إلى أقصى حد كحالة المسند فيهما (**مفرد، شبه جملة، جملة**)، وأساسهما على مبتدأ أو خبر أو على (**إن**) واسمها وخبرها... ولايحسن العدول عن ذلك التناسب إلا لغرض بلاغي كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[4]، حيث عُطفت جملة (**هم يستعتبون**) وهي جملة اسمية على الجملة الفعلية المنفية (**لا**

---

(١) ينظر: سورة هود دراسة لغوية ودلالية: ١٩٤.

(٢) سورة النحل: ٧٨.

(٣) سورة الشورى: ١١.

(٤) سورة النحل: ٨٤.

يـؤذن لهـم) لبيان أن غير الكفار يستعتبون، فنُفي بذلك الاستعتاب عن الكافرين[1].

٧- وتتلازم الجملتان في الأسلوب القرآني عن طريق الوصل إذا كانت الجملة الثانية لا تصلح أن تكون صلة أو خبراً أو حالاً أو نعتاً، فيكون الغرض من عطف الجمل ربط بعضها ببعض واتصالها وتلازمها والإيذان بأن المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية عن الأولى، وكانت الجملة الثانية أجنبية عن الأولى غير ملتبسة بها، فعندئذٍ لا بد من دخول حرف العطف، وأكثر ما يكون حرف العطف في مثل هذه الحالات هو (الفاء)، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[2]، فنرى أن جملة **(تصبح الأرض مخضرة)**معطوفة على جملة **(أنزل من السماء ماء)**الواقعة خبراً على الرغم من أن الجملة المعطوفة خالية من الرابط الذي يربطها باسم (أن)؛ وذلك لأنه لا يمكن أن يقال **(ألم تر أن انزل ماء تصبح الأرض)** من دون أن تدخل الفاء بين الجملتين. أما مع وجود العطف بالفاء فيصبح التعبير سائغاً مقبولاً[3].

---

(١) ينظر: مباحث في علم المعاني: ٢٧٢.

(٢) سورة الحج: ٦٣.

(٣) ينظر: بناء الجملة العربية: ١٥٧.

ومثل ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ﴾[2]، فإن الفاء الداخلة في السياقين أدت الوصل بين الجملتين فضلاً عن السببية المفهومة من السياق[3].

ونلاحظ ذلك أيضاً في قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾[4]، فقد رُبطت جملة **(فأصدق)** بالتي قبلها بالفاء وذلك يفيد معنيين المعنى **الأول:** السببية و**الثاني:** العطف. وهذا هو الفرق بينها وبين الواو و(ثم) فإنهما تفيدان العطف فقط، علاوة على كون الفاء تفيد التعقيب بلا مهلة في حين أن **(ثم)** تفيد التراخي **والواو** تفيد مطلق الجمع. فيكون المعنى : إن هذا الإنسان في ساعة الموت وعند احتضاره يطلب التأخير ليسلك سبيل الصالحين. ولو جاء بغير الفاء لما أفادت هذا الغرض[5].

---

(١) سورة المرسلات من الآية: ٣٦.

(٢) سورة فاطر من الآية: ٣٦.

(٣) ينظر: علل النحو – ابن الوراق: ٢٨٥.

(٤) سورة المنافقون: ١٠.

(٥) ينظر: لمسات بيانية: ١٣٧.

٢- الفصل:

إذا كان التلازم بين الجمل عن طريق الوصل بأحد حروف العطف فإن الفصل هو أيضاً تلازم بين الجمل المفصولة ذلك أن (**الفصل وصل تقديري خفي وأنه أقوى من الوصل الظاهر بحروف العطف وأن التنبه إلى هذا الوصل الخفي باب دقيق من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه**)(١).

وهذه التفاتة **الزمخشري**، حيث يقول في قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾(٢)، فإن قلت أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في (**سوف تعلمون**)؟ قلت: إدخال الفاء: وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، ونزعها: وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر، كأنهم قالوا: فماذا يكون إن عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت؟ فقال: سوف تعلمون، فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب، وأقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف، وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه)(٣).

---

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٥٩.

(٢) سورة هود: ٩٣.

(٣) الكشاف: ٥١٧/٢ والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٥٩-٣٦٠.

فالجمل التي تتوارد على سبيل البيان لا حاجة فيها إلى ذكر لفظ يدل على الربط[1]، ذلك أنها متلازمة مترابطة، فهي بمثابة الشيء الواحد أو الجسم الواحد في الترابط، فإذا دخلها حرف وصل كان غريباً وشاذ[2]، فمثلاً آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[3]، نجد أن الجمل قد ترتبت فيها من غير دخول حرف عطف، ونجد أن ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه، والبيان متحد مترابط بالمبيّن، فالجملة الأولى جاءت بياناً (**لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه، والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لأحاطته بأحوال الخلق، وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة... والخامسة**

---

(١) ولا تنحصر أدوات الفصل في أداة واحدة وهي (طرح الواو) وإنما قد فصل السياق القرآني بين الجمل بـ(واو الاستئناف) و(الفاء) و(بل) و(أم المنقطعة) و(ضمائر الفصل) و(الاستثناء المنقطع) وغيرها من أدوات الفصل إلا أن أشهرها في ذلك هو (طرح الواو). وللمزيد من التفصيل ينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ١٨٩-١٩١ والفصل والوصل في القرآن الكريم: ١٧٦-١٧٩.

(٢) ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم: ٩٠.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٥.

لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها. أو لجلالة وعظم قدره)[1]، وقد كان عدم دخول العطف بينهما ضرباً من درجات البلاغة العالية ومثالاً لتلازم الجمل وترابطها(**حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير نسق، وذلك لمجيئها متآخية أخذاً بعضها بعنق بعض، فالثانية متحدة بالأولى معتنقة بها وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة)**[2].

ولو نظرنا إلى قوله تعالى:﴿ الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾[3]، لوجدنا ذلك الارتباط واضحاً بين هذه الجمل من غير دخول عاطف فقوله **((ألم)جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها، و(ذلك الكتاب)جملة ثانية، و(لا ريب فيه)جملة ثالثة، و(هدى للمتقين)رابعة. وقد أُصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم)**[4].

ونلاحظ أن هذه الجمل الأربع قد جاءت كل واحدة منها مؤكدة للتي قبلها، فقوله تعالى(ذلك الكتاب)جاء عقب قوله (الم) وأن معنى (الم) إشارة إلى أن القرآن يتكون من هذه الحروف التي تنطقون بها. وقوله **(لا ريب فيه)** تأكيد **(لذلك الكتاب)**؛ لأن معنى **(ذلك الكتاب)**، أي: الكتاب في علو

---

(١) الكشاف: ١/١٣٧ وينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٦٣ والفصل والوصل في القرآن الكريم: ٩٠-٩١.

(٢) الكشاف: ١/٢٠. وينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم:٩١.

(٣) سورة البقرة: ١-٣.

(٤) الكشاف: ١/٢٠ وينظر: الجامع لإعراب جمل القرآن: ٤٣.

الشأن والسمو والرفعة، وقوله سبحانه(**هدى للمتقين**) تأكيد لقوله سبحانه (**لا ريب فيه**)؛ لأن الغرض الأسمى من تنزيل الكتب السماوية هو هداية الناس، فقد جاءت كل جملة تؤكد سابقتها بتقوية المعنى وتثبيته[١].

وتتنوع مواضع الفصل في السياق القرآني بحسب الغرض من صياغة الجمل في ذلك السياق وذلك لأن الغرض الأساسي من استعمال الفصل والوصل هو إيصال المعنى إلى المخاطب في أوضح صورة وأحلاها ، لذلك يقع الفصل في القرآن الكريم إذا كان: -

١- بين الجملتين اتحاد تام في المعنى، وذلك بأن تكون الثانية توكيداً للأولى أو بياناً لها أو بدلاً منها، فعندئذٍ تكون الجملتان متلازمتين تلازماً تاماً ولا حاجة في دخول العاطف بينهما، فمن التوكيد اللفظي قوله تعالى:﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾[٢]، فجملة (**أمهلهم**) توكيد لفظي للجملة الأولى (**فمهل الكافرين**)[٣].

ومن التوكيد المعنوي قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٤]، حيث جاءت جملة (**لا يؤمنون**) تأكيداً

---

(١) ينظر: معالم التنزيل: ١/٨٠-٨٢ والبلاغة فنونها وأفنانها: ١/٤٠٥.

(٢) سورة الطارق: ١٧.

(٣) ينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ٢٠٣.

(٤) سورة البقرة: ٦-٧.

لجملة (**سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم**) وجملة (**ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم**) تأكيداً ثانياً أبلغ من الأول، لأن الذين يتساوى عندهم الإنذار وعدمه، من البديهي أن تكون قلوبهم مختوماً عليها وعلى أبصارهم غشاوة[1].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾[2]، حيث جاءت جملة (**إنما نحن مستهزئون**) توكيداً لجملة (**إنا معكم**) وذلك لأن جملة (**إنا معكم**) معناها الثبات على اليهودية، وجملة (**إنما نحن مستهزئون**) معناها الردة عن الإسلام، ذلك أن المستهزئ بالإسلام والشريعة يُعد كافراً بالإجماع ، فتكون الجملة الأخيرة مؤكدةً لما قبلها[3].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ﴾[4]، فنلاحظ أن جملة (**يخادعون**)جاءت بغير **الواو** لأن هذه المخادعة هي

---

(١) ينظر دلائل الإعجاز: ١٧٥ والفصل والوصل في القرآن الكريم: ٨٠ والجامع لإعراب جمل القرآن: ٤٧

(٢) سورة البقرة: ١٤.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٧٦ والفصل والوصل في القرآن الكريم: ٩٨.

(٤) سورة البقرة: ٨-٩.

عين قولهم (**آمنا**) التي قالوها بألسنتهم فقط ولم تتمكن من نفوسهم، أي: إنهم لم يكونوا مؤمنين، فهو إذن كلام أُكِّد به كلام آخر هو في معناه[1].

ومن المواضع الدقيقة في ذلك قوله تعالى﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2]، فجاءت الجملة الأخيرة (**كأن في أذنيه وقرا**)بغير حرف العطف وذلك (**لأن المقصود من التشبيه بمن في أُذنيه وقر هو بعينه المقصود من التشبيه بمن لم يسمع إلا أن الثاني أبلغ وآكد... وذلك أن المعنى في التشبيهين جميعاً أن ينفي أن يكون لتلاوة ما تلي عليه من الآيات فائدة معه ويكون لها تأثير فيه، وان يجعل حاله إذا تليت عليه كحاله إذا لم تُتلَ، ولا شبهة في أن التشبيه بمن في أذنيه وقر أبلغ وآكد في جعله كذلك من حيث كان من لا يصح منه السمع**)[3].

ومن المواضع الدقيقة أيضا قوله تعالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[4]، فجملة (**إن الدين عند الله الإسلام**)جملة مستأنفة

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٧٥ والتراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر : ١٣١.

(٢) سورة لقمان: ٧.

(٣) دلائل الإعجاز: ١٧٦ وينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم: ٧٥.

(٤) سورة آل عمران: ١٨-١٩.

وملازمة للجملة التي قبلها وهي جملة **(لا اله إلا هو العزيز الحكيم)** لما تحمله الجملتان من معنى التوحيد والعدل [1]، فالجملتان بمعنى شيء واحد، لذلك سقط العاطف بينهما فالشيء لا يُعطف على نفسه.

ويمكن أن تأتي الجملة مؤكدة للجملة المنفية في السياق القرآني، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[2]، فان جملة **(إن هذا إلا ملك كريم)**جاءت تأكيداً لجملة**(ما هذا بشراً)** التي تسبقها والملاحظ إن الجملتين تحملان المعنى نفسه ، فإن السياق حينما يكون ينفي كون يوسف عليه السلام بشراً في حالة المدح والثناء، فليس معنى ذلك إلا أننا ندخله في زمرة الملائكة وهذا هو معنى الجملة الثانية، وبذلك تلازمت الجملتان من غير عاطف؛ لأن الجملة الثانية جاءت توكيداً للجملة الأولى[3].

ومن الجمل المتلازمة التي تكون بياناً وإيضاحاً لجملة سبقتها قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾[4]، حيث جاءت جملة القول مبينةً فحوى الوسوسة، ولو وُضعت الواو قبل فعل القول لتغير المعنى إلى استئناف جملة لا علاقة لها بالوسوسة. أي جملة **(قال يا آدم)**عطف بيان لجملة **(فوسوس إليه**

---

(١) ينظر: الكشاف: ١/١٥٥-١٥٦ والفصل والوصل في القرآن الكريم: ١٠٣.

(٢) سورة يوسف: ٣١.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٧٦-١٧٧ والبلاغة فنونها وأفنانها: ١/٤٠٧.

(٤) سورة طه: ١٢٠.

الشيطان) جاءت لتوضح أن الوسوسة كانت من الشيطان وهي المقصودة بالحكم(١).

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾(٢)، فجملة **(إن هو إلا وحي يوحى)** هي بيان- **عطف بيان**- لجملة **(وما ينطق عن الهوى)** وهذا من مواضع كمال الاتصال بين الجمل التي لا تحتاج إلى عاطف بينها(٣). وهي ثلاثة مواضع إما أن تكون الجملة الثانية توكيدا للأولى أو بدلاً أو عطف بيان(٤).

ومن الجمل التي تأتي بدلاً عن التي قبلها قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾(٥)، فجملة **(صراط الذين أنعمت عليهم)** بدل من **(الصراط المستقيم)** وهو في حكم تكرير العامل كأنه قيل (اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين أنعمت

---

(١) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ٤١٢/١.

(٢) سورة النجم: ٣-٤.

(٣) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ٤١٢/١.

(٤) ومن عطف البيان أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾(الشعراء: ١٠-١١) أي أنه سجل عليهم الظلم وكأنه قال(ائت قوم فرعون) وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ (ص: ٧٦) فجملة(خلقتني من نار) معطوفة عطف بيان على سابقتها للبيان والإيضاح. ينظر: الكشاف: ٨٢٧/٣ و ١٠٤٣ والفصل والوصل في القرآن الكريم: ٩٨.

(٥) سورة الفاتحة: ٦-٧.

عليهم) وفائدة البدل هنا أنه يؤدي غرض التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير، والإشعار بأن الطريق المستقيم المراد بيانه وتفسيره هو صراط المسلمين. ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده[1]، ويسمى هذا البدل بدل **كل من كل.**

ومنه قوله تعالى﴿ **بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ** ﴾[2] فنلاحظ أن الجملة الثانية جاءت بدلاً من الجملة الأولى بدل كل من كل وهذا يعني أن التلازم والترابط بينهما حاصل بدون العطف[3].

وكذلك تتلازم الجملتان تلازماً تاماً فلا تحتاجان إلى عاطف بينهما إذا كانت الجملة الثانية **بدل بعض من كل** كما في قوله تعالى:﴿**وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ** ﴾[4]، فإن جملة **(أمدكم بما تعلمون)** لا محل لها من الإعراب؛ لأنها صلة الموصول وقوله **(أمدكم بأنعام وبنين)** هي بدل منها، وذلك لأن الأنعام والبنين من جملة ما يعلمون وقد خُصصت بالذكر لمكانتها عند الإنسان وهي المؤثر المباشر في حياته

---

(١) ينظر: الكشاف: ١/١٢.

(٢) سورة المؤمنون: ٨١-٨٢.

(٣) ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم: ١٦٤.

(٤) سورة الشعراء: ١٣٢-١٣٣.

فضلاً عن العناية بشأنها وكونها حجة عليهم وهي توفي بالغرض وتؤدي المقصود من السياق القرآني[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾[2]، فجملة (**يذبحون أبنائكم**) بدل بعض من كل من جملة (**يسومونكم سوء العذاب**)، وذلك لأن تذبيح الأبناء جزءٌ من سومهم العذاب ومنهم من ذهب إلى أنها- الجملة الثانية- عطف بيان وليست بدلاً[3].

ويمكن أن تكون الجملة الثانية بدل اشتمال من الأولى وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[4]، فقد جاءت جملة (**اتبعوا من لا يسألكم أجراً...**) بدل اشتمال من جملة (**اتبعوا المرسلين**) ذلك أن جملة البدل وردت لتوكيد المعنى وتثبيته لأن هؤلاء الرسل لا يسألونكم شيئا إذا ما اهتديتم وهذه الجملة تؤدي غرض الترغيب على إتّباع هؤلاء المرسلين لأن سؤال الأجر أدعى لإتّباعهم، خاصة أن

(١) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١/٤٠٩ والفصل والوصل في القرآن الكريم: ١٦٤.

(٢) سورة البقرة: ٤٩-٥٠.

(٣) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١/٤٠٩-٤١٠.

(٤) سورة يس: ٢٠-٢١.

عدم سؤال الأجر ليس داخلاً في مفهوم الرسالة لأن مفهوم الرسول:أنه من أرسله الله ﷻ إلى الناس لتبليغهم الإسلام وإنذارهم العذاب[1].

ومن الأهمية بمكان أن نشير هنا إلى الفرق بين عطف البيان والبدل وهو دقيق جداً، ذلك أن عطف البيان ليس هو المقصود بالحكم كالبدل إذ المقصود وهو المبّين، ولكن عطف البيان يأتي للتوضيح وزيادة في البيان فحسب، أما البدل فهو المقصود بالحكم؛ لذلك يفيد البدل التوكيد في كثيرٍ من الأحيان، أما عطف البيان فيفيد التوضيح والفرق واضح[2].

ويمكن أن يكون بين الجملتين اتحادٌ تامّ وذلك لأن الجملة الثانية واردةٌ على سبيل الوصف-النعت- للجملة الأولى، فتكون الجملتان مترابطتين أشد الترابط، ويكون الفصل بينهما من الناحية الشكلية فقط ، أي سقوط حرف العطف. ومن ذلك قوله تعالى:﴿**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ**﴾[3]، فجملة (**هو أنشاكم**) قد جاءت وصفاً للفظ الجلالة (**الله**) في جملة (**اعبدوا الله مالكم من اله غيره**)، وذلك كي يعرفوه هو يعرفوا عظمته ويبين لهم عظم قدرته

---

(١) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١/٤١٠ والفصل والوصل في القرآن الكريم: ١٦٤.

(٢) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١/٤١١.

(٣) سورة هود من الآية: ٦١

فهو الذي ابتدأ خلقهم من الأرض[1]، فكيف يليق بكم أن تعبدوا غير الذي خلقكم وأوجدكم من العدم[2].

ولما كانت جملة (**هو أنشاكم**) قد جاءت وصفاً للجملة السابقة لها أو لأحد عناصرها فلا يليق أن تُعطف عليها، ذلك أنه لا يعطف بين الصفة والموصوف، أي لا يفصل بينهما بفاصل – كما في المفردات – وذلك لأنهما كالشيء الواحد، فلا يجوز عطف الشيء على نفسه، ولذلك استُغنيَ عن العطف لكمال الاتصال والتلازم[3].

٢- ويقع التلازم بين الجمل فيفصل بينهما إذا كانت الجملة الثانية تصلح أن تكون جواباً عن سؤال يُفهم من الجملة الأولى فيقع الفصل بين الجملتين كما يُفصل الجواب عن السؤال لما بينهما من اتصال وتلازم، وهو أيضاً استئناف يُزيل الغموض ويوضح الإبهام، وكما في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾[4]، فنلاحظ أن جملة (**قال يا نوح إنه ليس من اهلك**)جاءت مفصولة عن الجملة التي سبقتها وهي قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ

---

(١) وذلك واضح في قوله تعالى:﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾ (طه : ٥٥).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٩/٥٦.

(٣) ينظر: بناء الجملة العربية: ١٤٥-١٤٦ وسورة هود دراسة لغوية ودلالية: ١٨٢-١٨٣.

(٤) سورة هود: ٤٦.

﴿... أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾[1]، لأن الجملة الأخيرة قد تضمنت سؤالاً يُفهم من سياقها فجاءت جملة **(قال يا نوح إنه ليس من اهلك...)** إجابة على ذلك السؤال.

يقول الزمخشري: **(قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وإن لم يصرح به لأنه إذا ذكر الموعد بنجاة أهله وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز، وجعل السؤال ما لا يعرف كهنه جهلاً وغباوة وعظة أن يعود إليه والى أمثاله من أفعال الجاهليين)**[2].

ومن الملاحظ أيضاً أن جملة **(إنه عمل غير صالح)** قد جاءت مفصولة عن جملة **(إنه ليس من اهلك)** وذلك لأنها جاءت على سبيل البيان والإيضاح ويمكن أن تكون بدلاً.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (25) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[3]، ففي هذا السياق كان السؤال مذكوراً في جملة **(هل أتاك حديث ضيف إبراهيم)** وقد فُصل بينها وبين جملة الجواب

---

(1) سورة هود: ٤٥.

(2) الكشاف: ٢/٥٠٦.

(3) سورة الذاريات: ٢٤-٢٧.

وهي قوله: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾[1]، كالفصل بين الخبر والإنشاء لشدة تلازمهما.

ونلاحظ أيضاً أن السياق قد فصل بين جملة **(قالوا سلاما)** وجملة **(قال سلام)** وهذا الفصل مبني على تقدير سؤال مفهوم من السياق إذ يوافق البيان الإلهي في سياق الآية الكريمة ما تعارف عليه الناس في حديثٍ عن دخول شخص إلى آخر وقال كذا، فيسألون: وماذا أجابه؟ وهذا يعني أن جملة (قالوا سلاماً) متضمنة سؤالاً وهو بمَ أجابهم إبراهيم؟ فيكون الجواب هو جملة (قال سلام) فلذلك فُصلت الجملتان لأنهما متلازمتان في السياق القرآني.

والملاحظ في السياق القرآني أن هذا الأسلوب قد جاء ظاهراً بيّناً سواء أكان السؤال موجوداً أم مضمراً[2]، ففي سياق قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3]، فالسؤال كان موجوداً قبل هذه الآية التي نحن بصددها وهو: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[4] فأتى الجواب على لسان موسى عليه السلام:

---

(١) سورة الحجر: ٥٢ وهذا مشابه لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ﴾ (هود: ٦٩).

(٢) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١/٤١٢-٤١٣.

(٣) سورة الشعراء: ٢٧-٢٨.

(٤) سورة الشعراء: ٢٣.

﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾(١)، إلا أن السؤال كان مضمراً في الآية التي قبل آية الجواب تدل عليه جملة الجواب وكأن السؤال هو: ربك رب أي شيء...؟ فجاء الجواب(٢): **(رب السموات والأرض)**.

ويسمي نحاة العربية هذا النوع من الفصل بين الجمل بالاستئناف البياني لأنه استئناف عما سبقه من جمل، إلا أنه بليغ واضح وتكون معه الجمل متصلة أشد الاتصال في المعنى ويعطي السياق جوانب بلاغية أسلوبية إيجازية تقوي المعنى وتجملُهُ أسلوبيا(٣).

٣- وتتلازم الجمل القرآنية أيضاً على الرغم من كونها مفصولة شكلياً إذا كان بين الجملتين تباين تام وذلك باختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾(٤)، فنلاحظ أن جملة **(إياك نستعين)** عُطفت على جملة **(إياك نعبد)** وذلك لاتفاقهم في الخبر وترابطهما في المعنى والشكل في حين أن جملة **(اهدنا الصراط المستقيم)** قد فُصلت عنهما لاختلاف

---

(١) سورة الشعراء: ٢٤.

(٢) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١/٤١٤.

(٣) ينظر: مغني اللبيب: ٢/٢٦١.

(٤) سورة الفاتحة: ٥-٦.

المضمون والشكل معاً، حيث الانتقال من الخطاب إلى الدعاء، والانتقال من الخبر إلى الإنشاء عن طريق الأمر[1].

ومن ذلك -أيضاً- قوله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[2]، فجملة **(أقسطوا)** إنشائية لفظاً ومعنى، أما جملة **(إن الله يحب المقسطين)** فهي خبرية لفظاً ومعنى، وقد فصل بينهما لهذا التباين التام بينهما[3]. ويمكن أن تكون الجملتان موصولتين من خلال دخول**(إن)** بينهما. فالقرآن الكريم كثيراً ما يأتي بـ(إن) في الربط بين الجمل المتباينة. يقول الجرجاني :**(اعلم أن من شان (إن) أن تغني غناء الفاء العاطفة وان تفيد من ربط الجملة بما قبلها أمراً عجيباً، فأنت ترى الكلام بها مستأنفاً غير مستأنف، ومقطوعاً موصولاً معاً... وهذا الضرب كثير في التنزيل جداً من ذلك قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[4] وقوله عز اسمه:﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ**

---

(١) ويمكن أن تكون جملة(إهدنا الصراط المستقيم) استئنافية وقعت جواباً لسؤال مقدر وهو كيف أعينكم؟ فقالوا: إهدنا الصراط المستقيم. ينظر: الجامع لإعراب جمل القرآن: ٤١.

(٢) سورة الحجرات : ٩.

(٣) ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم: ١٦٤ وبلاغة الكلمة والجملة والجمل: ٢٠٣.

(٤) سورة الحج : ١

﴿بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[1]، ومن أبين ذلك قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[2] وغيرها من الروابط في الأسلوب القرآني. وهكذا تتعدد الرؤى للنص القرآني؛ لأنه نص مُعجِز حي يتحرك بحسب ما يقتضيه المعنى والغرض الذي سيقت له الجمل. والمهم في ذلك أن هذه الجمل مترابطة متلازمة بطريقة أو بأخرى لتؤدي الغرض الذي سيقت من أجله.

ومن المواضع الدقيقة في ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[3]، فجملة **(أعدوا)** جملة إنشائية طلبية أما جملة **(ترهبون)** فهي خبرية وعلى الرغم من التباين بين الجملتين في الشكل إلا أنهما مترابطتان في المعنى، إذ إن الجملة الثانية متوقفة في الحصول على الجملة الأولى، فإن لم يكن هناك إعداد لم تكن هناك رهبة، وهذا يعني أن الجملتين مترابطتان في الحصول والمعنى، لذلك فهما متلازمتان إذ فيهما وصل خفي لا يُرى إلا بالنظر الدقيق المتأمل.

---

(١) سورة لقمان : ١٧

(٢) سورة هود : ٣٧

(٣) سورة الأنفال: ٦٠.

ولا فرق في هذا النوع من الفصل بين الجمل بين أن تكون الجملة إنشائيةً لفظاً ومعنى - كما في سياق الآية السابقة - أو تكون إنشائيةً معنى خبرية لفظا[1].

٤- وتتلازم الجملتان عن طريق الفصل أيضاً في السياق القرآني إذا كانت الجملتان متفقتين خبراً وإنشاءً و بينهما رابطة قوية ولكن دخول العاطف يخل بالمعنى، إذ أن السياق لا يقصد تشريك الجملة الأخيرة مع ما قبلها، أي أن العطف يغير المعنى، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[2]، فقد فُصلت جملة (الله **يستهزئ بهم**)عن الجملة التي تسبقها حتى لا يُفهم بأن هذه الجملة من جملة الكلام الذي قاله المنافقون بل إنها من قول الله ﷻ، ولو عُطفت لأختل المعنى والسياق، ذلك أن الجملة الأخيرة هي تعقيب على قولهم[3].

ويذهب **الزمخشري** إلى أن العطف هنا للاستئناف حيث يقول: **(فإن قلت: كيف ابتدئ قوله: (الله يستهزئ بهم) ولم يعطف على الكلام قبله، قلت: هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة. وفيه أن الله ﷻ هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا**

---

(١) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١/٤١٩.

(٢) سورة البقرة: ١٤-١٥.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٨٠-١٨١ والبلاغة فنونها وأفنانها: ٤٢٢.

يؤيه لـه فـي مقابلتـه، لمـا ينـزل بهـم من النكـال ويحـل بهـم مـن الهـوان والـذل. وفيـه أن الله يتـولى الاستـهزاء بهـم انتقامـاً للمـؤمنين، ولا يحـوِج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاءٍ مثله)[1].

ولا حرج في قبول رأي **عبد القاهر الجرجاني**، وما ذهب إليه وكذلك قبـول **كـلام الزمخشـري**، ذلـك أن السياق القرآنـي متعدد الوجوه فيمكن أن يكون للنص الواحد أكثر من تعليل وذلك لاختلاف الأفهام والتفسير، وهذا يدل على مرونة الجملة القرآنية وحيويتها وتعدد خصائصها السياقية. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ** ﴾[2]، فجملـة **(ألا إنهـم هـم المفسدون)**هي كلام الخالق ﷻ ولا يمكن عطفها على الجملة التي سبقتها لأن فيها حكماً عليهم بالإفساد في جميع الأحوال سواء قيل لهم لا تفسدوا أو لم يقال لهم. ذلك أنهم يرون إفسادهم إصلاحاً، فامتنع العطف لأنه يخل بالمعنى ويغيره[3].

٥- وهناك نوع خامس من موجبات الفصل بين الجمل تذكرة كتب البلاغيين[4]، وقد سايرهم كثير من الباحثين على قبوله وهو: أن يكون بين

---

(١) الكشاف: ١/٣٣ وينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ٤٢٣.

(٢) سورة البقرة: ١١-١٢.

(٣) ينظر: الإيضاح: ٩١ ومحاسن التأويل: ٢/٢٤٣-٢٤٤.

(٤) إن هذا السبب من أسباب الفصل بين الجمل لم يذكره عبد القاهر الجرجاني وإنما ذكره المتأخرون بعده، وإن أول من أشار إليه السكاكي ثم تبعه القزويني من=

الجملتين شبه كمال انقطاع، وذلك أن تكون هناك جملة مسبوقة بجملتين يجوز عطفها على الأولى منهما، ولا يجوز عطفها على الثانية، فيترك العطف حتى لا يتوهم عطفها على الجملة القريبة منها.

وهذا القسم الذي ذكره البلاغيون لا يوجد له أمثلة في سياق القرآن الكريم والذين ذكروا هذا النوع لم يأتوا إلا بشاهدٍ واحدٍ من الشعر وهو قول الشاعر:

وتظنُ سلمى أنني أبغي بها بدلاً أراها في الضلال تهيم(١)

ففي هذا البيت ثلاث جمل:

الجملة **الأولى:** تظن سلمى.

الجملة **الثانية:** أنني أبغي بها بدلاً.

الجملة **الثالثة:** أراها في الضلال تهيم.

فحسب القاعدة السابقة لا يجوز عطف الجملة الثالثة على الثانية، ذلك أن المعنى لا يستقيم على ذلك لأنه يؤوّل إلى أن سلمى تظن به أمرين اثنين: **الأول:** أنه يبغي بها بدلاً، والثاني: أنه يراها في الضلال

=بعده ثم تناولته كتب البلاغة بعدهم والسبب في ذلك اعتمادهم على القسمة العقلية المنطقية في تقسيم الفصل بين الجمل. ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ٤٢٠/١-٤٢١.

(١) لم يذكر مَنْ استشهد بهذا البيت صاحبه أو قائله. ويقول صاحب معاهد التنصيص – عبد الرحيم بن أحمد العباسي– عنه: (لا أعرف له قائلاً): ٢٧٩/١.

تهيم. فتكون الجملة الأخيرة من مظنونات سلمى وهذا ما لا يقصده الشاعر، وفي الوقت نفسه فإنه لا مانع من عطف هذه الجملة الأخيرة على الجملة الأولى، حيث يصير المعنى: تظن سلمى وأراها هائمة في الضلال(١).

وفي الحقيقة أن هذا المثال الذي ذكروه مردود بأفصح الكلام وأفضله وهو كتاب الله تبارك وتعالى فالقرآن يبطل أن يكون هناك قسم من هذا النوع من الفصل بين الجمل.

فلو أخذنا مثلاً قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْ﴾(٢)، ففي سياق الآية الكريمة جمل ثلاث:

الأولى: (وابتلوا اليتامى).

الثانية: الجملة الفعلية الشرطية (فإن آنستم... فادفعوا...).

الثالثة: (ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا).

وبحسب القاعدة فإنه لا يجوز عطف الجملة الأخيرة على الجملة الثانية، لأن العطف يقتضي التشريك ولا تشريك بين الجملتين ذلك أن الثانية تتحدث عن اليتامى بعد أن انتهى يُتمهم والثالثة تتحدث عن حال يتمهم وصغرهم، إلا أنه يجوز عطف الجملة الثالثة على الأولى، وهو

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٦١ والإيضاح: ٩٠ و البلاغة فنونها وأفنانها: ١/٤٢٠.

(٢) سورة النساء من الآية: ٦.

عطف في غاية الحسن، إذ يصير المعنى: وابتلوا اليتامى ولا تأكلوا أموالهم...

وبحسب القاعدة –السابقة– ينبغي أن تأتي الجملة الثالثة في سياق الآية **(ولا تأكلوا)** بدون **(واو)** حتى تصح القاعدة، ولكنها جاءت بالواو، أي موصولة بالجملة التي قبلها وهي **جملة الجواب**(١)في **التركيب الشرطي**(٢).

الظواهر الأسلوبية للفصل والوصل في القرآن الكريم:

هناك ظواهر أسلوبية كثيرة للفصل والوصل في السياق القرآني منها ما يخص أدوات العطف ومنها ما يخص المعنى في الجمل المتلازمة المرتبطة فلا تستغني إحداهما عن الثانية، ومن أبرز هذه الظواهر الأسلوبية: –

١– مجيء الجملة موصولة في سياق ومفصولة في سياق آخر.

ومجيء الجملة القرآنية موصولة بأختها في سياق ومفصولة في سياق آخر له علاقة بالدلالة؛ لأن الوصل يكون لمعنى معين يحدثه في السياق والفصل يعطي معنى آخر أي أن هذه الظاهرة الأسلوبية للفصل

---

(١) ذلك أن الجملة الشرطية في حقيقتها عبارة عن جملتين متلازمتين عن طريق الشرط ،الأولى تسمى جملة الشرط، والثانية تسمى جملة جواب الشرط.و تكونان معاً أسلوب الشرط أو التركيب الشرطي. وللمزيد من التفصيل ينظر: هذا البحث الصفحات: ١٨١و١٨٢.

(٢) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١/٤١٩–٤٢٢.

والوصل تؤثر في المعنى الذي وردت فيه الجملة كما سنلاحظ من خلال الشواهد القرآنية على ذلك.

فمن تلك الشواهد على هذه الظاهرة الأسلوبية، ما ورد في قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ (١) فجملة (**يذبّحون**)جاءت مقترنة بالواو، أما في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ (٢)، فجاءت جملة (**يذبحون**) في هذا السياق بغير الواو ومنفصلة عما قبلها.

ويفسر **الفرّاء** ذلك بقوله (**فمعنى الواو أنهم يمسهم العذاب غير التذبيح، كأنه قال يعذبونكم بغير الذبح وبالذبح ومعنى طرح الواو، كأنه طرحٌ لصفات العذاب وإذا كان الخبر من العذاب أو الثواب مجملاً في كلمة ثم فسّرته، فاجعله بغير الواو وإذا كان أوله غير آخره فبالواو**)(٣)، وهذا يعني أن (الواو) تطرح إذا كانت الجملة الثانية بياناً للأولى- وهو ما سماه البلاغيون كمال الاتصال- فالذبح جاء للتوضيح والتفسير للعذاب،

(١) سورة إبراهيم: ٦.

(٢) سورة البقرة: ٤٩-٥٠.

(٣) معاني القرآن: ٢/٦٨-٦٩.

ولا يقع حرف العطف بين التفسير والمفسر، أما إذا وقعت الواو فهذا يعني أن الكلام الثاني غير الأول فيكون الذبح شيئاً آخر غير سوم العذاب[١].

وقد فُسّرت هذه الظاهرة على أن جملة **(يسومونكم سوء العذاب)** أشارت إلى جملة ما امتُحن به قوم موسى عليه السلام مما أصابهم به فرعون وآله من استخدامهم وإذلالهم بالأعمال الشاقة وامتهانهم واستحياء نسائهم وذبح الذكور من أبنائهم فلما كانت هذه الجملة تشير إلى هذا الإجمال جاءت جملة **(يذبّحون)** من غير **(الواو)** على سبيل الشرح والتوضيح، ولمّا أراد السياق أن يبين اشد أنواع هذا العذاب وأعظمها امتحاناً جيء به معطوفاً فقال: **(ويذبحون أبناءكم)** أي: إنه عيّنه من جملة العذاب وخصه بالذكر تعريفاً بمكانه ولشدة الأمر فيه، علماً أنه كان من ضمن ما أُجمل أولاً وشمله الكلام المتقدم. وهذا مشابه إلى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[٢]، ثم عُطف عليه قوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[٣]،فخص جبريل وميكائيل بالذكر والتعيين اعلاما بمكانتهما في

---

(١) ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن : ٢٢٣- ٢٢٤ و بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ١٩١-١٩٢و ١٩٦ ومن فيض الرحمن في بلاغة النحو في القرآن: ٤١٧-٤١٨.

(٢) سورة البقرة من الآية: ٩٨.

(٣) الآية السابقة.

الملائكة وذلك بعد أن شملهم قوله **(وملائكته)** فالوارد في سورة إبراهيم من هذا القبيل[١].

وفي سورة الحج تطالعنا جملة ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا** ﴾[٢]، ثم تمضي ثلاثون آية، وتأتي الجملة نفسها ولكن هذه المرة بغير الواو أي ﴿**لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا** ﴾[٣]، والسبب في هذا الاختلاف عند **الزمخشري** راجع إلى أن **الجملة الأولى** الموصولة وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة من أمر النسائك فعُطفت على أخواتها أي ما يناسبها في المعنى وذلك في قوله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ** ﴾[٤]، وأما **الجملة التي وردت بغير واو النسق** فوقعت مع جمل لا تناسبها في المعنى فلم تجد مناسبة لعطفها عليها[٥]وذلك في قوله تعالى:﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا** ﴾ [٦]،

---

(١) ينظر: ملاك التأويل: ١/١٩٩-٢٠٢.

(٢) سورة الحج من الآية: ٣٤.

(٣) سورة الحج من الآية: ٦٧.

(٤) سورة الحج من الآية: ٣٠.

(٥) ينظر: الكشاف: ٣/٧٥٩.

(٦) سورة الحج: ٦٦-٦٧.

وهذا يعني أن الجملة التي تأتي في نسق مفصولة عن الجمل التي قبلها، وتأتي في سياق آخر وقد وُصلت بما قبلها يرجع إلى أن المعنى ربما لا يتسق إلا بالوصل أو لا يتسق إلا بالفصل، فما الوصل والفصل إلا وسيلة فنية يتحقق من خلالها المعنى المقصود[1].

ومن دقة الأسلوب القرآني في دخول واو العطف ونزعها في سياق الجمل المتشابهة قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[2]، حيث جاءت جملة **(ونعم أجر العاملين)** موصولة بالجمل التي قبلها، أما في سورة العنكبوت فنرى أن الجملة نفسها قد جاءت مفصولة عن الجمل التي سبقتها وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[3]، وذلك يرجع إلى دقة النظم القرآني ففي **السياق الأول** جاءت الجملة موصولة لأنه قد ذُكر فيه الجزاء مفصلاً معطوفًا، فناسبه أن عُطفت الجملة الممدوح بها الجزاء، فقال **(ونعم أجر العاملين)**، أما في

---

(١) ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم: ١٢٩.

(٢) سورة آل عمران: ٢٢١.

(٣) سورة العنكبوت: ٥٨.

السياق الذي لم تُعطف فيه جمل الجزاء فناسب ذلك مجيء جملة المدح غير معطوفة ليتناسب نظم الجمل في سياق الآيتين في الموضعين[1].

ونختتم هذا الموضوع بما ورد في سورة الزُمر عن أهل النار: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾[2] أما عن أهل الجنة فزيدت (الواو) في النظم فقال﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾[3].

وحذف الواو في سياق الآية الأولى يجعل جملة **(فتحت أبوابها)** هي جواب الشرط، أما وجود الواو فيعني أن الجواب محذوف؛ وذلك للعلم به[4]، وحذف الواو من الأولى يعني أن الملائكة حين تسوق أهل النار إليها تكون مغلقة حتى إذا وصلوا إليها فتحت في وجوههم فيفاجِئهم العذاب بغتة، فحين انتهوا إليها فُتحت أبوابها بلا مهلة، وهذا شأن الجزاء المترتب على الشرط أن يكون عَقِبه، ولمّا كانت النار دار الإهانة والخزي فلم يُستأذن لهم في دخولها، وأما أهل الجنة فحين يأتون إليها يجدونها مُفتحة لهم الأبواب؛ لأنها قد فتحت قبل مجيئهم إليها فقد فُتحت أولاً لمحمد ﷺ لمكانته وفضله وأنه أول من يدخل الجنة من الأنبياء ، فضلاً عن أنهم لن

---

(١) ينظر: ملاك التأويل:١٠/٣٢٠-٣٢١.

(٢) سورة الزمر: ٧١.

(٣) سورة الزمر: ٧٣.

(٤) ينظر: ملاك التأويل: ٢/٩٩٣ والتفسير القيم: ٤٢٥ والاشتراك اللفظي في القرآن الكريم- محمد نور الدين المنجد :٨٣.

يدخلوها حتى يشفع إليه في فتحها لهم أحب خلقه إليه فيفتحها لهم[1]، وهنا نستشعر دقة الفصل والوصل بين الجمل القرآنية، ودخول حرف العطف أو حذفه في السياق القرآني، ذلك أنه على علاقة دقيقة في المعنى والدلالة.

٢- اتصال الجمل في اللفظ وانفصالها في المعنى:

وهذا ملمح أسلوبي واضح ومهم نجده في نظم الجمل القرآنية، حيث إن السياق القرآني يورد جملة أو عدة جمل تكون على لسان إحدى الشخصيات، أو الأقوام التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن، ثم توصل هذه الجملة أو الجمل بجملة أخرى، ليست من كلام مَنْ تحدث في سياق الجمل قبلها، بل هي من قول شخص آخر، ويحدث هذا الالتفات الأسلوبي خاصة في أسلوب الحوار القرآني.

ولتوضيح ذلك نورد قوله تعالى: ﴿ **قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ** ﴾[2]، فإذا أنعمنا النظر في هذا السياق وجدنا أن جملة (**يريد أن يخرجكم من أرضكم**)هي من قول آل فرعون بينما نجد أن جملة الاستفهام (**فماذا تأمرون؟**) هي من كلام فرعون – أي أنها قول لفرعون– والدليل على ذلك هو جواب القوم في المرة الثانية بعد ذلك، إذ قالوا: (**أرجه وأخاه...**)، على أن الذي ينظر إلى السياق من أول وهلة

---

(١) ينظر: التفسير القيم: ٤٢٥-٤٢٦ وهناك زيادة وتفصيل.

(٢) سورة الأعراف: ١٠٩-١١١.

يعتقد أن جملة **(فماذا تأمرون؟)** هي تتمة لقول قوم فرعون، وكأن الجملة متصلة بما قبلها حتى يبدو وكأنه قول واحد على حين أنهما قولان، أي منفصلان. وهذا يدل على الاتصال باللفظ والانفصال بالمعنى بين القولين أو الجملتين[1].

ومن المواضع البليغة في ذلك الاتصال في اللفظ والانفصال في المعنى ما ورد في سياق قصة يوسف عليه السلام حيث قال تعالى: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[2].

فنلاحظ أن الجمل **(ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين)** هي من قول يوسف عليه السلام وليست من قول امرأة العزيز كما يبدو من السياق الجملي، فإن هاتين الجملتين قد وردتا موصولتين بجمل السياق التي تسبقهما عن طريق اسم الإشارة **(ذلك)**،وهو أحد وسائل ربط الجمل في السياق القرآني[3]؛ مما أدى إلى الاعتقاد بأن جميع الجمل الواردة في هذا السياق هي من قول امرأة العزيز، إلا أن المتمعن في السياق نفسه يجد أن الجملتين الأخيرتين ليستا من كلامهما، بل هي من

---

(١) تأويل مشكل القرآن – ابن قتيبة الدنيوري : ٢٢٧.

(٢) سورة يوسف: ٥١-٥٢.

(٣) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ٢٠٦ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾(ص: ٢٧).

كلام يوسف عليه السلام ذلك أن كلامها السابق وهو قولها **(الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين)** دليل على ذلك، فإنها عندما أقرّت بما فعلت جاء قوله عليه السلام بعد ذلك وهو قوله **(ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين)**، وإنما وُصل الكلام؛ لأن هذا الحوار قد تم وجهاً لوجه، إذ لا يبعُد في المواجهة وصل كلام شخصٍ بكلام شخصٍ آخر إذا دلت القرينة الصارخة لكل منهما على ما يليق به والإشارة إلى الحادثة الواقعة منه(١).

وهذه الظاهرة الأسلوبية في السياق القرآني تسمى عدولاً عن التضام، وذلك بخروج الجملة عن مقتضى الظاهر، وهو ما يدعى أسلوبياً بخروج ظاهر اللفظ عن معناه، فجملة **(إنه لمن الصادقين)** في هذا السياق جاءت موصولة بالجملة التي قبلها بالواو وجاءت موصولة أيضاً بالجملة التي بعدها بـ**(ذلك)** التي تستعمل للربط بين الجمل كثيراً في سياق القرآن الكريم.

وفي الحقيقة أن وصل الجملة بما قبلها ليس فيه مشكلةٌ؛ لأن الكلام السابق لهذه الجملة هو أيضاً من كلام امرأة العزيز، أما اتصال الكلام بما بعده فيوهم أن الكلام بعد هذه الجملة هو أيضاً من كلام امرأة العزيز، وهو جملة **(ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب)** على حين أن هذه الجملة هي من كلام يوسف عليه السلام وليس من كلام امرأة العزيز، والدليل المنطقي على ذلك أن يوسف عليه السلام لم يخن مَلِكه، لكن امرأة العزيز قد خانت زوجها بالغيب، والدليل -اللفظي- على ذلك أيضاً أن الجملة الأخيرة من كلام امرأة العزيز

---

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٢٢٧ وإعراب القرآن الكريم وبيانه: ٥/٨.

وهي قولها(**وإنه لمن الصادقين**) التي جاءت مؤكدة بمؤكدين وهما (إنّ) واللام المزحلقة.

وهذا الوصل أو التلازم في الجمل هو خروج عن مقتضى الظاهر ، جاء في الأسلوب القرآني لقصد إعمال عقل المتلقي في التفكير بقائل هذه الجملة؛ ذلك لأنه لم يذكر الفاعل إلا أننا وبنظرة فاحصة يمكننا تحديد القائل أو الفاعل، وهذا هو السبب في عدم فصل الجملة عن تاليتها، ولو أنها فصلت لاتضح قائلها، ولكن الوصل يجعل المتلقي طرفاً في ذلك الحوار ويتمتع بفاعلية التأثير في أسلوب الجمل من خلال نظمها، أي من خلال وصلها أو فصلها فيتمتع بجمالها الأسلوبي والسياقي والدلالي في الآن نفسه.

ولابد من أن نشير إلى أن هذا الوصل في اللفظ يكثر في أسلوب الحوار أو المواجهة، إذ يبدأ الحوار بشخصٍ ما ثم يُكمل الثاني ذلك الحوار من حيث انتهى الأول، علاوة على ملاحظة التغير في أسلوب وطريقة الكلام بين المتكلم الأول والمتكلم الثاني. فكلام امرأة العزيز قد انتهى في قوله تعالى على لسانها(**وإنه لمن الصادقين**)، ثم بدأ كلام يوسف عليه السلام بقوله (**ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين**).

في الشرط والجزاء

الشرط والجزاء من الجمل المتلازمة فإن وُجد الشرط وُجد الجزاء وإن حذف الأخير قُدر؛ لأن بذكره يتم معنى الشرط ذلك (**إن الشرط أسلوب لغوي ينبني على عبارتين تسمى الأولى شرطاً والثانية جواباً، وقد عُلق تحقق الثانية على تحقق الأولى، بحيث لا يتحقق مضمون الثانية إلا بتحقق مضمون الأولى، نحو قولنا: إذا غامت السماء اختفت النجوم، فقد عُلق اختفاء(النجوم)على (غيم)السماء،... ومن هاتين العبارتين جميعاً تتكون جملة الشرط**)[1]، وبذلك يكون الشرط معنى يوحي بأسلوب مستقل لا بد من أن يكون الطرف الأول منه فعلاً إذا وقع هذا الفعل صحّ وجود الطرف الثاني[2].

وقد عدّ **ابن يعيش** أسلوب الشرط جملة واحدة من أصناف الجملة الفعلية؛ لأن دخول حرف الشرط سبب في ربط فعل الشرط بجزائه، بحيث يصبحان كالجملة الواحدة في الوفاء بالمعنى فلا يتم المعنى إلا بهما، يقول ابن يعيش عن الجملة الشرطية: (فهذه الجملة وإن كانت من أنواع الجملة الفعلية وكان الأصل في الجملة الفعلية أن يستقل الفعل بفاعله، نحو: قام زيد، إلا أنه لما دخل ههنا حرف الشرط ربط كل جملة من الشرط والجزاء

---

(١) في النحو العربي- قواعد وتطبيق: ٦٢.

(٢) ينظر: نحو التيسير: ٩٣.

بالأخرى حتى صارتا كالجملة الواحدة نحو المبتدأ والخبر، فكما أن المبتدأ لا يستقل إلا بذكر الخبر، كذلك الشرط لا يستقل إلا بذكر الجزاء...)[١].

ونحن وإن كنا نوافق ابن يعيش على أن جملة الشرط ليست جملة مستقلة بذاتها إلا أننا لا نوافقه على جعلها في ضمن الجملة الفعلية، ذلك أن الأسلوب الشرطي يتكون من جملتين متلازمتين، أي: إن جملة الشرط في حقيقتها جملتان مرتبطتان ببعضهما ويمكن أن تكون هاتان الجملتان معطوفتين إحداهما على الأخرى ثم كوّنا بمجموعهما شرطاً، فينبغي ألّا تسمى الجملة الشرطية وإنما هو أسلوب شرط قائم على ترابط جملتين: جملة الشرط- وتكون في الغالب جملة فعلية وهي الأصل- وجملة الجزاء وتكون الأخيرة متنوعة بين الفعلية والاسمية.

فلو أخذنا قوله تعالى:﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[٢]، لاحظنا أن الشرط قائم بمجموع الجملتين لا في واحدة منهما على انفراد، ولا في واحدة دون الأخرى[٣]. يقول عبد القاهر الجرجاني (لأننا إن قلنا: إنه في كل واحدة منهما على الانفراد جعلناهما شرطين، وإذا جعلناهما شرطين اقتضتا جزاءين وليس معنا إلا

(١) شرح المفصل: ٨٩/١ وينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤٥٤/٢ وإعراب الجمل وأشباه الجمل: ١٩.

(٢) سورة النساء: ١١٢.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٩٨ والفصل والوصل في القرآن الكريم: ٧١و ١٧٨.

جزاء واحد، وإن قلنا: إنه في واحدة منها دون الأخرى، لزم منه إشراك ما ليس بشرط في الجزم بالشرط وذلك ما لا يخفى فساده)[١].

وعليه يكون المعنى إن احتمال البهتان والإثم يتعلق حصوله بمجموع ما حصل من الجملتين، فليس هو لاكتساب الخطيئة على الانفراد، ولا لرمي البريء بالخطيئة أو الإثم على الإطلاق[٢].

ونجد ذلك التلازم أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ﴾[٣]، فإن وقوع الأجر على الله ﷻ لم يعلّق على الموت فقط أو على الهجرة فقط بل وقع الحكم بمجموعهما الهجرة ومن ثمَّ الموت[٤].

الترابط بين جملة الشرط وجملة الجواب

تترابط جملة الشرط وتتلازم مع جملة الجواب في **التركيب الشرطي** عن طريق معنى الشرط الذي تحمله أداة الشرط، فيمكن أن تأتي جملة الشرط والفعل فيها ماضياً ويكون فعل الجواب موافقاً للبناء الأساسي

---

(١) دلائل الإعجاز: ١٨٩-١٩٠.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٩٠ والتراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر : ١٣٧.

(٣) سورة النساء: ١٠٠.

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٩٠.

للشرط، أي فعلاً مضارعاً. وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾(١). فنلاحظ أن الفعل في جملة الشرط كان ماضياً **(كان)** على حين أن الفعل في الجواب قد جاء فعلاً مضارعاً مجزوماً **(نزد)** و **(نؤته)**، وفي هذه الحالة يكون فعل الشرط –الماضي– في محل جزم. وقد يأتي فعل الجواب ماضياً، كما في قول الرسولﷺ : **((من يقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه))**(٢) وهذه الصورة قليلة الاستعمال في العربية، أما في القرآن الكريم فتدخل **الفاء** على جملة الجواب في مثل هذه الحالات. أي أن الجملة في هذه الحالة تحتاج إلى رابط آخر بين جملة الشرط وجملة الجواب، وغالباً ما يكون هذا الرابط في الأسلوب القرآني هو **(الفاء)** وتسمى **(الفاء الجوابية)** ويلازمها في هذه الحالة معنى السببية(٣).

والقاعدة العامة التي وضعها النحاة لورود هذه الفاء رابطة في جملة الجواب هي أن كل ما لا يصلح أن يقع جواباً للشرط تدخله هذه الفاء، فتكون واجبة الدخول إذا كان جواب الشرط جملة اسمية(٤) كما في قوله

---

(١) سورة الشورى: ٢٠.

(٢) صحيح البخاري– محمد بن إسماعيل : ٢١/١ رقم الحديث(٣٥).

(٣) ينظر: الجنى الداني: ١٢١–١٣١.

(٤) ينظر: علل النحو: ٢٩١.

تعـالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(1) فجملـة الجـواب هـي (فَهُـوَ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ) وقـد دخلتها الفاء وجوباً لأنها جملة أسمية. أو إذا كانت جملـة الجواب جملـة طلبيـة كمـا فـي قولـه تعـالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾(2)، فجملة (فاتبعوني) هي جملة الجواب وقد رُبطت بالفاء لأنها جملة طلبية (أمر).

وتُربط جملة الجواب أيضاً بالفاء إذا كانت جملة فعلية فعلها **جامد** غير متصرف، كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾(3). فـنلاحظ أن جملـة الجـواب ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ قد دخلت عليها الفاء الرابطة وجوباً؛ لأن فعلها ماضٍ جامد غير متصرف(4).

وتدخل الفاء في جملة الجواب أيضاً إذا كانت مسبوقة بـ(**قد**)، كما فـي قولـه تعـالى: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾(5) أو مسـبوقة

---

(1) سورة الأنعام من الآية: ١٧

(2) سورة آل عمران من الآية: ٣١

(3) سورة الكهف: ٣٩-٤٠.

(4) ينظر: مغني اللبيب: ١/١٤٣ وبناء الجملة العربية: ١٧١.

(5) سورة يوسف **من الآية**: ٧٧.

بالسين أو **سوف** كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[١]. أو عندما تكون جملة الجواب جملة فعلية **منفية**[٢].

وقد دخلت الفاء الرابطة – **الجوابية**[٣]– في كل ما سبق؛ لأن الرابط المعنوي وهو الجزم مفقود فلذلك جاءت الفاء عوضاً عن هذا الجزم؛ ولتزيد في قوة ترابط وتلازم جملة الشرط بجملة الجواب في التركيب الشرطي.

أمّا إذا وُجدت هذه (الفاء) مع الجواب الذي فعله فعل مضارع المستحق للجزم فعند ذاك يُرفع الفعل المضارع استغناءً بها – أي الفاء– عن جزمه ، وفي هذه الحالة لا تكون جملة الجواب جملة فعلية، بل هي جملة اسمية حُذف منها المبتدأ، وتكون الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع هي خبره وكما في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾[٤]، فنلاحظ أن الفعل **(يخاف)** لم يرد مجزوماً في هذا السياق. وهذا يعني أن هناك حذفاً في بناء الجملة– جملة الجواب– فالمحذوف هو المبتدأ؛ لأن جملة الجواب جملة اسمية في الأصل و**التقدير**: فهو لا

---

(١) سورة التوبة **من الآية**: ٢٨.

(٢) وذلك كما في قوله تعالى:﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:١١٥) وقوله تعالى:﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ﴾(يونس: ٧٢).

(٣) أما مع الأدوات (لما ولو ولوما) فيكون دخول الفاء الرابطة في جملة الجواب ليس واجباً وذلك لأن جملة الجواب أصلاً لم ترد بحسب الأصل، أي أنها لم تكن فعلية متصرفة وغير طلبية. ينظر: مغني اللبيب: ١٤٣/١–١٤٤.

(٤) سورة الجن:١٣.

يخاف[1]، ولمّا حُذف المبتدأ دخلت الفاء على الخبر الذي هو الجملة الفعلية [2].

ويمكن أن يكون الرابط هو (إذا) **الفجائية** بدلاً من الفاء، وذلك إذا كانت أداة الشرط هي (إن) أو (إذا) وكانت جملة الجواب جملة اسمية[3] وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[4]، فجملة الجواب هي الجملة الاسمية **(هم يقنطون)** وقد رُبطت جملة الشرط بـ(إذا) الفجائية.

ونجد ذلك أيضاً في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[5] فجملة **(هم يستبشرون)** هي جملة الجواب وقد رُبطت مع جملة الشرط بـ(إذا) الفجائية التي أدت ما تؤديه الفاء الجوابية في ربط جملة الشرط بجملة الجواب علاوة على المعنى الشرطي[6].

ومن المفيد أن نشير هنا إلى الفرق بين **إذا الشرطية وإذا الفجائية**، فالأولى: هي ظرف لما يُستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط، وتختص

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١١/١٦٥ وبناء الجملة العربية: ١٧١ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ (المائدة: ٩٥).

(٢) ينظر: بناء الجملة العربية: ١٧١-١٧٢.

(٣) ينظر: مغني اللبيب: ١/٧٨.

(٤) سورة الروم: ٣٦.

(٥) سورة الروم: ٤٨.

(٦) ينظر: بناء الجملة العربية: ١٧٢.

بالدخول على الجملة الفعلية. أما (إذا) الفجائية فتختص بالدخول على الجملة الاسمية[1].ويكون الفعل بعد إذا الشرطية ماضياً كثيراً ومضارعاً قليلاً[2].ومن دخولها على الماضي قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا﴾[3]، ومن دخولها على المضارع قوله تعالى: ﴿إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا﴾[4] والصورة الأولى هي الأكثر وروداً في أسلوب القرآن الكريم. ولم يرد في القرآن الكريم (إذا) جازمة للفعل المضارع[5]. ويبدو أن جزمها للفعل المضارع كان مقصوراً على الشعر[6].

وهناك رابط آخر يدخل في جملة جواب الشرط؛ فيزيد من تلازم الجملتين ويكون له دلالة أخرى في دخوله. وهذا الرابط هو (اللام) الذي

(١) ولا تحتاج إلى جواب ولا تقع في الابتداء ومعناها الحال لا الاستقبال، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ﴾(طه : ٢٠) وقوله تعالى:﴿فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾(الأعراف : ١٠٨). ينظر: مغني اللبيب: ٧٨/١.

(٢) ينظر: مغني اللبيب: ٧٨/١ وبناء الجملة العربية: ١٧٣.

(٣) سورة الإسراء: ٨٣.

(٤) سورة الإسراء **من الآية**: ١٠٧.

(٥) ينظر: بناء الجملة العربية: ١٧٣.

(٦) **وذلك حملاً على (متى) وكما في قول الشاعر:**

استغن ما أغناك ربك بالغنى وإذا تصبك خصاصة فتحملِ ينظر: المقتضب- المبرد: ٥٦/٢ ومغني اللبيب: ٨٥/١.

يدخل في جملة الجواب عندما تكون أداة الشرط هي **(لو)** وجملة الجواب جملة ماضية مثبتة[1] فالأكثر أن تكون مقترنة باللام، كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾[2] فدخلت اللام في جملة الجواب، إلا أننا نجد أن هذه اللام قد سقطت في قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾[3]؛ وذلك لأن هذا الربط الإضافي بـ**(اللام)** لا يكون مجرداً من الدلالة بل إن هذه اللام تسمى **(لام التسويف)**؛ لأنها تدل على تأخير وقوع الجواب عن الشرط وتراخيه عنه.

ويذهب **الزمخشري** إلى أن سقوط اللام من جملة**(لو نشاء جعلناه أجاجاً)** لدلالة ما قبلها عليها ولشهرتها فاستغنى عنها لمعرفة السامع بها، إذ يقول: (إن (لو) **لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلق الجزاء بالشرط... من حيث إفادتها في مضموني جملتيها أن الثاني امتنع لامتناع الأول افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علماً على هذا التعلق، فزيدت هذه اللام لتكون علماً على ذلك، فإذا حذفت بعد ما صارت علماً مشهوراً مكانه، فلأن الشيء إذا عُلم وشهر موقعه وصار مألوفاً ومأنوساً به، لم يبال بإسقاطه عن اللفظ استغناءً بمعرفة السامع**

---

(١) أما إذا كان جوابها منفياً بـ(ما) فالأكثر أن يتجرد جوابها من اللام كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾(الأنعام:١١٢).

(٢) سورة الواقعة **من الآية**: ٦٥.

(٣) سورة الواقعة **من الآية**: ٧٠.

به)[1] كما أن إسقاطها يدل على التعجيل ولذلك دخلت على قوله:(**لو نشاء لجعلناه حطاماً)** وحذفت من قوله: (**لو نشاء جعلناه أجاجاً)** والفائدة في تأخير جملة حطاماً وتقديم جملة أجاجاً هي التشديد في العقوبة[2]. أي: إنه إذا استوى الزرع على سوقه وقويت به الآمال والأطماع جعلناه حطاماً، وكما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

ويبدو أن دخول هذه الروابط في التركيب الشرطي؛ يؤدي الغرض الذي يؤديه الجزم في ربط جملة الشرط بجملة الجواب. أي: إنها تكون عوضاً عن الجزم وذلك مع الأدوات الجازمة.

وبدخول هذه الروابط في الجملة الجوابية لأسلوب الشرط في السياق القرآني؛ يزيد التماسك والتلازم بين الجملتين؛ لأن الشرط هو رابط سببي دلالي بين الجملتين، وتأتي هذه الروابط لتزيد من قوة ذلك الترابط. وذلك بوجود أكثر من أداة أو وسيلة للترابط، وهذا كله يسهم في تلازم جملة الشرط مع جملة الجواب في أسلوب القرآن الكريم.

---

(١) الكشاف: ٤/١٢١٦.

(٢) ينظر: بناء الجملة العربية: ١٧٤-١٧٦ والالتفات في البلاغة القرآنية: ١٧٦-١٧٧.

(٣) سورة يونس: ٢٤.

الخصائص السياقية لتلازم جملتي الشرط والجواب في القرآن الكريم

إن التركيب الشرطي قائم على الترابط بين جملة الشرط وجملة الجواب، وهذا ما يدفعنا إلى القول بتلازمهما وترابطهما ليؤديا المعنى الشرطي. وهذا التلازم في القرآن الكريم يتسم بخصائص وصفات ينفرد بها الأسلوب القرآني من خلال استعمال أدوات الشرط أو ترتيب جملة الشرط على جملة الجواب أو الحالات التي تُحذف بها جملة الشرط أو أحد عناصرها أو تنوع جملة الجواب بين الاسمية والفعلية، ولهذا فعندما نتتبع السياق الشرطي في القرآن الكريم يتضح لنا خصائص عديدة، وهذه الخصائص هي:-

١- الفروق الدلالية في استعمال أدوات الشرط في السياق القرآني:

لا شك أن التحليل الأسلوبي هو الذي يبرز مواطن الجمال في النظم القرآني، وسوف نختار طائفة من الآيات القرآنية تنوع فيها التعبير القرآني بأدوات شرطية مختلفة في مواضع ومواقف مختلفة، وكان لكل منها موقعه الحسن؛ بحيث لو أُستعمل غيرها لأختل التعبير وفات المقصود. ذلك أن كل أداة من أدوات الشرط لها معنى تُستعمل فيه فضلاً عن المعنى الشرطي. إلا أن هناك بعض الأدوات تتشابه في الاستعمال ولكن السياق القرآني يستعمل تلك الأدوات بشكل دقيق جداً. ومن أهم تلك الأدوات التي يُفرق السياق القرآني في استعمالهما **(إن)** و**(إذا)** مع اشتراكهما في الدخول على الجملة الفعلية ودلالتهما على الاستقبال، إلا أن (إذا) تستعمل مع ما هو محقق الوقوع، أما (إن) فتستعمل مع ما هو مشكوك الوقوع أو ما يُشك

في وقوعه[1]. ففي قولنا:(إن جئتني أكرمتك) يكون المجيء ليس مقطوعاً بوقوعه، لذلك لا يصح استعمال (إن) مع الأمور المقطوع بوقوعها فلا يصح أن نقول: (إن طلعت الشمس آتيك)؛ لأن طلوع الشمس أمر مقطوع بوقوعه، فلا تصح هذه الجملة أسلوبياً ولا دلالياً إلا إذا استعملنا (إذا)؛ لأن (إذا) تدخل على الجملة المتيقن وقوعها[2].

ويمكن أن نلاحظ تلك الفروق الدلالية بين الأداتين من خلال استعمال القرآن الكريم لهما، فمثلاً في قوله تعالى:﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥ﴾[3]، فنلاحظ في سياق الآية أن فعل الشرط الأول جاء مسبوقاً بـ(إذا) أما فعل الشرط الثاني فجاء مسبوقاً بـ(إن). وهذا يعني أن هناك مخالفةً دلاليةً بين الأداتين لاستعمال الأفعال في الأسلوبين، فعلى حين جاء فعل الشرط مع (إذا) بصيغة الماضي – أي مع الحسنة– وذلك للدلالة على تحقق وقوع الحدث، نلاحظ أن الفعل في التركيب الشرطي الثاني – فعل الشرط– مع الأداة (إن) جاء بصيغة المضارع–أي مع السيئة– وذلك للدلالة على ندرة

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم:١٠٥ والإيضاح: ٥٣ والبرهان في علوم القرآن:٤/٢٠٠-٢٠١ والالتفات في البلاغة القرآنية:١٧٣ والتضاد في القرآن الكريم- محمد نور الدين المنجد: ٩٠.

(٢) ينظر: خصائص التراكيب: ٣٢٢ والتعبير القرآني: ٥٥-٦٥ والبلاغة فنونها وأفنانها: ١/٣٣٨-٣٣٩ والالتفات في البلاغة القرآنية:١٧٤-١٧٥.

(٣) سورة الأعراف **من الآية**: ١٣١.

الوقوع زيادة على التآزر في سياق الشرطين بين التعريف والتنكير، فالحسنة جاءت معرفة، أما السيئة فجاءت نكرة؛ لأن في تعريف الحسنة إفادة لكثرة النعم والخيرات التي أسبغها الله ﷻ على آل فرعون مع أنهم جحدوا هذه النعم علاوة على معرفتهم بها؛ فلذلك جاءت معرفة، أما تنكير **(سيئة)** فيفيد أنها أمر طارئ عليهم لا عهد لهم به؛ لذلك فهم يبادرون بالتنصل منها وإنكارها، لذلك فهم يطيروا بموسى وبمن معه ،أي: إنهم يتشاءمون من موسى وينسبون هذه السيئة إليه- تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً-[1].

وهناك ملحظ أسلوبي آخر إذ استُعملت **(إذا)** في سياق الرحمة في حين عَدِلَ السياق إلى**(إن)** في سياق السيئة. وهو مشابه لما ورد في سياق قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[2] فنلاحظ مجيء **(إذا)** مع الرحمة؛ للإشارة إلى أن وقوع الرحمة أمر مقطوع به ،وجاءت الرحمة نكرة لتدل على التقليل وهو أقرب إلى القطع بوقوعها. وأما **(إن)** فقد جاءت في سياق ذكر السيئة؛

---

(١) ينظر: الكشاف: ٢/٣٨١-٣٨٢ وخصائص التراكيب: ٣٢٢ والبلاغة فنونها وأفنانها: ١/٣٤١.

(٢) سورة الروم: ٣٦.

ليفيد أن إصابة السيئة لهم أمر غير مقطوع به في الحصول، وأن الله لا يؤاخذهم دائماً بما قدمت أيديهم، ولكنه يعفو عن كثير[1].

أما إذا لاحظنا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾[2] فقد جيء بـ(إذا) مع (الضر) وهذا خلاف الاستعمال في الآيتين السابقتين والسبب في ذلك يرجع إلى دقة التعبير، إذ إن السياق قد استعمل هنا (المس) ولا شك أن (المس) أقل درجة من الإصابة، وإذا ما أضفنا إلى ذلك تنكير (ضر) الذي يفيد التقليل يصبح المعنى قدراً يسيراً من الضر. ولما كان الحديث هنا عن الناس الذين إذا مسهم الضر دعوا ربهم منيبين إليه فكان في هذا إشارة إلى أن مس قدرٍ يسيرٍ من الضر لأمثال هؤلاء حقه أن يكون أمراً في حكم المقطوع به في الوقوع[3]. بخلاف قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾[4].

ويمكن أن نرى ذلك الاختلاف في استعمال الأداتين في سياقات متشابهة أو سياق السورة الواحدة. ويكون ذلك التفريق بمنتهى الدقة

---

(١) ينظر: خصائص التراكيب: ٣٢٢-٣٢٣ ومن فيض الرحمن في بلاغة النحو في القرآن- خضر عبد السلام حسن أبو طالب: ١٢٥.

(٢) سورة الروم: ٣٣.ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾(الزمر:٨) وقوله﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾(الزمر:٤٩).

(٣) ينظر: التعبير القرآني: ٥٧ وابن القيم وحسه البلاغي في تفسر القران: ٥٧-٥٨.

(٤) سورة فصلت من الآية: ٤٩.

والروعة، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ﴾[1] ويقول أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ﴾[2] ويقول ﷻ: ﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾[3].

هذه الآيات جميعها من **سورة الممتحنة**، صُدّرت الآيتان الأولى والثانية بـ(**إذا**) أما الثالثة فقد صُدّرت بـ(**إن**)[4] وإذا أمعنا النظر في سياق هذه الآيات الثلاث وجدنا الآيتين المصدرتين بـ(إذا) تتحدث إحداهما عن مجيء المؤمنات مهاجرات، والأخرى تتحدث عن مجيء المؤمنات

(١) سورة الممتحنة **من الآية**: ١٠.

(٢) سورة الممتحنة **من الآية**: ١٢.

(٣) سورة الممتحنة **من الآية**: ١١.

(٤) ومن لطائف مواقع(إن) الشرطية في الاستعمال القرآني ما جاء في سورة الحجرات وهو قوله تعالى﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾(الحجرات: ٩) فلما كانت (إن) الشرطية تدخل على ما ندر وقوعه أو ما ليس مقطوعاً بوقوعه لذلك افتتح بها في هذا السياق؛ لبيان أن ما في حيز مدخولها ينبغي أن يكون نادر الوقوع قليل الحدوث. فإذا علمنا أن مدخولها هو بيان حكم القتال بين المؤمنين بعضهم بعضاً تبين أن هذه الظاهرة الأصل فيها ندرة وقوعها. ينظر: التفسير الكبير :٢٨/١٢٧-١٢٨.

مبايعات، وهما نتيجة حتمية لانتشار هذا الدين - **الإسلام**- واتساع رقعته ودخول الناس فيه أفواجاً، وهذا أمر غير مشكوك فيه البتة.

أما الآية الثالثة المصدرة بـ**(إن)** فتتحدث عن ارتداد بعض المسلمات وترك أزواجهن المسلمين، وهذا أمر نادر الوقوع- من الرعيل الأول- ومن الحري ألا يقع(١).

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ**﴾(٢) يتضح لنا الفرق جلياً فقد جاء التعبير بـ(إذا) مع **الرؤية** واستعمل (إن) مع **القول**، وكل من يرى المنافقين تعجبه أجسامهم لكن ليس كل ما يقولونه حريٌّ بأن يُسمع(٣).

ومن دقة تلك المواضع في العدول بين هاتين الأداتين قوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ**﴾(٤) فالخطاب موجه إلى الكافرين الذين يبادرون يوم القيامة بالاعتراف بذنوبهم آملين في الخلاص من العذاب؛ فلذلك جاءت المخالفة أو العدول في استعمال الأداة وذلك لتسفِّه هذا الاعتراف وتقوِّض ذلك الأمل، ففي مجيء **(إذا)** مع فعل الدعوة إلى التوحيد و**(إن)** مع فعل

---

(١) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١/٣٣٨-٣٤٠.

(٢) سورة المنافقون: ٤.

(٣) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١/٣٤٠.

(٤) سورة غافر: ١٢

الإشراك مواجهة لهؤلاء الكفار بما كانوا عليه من ضلال في الدنيا، وإيحاء بدرجة ما كانوا عليه من ضلالٍ وغفلةٍ.

و لا يفوتنا أن نلاحظ في السياق نفسه العدول في استعمال صيغ الأفعال مع الأداتين حيث جاء الفعل الماضي مع (إذا) فقال(**إذا دُعيَ الله)** وجاء بالفعل المضارع مع الأداة (إن) فقال **(وإن يُشرك)**. ولا يخفى ما في ذلك من دلالة على سوء حالهم في الدنيا، ومن ثم الدلالة على أن لا سبيل لهم إلى الخروج من العذاب أبداً[1].

وهكذا نجد في الاستعمال القرآني الفرق الدلالي الدقيق بين استعمال **(إذا)** و **(إن)**[2] فيستعمل (إذا) دائماً لما هو محقق الوقوع؛ ولذا يكثر دخولها على الماضي، أما **(إن)** فتستعمل غالباً فيما ليس محقق الوقوع أو نادر الوقوع[3]. وإن استعملت في غيره فعلى سبيل الحكاية والتأويل. ولعلنا بعد كل ما سبق في هذا الموضع أن نحس بجمال ودقة الاستعمال مع كلٍ من الأداتين، فلا يصلح استعمال أحداهما مكان الأخرى.

---

(١) ينظر: محاسن التأويل: ١٤/١٣٠ والالتفات في البلاغة القرآنية: ١٧٥-١٧٦.

(٢) وقد خصصنا ذكر(إن) و(إذا) في هذا المبحث؛ لأنهما يشكلان مع (لو) الأدوات الأصلية في الشرط،أما غيرها من الأدوات فمحمول عليها.

(٣) وبذلك فنحن لا نتفق مع ما يذهب إليه الدكتور المخزومي في عدم التفريق بينهما. ينظر: في النحو العربي- قواعد وتطبيق: ٦٢.

٢-حذف جملة الجواب

لقد عرفنا مما سبق أن جملة الشرط وجملة الجواب متلازمتان، وهذا يعني أن معنى الشرط لا يتم إلا بوجودهما معاً في السياق، إلا أنه قد ورد في سياق القرآن الكريم جواز حذف جملة جواب الشرط وذلك إذا قام عليها دليل من السياق، حتى تكون معلومة مستقرة في ذهن المخاطب.

والسياق القرآني يجنح إلى حذف الجواب في التركيب الشرطي لأغراضٍ شتى ، منها رفع مكانة الشرط أو الترغيب أو الترهيب[(١)].

وقد يُحذف الجواب؛ لأنه من الوضوح بمكان فلا يحتاج إلى أن يذكر وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ [(٢)].

فالحذف في هذا السياق يشير إلى أن الجواب معروف ،واضح عند المخاطبين لا يحتاج إلى بيان، علاوة على ما في الآية الثانية من دلالة على المحذوف فكأنه قال: وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون...أعرضوا. فالجواب واضح من قوله﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾يس: ٤٦ ، وكأن الإعراض أصبح سجية لهم، فلا تكاد الآية تأتي إليهم حتى يُعرضوا عنها[(٣)].

---

(١) ينظر: مباحث في علم المعاني: ٢٥٧.

(٢) سورة يس: ٤٥-٤٦.

(٣) ينظر: الإيضاح: ١٠٧ ومن بلاغة القرآن: ١٢٦-١٢٧.

وقد يُحذف جواب الشرط للدلالة على أنه لا يحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع كل مذهب في تقديره فلا يُتصور شيء إلا ويجوز أن يكون الأمر أعظم منه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾[1]. حيث يوجد بعد (حتى) جملة شرطية محذوفة الجواب[2] ،وذلك وصولاً إلى درجة من البيان أرفع، وهي أن صفة ثواب أهل الجنة لا يمكن أن تحدها حدود أو أن يتصورها أحد أو يحيط بها وصف أو يخطر على قلب بشر[3] فيكون الحذف هنا أبلغ من ذكر مئات الكلمات[4].

ومشابه لما سبق قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾[5]، فحُذف جواب(لو)؛ للإشارة إلى أنه أمر فظيع لا يحيط به وصف. فهؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم لو يعلمون أن القدرة كلها لله وحده، ويعلمون شدة عقابه للظالمين،

---

(١) سورة الزمر : ٧٣.

(٢) ينظر: ملاك التأويل: ٩٩٣/٢ والإيضاح: ١٠٧ والتفسير القيم: ٤٢٥.

(٣) يقول تعالى في الحديث القدسي: ((أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)) ينظر: صحيح البخاري: ١٣٨٥/٣ رقم الحديث(٣٠٧٢).

(٤) ينظر: مباحث في علم المعاني: ٢٥٨

(٥) سورة البقرة: ١٦٥.

ولو أنهم عاينوا هذا العذاب يوم القيامة؛ لكان منهم من لا يدخل تحت الوصف من اللوم والحسرة.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] وقوله تعالى﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾[2]﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[3].

ونرى أيضاً أن جواب الشرط مع (لو) محذوف من سياق قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ﴾[4] والحذف في هذا السياق جاء لشدة وضوح المحذوف؛ فعدل السياق إلى الإيجاز، لأن لغة القرآن هي لغة الإيجاز. **والمعنى**: فلو أن قرآناً أوتي تلك القوة الخارقة لكان هذا القرآن جديراً أن يكون له تلك القوة[5].

ومن حذف جواب(لولا) قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

---

(١) سورة الأنعام: ٢٧.

(٢) سورة الأنعام **من الآية**: ٣٠.

(٣) سورة السجدة **من الآية**: ١٢.

(٤) سورة الرعد: ٣١.

(٥) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٢٦.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]، فنلاحظ أن(**ترك جواب لولا هنا يثير في نفس هؤلاء الذين يحبون أن تشيع الفاحشة الرهبة من عذاب الله الذي يشير إليه ما بعد لولا**)[2].

ومن المواضع الدقيقة في حذف جواب **(لولا)** ما جاء في سياق قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾[3].

تشير كتب التفسير[4] إلى أنه لم يقع همٌّ[5] من سيدنا يوسف عليه السلام فقد امتنع وقوعه لوجود البرهان الذي رآه ؛ ذلك أن **(لولا)** حرف امتناع لوجود، وحذف الجواب في هذا السياق لوجود دليل يدل عليه في الكلام قبله – أي الذي سبق أداة الشرط– وهذا مشابه للسياق الشرطي في قوله تعالى: ﴿ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[6] فالمعنى هو: إن كنتم مسلمين فتوكلوا

---

(١) سورة النور: ١٩-٢٠

(٢) من بلاغة القران: ١٢٦.

(٣) سورة يوسف: ٢٤.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١١٨/١٨ والجامع لأحكام القران: ١٠٧/٩-١٠٨ ومحاسن التأويل: ٣٥٨/٩-٣٥٩.

(٥) أن (الهمَّ) اسم جنس وهو نوعان: همُّ إصرار وهمّ خطرات، وأن همَّ سيدنا يوسف كان هم خطرات فحسب،وقد تركه لله فصرف الله عنه السوء والفحشاء. ينظر: التفسير الكبير لأحمد بن عبد السلام الحراني الدمشقي المعروف بابن تيمية المتوفى سنة(٧٢٨ هـ): ٥٩/٥.

(٦) سورة يونس: ٨٤

عليه، وهذا يعني أن القسم الأول من الآية قد دلَّ على الجواب المحذوف وليس هو الجواب بطبيعة الحال؛ لأن (**الشرط بمنزلة الاستفهام والاستفهام له الصدارة في الكلام فكما لا يجوز أن يعمل ما بعد الاستفهام فيما قبله، فكذلك الشرط...**)(١)، وعلى ذلك يكون جواب(**لولا**) لم يتقدم عليها ولكن المذكور قبلها صار دليلاً عليه، فيكون معنى الآية هو: لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها. أي أن ما ورد قبل(لولا) دليل الجواب المحذوف فصار العطف هنا على الجملة كلها وليس على جملة (**همّت**) الواقعة في جواب القسم المدلول عليه باللام. فقُدّم الجواب أو ما يدل عليه هنا على الشرط بـ(لولا) للاهتمام به(٢).

ومن حذف الجواب مع(**لمّا**) قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٣) فنرى في هذا السياق أن حذف الجواب جاء ليوحي إلى أن اللفظ لا يستطيع أن يصف ما أصاب إبراهيم عليه السلام وابنه فهو أمر فظيع لا يمكن أن يتصوره أحد؛ لأنه امتحان غاية في الصعوبة لهما(٤).

---

(١) الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وكتاب الإنصاف- محمد خير الحلواني: ٢٩١

(٢) ينظر: محاسن التأويل: ٣٥٨/٩ ودراسات قرآنية: ٦٨-٦٩.

(٣) سورة الصافات: ١٠٣-١٠٥.

(٤) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٢٦.

٣- تعدد جملة الشرط وجملة الجواب واحدة.

وهذه الظاهرة من الظواهر الأسلوبية اللافتة للنظر في السياق القرآني. إذ يمكن أن تأتي في السياق القرآني أكثر من جملة شرطية معطوفة على بعضها وتكون جملة الجواب واحدة تصلح أن تكون جواباً لكل جملة من الجمل التي وردت في ذلك السياق.

وفي الحقيقة أن هذا الأسلوب يكثر في سياق **السور المكية**؛ أنها تمتاز بقصر آياتها، ومن ثمَّ فإن جملها تمتاز أيضاً بقوة ألفاظها وسرعة انسيابها(١).

ومن الأمثلة على ذلك، ما ورد في سياق قوله تعالى﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾(٢). فنلاحظ أن جملة الشرط قد تكررت في هذا السياق أربع مرات على حين لم تُذكر جملة الجواب إلا مرة واحدة. وهذه الجملة تصلح أن تكون جواباً لكل جملة شرط وردت في هذا السياق فيمكن أن يكون التركيب الشرطي في **الحالة الأولى**: إذا السماء انفطرت علمت نفس ما قدمت وأخرت، وفي **الحالة الثانية**: إذا الكواكب انتثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت... وهكذا مع المواضع الأخرى.

---

(١) وخاصة في الآيات التي تتحدث عن أهوال يوم القيامة ويوم الحساب ويوم الحشر وغيرها من المواقف الرهيبة. ينظر تفصيل ذلك في المشاهد في القرآن الكريم: ١٦٤-١٦٨.

(٢) سورة الانفطار: ١-٥.

والسبب في جعل جواب الجمل الشرطية واحداً هو أن هذه الآيات تتحدث عن وصف يوم القيامة وأشراطه الذي يهم الإنسان هنا، وليس الظواهر التي تعتري السماء أو الكواكب أو البحار. وإنما الذي يهمه هو أن ما يعمله هذا الإنسان يجده أمامه يوم القيامة الذي كان هو الجواب لكل ما يحدث من أهوال وهو(**علمت نفس ما قدمت وأخرت**)[1].

ولا بد من الإشارة في هذا الموضع إلى أنه يكاد يُجمع النحاة على أن جملة الشرط في التركيب الشرطي﴿**إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ**﴾ الانفطار: ١ فيها فعل الشرط محذوف – **وهو الذي يقع بعد الأداة إذا** – والفعل المذكور فيها(**انفطرت**) هو الدليل على الفعل المحذوف؛ لأن (**إذا و إن ولو**) عندهم من الأدوات المختصة بالدخول على الجملة الفعلية. وعليه يكون التقدير في الجملة هو: **إذا انفطرت السماء انفطرت**[2]. وفي الحقيقة أن هذا الكلام فيه نظر من وجوه عديدة:

الأول: يمكن أن نوافق النحاة على ما ذهبوا إليه من أن(**إذا وإن ولو**) مختصة بالدخول على الجملة الفعلية، إلا أننا عندما نطالع نظام الجملة الفعلية في الشرط لا يمكن أن نوافق على أن الجملة في مثل (**إذا**

---

(١) ينظر: المشاهد في القرآن الكريم: ١٦٧.

(٢) ينظر: مغني اللبيب: ١/٨٢-٨٣ وبناء الجملة العربية: ١٧٣ والبلاغة فنونها وأفنانها: ١/٢٧٢-٢٧٣.

السماء انفطرت) هي جملة أسمية[١] – أي بمجرد تقدم الاسم على الفعل – لأننا نعتقد أن الجملة وإن تقدم فيها الاسم(**السماء**)، إلا أنها باقية على فعليتها، ولكن حصل فيها عدول في الرتبة؛ وذلك بتقديم الفاعل على فعله أو على عامله[٢].

الثاني: نلاحظ في الأسلوب القرآني هذه الظاهرة كثيراً، وهي أن جملة الشرط في التركيب القرآني وردت وقد تقدم الفاعل فيها على الفعل، سواء مع **(إذا)** كما في السياق السابق أو مع **(إن)** كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ**﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿**وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا**﴾[٤] أو مع **(لو)** كما في قوله تعالى: ﴿**قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ**﴾[٥] وورود هذه الشواهد الكثيرة في أسلوب القرآن الكريم؛ يمكن أن يدحض ما ذهب إليه النحاة من تأويل أو تقدير. وبالتالي يمكن أن تكون هذه الأدوات مشتركة بالدخول على الجملة الفعلية والاسمية

---

(١) يرى الأخفش أن الاسم بعد(إذا) مبتدأ والجملة الفعلية بعده خبر.ينظر: مغني اللبيب: ٨٣/١.

(٢) ينظر: في النحو العربي– قواعد وتطبيق: ١٢٢–١٢٥ وهذا البحث الصفحات :١٨و١٩.

(٣) سورة التوبة **من الآية:** ٦.

(٤) سورة النساء **من الآية:** ١٢٨.

(٥) سورة الإسراء **من الآية:** ١٠٠.

على السّواء وتؤدي معنى الشرط وتربط جملة الشرط بجملة الجزاء أو الجواب.

الثالث: وإذا ما أضفنا إلى ذلك كله أن الشرط يمكن أن تحققه الجملة الاسمية أيضاً؛ لأن الجملة الاسمية تحمل معنى الشرط إذا دخلت الفاء على جملة الخبر فيها[1]، وأفادت عدم حصول الخبر إلا بحصول المبتدأ، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[2]، حيث دخلت الفاء على الخبر كدخولها في الجزاء (**أن ينفقوا... فلهم أجرهم**) وبحذف هذه الفاء يتغير معنى الجملة من وجود الشيء إلى عدمه. فإدخال الفاء في هذا السياق بمثابة إعطائهم الأجر مع وجود الإنفاق.

ونلاحظ ذلك أيضاً في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3]. فنلاحظ أيضاً دخول الفاء في الخبر. إذن بوجود الشرط والجزاء في معنى الجملة الاسمية فيكون المعنى:إن قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم.

فإذا كان الشرط يمكن أن يتحقق في الجملة الاسمية في السياق القرآني من غير دخول أداة للشرط – كما هو واضح – فمن الأولى أن

---

(١) ينظر: الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية: ٢٢.

(٢) سورة البقرة **من الآية:** ٢٧٤.

(٣) سورة الأحقاف: ١٣.

يتحقق ذلك الشرط والجزاء أيضاً في سياق الجملة الاسمية بدخول أداة الشرط عليها. كما في سياق الآيات السابقة وآيات كثيرة في سياق القرآن الكريم، إلا أننا نميل إلى أنها جملة فعلية تقدم فيها الفاعل على الفعل.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾
وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا
ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾[(١)] فالموصوف في هذا السياق أيضاً هو يوم القيامة. وأول ما نلاحظه من الخصائص الأسلوبية لهذا السياق هو أن الأسماء مقدمة على الأفعال في الجمل جميعها[(٢)] وذلك لتحضر المشهد في الذهن قبل الفعل[(٣)].ونلاحظ أيضاً أن جميع جمل الشرط الإثنى عشر تشترك بجملة جواب واحدة، وهي جملة قوله تعالى(**علمت نفس ما أحضرت**)؛ وذلك لأن جميع الجمل الواردة هي علامات لشيء واحد هو يوم القيامة.

---

(١) سورة التكوير: ١-١٤.

(٢) ينظر: المشاهد في القرآن الكريم: ٤٠٧ والإعجاز النحوي في القرآن الكريم: ٢٠٣.

(٣) وهناك مواضع كثيرة مشابهة في سياق القرآن الكريم وذلك كما في سورة المرسلات:٨-١٥ وسورة الانشقاق:١-٥.

أما إذا جاءت جملة الشرط على رتبتها فعندئذ تتكرر جملة الشرط أو تتعدد ولكن من غير أن تتكرر معها أداة الشرط في هذه الحالة وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾[1] فنلاحظ أن جملة الشرط عندما تعددت لم تتكرر معها الأداة **(إذا)**؛ لأن جملة الشرط جاءت على رتبتها في هذه الحالة مع الأخذ بنظر الاعتبار أن جملة الجواب كانت واحدة وهي قوله تعالى: **(فكانت هباءً منبثاً)** وصالحة لأن تكون جواباً لكل جملة من جمل الشرط الواردة في السياق.

ونلاحظ هذه الخصيصة السياقية أيضاً في سياق قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[2] فنلاحظ أن السياق قد تعددت فيه الجمل الشرطية، وقد ربطت ببعضها من خلال العطف، وقد كانت جملة الجواب واحدة في هذا السياق، وهي جملة قوله تعالى﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ الزلزلة: ٦.

---

(١) سورة الواقعة: ٤- ٦.

(٢) سورة الزلزلة: ١-٨ .

وخلاصة الأمر أنه يمكن في السياق القرآني أن تتعدد جملة الشرط في السياق نفسه، وتكون جملة الجواب أو الجزاء واحدة تصلح أن تكون جواباً لجميع الجمل الشرطية المتقدمة، فإذا كانت الجمل الشرطية المنسوقة قد حصل فيها عدول عن الرتبة؛ وذلك بتقديم الفاعل على الفعل جاءت أداة الشرط في كل جملة واردة في السياق من الجمل الشرطية. أما إذا كانت الجمل الشرطية قد حافظت على رتبتها فتكون الأداة – **أداة الشرط** – واردة فقط في الجملة الشرطية الأولى أما الجمل المنسوقة معها فلا ترد معها هذه الأداة، ويمكن أن تكون هذه الظاهرة البارزة في السياق الشرطي عندما تكون الجمل الشرطية واصفة لأهوال يوم القيامة ويوم الحساب والمشاهد الكفيلة بإثارة الخوف والتفكير في ذهن المخاطب.

التلازم من خلال الطلب

قد لاحظنا من خلال التلازم بين الشرط والجزاء أن جملة الشرط وجملة الجزاء قد ترابطت من خلال المعنى الشرطي الذي تحدثه الأداة المعبر عنه بالجزم الحاصل في الجملتين؛ فإذا فُقد الجزم دخلت أحدى الروابط الحرفية **(إذا الفجائية أو الفاء أو اللام)**؛ لتربط بين الجملتين حتى يبقى التركيب الشرطي متلازماً.

ويمكن أن يحدث هذا الترابط بين الجمل من غير وجود أداة الشرط، أي: إنه لا يقتصر العامل الذي تنعقد به قضية الشرط على العامل اللفظي الصريح وهو **(أداة الشرط)**، فإنه قد يكون مظهراً نحوياً في التركيب وهو

سياق الطلب[1]. فيُجزم المضارع إذا كان جواباً لأمر أو نهي أو استفهام أو تمنٍ أو عرضٍ، وقد فسر **الخليل (ت١٧٥ هـ)** ذلك على تقدير شرط محذوف بعد الطلب وقبل الجواب؛ لأن دلالة هذا التركيب أو التلازم **(فعلان يرتبط أحدهما بالآخر)** توحي بالسببية التي يتضمنها أسلوب الشرط[2]. وهذا ما يجعل هذا الأسلوب منتمياً في أساسه إلى أسلوب الشرط، وإن لم يكن في ظاهره شرطاً، ولذلك ترابط ترابطه.

ويكون الجزم هو الدليل على هذا الترابط الحاصل بين الجملتين وهو ترابط ترتب **(سببي)** أفقي أساسه **(توقّف الثاني على الأول)**[3].

وذلك كما في سياق قوله تعالى: ﴿ **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾[4] حيث جُزم الفعل **(يأكلوا)** وكذلك ما عُطف عليه في جواب الطلب**(ذرهم)**؛ لأن الأكل والتمتع والإلهاء مترتبة ومرتبطة بالفعل**(ذرهم)**[5]، فإن فُقد الجزم في الفعل الثاني فهذا يدل على أن التلازم

---

(١) ينظر: الكتاب: ٩٤/٣ والشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية: ٢٣ وبناء الجملة العربية : ١٧٩.

(٢) وللمزيد من التفصيل في آراء النحاة، ينظر: بناء الجملة العربية:١٧٩.

(٣) ولا يشترط في الطلب هنا أن يكون على صورة مخصوصة، بل يكفي أن يكون مفهماً للطلب ولو كان خبراً قُصد به الطلب.

(٤) سورة الحجر : ٣ ومنه أيضاً قوله تعالى ﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾(إبراهيم: ٣١).

(٥) ينظر: بناء الجملة العربية: ١٧٨.

من خلال الجزم ليس موجوداً، وأن هناك ترابطاً بين الجملتين من نوع آخر. فيمكن أن تكون الجملة الثانية حالية[1] أو مستأنفة.

ويتضح ذلك جلياً في سياق قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[2] فالفعل في جملة **(تطهرهم)** لم يرد مجزوماً بل ورد مرفوعاً. وهذا يدل على عدم ارتباط الجملتين عن طريق الجزم – أو الشرط المقدّر – وهذا يعني أن جملة **(تطهرهم)** غير مرتبطة أو مترتبة على أخذ الصدقة من أموالهم، فتكون جملة **(تطهرهم)** في هذه الحالة إما نعتاً لـ**(صدقة)** وعندئذٍ تكون هناك جملة واحدة وليس جملتين، وإما أن تكون الجملة مستأنفة[3].

وهكذا يتضح لنا أن السياق القرآني لا يلتزم أسلوباً واحداً في تلازم الجمل. فإن جُزم المضارع في جواب الطلب تلازمت الجملتان، وترتبت الثانية على الأولى. وإن لم يُرد السياق تلازم الجملتين عن طريق الجزم جاء بالفعل مرفوعاً؛ فتكون الجملة الثانية حالية أو مستأنفة، فتكون مرتبطة مع سابقتها عن طريق الوصل أو الفصل.

---

(١) وذلك كما في قوله تعالى﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأنعام:٩١) فجملة(يلعبون) هي جملة حالية جاءت بغير الواو. ينظر: بناء الجملة العربية:١٧٨.

(٢) سورة التوبة من الآية: ١٠٣.

(٣) ينظر: بناء الجملة العربية: ١٧٧.

في القسم وجوابه

إن أسلوب القسم يتكون من جملتين متلازمتين، الأولى: جملة القسم، والثانية: جملة الجواب. وجملة القسم قد تكون فعلية أو اسمية ، ويكون جواب القسم هو المقصود بالحكم، وهو الذي يؤتى بالقسم من أجله أي لتوكيده بالقسم، يقول سيبويه:(**اعلم أن القسم تأكيد لكلامك**)(١) ويقول صاحب المفصل: (**هو جملة فعلية أو اسمية تؤكد بها جملة موجبة أو منفية**)(٢). وهذا يعني أن جملة القسم لا تستقل بدون جملة جواب القسم ذلك أن التأكيد يقع على ما في جملة الجواب وليس على ما في جملة القسم ، نحو قولنا: (أقسم بالله لأفعلنّ) فلو قلتَ: أقسم بالله وسكتَّ لم يجز لأنك لم تقصد الإخبار بالحلف فقط ، وإنما أردت أن تخبر وتؤكد أمراً آخر(٣).

ويلحق بالمقسم به حرف القسم وهو أما **الباء** أو **التاء** أو **الواو** ، ويحذف الفعل المتعلق بالجار والمجرور جوازاً و قياساً. ويذهب النحاة إلى أن الباء هي أصل حروف القسم ولذلك خُصّت بذكر الفعل معها دون

---

(١) الكتاب : ٣/١٠٤.

(٢) شرح المفصّل: ٩/٩٠ .

(٣) ينظر: بناء الجملة العربية: ٦٨ – ٦٩ و ١٨٤.

الـواو والتـاء(١). ولـذلك أصـبحت البنيـة الأساسـية لجملـة القسـم هـي(**فعـل وفاعل وحرف جر يوصل به إلى المقسَم به**)(٢).

وبذلك فإن أسلوب القسم يشبه من ناحيـة البنـاء الشرط والجزاء لأن جملـة الشرط لا يتم المعنى بها دون أن ترتبط معها جملة الجواب، وعليه فقد ارتبطت جملة القسم وجملة الجواب حتى صارتا كالجملة الواحدة(٣).

وهكذا تصبح الجملتان متلازمتين ، أي جملـة القسم وجملـة الجواب، مـع أن جملـة الجواب من الجمل التـي لا محـل لـها مـن الإعراب ، وهـي جملـة خبريـة يمكن أن تكون مثبتـة ويمكن أن تكون منفيـة، إلا أن ذلك لا يمنع من ترابط الجملتين وتلازمهما؛ ليحققا المعنى الدلالي والبلاغي الذي يأتي القسم من أجله في الاستعمال القرآني(٤).

---

(١) لذلك عندما يقول النحاة في القسم بالواو والتاء: إن الجار والمجرور متعلق بفعلٍ محذوفٍ وجوباً فهم يشيرون بذلك إلى أصل الحروف في القسم وهو الباء الذي يظهر معه الفعل المحذوف .ينظر: علل النحو: ١٧٠ وسر صناعة الإعراب: ١/١٢١ و ١٤٣.

(٢) ينظر: بناء الجملة العربية: ١٨٤-١٨٥.

(٣) ينظر: شرح المفصل: ٩/٩١ ومغني اللبيب: ٢/٦٠ و بناء الجملة العربية: ٦٩.

(٤) ينظر: بناء الجملة العربية: ١٨٣-١٨٤.

وفي السياق القرآني تجتمع روعة القسم مع إعجاز النظم ، فقد ورد القسم بالباء وذُكر معها الفعل كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾[(١)]

ففي هذا السياق نرى البنية الأساسية القياسية لبناء أسلوب القسم ، فقد تكونت جملة القسم من **(الفعل والفاعل والمقسم به)** وهي **(وأقسموا بالله...)** ثم جاءت جملة الجواب بعدها وهي **(لا يبعث الله من يموت)** فجاءت جملة فعلية منفية.

وجاء القسم بالواو– وهو كثير في القرآن– ويُحذف معها الفعل ويبقى المقسم به ،وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[(٢)]. ويذكر بعضهم أن الواو أصلها الباء إلا أنه لما كَثُر استعمال **(أقسم بالله)** ونحوه وأرادوا التخفيف حذفوا الفعل أولاً ، فقالوا: **بالله** ، ثم تدرجوا **فأبدلوا الباء واواً** ، لأن الواو أخف من الباء فقالوا**(والله)** ... وكذلك **التاء** وهي مقصورة على لفظ الجلالة فلا تدخل إلا عليه في أسلوب القرآن الكريم وذلك كما في قوله تعالى:﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۝٥٧﴾[(٣)].

---

(١) سورة النحل: ٣٨.

(٢) سورة ق: ١–٢

(٣) سورة الأنبياء: ٥٧.

وقد ألّف **ابن القيم الجوزية** كتابه **(التبيان في أقسام القرآن)** متناولاً أقسام القرآن بتلك الروح الشفافة والنفس الزكية والحس المرهف (ولكنه لم يلتفت إلى دور القسم في جمال النظم وأثره في المعنى العام بنظرة شاملة تنسحب على القرآن الكريم كله فلا تكون الكلمة هي الوحدة أو الجملة أو الجمل بل يكون القرآن الكريم كله هو الوحدة الفنية، ذات المنهج المطرد والمنظور الثابت ومن خلاله نعيد النظر في الإحساس بالكلمة وبها وهي في جملة، وبالجملة وقد كونت جملاً ثم بالسورة كلها ثم بالسور أجمع)(١).

الظواهر الأسلوبية و الدلالية للقسم في القرآن الكريم

القسم من الأساليب المهمة التي يعمد إليها أسلوب القرآن الكريم لتثبيت الحكم وتقويته. حيث أن أكثر أقسام القرآن هي أقسام استدلالية يريد السياق القرآني من خلالها أن يبيّن قدرة الخالق وعظمته وذلك من خلال ما يقسم به من الآيات والمخلوقات.

فقسم الله بمخلوقاته خاص به فليس للعبد الحق بالقسم إلا بالله وحده، والخالق ﷻ إنما يقسم بهذه المخلوقات من أجل تبيان النعمة التي أنعم بها على عباده، وأنها من آيات الله الدالة على وجوده ووحدانيته ووقوع الحساب والبعث يوم القيامة وعلى صدق النبوة التي أرسل بها الرسل(٢).

---

(١) بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ١٤٩-١٥٠. ولمزيد من التفصيل ينظر: التبيان في أقسام القرآن

(٢) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٧٠ والمشاهد في القرآن الكريم: ٤٤٢.

فيأتي القسم بالـ(رب) مضافاً إلى السماء والأرض حيناً كما في قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾[1]. ففي هذا القسم تأكيد على أنه سبحانه خالق السماء والأرض وأنهما آيتان عظيمتان، وفيه إشعار بخضوعهما لأمره سبحانه وتعالى.

ويأتي حيناً آخر مضافاً إلى المشارق والمغارب وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾[2] والإضافة إلى المشارق والمغارب هنا توحي بالقدرة البالغة التي تملك المشارق والمغارب، أو القدرة البالغة في تسخير الشمس والقمر والنجوم فتشرق وتغرب في دقة وإحكام.

ويمكن أن يأتي القسم بـ(رب)مضافاً إلى الرسول ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴾[3] فالقسم هنا يوحي بأن أرباب هؤلاء المشركين ليست جديرة بأن يُقسم بها أو تكون محل الإجلال والتقدير[4].

ويمكن أن يأتي القسم بهذه المخلوقات أو الظواهر الكونية من دون إضافتها إلى الرب أو إلى خالقها وموجدها وذلك لبيان أنها من الآيات والظواهر العظام التي تستحق أن يقف عندها المتأمل، وأن يتفكر في

---

(١) سورة الذاريات: ٢٣.

(٢) سورة المعارج: ٤٠.

(٣) سورة مريم: ٦٨.

(٤) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٧٠ والمشاهد في القرآن الكريم : ٤٤٤-٤٤٥.

خلقها[1]. وقد آثر القرآن أساليب عديدة في صياغة هذه الأقسام في الأسلوب القرآني منها:

١- افتتاح كثير من السور بالقسم:

إن الله قد افتتح كثيراً من السور – **ولاسيما القصار منها**– بالقسم ، والقسم في مطالع هذه السور استفتاح رائع وتنبيه إلى ما في هذه المصنوعات- المخلوقات- من روعة تدفع إلى التفكير في خالقها وموجدها. وذلك كما في سياق قوله تعالى: ﴿**وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا**﴾[2] فالقسم بهذه الآيات يثير في النفس أقوى أحاسيس الإعجاب، والتفكير بمدبرها ومنظم شؤونها هذا التنظيم الدقيق المحكم، فهذه الشمس التي تبلغ أوج مجدها وجمالها عند الضحى، وهذا القمر الذي يخلفها إذا غابت وكأنه يقوم مقامها في إضاءة الكون وإبهاجه وإشعار الإنسان بالأمان عندما يراه زاهياً في السماء. وهذا النهار الذي يجعل هذا الكون مبصراً ثم لا يلبث أن يمحو الليل سناه. وهذه السماء وقد أُحكم خلقها واتسقت في عين رائيها كالبناء المحكم الدقيق، وهذه الأرض وقد انبسطت في سعة، وهذه النفس الإنسانية التي يتسرب إليها الهدى

---

(١) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٧٠-١٧١ وللمزيد من التفصيل في هذه الظواهر والآيات الكونية التي أقسم بها الخالق ﷻ ينظر: التبيان في أقسام القرآن: ١٠-٣٥.

(٢) سورة الشمس: ١-٧

والضلال في دقة وخفاء، أليس في ذلك كله ما يبعث في النفس التفكير العميق في خالق ومدبر هذا كله.. وإذا أُقرع سمع المخاطَب بهذا الاستفتاح الرائع العجيب وهذه الصور البديعة فإنه يتيقظ عقله وتنشط نفسه[1].

ويأتي القسم في غضون السور تأييداً للمقال وتقوية وتعزيزاً وذلك كما في سياق قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾[2]، فالقسم بالسماء التي ينزل منها الماء -**الغيث**- باستمرار مرة بعد أخرى وبالأرض المتصدعة المتشققة بالنبات الناضر الجميل ومن ثم جعل هذا القسم إطاراً لحقيقة من حقائق القرآن بأنه قول فاصل بين الحق والباطل وفي ذلك تقوية للمعنى وتأكيد لحقيقة القرآن وفيه حث على الإيمان والتصديق به[3].

٢- الجمع بين مشاهد عديدة في جملة واحدة:

إن الاستدلال بالقسم عظيم في النفس؛ لأن من مزاياه أنه يسهّل الجمع بين مشاهد عدة في جملة واحدة أو جمل متلاحقة منسوقة، وذلك كما في سور **(التين والبلد والطور والشمس والليل والفجر)**[4]، كما يجمع القسم بين ما هو مرئي وغير مرئي خاصة وأن ما لا نراه من مشاهد الكون

---

(١) ينظر: التبيان في أقسام القرآن: ١٣-١٤ ومن بلاغة القرآن: ١٧٠-١٧١ والمشاهد في القرآن الكريم: ٤٤٩- ٤٥٠.

(٢) سورة الطارق: ١١-١٤

(٣) ينظر: المشاهد في القرآن الكريم: ٢٣٩-٢٤٠ و ٤٥٠.

(٤) ينظر: المرجع نفسه: ٤٥١.

أضعاف ما نراه منها، فيقسم القرآن بذلك على روعة القرآن وأنه صادر من الخالق ﷻ وحده وينزهه أن يصدر من سواه كما في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١] وهكذا نجد أن الله ﷻ قد اتخذ من مشاهد الكون وظواهره دلائل عظمته وعظمة القرآن وبيان منزلته والإشعار بنفعه وخيره وبركته[٢].

٣- تقديم القسم :

وفي تقديم القسم توثيق لصدق ما سيذكر في الجواب؛ وذلك لأن ذكر القسم قبل ذكر الدعوى يؤدي إلى قرع أُذني المخاطب، فيصغي ويترقب ما بعده، ثم تأتي الدعوى فيسهل قياده لها. أما إذا فوجيء بالدعوى التي ينكرها انصرف عنها ونفر منها. ونلاحظ ذلك جلياً في سياق قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[٣] فإن تقديم القسم بالضحى، والليل إذا سجى فيه إيقاظٌ للغافلين المنكرين لرسالة محمد ﷺ وفيها ما فيها من التوكيد لرسالة محمد ﷺ والوحي الذي أُنزل عليه[٤].

---

(١) سورة الحاقة: ٣٨-٤٣.

(٢) ينظر: المشاهد في القرآن الكريم: ٢٤٠-٢٤١.

(٣) سورة الضحى: ١-٣.

(٤) ينظر: التبيان في أقسام القرآن: ٤٦والمشاهد في القرآن الكريم:٤٥١ .

ومن اللطائف الأسلوبية في هذا السياق مطابقة كبيرة للمعنى من خلال التشبيه، فنور الضحى الذي يأتي بعد ظلام الليل يوافق نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه: ودع محمداً ربُّه. فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه وانقطاعه عنه لفترة(١).

٤- مجيء واو القسم في فواتح السور والآيات :

من الظواهر الواضحة في فواتح السور والآيات مجيء واو القسم فيها وأن المقسِم فيها جميعاً هو الله ﷻ. وجمهور المفسرين والبلاغيين(٢)يذهبون إلى أن ما يلي الواو من مقسَمٍ به قُصد به التعظيم، علاوة على لفت الانتباه والتذكير بقدرة الخالق ﷻ ولاسيما في عرض المشاهد الكونية للسماء والأرض وما تبعث به هذه الآيات من الدهشة والعجب(٣).

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً في السياق القرآني وخاصة في **قصار السور** وذلك كما في افتتاح سورة **النجم** إذ يقول تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾(٤) وفي سورة الفجر يقول تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١

---

(١) ينظر: التبيان في أقسام القرآن: ٤٦-٤٧ والإتقان في علوم القرآن: ١٣٥/٢. ومن بلاغة القرآن: ١٧٣.

(٢) ينظر: الكشاف: ١٣٤٥/٤ والتبيان في أقسام القرآن: ٢٨و٤٣و٦٨ وغيرها.

(٣) ينظر: المشاهد في القرآن الكريم: ٤٥٣.

(٤) سورة النجم: ١-٢

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾[1] وفي افتتاح سورة **الضحى** يقول تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[2] وفي افتتاح سورة **العاديات** يقول تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾[3].

تقول الدكتورة **عائشة عبدالرحمن**: (والذي اطمأننت إليه بعد طول التدبر لسياقها في الآيات المستهلة بالواو، هو أن هذه الواو قد خرجت عن أصل معناها اللغوي الأول في القسم للتعظيم إلى معنى بلاغي هو اللفت بإثارة بالغة إلى حسيات مدركة لا تحتمل أن تكون موضع جدل ومماراة... فالبيان القرآني في قَسَمِه بالفجر وبالصبح إذا أسفر وإذا تنفس وبالشمس وضحاها والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى ... إنما يجلو معاني من الهدى والحق أو الضلال والباطل بماديات من النور والظلمة في مختلف درجاتهما. وهذا البيان للمعنوي بالحسي هو مدار استعمال البيان القرآني للظلمات والنور بمعنى الضلال والهدى)[4].

---

(١) سورة الفجر: ١-٣

(٢) سورة الضحى: ١-٣.

(٣) سورة العاديات: ١-٣

(٤) الإعجاز البياني للقرآن: ٢٣٠-٢٣١ وينظر: المشاهد في القرآن الكريم: ٤٥٣.

٥- التصريح بالمقسم به:

والذي يتتبع أسلوب القسم في القرآن الكريم يجده في الغالب **يصرح بالمقسم به** - كما مر في سياق الآيات السابقة الذكر- إلا أنه في بعض المواضع في السياق القرآني يجنح إلى عدم التصريح به. بل يذكر صفة من صفاته الملازمة له كالتعبير عن الرياح بـ (**الذاريات**) وعن السحب بـ(**الحاملات**) وعن الخيل بـ(**العاديات**) وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾[2].

٦- وجود علاقة بين المقسم به والمقسم عليه:

ومن دقة الظواهر الأسلوبية للقسم وجود علاقة بين المقسم به والمقسم عليه ومن المعلوم أن أحسن القسم وأبْينه ما وضحت فيه تلك العلاقة. فلو نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[3] فالقسم في هذا السياق قد وقع بـ(**الكتاب المبين**) وهو القرآن الكريم ،وجاء الجواب بقوله (**إنا جعلناه قراناً**

---

(١) سورة الذاريات: ١-٦.

(٢) سورة العاديات: ١-٦.

(٣) سورة الزخرف: ١-٣.

عربياً) أي إنه جعل المقسم به والمقسم عليه وكأنه شيء واحد مما يعني أن القسم قد ارتبط بجوابه ارتباطاً وثيقاً ذلك أن المقسم به والجواب هو نفسه(١).

وربما لا تتضح تلك العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه إلا من خلال كلام آخر يوصف به المقسم به ويكون هذا بمنتهى التناسق بين القسم والجواب، وذلك كما في قوله تعالى:﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ** ﴾(٢) فنلاحظ في هذا السياق أن **المقسم به** هو قوله **(وربي)** وأن الجواب – **المقسم عليه** – هو قوله**(لتأتينكم)** ولما أراد السياق القرآني أن يبين ما هي المناسبة أو العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه جاء بالوصف**(عالم الغيب لا يعزب عنه...)** وذلك لأن (قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية، وأولها مسارعة إلى القلب. إذا قيل عالم الغيب، فحين أقسم باسمه على إثبات قيام الساعة، وأنه كائن لا محالة، ثم وصف بما يرجع إلى علم الغيب، وأنه لا يفوت علمه شيء من الخفيات، واندرج تحت إحاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئاً واضحاً)(٣).

---

(١) ينظر: الكشاف:١١٠٩/٤ والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣١٥.

(٢) سورة سبأ: ٣.

(٣) الكشاف: ٩٦٢/٣ وينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣١٥

٧- دخول(**لا**) النافية على فعل القسم:

ومن الظواهر الأسلوبية البارزة للقسم في القرآن الكريم دخول(**لا**) النافية[١] على فعل القسم في بعض مواضع القسم في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[٢]. وهاتان الآيتان عبارة عن جملتين معطوفتين على بعضهما.

ولقد اتفق المفسرون على أن(لا) **في الجملة الثانية** نافية، أما (لا) في **الجملة الأولى** فقد اختلفوا فيها على أقوال عديدة منها:

- أنها **زائدة** كما زيدت في قوله تعالى:﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[٣] وقوله تعالى:﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ﴾[٤].
- أنها **لام الابتداء** أُشبعت فتحتها فظهرت الألف و(**أقسم**) خبر لمبتدأ محذوف، والمعنى: **لأنا أقسم**[٥].
- أنها **نافية**، غير أن القائلين بهذا الرأي قد اختلفوا في تحديد المنفي بها فقيل: إنها لنفي كلام سابق لها، كأن المشركين حين أنكروا

---

(١) ولم يرد في سياق القرآن الكريم دخول غيرها من أدوات النفي على القسم فهي خاصة في دخولها على القسم في القرآن. ينظر: سورة القيامة: ١-٢ والمعارج:٤٠ والتكوير: ١٥ والانشقاق: ١٦ والبلد: ١-٤.

(٢) سورة القيامة: ١-٢.

(٣) سورة الحديد: ٢٩.

(٤) سورة الأعراف: ١٢.

(٥) ينظر : مغني اللبيب :١/٢٠٠.

البعث قيل لهم: لا ليس الأمر على ما ذكرتم ثم قيل: أقسم بيوم القيامة. أي: إن أصحاب ها الرأي يرون ما يراه أصحاب الرأيين السابقين في أن الآية الكريمة قد سيقت؛ لإثبات الاقسام بيوم القيامة، وعلى هذا الأساس قيل: إن الله ﷻ أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة.

- إن (لا) ليست لنفي كلام سابق على القسم بل هي لنفي القسم ذاته والتقدير. إني لا أقسم بيوم القيامة تعظيماً له فهو أعظم وأجل من أن يقسم عليه، أو لا أقسم عليه لإثباته فهو أظهر وأجلى من أن يثبته القسم.

يقول **الزمخشري**: (إدخال (لا) النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم وفائدتها توكيد القسم) [1] ثم قال: (والوجه أن يقال: هي للنفي والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاماً له ، يدلك عليه قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾[2]. فكأنه بإدخال حرف النفي يقول: إن إعظامي له بإقسامي به كلا إعظام، يعني أنه يستأهل فوق ذلك)[3].

- وقرأ الحسن وابن كثير والزهري وابن هرمز :لأقسم بيوم القيامة، بلام بعدها همزة دون ألف وفيها أوجه:-

---

(١) الكشاف: ١٣٠٨/٤.

(٢) سورة الواقعة: ٧٥.

(٣) الكشاف: ١٣٠٨/٤

الأول: أنها جواب لقسم مقدر تقديره: **والله لأقسم**. والفعل للحال؛ فلذلك لم تأتِ نون التوكيد وهذا مذهب الكوفيين، أما البصريون فلا يجيزون أن يقع فعل الحال جواباً للقسم.

الثاني: أنه **فعل مستقبل**، إنما لم يؤت بنون التوكيد؛ لأن أفعال الله حق وصدق فهي غنية عن التأكيد بخلاف أفعال غيره.

الثالث: أنها **لام الابتداء**، وليست بلام القسم(١).

ولعلنا ومن خلال استقراء السورة الكريمة وفي ضوء طبيعة الغرض الذي سيقت من أجله السورة – سورة القيامة – ومع إدراك مدى تآزر هذا الغرض مع غيره من عناصر السياق في وحدة دلالية متماسكة يظهر أن(لا) في كلتا الجملتين **(لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة)** جاءت لنفي القسم. وأن هذا النفي لا يفيد تعظيم المقسم عليه فحسب بل يفيد تأكيده وإثباته والإشعار بأنه لا يحتاج إلى قسم وذلك لأن إثبات المعنى عن طريق نفيه هو آكد بثبوته. وذلك كما في قولنا: لا أوصيك بفلان تأكيداً لهذه الوصية(٢).

---

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ١٩١-١٩٢ والكشاف: ٤/١٣٠٨-١٣٠٩ والنشر في القراءات العشر– ابن الجزري : ٢/٢٨٢ والبحر المحيط–أبو حيان: ٨/٣٨٤ والجامع لأحكام القرآن: ١٩/٦٠ والجامع لإعراب جمل القرآن:٥١١-٥١٢. وحول الإعجاز البلاغي في القرآن– د.حسن طبل: ٢٨-٢٩.

(٢) ينظر: الكشاف: ٤/١٣٠٨.

وهناك مواضع أخرى قد وردت فيها جملة القسم منفية بـ(**لا**) كما في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾(١) وقوله في سورة البلد: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾(٢) وغيرها من المواضع التي تفيد توكيد تعظيم المقسم عليه فضلاً عن وضوح آيات المقسم به وأنها أيضاً آيات عظيمة، وهذا واضح من كلام **الزمخشري** السابق الذكر.

ولكن اللافت للنظر أنه قد ورد نفي القسم في سياقين مختلفين إلا أنه قد جاءت جملة الجواب واحدة . وذلك في سياق سورة **الحاقة** وهو قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ (٣) وفي سياق قوله تعالى في سورة **التكوير**: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ (٤) والذي يمعن النظر في السياقين يجد أن هناك تناسباً عجيباً بينهما بحيث سوغ ذلك مجيء جملة الجواب واحدة .

ذلك أننا نلاحظ أن المقسم عليه في سورة **الحاقة** وفي سورة **التكوير** – وهو المراد توكيده من خلال القسم – كون القرآن الكريم هو(**قول رسول**

---

(١) سورة الواقعة: ٧٥-٧٦.

(٢) سورة البلد: ١-٢.

(٣) سورة الحاقة: ٣٨-٤٠.

(٤) سورة التكوير: ١٥-١٩

كريم)، أي أن غاية القسم في السياقين هي تأكيد نسبة القرآن إلى المَلَك – الوحي– مصدره الغيبي في سورة التكوير، والى المنزَلِ عليه ﷺ مبلغه البشري في سورة الحاقة.

ثم أن المقسم به في كلا السياقين يتضمن جانبين: **ظاهر محسوس** يتمثل في سياق **الحاقة** في (**ما تبصرون**) ويتمثل في سياق **التكوير** في تنفس الصبح بعد عسعسة الليل. و**خفي غير محسوس** يتمثل في **الأول** في (**ما لا تبصرون**) ويتمثل في **الثاني** في خنوس النجوم وكنوسها.

إلا أن القسم بهذين الجانبين لم يأتِ في السياقين على ترتيب واحد. فبينما قدم المحسوس على غير المحسوس في سياق **الحاقة**. نجد أنه قد قدم غير المحسوس على المحسوس في سياق **التكوير**. وفي نظرة متأملة يتبين لنا أن المقدم في كل من السياقين هو الجانب الذي يلائم طبيعة المقسم عليه، ذلك أن المقسم عليه في سورة **الحاقة** هو تأكيد نسبة القرآن إلى الرسول البشري (الذي يراه القوم ويسمعون تلاوته لهذا القرآن) ومن ثم قدم القسم المحسوس أي بالجانب الأكثر ملائمة لتأكيده (**فلا أقسم بما تبصرون**). أما في سياق سورة **التكوير** فإن المقسم عليه هو تأكيد نسبة هذا القرآن إلى الرسول الملكي(جبريل عليه السلام)– غير المرئي– ولذلك قدم القسم بالجانب الخفي أو غير المحسوس (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس)(١).

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٩/١٥٤–١٥٥ والتبيان في أقسام القرآن: ٧٢–٧٦ وحول الإعجاز البلاغي في القرآن: ١٢٣–١٢٧.

ويمكن أن تأتي جملة الجواب أيضاً منفية في سياق أسلوب القسم ، ولا يدخل عليها من حروف النفي إلا حرفين هما (**ما**) وتنفى بها جملة الجواب الفعلية ذات الفعل الماضي، وكما في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾[1] أو الجملة الاسمية وذلك كما في سياق قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ**﴾[2] فالجملتان (**ما كنا مشركين**) و(**ما لكم من زوال**) هما جملتا جواب القسم في السياقين وقد جاءتا منفيتان بـ(ما).

أما الحرف الثاني فهو (**لا**) الذي يدخل على جملة جواب القسم ذات الفعل المضارع، وكما في قوله تعالى: ﴿**لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ**﴾[3] فاللام في سياق الآية موطئة للقسم وقد تقدم القسم على الشرط في هذا السياق ولذلك وقع الجواب للقسم دون الشرط ولو كان الجواب المذكور جواباً للشرط لجزم الفعلين (**يخرجون**) و(**ينصرونهم**) [4].

---

(١) سورة الأنعام من الآية: ٢٣.

(٢) سورة إبراهيم : ٤٤.

(٣) سورة الحشر من الآية: ١٢.

(٤) ينظر: بناء الجملة العربية: ١٨٧ .

٨- دخول أكثر من مؤكد في جملة الجواب:

لقد عرفنا أن جملة الجواب إما أن تكون اسمية وإما أن تكون فعلية في أسلوب القسم. وأن هذه الجملة الجوابية يمكن أن يدخل فيها رابط آخر أو أكثر ، فضلاً عن القسم أو التلازم من خلال القسم.

فإذا كانت جملة الجواب **جملة فعلية مثبتة** لزم أن تأتي اللام في أول هذهِ الجملة فإذا كان فعلها **مضارعاً** فالأكثر أن يؤكد بالنون مع اللام(١) وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾(٢) فنلاحظ أن الجملة قد ازدحمت بعناصر التوكيد، فالتوكيد الأساسي هو القسم الذي يؤكد به الجواب دائماً ومن ثم دخول**(اللام والنون)** في الفعل مما أدى إلى بلوغ الجملة أعلى درجات التوكيد أو مراتبه.

أما إذا كان فعل جملة الجواب **ماضياً** فالأكثر في الأسلوب القرآني أن تأتي اللام مقترنة بـ**(قد)** التي تكون للتحقيق والتوكيد أيضاً، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا

---

(١) ويمكن أن تسقط النون وذلك مع التنفيس كما في قوله تعالى: ﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ (مريم : ٦٦) أو مع تقديم المعمول بين اللام والفعل نحو:﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران : ١٥٨] .ينظر: شرح المفصل : ٢٠/٩ ومغني اللبيب ٢٠١/١:

(٢) سورة الأنبياء من الآية: ٥٧.

سَٰرِقِينَ﴾[1]، وقولـــه تعـــالى:﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾[2]، فنلاحظ في سياق القسم في الموضعين دخول **(اللام وقد)** في جملة الجواب؛ مما أدى إلى تضافر عناصر التوكيد في الجملة القرآنية. وهكذا يمكن أن تكون جملة الجواب أكثر ترابطاً وتلازماً مع جملة القسم.

وأما إذا كان جواب القسم جملة اسمية، فالأكثر أن تقترن **بأن واللام**، وكما في قوله تعالى:﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾[4] وقولــه تعــالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾[5] وقد تؤكد بـ**(إن)** فقط من غير اللام، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾[6].

ومن الجدير بالذكر أن هذه اللام يمكن أن تسقط في سياق الجملة الجوابية الاسمية إلا أنه لا يمكن أن تسقط في سياق الجملة الجوابية

---

(١) سورة يوسف: ٧٣.

(٢) سورة يوسف: ٩١.

(٣) سورة العصر: ١-٢.

(٤) سورة يوسف: ٩٥.

(٥) سورة العاديات: ٦.

(٦) سورة الدخان: ١-٣.

الفعلية؛ ذلك أننا في كثير من الحالات لا يمكننا أن نستدل على وجود القسم إلا من خلال هذه اللام، وبخاصة إذا كانت جملة القسم محذوفة ولم يبق منها شيء، وكما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾(١)، فالقسم في هذا السياق واجب التقدير؛ لوجود الفعل(**لأرجمنك**) الذي يدل عليه من خلال دخول اللام والنون فيه. ولذلك يمكننا القول أن القسم والتوكيد قد اجتمعا في هذه الجملة؛ مما أضفى جمالاً تعبيرياً على المحتوى متمثلاً بالحالة النفسية المتأزمة التي كان والد إبراهيم يعاني منها أثناء الحوار مع ولده.

ولما كانت هذه اللام لا يجوز حذفها في سياق المضارع، فإنه إذا جاء جواب القسم فعلاً مضارعاً خالياً من اللام والنون وحرف النفي، وكان معنى الكلام نفياً، ذهب النحاة إلى تقدير (**لا**)، وكما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾(٢)؛ وذلك لأنه لا يدخل على الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع من حروف النفي سوى(لا)(٣).

وفي الحقيقة أن هذه الروابط الإضافية التي تدخل في أسلوب الشرط – جملة جواب الشرط– وفي أسلوب القسم– جملة جواب القسم– ذات أهمية بالغة في سياقات معينة؛ وذلك للتمييز بين هذه الأساليب . فمثلاً إذا

---

(١) سورة مريم: ٤٦.

(٢) سورة يوسف: ٨٥.

(٣) وعدّوا منه قول امرئ القيس: فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

اجتمع الشرط والقسم، فيُجمع النحاة على أن الجواب يكون للمتقدم منهما، أما إذا اجتمعا وسبقهما ما يحتاج إلى خبر فإن الجواب يكون للشرط مطلقًا(١). وللتمييز بين جواب الشرط وجواب القسم يُلجأ إلى وسائل الربط الإضافية في السياقين؛ فجواب الشرط إما أن يكون مجزوماً أو تكون فيه الفاء في الغالب، وجواب القسم إما أن يكون باللام والنون أو اللام وقد أو اللام وحدها في جملة الجواب الفعلية. ويكون بأن واللام في الجملة الاسمية أو بـ(إنّ) وحدها أو يكون منفياً بأحد حرفي النفي(**ما**) أو (**لا**) وكما ذكرناه سابقاً.

٩- الحذف في سياق القسم:

فيما مضى عرفنا أن القسم يتكون من **جملتين متلازمتين:** جملة القسم وهي إما أن تكون فعلية أو اسمية، والجملة الثانية هي جملة الجواب وهي أيضاً إما أن تكون فعلية أو اسمية. وعلمنا أيضاً أن هاتين الجملتين تترابطان معنوياً في كون جملة القسم تؤكد جملة الجواب فضلاً عن روابط ومؤكدات أخرى لغوية تميزه من غيره من الأساليب، وتختلف هذه الروابط باختلاف جملة الجواب، فإذا كانت جملة الجواب مثبتة فيكون لها روابط خاصة بها، وإذا كانت جملة الجواب منفية فلها روابطها الخاصة أيضاً.

ومع وجود كل تلك الروابط المعنوية واللغوية في أسلوب القسم إلا أنه يكثر الحذف في أسلوب القسم في الاستعمال سواء في العربية أو في أسلوب القرآن الكريم..

---

(١) ينظر: الكتاب: ٣/٨٤ وشرح الكافية: ٢/٢٤٠ .

وتُعزى كثرة الحذف في أركان سياق القسم إلى التخفيف؛ لأن(**اللفظ إذا كثر في ألسنتهم واستعمالهم آثروا تخفيفه وعلى حسب تفاوت الكثرة يتفاوت التخفيف ولما كان القسم مما يكثر استعماله ويتكرر دوره بالغوا في تخفيفه من غير جهة واحدة)**[1].

وفي القرآن الكريم يُحذف فعل القسم كثيراً في جملة القسم ويبقى منها حرف القسم والمقسم به، إلا أن هناك ملاحظة مهمة، وهي أنه عندما يُحذف فعل القسم **يُستبدل حرف القسم** (الباء) بـ(الواو) أو (التاء) ، ولم يرد الباء في سياق القرآن الكريم في جملة القسم المحذوفة الفعل مطلقاً.

وهذا الأسلوب كثير في سياق القرآن الكريم **والواو أكثر وروداً من التاء**. يقول تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[2] إذ حُذف فعل القسم ولم يبقَ في الجملة سوى حرف القسم والمقسم به(**القرآن الحكيم**). ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[3]. حيث حذف فعل القسم من سياق القسم، ولم يبق من جملة القسم الا حرف القسم والمقسم به(**النجم**).

ويمكن أن يكون حرف القسم هو التاء – وهو يختص بأسماء الله تعالى– وكما في قوله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟

---

(١) شرح المفصل:٩/٩٤ وبناء الجملة العربية: ١٨٦.

(٢) سورة يس: ١-٣

(٣) سورة النجم: ١-٢.

مُدْبِرِينَ ﴾[1]، وقولــه تعــالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾[2] فنلاحظ في السياقين مجيء جملة القسم محذوفة الفعل، وبقاء حرف القسم الذي هو التاء والمقسم به[3].

وتُحذف جملة القسم برمتها كثيراً في أسلوب القرآن الكريم، وعدّ **ابن هشام** هذا الحذف لازماً مع غير الباء من حروف القسم ، فإذا كان في السياق صيغة **(لأفعلن)** أو **(لقد فعل)** أو **(لئن فعل)** ولم يتقدم هذه الصيغ جملة قسم فثمة جملة قسم محذوفة[4].

ومن أمثلة ذلك في السياق القرآني قوله تعالى: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾[5]، ففي هذا السياق جملة القسم محذوفة، والدليل على ذلك وجود جملة الجواب **(لأعذبنه)**. وكذلك ورد الحذف في سياق قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ ﴾[6]،

---

(١) سورة الأنبياء: ٥٧.

(٢) سورة يوسف: ٩١.

(٣) ينظر: التبيان في أقسام القرآن: ٤ وبلاغة الكلمة والجملة والجمل: ١٤٥-١٤٦.

(٤) ينظر: مغني اللبيب: ٢/٢٧٠.

(٥) سورة النمل: ٢١.

(٦) سورة آل عمران من الآية: ١٥٢.

وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾[1] حيث إن جملة الجواب في السياقين هي الدليل على حذف جملة القسم[2].

ويميل بعضهم إلى أن الجملة القرآنية التي وردت بها(**لئن**) كما في قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾[4] أُريد بها التوكيد من غير قسم، ومقتضى الحال يستدعي التوكيد في كثير من آي الذكر الحكيم.

ولكن يبدو أن ذلك نادر الحصول وبخاصة إذا لم يكن ثمة فعل اتخذ مكان جواب القسم، أما في مثل هذه الحالات فالقسم واجب التقدير؛ لوجود جملتي الجواب(**لأرجمنك**) و (**لإلى الله تحشرون**) اللتين تدلان على وجود أسلوب القسم في السياقين.

وعدّ الزمخشري في تفسيره قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾[5] جواب قسم محذوف؛ وذلك لوجود اللام، وقد فيها. (**وإنما كان**

---

(١) سورة الحشر من الآية: ١٢.

(٢) ينظر: مغني اللبيب: ٢/٢٧٠.

(٣) سورة مريم: ٤٦.

(٤) سورة آل عمران: ١٥٨.

(٥) سورة الأعراف من الآية: ٥٩

ذلك لأن الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيداً للجملة المقسم عليها التي هي جوابها)[1].

والأصل في جملة جواب القسم ذكرها؛ لأنها الحقيقة المراد تأكيدها و الإشعار بصدقها أو عظمتها، وهي الجملة التي ينتظر المخاطب سماعها، وهي التي من أجلها سيق القسم وجيء بالمقسم به ، فجواب القسم في سياق **الذاريات** مثلاً مذكور، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[2]. إلا أنه قد يُحذف الجواب لنكتة بلاغية أو أسلوبية ولوجود دليل أو قرينة تدل عليه[3].

وكثيراً ما يُحذف الجواب إذا كان في نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه؛ ذلك أن المقصود يحصل بذكر المقسم به. فيكون حذف الجواب أبلغ وأوجز. وكما في قوله تعالى: ﴿صٓ وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ﴾[4] فقد حُذف الجواب؛ لأن المقسم به فيه تعظيم للقرآن ووصفه بأنه ذو ذكر، وفيه دلالة على المقسم عليه- الجواب- وهو كونه حقاً من عند الله غير مفترى؛ ولهذا قال كثيرون: إن تقدير الجواب هو :إن القرآن لحق. وهذا الحذف يطّرد في كل ما شابه هذا السياق ، كقوله تعالى:﴿قٓ وَالْقُرْءَانِ

---

(١) الكشاف: ٣٦٧/١ وينظر: من أساليب التعبير القرآني: ٢٣٨

(٢) سورة الذاريات: ٥-٦.

(٣) ينظر: المشاهد في القرآن الكريم :٤٥٤-٤٥٥.

(٤) سورة ص: ١.

ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴾[1] فقيل جواب القسم محذوف يدل عليه المقسم به. وقيل محذوف يدل عليه قوله:(**أئذا متنا**) أي: **لتبعثن**. وقيل: الجواب موجود وهو قوله:(**قد علمنا**). وخلاصة الأمر أن في هذا السياق قد اتحد المقسم به والمقسم عليه وهو القرآن المجيد، فأقسم بالقرآن على ثبوته وصدقه، وأنه حق من عنده ﷻ ولذلك حذف الجواب ولم يصرح به لما في المقسم به من دلالة عليه أو لأن المقصود هو نفس المقسم به[2].

وقد يحذف الجواب لدلالة بلاغية وأسلوبية مهمة، وهي **عدم الانتقال بالأسلوب من الإنشاء المتمثل بجملة القسم إلى الخبر المتمثل بجملة الجواب**، ثم ليكون القسم كالتمهيد والتنبيه فيسترعي سمع المخاطب، فيرهف أذنه ليستمع إلى ما بعد القسم، فإذا به يسمع ما يؤيد الاستدلال المقصود من القسم نفسه ويبقى الأسلوب إنشائياً، وكما في سياق قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[3] فجواب القسم

---

(١) سورة ق: ١-٣.

(٢) ينظر: التبيان في أقسام القرآن: ٨-٩ و ٢٧٠ و من بلاغة القرآن: ١٧٢.

(٣) سورة القيامة: ١-٢.

محذوف دل عليه قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾[1] وتقديره: لتبعثن أو لتحاسبن[2].

ومهما يكن السبب في حذف الجواب[3] في سياق القسم فإن القرآن الكريم يعمد إلى هذا الحذف؛ لأن المحذوف يُفهم من السياق الذي ورد فيه القسم**(وأن في هذا الحذف بعث للنفس على التفكير لتهتدي إلى الجواب وتظل النفس تتبع آيات الله يتلو بعضها بعضاً تستوحي منها هذا الجواب الذي لابد أن يكون شيئاً عظيماً يقسم عليه الله وإذا أنت تتبعت آيات السورة رأيتها حديثاً عن البعض وتعجباً من منكريه مما يُؤذن بأن هذا القسم وارد لتأكيده وأنه سيكون لا محالة)**[4].

وبذلك يكون أسلوب القسم من الخصائص السياقية المهمة لأسلوب الجملة القرآنية، وذلك من التلازم الموجود بين جملة القسم وجملة الجواب. حيث تأتي جملة القسم لتوكيد وتثبيت جملة الجواب في نفس المخاطب، وتجلي من نفسه كل الشكوك لما يريد القرآن إثباته وتوكيده. ويكون ذلك

---

(١) سورة القيامة: ٣.

(٢) ينظر: التبيان في أقسام القرآن: ١٠ وينظر:المشاهد في القرآن الكريم: ٤٥٥-٤٥٦.

(٣) وللمزيد من الأمثلة والتفصيل في حذف جواب القسم ينظر: مغني اللبيب: ٢/٢٧٠-٢٧١ والمشاهد في القرآن الكريم: ٥٤٥-٤٥٧ والبلاغة فنونها وأفنانها: ١/٤٦٦-٤٦٧.

(٤) من بلاغة القرآن: ١٢٥ وينظر: المشاهد في القرآن الكريم: ٤٥٧.

من خلال ما تتمتع به جملة القسم وجملة الجواب من مرونة في التعبير وقوة في التأثير وجمالٍ في النظم. مما أدى إلى استعمال أسلوب القسم كثيراً في سياق القرآن الكريم مستخدماً كل طاقات اللغة وما تبيحه من خصائص أسلوبية في جملة القسم أو جملة الجواب أو حروف القسم التي تدخل على المقسم به، كما رأينا من خلال استعراض ودراسة الخصائص الفنية والخصائص الأسلوبية لأسلوب القسم، والتي تكوّن بمجموعها الخصائص السياقية لهذا الأسلوب في سياق القرآن الكريم.

الفصـل الرابــع

جماليات
الجملة القرآنية

- تلاؤم ألفاظ الجملة وانسجامها.
- التلاؤم الإيقاعي فـي الجملة.
- الجملة القرآنية جملة مصورة.
- الفاصلة في الجملة القرآنية.
- العـدول بين الجمل القرآنيـة.

توطئة:

إنّ قراءة أي نصّ لا تستحق أن تسمّى قراءة ما لم يجد القارئ نفسه وقد حملته سحابة وراء الجمل التي تآلف النص منها ؛ ذلك أن الإيحاءات التي يتلقاها المتلقي من مبدع النص لابد منها، كي يصل المتلقي بأفضل الطرق وأقصرها إلى لب المراد من ذلك النص الإبداعي، وذلك باستعمال أشكال غير متوقعة من إمكانات اللغة، على أن هذه الأشكال لا تخرج عن نطاق اللغة الأصلية المستعملة في كتابة ذلك النص. مما يؤدي إلى كثرة التأويلات والتفسيرات لخفايا هذا النص، وخير ما يمثل ذلك النص هو القرآن الكريم، وهذا ما يعلل كثرة التأويلات والتفسيرات لكثير من جمله زيادة على الدراسات المتنوعة التي قامت حوله. أما إذا كان التعبير نمطياً في معظم أرجاء العمل فيضحى الشعور اعتيادياً وقد يصل إلى درجة السأم، ومن ثمّ عدم التأثير في المتلقي، على حين إن ضمَّ التعبير مفاجآت متتالية فسوف يؤدي ذلك إلى حالات شعورية متجددة ومتعاقبة، مما يحقق درجات متفاوتة من التأثر ومنه إلى قمة الاستمتاع، وكل ذلك يكتشفه الناقد على وفق علم الأسلوب(١).

وكل ذلك يتم من خلال المفردة ومن خلال الجملة على حد سواء، فالمفردة هي المجموعة الصوتية التي تدل على معنى وهذه المجموعة هي

(١) ينظر: مدخل إلى علم الأسلوب: ٢٩ وما بعدها.

وحدة كلامية تقوم مقام الجزء من الكل في الجملة وتُعد الأخيرة الجزء الأولي في بناء النظم والوحدة المكونة له، فلا يغني أحدهما عن الآخر[(١)].

ومن أهم مقاييس الجمال في الجملة القرآنية الطريقة التي يختار بها القرآن كلماته وألفاظه، فألفاظ القرآن مختارة بشكل دقيق جداً بحيث لا يمكننا أن نؤثر كلمة أخرى على الكلمة القرآنية المستعملة حتى وإن اشتركت معها في كثير من الصفات؛ لأنها لا تستطع أن تقوم بتبادل الأخذ والعطاء بينها وبين جاراتها في المبنى والمعنى والإيقاع، وبذلك فلا تستطيع أن تؤدي المعنى المراد على أكمل وجه، فلكل لفظة خصائص دلالية تكون هي الأليق والأنسب في السياق القرآني[(٢)].

ومن هذا المنطلق سيناقش هذا الفصل من البحث ما يخص التلاؤم بين المفردة والجملة في السياق القرآني، والوقوف على أسرار الجمال في ذلك من تعبير فني ودلالي، مع تسليط الضوء على أثر الجملة في ذلك كله قدر الإمكان.

---

(١) ينظر: جماليات المفردة القرآنية: ٢٠ وخصائص القرآن الكريم- د. فهد بن عبد الرحمن الرومي: ٣٩-٤٠.

(٢) ينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ٣٢.

تلاؤم ألفاظ الجملة وانسجامها

يمكننا أن نحس بجمال الألفاظ أو قبحها في حالة الإفراد خارج السياق المستعملة فيه وقد تزداد حسناً عند استعمالها داخل النظم أو العكس، وقد يكون مرد الحسن والقبح إلى النغم الذي تحدثه اللفظة في السياق حين تتجاور مع أخواتها داخل الجملة.

وهناك ألفاظ كثيرة يكون لصيغتها صلة وثيقة بدلالتها، أي يكون في اللفظ إيحاء بالمعنى الذي يُعبر عنه، فقد يأتي اللفظ مفرداً فيرسم في الذهن صورة المعنى تارة بجرسه الذي يلقيه في الآذان وتارة بظله الذي يلقيه في الخيال وتارة بالبناء الصرفي الذي تملكه اللفظة، إلا أننا لا نستطيع أن نتلمس هذه الدلالة البلاغية والنغمية – الصوتية– وغيرهما إلا من خلال التركيب أو الجملة التي تنتمي إليها هذه اللفظة ، فاللفظة المفردة قد تكون مهيأة بجرسها وإيقاعها لإبراز تلك الدلالة، فتحتويها الجملة، فتتدفق تلك اللمحات المضيئة في أثناء السياق(١).

وهذا يعني أن اختيار اللفظة داخل الجملة ومن ثمّ السياق له شأن مهم في التناسق الرفيع وكذلك وضع اللفظة في مكانها، ويتم ذلك الأثر في بلاغة التعبير، فضلاً عما توحيه الدلالة الصوتية أو الإيحاء الصوتي للفظة داخل الجملة، **(وتتضح الطاقة الإيحائية للصوت كذلك في إبداع**

---

(١) ينظر: البيان في روائع القرآن : ٢٩٣ ومن أساليب التعبير القرآني: ٣٥٨.

القرآن ألفاظاً لم تكن من قبل أو تحويل ألفاظٍ عن معانيها التي كانت لها إلى معانٍ أخرى تتناسب مع إيحاء أصوات الألفاظ)[١].

والجملة القرآنية هي مجموعة من الألفاظ، محكمة في وضعها وترتيبها وسلكها، ودقيقة في معانيها، وجميع هذه الألفاظ تؤدي أو تعبر عن محتوى الجملة بدقة في النظم والصياغة. وقد تنبَّه كثير من البلاغيين إلى ذلك الأثر الذي تؤديه الكلمة داخل الجملة والتركيب، وفي مقدمة هؤلاء البلاغيين الجرجاني و الزمخشري (رحمهما الله) فقد تحدثا عن اللفظة ورقتها وجزالتها وخفة لفظها وعن علاقتها بمعنى الألفاظ التي تكون معها في السياق نفسه واستشهدا لذلك بقوله تعالى: ﴿ **وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا** ﴾[٢] فقال الجرجاني: (**التفجير للعيون في المعنى، وأوقع على الأرض في اللفظ)**[٣]، وذكر الزمخشري أن معنى الجملة هو: (**وجعلنا الأرض كلها عيوناً تتفجر وهو أبلغ من قولك: وفجرنا عيون الأرض)**[٤].

والملاحظ في الجملة السابقة أن التلاؤم والتناسق في عناصر الجملة غير متأتٍ من استعمال الألفاظ فحسب بل إنه متأتٍ من الخروج عن النمط المألوف في نسق الجملة؛ ذلك أن أصل الجملة كما يقول الزمخشري:(**فجرنا عيون الأرض**) ولكن عندما نقل **المفعول به** في

---

(١) البيان في روائع القرآن:٢٩٣.

(٢) سورة القمر : ١٢ ومثله قوله تعالى: ﴿**وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا**﴾ (مريم: ٤)

(٣) دلائل الإعجاز: ٨٠ وينظر: من أساليب التعبير القرآني : ٣٧٦.

(٤) الكشاف: ٤/١٢٠٢.

الأصل إلى **التمييز** كان التناسق والانسجام أكبر وأدق وأشمل في المعنى؛ وبذلك تتناسق الجملة القرآنية معنىً وتركيباً ، علاوة على التناسق الحاصل في إيقاع الجملة صوتياً.

وكثير من الجمل القرآنية توحي إلينا ألفاظها بمعانٍ لا يستطيع لفظ أن يحدها أو يعبر عنها تعبيراً حرفياً يترك للنفس أمر إدراكها، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (١).

يقول أحمد بدوي: **(أوَ لا توحي إليك جملة (ثم أنتم هؤلاء) بالفرق بين ما كان يجب أن يكونوا عليه، وما هم حقيقة عليه، فأي خيبة أمل تملأ النفس منهم، أوَ لا تدل هذه الجملة القصيرة على سخط شديد، وتعجبٍ لأمور ما كان ينتظر حدوثها ونتائج كانت المقدمات تمهد لغيرها)**(٢).

ونجد أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٣)، فإننا نحس في معنى الجملة ((**تلك أمانيهم**) بالتهكم

---

(١) سورة البقرة: ٨٥

(٢) من بلاغة القرآن: ١٠٧

(٣) سورة البقرة: ١١١.

اللاذع بهم، وأن تلك الأماني التي تجول في صدورهم لن تجد لها سبيلاً إلى التحقق في غير أحلامهم)[1].

والمتتبع لألفاظ القرآن الكريم في الجملة القرآنية يجد أن كل لفظة قد احتلت موضعها في الجملة... وكأنها وجدت لتؤدي ذلك المعنى في ذلك الاستعمال فليس هناك كلمة(**تضيق بمكانها أو تنبو عن موضعها أو لا تعيش مع أخواتها ، حتى صار من العسير بل من المستحيل أن تغير في الجملة كلمة بكلمة، أو تستغني عن لفظٍ أو أن تزيد فيها شيئاً**)[2].

فاللفظة القرآنية تأخذ صفتها في التعبير وتستمد معناها العام من ارتباطها مع العناصر الأخرى في الجملة، ويتسع مغزاها كلما اتسعت المخيلة في استيعاب معناها، فلو نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3]، فمعنى **جاثية** هو: باركة على الركب[4]. وإن جاثية لا تصح أن تكون نعتاً لمفرد إذ هي نعت للجمع **(أمة)**، وعليه فإن **(جاثية)** تصور في معناها حالة الأمم وهي بين يدي خالقها يوم الحساب ملتصقة بالأرض على ركبها خائفة ذليلة ، وهي بهذا الجثو تشير إلى الرغبة في شق الأرض من هول ذلك اليوم. لكنها لا تجد في نفسها قوةً فتزداد انكساراً وخنوعاً. ونلاحظ الجملة الثانية التي جاءت

---

(١) من بلاغة القرآن: ١٠٧

(٢) من بلاغة القرآن: ١٠٥ والإعجاز الفني في القرآن: ٧٢-٧٣.

(٣) سورة الجاثية: ٢٨.

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: ٧٧٨.

معها في السياق نفسه وهو قوله **(كل أمة تدعى إلى كتابها)**، فهذه الجملة وإن كانت مفصولة عنها في الشكل إلا أنها مرتبطة معها أشد الارتباط في المضمون، فهي تؤكد ما جاءت به الجملة الأولى من معنى(١).

وهذا يعني أن دلالة الجملة القرآنية منوطة بجميع الألفاظ في الجملة فضلاً عن الجمل المجاورة لها في السياق نفسه. فالجملة القرآنية تعبر عن المعنى من خلال ما تحويه من ألفاظٍ متناسقةٍ مع وجود ألفاظٍ ذات معنى دلالي بارز فيها يدور عليه محور الكلام والمعنى.

وهذا ما نعنيه بتناسق الألفاظ في بناء الجملة القرآنية، وهو ما تستوعبه اللفظة القرآنية من معنى وإيحاء يتجاوب بدقة مع سائر الألفاظ داخل الجملة الواحدة أو مجموعة الجمل في السياق الواحد(٢).

فلو أخذنا – مثلاً– قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾(٣). فإن سبب نزول الآية الكريمة هو أن المشركين افتخروا بأعمالهم – عندما كانوا أسرى في بدر – من سقاية الحجيج، وعمارة المسجد الحرام، فأراد الخالق ﷻ أن يخبرهم أن هذه الأعمال لا تنفع أصحابها إن لم يكن معها إيمان بالله(٤) فعبّر عن ذلك بقوله **(حبطت**

---

(١) ينظر: والإعجاز الفني في القرآن: ٩٧.

(٢)ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ٨٥-٨٦.

(٣) سورة التوبة: ١٧.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨/٥٧-٥٨ وتيسير الكريم الرحمن: ٣٣١.

أعمالهم)[1]. فأعطت لفظة **(حبطت)** الجملة القرآنية حيويةً ووقعاً خاصاً؛ لما تحمله من معنى يخيم على السياق بأكمله، فأعمالهم التي ظنوا أنها مفخرة لهم هي في حقيقتها لاشيء. فترتب على ذلك خلودهم في النار بعد أن حبطت أعمالهم، ومما يعضد ذلك التناسق في ألفاظ الجملة ما ورد فيها من تقديم الجار والمجرور **(وفي النار)** على **(هم خالدون)** وهذا تأكيد لذلك التناسق الشكلي والدلالي فيها[2].

ومن ذلك التناسق في ألفاظ الجملة القرآنية قوله تعالى: ﴿ **أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾** ﴾[3]، فنلاحظ أن الجملة فيها عطف لـ**(مناة)** على **(العزّى)** وبعد ذلك وُصفت **(مناة)** بالثالثة والأخرى. وهذا البناء في ألفاظ الجملة جميعاً جاء على نحوٍ دقيقٍ جداً، ذلك أننا – في حقيقة الأمر – لا نستطيع أن نستغني عن كلمة واحدة أو صفة واحدة من الصفات، فمثلاً لو حُذفت**(الأخرى)** لاخْتلّ الانسجام عن طريق الخلل الحاصل في الفاصلة، ولو أننا حذفنا **(الثالثة)** – مثلاً– لأختل ذلك الانسياب في الجملة أيضاً زيادة على الاختلال في وقع الجملة على السمع عند المخاطب. فهذا التناسق والانسجام في وضع الألفاظ موضعها

---

(١) ومعنى(حبطت أعمالهم): بطلت وفسدت، ومنه الحبط وهو فساد يلحق المواشي في بطونها من كثرة أكلها الكلأ فتنتفخ أجوافها، وربما تموت من ذلك.(الجامع لأحكام القرآن: ٣/٣٢).

(٢)ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ٨٦.

(٣) سورة النجم: ١٩–٢٠.

المناسب لها ليس كمثله تناسق وانسجام فاللفظة قد وضعت بميزان دقيق جداً لا يمكن تغييره(١).

ونلاحظ هذه الخاصية – أي تعاضد الألفاظ في الجملة القرآنية– كذلك في سياق قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾(٢)، فإن لفظة يستحسرون قد استعملت في هذا السياق لأنها تعطي تناسقاً في الألفاظ لأداء المعنى على أكمل وجهٍ، فـ**(الاستحسار مبالغة في الحسور، فكأن الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور)**(٣)، وأن الجملة بما فيها من معنى عدم الاستكبار جاءت لفظة **(يستحسرون)** لتعبر عن نفس الملائكة المتواضعة الخاضعة والجادة في عبادة ربِّها من دون كلل أو تعب، بل بشغفٍ وحبٍ متناهيين . ويزيد من تأكيد هذه الصورة النفسية للملائكة ما تحمله الجملة في كل ألفاظها من جرس وحركة وصيغ أفعالها **(لا يستكبرون)** و**(لايستحسرون)**، فالجملة تعبر عن خلو النفس من الغرور والأنانية والاستعلاء وأنها بفطرتها الطبيعية تتبع سبيل ربها(٤).

ومما يسهم في هذا التناسق الدقيق في الألفاظ هو الاختيار الدقيق للأفعال في بناء الجملة القرآنية الذي يوحي بالمعنى العام للجملة القرآنية.

---

(١) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن : ١٤١.

(٢) سورة الأنبياء : ١٩.

(٣) الكشاف: ٧٢٧/٢.

(٤) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ٩٧–٩٨.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾[1]. فالفعل **(يبتغون)** مختار بشكل دقيق جداً وقد أُثر في الاختيار على الأفعال التي تعطي المعنى نفسه أو يتجسد فيه مثل(**يريدون**)أو(**يبغون**)أو(**يرجون**) أو(**يلتمسون**)، فالفعل **(يبتغون)** يحمل في دلالته معنى يوحي بتواضع النفس فيما تلتمسه من خالقها. وأن الجملة بفضل هذا الفعل تعرض لنا نفساً سهلة مدينة لربِّها وفضله، خاضعة لجبروته وعظمته؛ ولذلك كان الفعل **(يبتغون)** مختاراً لنقل حقيقة روح ونفس الرسولﷺ وأصحابه الكرامﷺ. وعليه فإن دقة هذا الاختيار شارك في إبراز المعنى بدقة ومتانة[2].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[3] فإن الجملة الفعلية **(يُدَعّون)** تقرّب إلى الذهن دلالتها وهي الدفع في الظهر بعنف وهذا الدفع في كثير من الأحيان يجعل المدفوع يُخرج صوتاً غير إرادي فيه **(عين)** ساكنة. ومع صعوبة التلفظ بالعين الساكنة وتوقف النفسْ عند لفظها إلا أننا نجد انسيابية وتناسقاً في الجملة كلها خاصة وان هذه الجملة قد خُتمت بالمفعول المطلق**(دعّا)** المشتق من الفعل نفسه[4].

---

(١) سورة الفتح **من الآية**: ٢٩.

(٢) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ٧٨.

(٣) سورة الطور **من الآية** : ١٣.

(٤) ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ٣٦٧-٣٦٨.

ومن الأمثلة على كون الفعل المستعمل في الجملة يملك المعنى المحوري أو الذي يدور عليه الكلام في سياق الجملة الفعلية القرآنية هو قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا ﴾(1) فإذا نظرنا إلى (**لَنُبَوِّئَنَّهُم**) وما تمتلكه من قوة في جرسها وإيحائها والتي هي بمعنى(**لننزلنهم**) أو (**لنثوينهم**) والثواء هو النزول والإقامة ولكن السياق آثرها على هاتين اللفظتين أو الفعلين، وان بناءها وما فيها من طرق توكيد مثل التشديد والتأكيد باللام والنون. وما تحدثه هذه الصيغة من جرس و ضغط وثقل في النطق وعلى النَّفَسْ، وما توحي به النفْس عند سماعها تؤكد دقة اختيارها، وازداد شدة الإيحاء بمعناها بنون جمع المتكلم الذي هو الله ﷻ مع لام ونون التوكيد المشددة(2).

ومثل ذلك التناسق في الجملة القرآنية في الإيحاء بالمعنى المراد من استعمال الفعل ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ⑨﴾(3)، فإن الفعل المستعمل (**لندخلنهم**) يوحي بسرعة الجزاء الذي يحصل عليه الصالحون فضلاً عن تحققه عن طريق دخول اللام ونون التوكيد الثقيلة المشددة وهذا التأكيد يعطي إيحاءً بأن دخولهم في الصالحين يصحبه الترحاب والحفاوة لصلتها بلفظ الصالحين،

---

(1) سورة العنكبوت **من الآية:** ٥٨.

(2) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ٧٧

(3) سورة العنكبوت : ٩.

والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين، وهذا يؤكد دقة اختيار الجملة القرآنية لألفاظها التي تكون في كثير من الأحيان قليلة العناصر كبيرة المعنى من خلال استعمال أفعال وألفاظ معينة دون غيرها[1]. لذلك فقد جاء هذا السياق نفسه ولكن باستعمال ألفاظ أخرى فكانت الدلالة مختلفة إلا أن الانسجام كان في منتهى الدقة وذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[2]، فإن جملة **(طوبى لهم)** هي خبر للجملة الأولى، ولاشك أن لفظة **(طوبى)** أحدثت تناسقاً فنياً نابعاً من أعماق النفس والمعنى يسري في النفس بانشراح، وذلك بحكم دقة وضعها واختيارها، والتلاؤم الذي أحدثته في سياق الجملتين معاً، الجملة المركبة والجملة البسيطة – جملة الخبر –**(طوبى لهم)** وبذلك أدت هذه اللفظة في الجملة معنى دلالياً خاصاً بها ومعنى سياقياً نابعاً من ترابط هذه اللفظة مع سائر عناصر الجملة علاوة على ما أحدثته هذه اللفظة مع سائر الألفاظ من تلاؤم صوتي وإيقاعي في السياق عامة[3].

ومن مظاهر التلاؤم والانسجام في ألفاظ الجملة القرآنية هو أن القرآن الكريم يمكن أن يغير وينوع في استعمال ألفاظ معينة في سياقات متشابهة في مواضع مختلفة من دون أن يؤثر ذلك على تناسق الألفاظ في تلك الجمل والسياقات، فيمكن أن يستعمل السياق الفعل الماضي ويأتي سياق

---

(١) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ٧٧.

(٢) سورة الرعد : ٢٩.

(٣) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ١٦٧-١٦٨.

آخر مشابه بفعل مضارعٍ أو بالعكس. والملاحظ في ذلك كله أن هذا التنوع لا يؤثر في انسجام الألفاظ ولا ينقص من جماله أو إيقاعه بل يبقى ذلك الانسجام في المستوى نفسه وكذلك الإعجاز والجمال. فمثلا قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ويقول في سياق آخر: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فقد ورد الفعل الماضي **(سبح)** في مطلع ثلاث سور[(١)] أما الفعل المضارع **(يسبح)** فقد ورد مع السياق نفسه في مطلع سورتين[(٢)] .

ومما يدعو إلى التأمل أن تنوع هذه الأفعال يكون في السياق نفسه في جميع السور المذكورة ولو كان هذا التغاير مصحوباً بتغير السياق لكان أمراً طبيعياً، أما التغير في صيغة الفعل من دون أن يكون هناك تغير في السياق فهذا هو السؤال، وهذا التغير له سببان:

الأول: أن الله ﷻ لمّا أخبر بأنه **(سبح)** له ما في السموات وما في الأرض بصيغة الماضي عاد مرة أخرى فأكّد بأن هذا التسبيح لا ينقطع عن طريق استخدام صيغة المضارع **(يسبح)** في سورتين لاحقتين هما **الجمعة والتغابن.**

الثاني: أن كل سورة من السور الثلاث التي افتُتحت بالماضي قد ورد فيها قصّتان تعبران عن الماضي على حين لم يرد إلا قصة واحدة استُغلت للحاضر في كل من السورتين اللتين افتتحتا بصيغة المضارع، وهذا يعني

---

(١) وهي سور الحديد والحشر والصف.

(٢) وهما سورتا الجمعة والتغابن.

أن الفعل الماضي ورد في سياق قصص تدل على الماضي، وأن الفعل المضارع ورد في سياق قصة وُجهت نحو الحاضر وليس الماضي(١).

ويمكن أن يخرج هذا التلاؤم والانسجام عن نطاق استعمال الألفاظ داخل الجملة الواحدة إلى استعمال الألفاظ داخل الجمل المتعددة في السياق القرآني، فنجد أن الألفاظ تتلاءم في سياق قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾(٢). ففي هذا السياق مجموعة من الجمل القرآنية والتي سُبكت وتناسقت بشكل خاص لتؤدي معنىً معيناً يقصد السياق بيانه. ففي الجملة الأولى نلاحظ أن الضمير (**هم**) في (**لتجدنهم**) يعود على اليهود لأنهم يكرهون الموت وإنما كراهيتهم الموت لعلمهم بمآلهم في الآخرة من الخزي والهوان في العذاب المقيم.

إن دقة التعبير عن المعنى في هذا السياق قد أسهمت فيه جميع الجمل وأن دقة التعبير في الجمل جاء من تناسق ألفاظها المستعملة فيها ولا سيما (**لتجدنهم**) و (**أحرص**) و (**على حياة**) و (**يود**) (**يعمَّر**) و (**بمزحزحه**)، أي أن دقة التعبير والتناسق في الجملة الأولى إنما جاء من لفظة(**لتجدنهم**) بصيغتها المؤكدة باللام والنون الثقيلة ومن (**أحرص**) بصيغة أفعل التفضيل التي تدل على أن هؤلاء قد فاقوا كل الناس حرصاً

---

(١) ينظر: سر الإعجاز – د. عودة الله منيع القيسي: ٧٤-٧٧.

(٢) سورة البقرة: ٩٦.

على الحياة والبقاء في الدنيا وهذا ما يدل عليه التنكير في **(حياة)** الذي يدل على حياة مخصوصة وهي الحياة الطويلة وهي مطلق حياة، أما **(يود)**: فهي الرغبة الشديدة في النفس وهي كلمة تدل على محبة الحياة، **(ويعمر)** بصيغتها المشددة وإيقاعها المُشبَع بجشع النفس، والحب الشديد في البقاء، فضلاً عما توحيه لفظة**(بمزحزحه)** الذي يدل فعلها على البعد، يقال: زحزح عن كذا، أي بُوعِد عنه. والزحزحة تعني التبعيد وهي تحمل جرساً خاصاً، وتُحدث نوعاً خاصاً من الاهتزاز أيضاً[(١)].

والآية في معناها العام تحمل طابعاً من التوبيخ؛ لأن النفس التي تنصرف عن طبيعتها وفطرتها تستحق أكثر من التوبيخ والاحتقار، وهكذا تؤدي الآية بمجموع جملها وألفاظها وما تحمله من تناسق بين هذه الألفاظ دقة في التعبير عن المعنى المراد ولتكون أبلغ وأشد وقعاً على النفس[(٢)].

ونجد هذا التلاؤم أيضاً في سياق قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾[(٣)] فإذا نظرنا إلى الألفاظ في جمل هذا السياق ووظائفها وسماتها نجدها قد اتحدت في المدلول والنسق الإيقاعي لاختيار الألفاظ، فقد اختير الفعل الماضي **(رفع)** على **(سمك)** أو**(بنى)** أو**(أسس)** وذلك لأن الفعل **(رفع)** يشتمل على كل هذه

---

(١) ينظر: الكشاف: ٨٦/١ وتنوير المقياس من تفسير ابن عباس: ١١.

(٢) ينظر: التصوير الفني في القرآن – سيد قطب : ٧٧ والإعجاز الفني في القرآن: ١١٩-١٢٠.

(٣) سورة الرعد: ٢.

المعاني بل وأوسع من ذلك وأليق في وصف هذا البناء المحكم الذي وُصف به الخالق ﷻ وذلك ليدل على عظمة هذا البناء وإحكامه، ولهذا السبب اختار السياق هذه اللفظة وآثرها على غيرها فضلاً عن ذكر لفظ الجلالة(**الله**) معها في حين نجد أنه في سياق آخر يذكر الفعل (**بنى**) ولا تجد معه ذكراً للفظ الجلالة كما في قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾[2]، ونلاحظ أيضاً أن السياق قد اختار جملة الفعل المضارع(**ترونها**) فقد اختارها السياق دون (**تنظرونها**) أو (**تشاهدونها**)؛ وذلك لأن صيغة ترونها تعطي معنى الرؤية الكاملة التي لا يحجبها ما يُبدد النظر يميناً وشمالاً فضلاً عما توحيه هذه اللفظة- **الجملة**- من تدبر وتفكر في هذا البناء الذي رفعه الخالق ﷻ ونضيف إلى ذلك كله ما تتسم به الجملة من رقةٍ وسلاسةٍ مجموع معها صفات الفخامة والجزالة والقوة. وبذلك تتعاضد كل ألفاظ الجمل في السياق دلالياً وسياقياً وإيقاعياً[3].

ومن الشواهد على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ**

---

(١) سورة ق: ٦.

(٢) سورة الذاريات: ٤٧.

(٣) ينظر: النظم القرآني في سورة الرعد: ٦٨-٦٩.

﴿لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، فنلاحظ أن استعمال السياق القرآني للأفعال دقيق المسلك وعلى درجة غاية في الدقة من التلاؤم في الألفاظ جميعها. فإنه بعد أن قال (**مدّ الأرض**) وعطف عليها (**وجعل فيها رواسي**) وكذلك (**ومن كل الثمرات**) وجميعها أفعال ماضية عدل السياق إلى الفعل المضارع في جملة (**يغشي الليل النهار**) فضلاً عن النكتة الأسلوبية المهمة في فصل هذه الجملة عن سابقاتها؛ والسبب في ذلك ليُحدث التلاؤم الأسلوبي في السياق، إذ إن الجمل الثلاث الأولى قد وردت في وصف الأرض، ومن المعلوم أن الأرض قد مُدّت مرة واحدة، أي أنها خُلقت مرة واحدة وانتهى الأمر. وقد جُعل فيها الأنهار وجُعل فيها الثمرات وهذا حادث منذ بدء الخليقة. أي: إن هذا الحدث غير متجددٍ فقد حدث مرة واحدة؛ فلذلك عبّر عن كل ذلك بالفعل الماضي، وأسلوب العطف هو المناسب؛ لوجود التناسب بينهما ذلك أن جميع الجمل تتحدث عن وصف الأرض. ولكن بعد أن فرغ من ذلك وأراد أن يتحدث عن آية كونية أخرى وهي آية الليل والنهار، ولما كانت هاتان الآيتان متجددتين في الحدوث ناسب ذلك تغيّراً في السياق فحذف حرف العطف وعدل عن الماضي إلى المضارع (**يغشي**) زيادة على التلاؤم في جرسه الإيقاعي الذي يوحي بتكرار ذلك، وبما توحي به حروفه من معنى الظلمة، فهي غشاء ساتر لضوء النهار، وبمجرد ما يزول هذا الغشاء الساتر يظهر الضوء من جديد ،وهذا هو سبب تقديم (**الليل**) على (**النهار**) ليلائم هذا المعنى. وكذلك

(١) سورة الرعد: ٣.

ليكون **(الليل)** مجاوراً للفعل **(يغشي)** وهذا من الملائمة في الجملة بين مدلولين الأول معنوي والثاني سمعي[1].

ونلاحظ أيضاً أن من مظاهر التلاؤم في ألفاظ الجملة القرآنية أنه إذا كان المعنى غريباً كانت ألفاظ الجملة بل والجمل المحيطة بها غريبة وإذا كان المعنى معروفاً استخدم القرآن ألفاظاً مناسبة لذلك المعنى.

ومن أوضح الشواهد على ذلك في الأسلوب القرآني الألفاظ التي استعملها القرآن لما أراد أن يصف حالة يعقوب عليه السلام وهو يتأسف على فراق يوسف عليه السلام، وأن هذا الفراق لم يسده بقاء أبنائه الأحد عشر. ولما كانت هذه الحالة غريبة في نظر أبنائه جاء القرآن بألفاظ غريبة كلها ليتم ذلك التناسق والتلاؤم، يقول تعالى: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ﴾[2]، حيث أتى السياق بأغرب ألفاظ القسم المستعملة بالنسبة إلى أخواتها، ذلك أن **التاء** هي أقل حروف القسم استعمالاً والأبعد عن أفهام العامة، أما الباء والواو فهي أعرف عندهم وهي الأكثر دوراناً على ألسنة الناس في الاستعمال. ثم أتى بعد ذلك بأغرب صيغ الأفعال – النواسخ- بل تكاد تنحصر بالاستعمال القرآني فقط، وهو الفعل **(تفتأ)**، وهو أقل الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار بالنسبة إلى كان وأخواتها استعمالاً. ونلاحظ أيضاً أن

---

(١) ينظر: النظم القرآني في سورة الرعد: ١٠٨-١٠٩ ولمزيد من الشواهد والتفصيل. ينظر: المرجع نفسه: ٦٨-٧١.

(٢) سورة يوسف : ٨٥.

السياق قد استعمل لفظة(**حَرَضاً**) وهي أغرب جميع أخواتها من ألفاظ الهلاك؛ لأنها تدل وبشكل دقيق على أنه قد أشرف على الهلاك ولكنه لم يهلك بعد، لذلك عُطفت عليه جملة (**أو تكون من الهالكين**)[1].

وهكذا نجد أن التعبير القرآني قد استعمل الألفاظ على وفق ما يقتضي حسن التناسق في الجملة القرآنية، ذلك بأن تناسب كل لفظة في الجملة الألفاظ الأخرى التي استُعملت معها في السياق نفسه، فتكون من جنسها في الغرابة أو الاستعمال توخياً لحسن الجوار ورغبة في ائتلاف المعاني بالألفاظ ولتتعادل الألفاظ في الوضع وتتناسب في النظم.

---

(١) ينظر: تفسير غريب القرآن – ابن قتيبة :٢٢١ ومباحث في إعجاز القرآن: ١٣٥-١٣٦.

٢- التلاؤم الإيقاعي في الجملة القرآنية

عندما يتكلم الإنسان فإنه ينطق ألفاظاً فتنبعث من فمه إيقاعاتها على أوتار صوته، وهي تتباين شدةً وضعفاً وسرعةً وبطأً على حسب صفات مخارج حروفها؛ ولذلك نلحظ التقارب الشديد بين الجرس والإيقاع، فإن الجرس هو فعل الصوت وحركته الأولى، والإيقاع هو نتيجة لذلك الفعل وأثره المسموع الواقع على أذن السامع[١].والإيقاع القرآني هو تلك الظاهرة التي تقوم على التكرار المنتظم لجرس أصواته ومن ثَمّ ألفاظه، وهذا التكرار يسهم بشكل كبير في جمال نظمه[٢].

وقد أصاب الدكتور **فهد بن عبدالرحمن الرومي** الحقَّ عندما رفض إطلاق مصطلح**(الموسيقى)** على الصوت المنبعث من ألفاظ القرآن في أثناء تلاوته، وهو ما أطلق عليه بعض الباحثين بـ**(النظم الموسيقي)**[٣] أو **(الموسيقى الداخلية)**[٤] أو **(الإيقاع الموسيقي في القرآن)**[٥] أو **(الموسيقى الباطنة)**[٦] ونحو ذلك[٧].

---

(١) ينظر: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب- د. صلاح عبد الفتاح الخالدي: ١٠٥.

(٢) ينظر: مستويات السرد الإعجازي في القرآن الكريم- شارف مزاري: ٧٩.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية- مصطفى صادق الرافعي : ٢١٥ وعلوم القرآن- د.عدنان زرزور: ٢٤٣.

(٤) مباحث في علوم القرآن- د. صبحي الصالح: ٣٣٤.

(٥) الإعجاز الفني في القرآن: ٢١٥ والتعبير الفني في القرآن: ١٨٦.

(٦) محاولة لفهم عصري- مصطفى محمود : ١٣.

(٧) ينظر: خصائص القرآن الكريم: ٢٦.

وقد علل الرومي رفضه إطلاق لفظ (**الموسيقى**) على إيقاع القرآن الكريم بأمرين:

الأول: أن مصطلح (**موسيقى**) في أساسه لفظة يونانية، وفي لغة العرب متسع لصفات القرآن.

الثاني: أن الموسيقى عَلَمٌ على اللهو والطرب ونحن نربأ بالقرآن أن نهبط به إلى ما ينهى عنه[1].وهذه العلّة هي التي عليها مناط الحكم القاضي بما ذكر.

ومن أفضل من طرق هذا الباب الدكتور **محمد عبدالله درّاز**، حيث قال: (**أول ما يلاقيك ويستدعي انتباهك من أسلوب القرآن الكريم خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهره**)[2]. ويقول أيضاً في وصف جرس القرآن وإيقاعه(**فإذا ما اقتربت بإذنك قليلاً قليلاً، فطرقتْ سمعك جواهرُ حروفه خارجة من مخارجها الصحيحة . فاجأتك منه لذة أخرى في نظم تلك الحروف ورصفها وترتيب أوضاعها فيما بينها: هذا ينقر وذاك يصفر، ثالث يهمس ورابع يجهر، وآخر ينزلق عليه النفَس.وآخر يحتبس عند النفَس وهلمَّ جرًا. فترى الجمال اللغوي ماثلاً أمامك في مجموعة مختلفة مؤتلفة... لا رخاوة ولا معاظلة ولا تناكر ولا تنافر**)[3].

---

(١) ينظر: المرجع نفسه .

(٢) النبأ العظيم – د. محمد عبد الله دراز: ١٠١

(٣) النبأ العظيم : ١٠٣– ١٠٤.

ولقد دقق الأستاذ **مصطفى صادق الرافعي** في حروف القرآن، وأطال التأمل في جرسها، وحلل أصواتها وعد تآلفها وتناسقها في الألفاظ ومن ثم الجمل القرآنية نمطاً من أنماط الإعجاز القرآني، ومما قال: (**فتآلفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أُبدل به غيره أو أُقحم معه حرف آخر لكان ذلك خللاً بيّناً ، أو ضعفاً ظاهراً في نسق الوزن وجرس النغمة، وفي حسن السمع وذوق اللسان وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج...**)[١].

ولما كانت **اللغة** أصواتاً (**يعبر بها كل قوم عن أغراضهم**)[٢]، فالصوت بوصفه ظاهرة لغوية له أثر في السياق القرآني بشكل خاص من حيث تلاؤم الأصوات ومخارجها و مدارجها وخصائصها في جميع الأحوال وعلاقات تلك الأصوات داخل الجملة الواحدة، أو جملٍ عدة ومن ثم العبارة أو السياق الذي يضم تلك الألفاظ المستعملة فيها تلك الأصوات[٣]. مما يتهيأ تنظيره في القرآن الكريم ويتوافر مثاله الفريد في الكتاب العزيز ضمن موازنة محدثة ورؤية صوتية معاصرة.

فالكلمات التي تألفت منها الجمل القرآنية تمتاز بجمال وقعها في السمع، واتساقها الكامل في المعنى حتى لكأنك تشمُّ منها رائحة المعنى

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٢١٧.

(٢) الخصائص: ١/٨٧.

(٣) ينظر: الصوت اللغوي في القرآن- د. محمد حسين علي الصغير:١٥.

المطلوب من خلال استعمال الأصوات في تلك الألفاظ التي تكونت منها الجمل في ذلك السياق فضلاً عن الإيحاء بالمعنى[1].

فالإيقاع الصوتي ينبعث في النص الكريم من الحركة، ومن الحرف ومن اللفظ المفرد في كل آية؛ فتلقي بظلالها وجرسها على الجملة القرآنية فتستقل بتصوير لوحة كاملة يكون فيها اللون زاهياً أو شاحباً ويكون فيها الظل سفيفاً أو كثيفاً[2].

ونتلمس هذه الظاهرة الإيقاعية القرآنية في كل مشهد وقصة، وفي كل مطلع و ختام، وأن للكتاب المبين أسلوباً إيقاعياً غنياً ومنسجماً ، حتى ليكون من الخطأ الشديد أن نفاضل بين سورة وأخرى، أو نوازن بين جملة وأخرى، لكننا حين نومئ إلى تفرد سورة ما بنسق خاص فإنما نقرر ظاهرة أسلوبية بارزة تؤيدها الشواهد، مؤكدين أن القرآن الكريم نسيج واحد في بلاغته وسحر بيانه، إلا أنه متنوع الإيقاع بتنوع المواقف والمعاني[3].

فمن الأمور المتفق عليها عند أهل اللغة أنّ من بين أبرز الخصائص في أسلوب القرآن الكريم، ذلك الانسجام الإيقاعي الذي تكون فيه الجملة القرآنية منسقة صوتياً، وذات حركات وسكنات يشعر المرء عند تلاوتها بما يكمن وراء هذا النظام المتناسق. وأن التلاؤم الإيقاعي لألفاظ القرآن فضلاً

---

(١) ينظر: من أسرار التعبير في القرآن: ١٣.

(٢) ينظر: التصوير بالكلمات: ١٩٦-١٩٧.

(٣) ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ٣٥٩.

عن جُمَله هو الذي مكّن القرّاء المرتلين للقرآن من تلاوته بهذه الانسيابية الإيقاعية المتأتية من المستوى العالي في الانسجام بين ألفاظه(١).

ولتوضيح هذا الانسجام والتلاؤم الإيقاعي في القرآن الكريم نقرأ قوله تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾(٢)، فنلاحظ ذلك التماثل اللفظي بين المضاف والمضاف إليه (**جنى الجنتين**)، ولو نظرنا إلى الجملة لتذوقنا الإيقاع القرآني الذي يحدثه حرف النون الذي يشكل المحور الرئيسي في الجملة وما يمتاز به من غنةٍ عند اللفظ به فيعطي التلاوة سرعةً ممزوجةً بالسلاسة عند النطق بهذه الألفاظ مجتمعة في الجملة القرآنية، وهذا ما نلمحه أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾(٣) فنلاحظ التجانس الإيقاعي بين (**تتلو**) المتمثل بليونة (**اللام**) وانطلاق (**الواو**) والمتناسقة مع ما قبلها(**كنت**) وما بعدها (**من قبله**)، ولو أننا أبدلنا (**تتلو**) بلفظة (**تقرأ**) التي تشاركها الدلالة؛ لتلمسنا الفرق الذي يبديه ثقل الهمزة فيها فضلاً عن تنافرها مع سائر عناصر الجملة الأخرى(٤).

ومثله قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾(٥)، فإن هذه الجملة متناسقة جداً سواء بين الفعل واتصاله بالمفعول ومن ثم الفاعل الذي هو

---

(١) ينظر: المرجع نفسه: ٣٧٨.

(٢) سورة الرحمن : ٥٤.

(٣) سورة العنكبوت: ٤٨.

(٤) ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ٣٧٨.

(٥) سورة البقرة: ١٣٧.

لفظ الجلالة(الله)، أم من خلال تناسق حروفها وحركاتها، فهي جملة متناسقة متلائمة تماماً خفيفة على اللسان على الرغم من تكرار حرف (**الكاف**) مرتين إلا أنه جاء مرة ساكناً والمرة الثانية مفتوحاً مما سهل على جهاز النطق نطقه بطلاقة علاوة على تكرار (**الياء**) الذي أعطى للفظة هذا المد الذي هو من سر الجزالة في الجملة كلها(١).

ويتفرد القرآن باستعمال بعض الأفعال التي يوحي إيقاعها الصوتي بمعناها الدلالي وخاصةً إذا كان المعنى المُعبر عنه معنىً عنيفاً وقوياً. وكما في قوله تعالى: ﴿ **فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ** ﴿٩٤﴾ ﴾(٢) فمن الإيقاع الصوتي للجملة بشكل عام وإيقاع الفعل بشكل خاص نكاد أن نتصور أولئك المجرمين يُكبّون على وجوههم ويلقون في جهنم ، فكأننا نتلمس في الفعل (**كبكبوا**) جرساً يحدث صوت الحركة التي تتم بها وذلك لأن الكبكبة تكرير الكب، جعل التكرير في الصوت دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقي في جهنم (**ينكب**) مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها(٣).

وإذا تأملنا قوله تعالى: ﴿**أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ**﴾(٤) لأحسسنا أن جملة (**أَنُلْزِمُكُمُوهَا**) تصور جو الإكراه، وذلك من خلال إدماج كل هذه

---

(١) ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ٣٦٦.

(٢) سورة الشعراء: ٩٤.

(٣) الكشاف: ٨٣٧/٣ وينظر : من أساليب التعبير القرآني: ٣٦٦.

(٤) سورة هود : ٢٨.

الضمائر في النطق وهي تشد بعضها بعضاً كما يُدمج الكارهون مع ما يكرهون، ويُشدون إليه وهم نافرون[١].

وعندما نسمع جملة(**يصطرخون فيها**) وما فيها من قوة إيقاعية مميزة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾[٢] فيخيّل إلينا جرسها الغليظ غلظ الصراخ المختلط المتجاوب في كل مكان(المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة كما تلقي إليك ظل الإهمال لهذا الاصطراخ الذي لا تجد من يهتم به أو نلمح من وراء ذلك كله صورة العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون)[٣]. مع الأخذ بالحسبان أن جملة(**يصطرخون**) الخاصة بالاستعمال القرآني التي عدل إليها السياق أبلغ من جملة (**يتصارخون**) إلى عُدل عنها[٤].

ويمكن أن تتعاضد عناصر الجملة جميعاً في إعطاء هذا التلاؤم والانسجام في إيقاع الجملة القرآنية، والشواهد على ذلك من القرآن كثيرة. منها قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾[٥]، فإن لفظة(**الحسيس**) من الألفاظ المصورة بجرسها -المتمثل بتكرار حرف السين- لحقيقتها وإنه لجرس يقشعر منه الجلد وذلك عند سماعه. وهذا المعنى تحقق من تكرار

---

(١) ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ٣٦٦- ٣٦٧.

(٢) سورة فاطر: ٣٧.

(٣) التصوير الفني في القرآن: ٧٣.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/٣٨١ و من أساليب التعبير القرآني: ٣٦٧.

(٥) سورة الأنبياء: ١٠٢.

إيقاع حرف السين في الجملة كلها، وذلك في الفعل(**يسمعون**)، والمفعول به (**حسيسها**)، وهذا التكرار أدى المعنى بدقة متناهية، وأسهم في انسياب النغم في إيقاع الجملة[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[2] فهذه الآية عبارة عن جملة واحدة، وهي جملة اسمية، الخبر فيها جملة فعلية، وقد طال بناء الجملة من خلال الوصف في (**عبوساً**) و(**قمطريرا**)، وهذا الطول في بناء الجملة يشعرك بطول وثقل الإيقاع الصوتي المتمثل في الوصف الأخير(**قمطريرا**) وهذا الطول في الإيقاع الصوتي للجملة ككل، وللفظة بشكل خاص يوحي للسامع بطول هذا اليوم ومشقته وما يشعرك به أكثر هو حرفي (**الطاء والراء**) المستعملين في (**قمطريرا**) ويضاف إلى ذلك تكرار الراء فيها، فقد اختارت الجملة القرآنية هذا اللفظ؛ لأنه من الناحية التصويرية له جرس خاص[3] يوحي بأنه يشبه شيئاً ثقيلاً. فلذلك جاء الفعل(**نخاف**) في هذه الجملة ليتلاءم مع الطول الإيقاعي والمعنوي لهذا اليوم الذي يخافه المؤمنون ولم يستعمل الفعل(**نخشى**) مثلاً الذي يشبهه في الدلالة إلى حدٍ كبيرٍ إلا أنه لا يؤدي الوظيفة الإيقاعية للجملة في هذا المقام.

---

(١) ينظر: مشاهد القيامة في القرآن – سيد قطب : ١٦٩.

(٢) سورة الإنسان : ١٠

(٣) ينظر: من بلاغة القرآن: ٦٠ و من أساليب التعبير القرآني: ٣٧٣.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾[1] فنلاحظ ذلك التلاؤم الإيقاعي للأصوات داخل الجملة ونتذوق مواقع الحروف فتجد وقعها في حس المستمع متمثلة بالقلقلة في دال **(لقد)** وفي الطاء من **(بطشتنا)**، وهذه الفتحات المتوالية فيما وراء **(الطاء)** إلى واو **(تماروا)** مع الفصل بالمد كأنها تثقيل لخفة التتابع في الفتحات إذا هي جرت على اللسان، ليكون ثقل الضمة عليه مستخفاً بعد ولتكون هذه الضمة قد أصابت موضعها ، ثم إذا نظرنا إلى **(الراء)** في **(تماروا)**، لوجدنا أنها جاءت مساندة للراء في **(بالنذر)**، حتى إذا انتهى اللسان إلى هذه الراء يكون هناك سهولة الانتقال من الراء التي قبلها في **(تماروا)**.ويمكن أن نلاحظ ذلك أيضاً في النون في **(أنذرهم)** والغنة فيها وميمها وللغنة الأخرى التي سبقت **(الذال)** في **(النذر)**[2]. وهذا كله يسهم في التناسق الإيقاعي للأصوات المستعملة في هذه الجملة وهذا أحد مقاييس الجمال القرآني المهمة.

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾[3] لمسنا هذا الانسجام في كل أصوات هذه الجملة، فالهمس يتجسد في تكرير السين، وهو يناسب الليل وهدوءه أو سكونه فكأن **(عسعس)** ترسم الأجواء الهادئة.

---

(١) سورة القمر : ٣٦.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية :٢٥٨ وجماليات المفردة القرآنية:٢٠٩.

(٣) سورة التكوير : ١٧ .

ونرى ذلك متجلياً بوضوح في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾[1]، فهناك مناسبة بين الفعل(**يغشى**) وإسناده إلى الليل؛ لما فيه من الهدوء والشفافية ونلاحظ العكس فيما يخص النهار فهو يتجلى وما في الأخيرة من مخارج الحروف والأصوات القوية مثل(**الجيم**)؛ ما يناسب ظهور النهار والضياء الذي فيه[2].وهذا في الواقع هو ما دفع **الأستاذ الرافعي** إلى القول بأن الإعجاز القرآني يكمن في موسيقاه وإيقاعه[3].

ويمكن أن يكون لنظم الجملة القرآنية أثر في ذلك الانسجام الإيقاعي للجملة، فيحرص القرآن على مجيء نظم جمله بما يحقق المعنى في دقة متناهية مع الأخذ بالحسبان التناسب الإيقاعي لألفاظ هذه الجملة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾[4] ففي الجملة جرس إيقاعي وصدى صوتي عميق، وإطلاق للأصوات من أقصى الحلق وضمها للشفة ثم إعادة إطلاقها، وقد اختيرت لفظة (**أوّبي**) بحيث لا يسد مسدها غيرها من الألفاظ، فالمراد بها ترجيع التسبيح، من (**آب يؤوب**)، على جهة الإعجاز بحيث خاطب الجبال

---

(١) سورة الليل: ١-٢.

(٢) ينظر: جماليات المفردة القرآنية:٨٨-٨٩.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية:٢١٦-٢١٧.

(٤) سورة سبأ من الآية: ١٠.

خطاب العقلاء وهو خلاف المعتاد، وخرق لنواميس الكون في ترديد الأصوات من قبل مَنْ لا صوت له(١).

وإذا أنعمنا النظر في نظم هذه الجملة من جعل الجبال في المرتبة الأولى في التسبيح مثل الطير وفي الجمع بينها وبين الطير التي لها صوت مسموع؛ لوجدنا أن فيها دلالتين، الأولى: معنوية، والثانية: دلالة إيقاعية صوتية واضحة، من خلال انتضام عناصر الجملة على الشكل الذي وردت فيه. وهذا ما أشار إليه الزمخشري بقوله: (**فإن قلت: أي فرق بين هذا النظم وبين أن يقال: وآتينا داود منا فضلاً تأويب الجبال معه والطير؟ قلت كم بينهما؟ ألا ترى إلى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى من الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الألوهية، حيث جعلت الجبال منزّلَة منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا ، وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا...**)(٢) ونضيف إلى ما ذكره الزمخشري ما حصل في هذا النظم من تناسق إيقاعي في الجملة القرآنية، وسلاسة في انسياب الألفاظ داخل الجملة القرآنية.

وتُقرأ الآية: ﴿**يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ**﴾(٣) **بالتشديد**(١) **والتخفيف**(٢)، فمن قرأ (**أوّبي**) بالتشديد فمعناه يا جبال رجّعي معه، من آب يؤوب إذا

---

(١) ينظر : الصوت اللغوي في القرآن:١٨٩ .

(٢) الكشاف :٩٦٤/٣-٩٦٥ ومحاسن التأويل :١٠/١٤ .

(٣) سورة سبأ من الآية :١٠.

رجّع. أي سبحي معه؛ لأنه قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾[٣]. ومن قرأ (أوبي) بالتخفيف فمعناه : عودي معه بالتسبيح كلما عاد فيه[٤].

وهكذا نرى أن النظام الصوتي أو الإيقاعي هو الذي يحقق المعنى الجملي ، فإن كانت(أوّبي) بالتشديد وهي القراءة المتعارف عليها، والمراد: التسبيح معه في ترديده وترجيعه ، وإن كانت بالتخفيف : فتعني الرجوع والأوبة أي العودة إلى التسبيح كلما عاد عليه السلام [٥].

وقد تتضمن الجملة القرآنية معطوفات كثيرة، ولكن هذه المعطوفات تكون مرتبة بحسب الجرس الإيقاعي فيقدم ويؤخر السياق القرآني الأليق في الإيقاع حتى تتساب النغمة في الجملة، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا

---

(١) وهي قراءة الحسن البصري وقتادة وغيرهما. ينظر : الجامع لأحكام القرآن: ١٤/١٧٠.

(٢) وهي قراءة أبي إسحاق ونصر بن عاصم ومَسلَمة بن عبد الملك. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٤/١٧١.

(٣) سورة ص : ١٨.

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن: ١٤/١٧٠-١٧١ وتفسير ابن كثير :٣/٢٣٠٤.

(٥) الصوت اللغوي في القرآن : ١٨٩.

﴿ مُجْرِمِينَ ﴾(١)، قد تضمنت الجملة خمسة ألفاظ معطوفة على بعضها وهي (**الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم**). ولما وردت هذه الألفاظ الخمسة بجملتها، قُدِّم فيها لفظتا(**الطوفان والجراد**) وأُخّرت لفظة (**الدم**) وجُعلت لفظتا(**القمّل والضفادع**) في الوسط(٢). علماً أن هذه الآيات لم تكن مرتبة زمنياً في الوقوع على هؤلاء القوم. وما جاء ذلك الترتيب إلا من أجل الإيقاع الذي تحمله هذه الألفاظ ،وفي هذا الترتيب دقة في التجانس الإيقاعي فالألف والنون في (**الطوفان**) تمثل أطول الأصوات في هذا الإيقاع فبدأ بها وإن (**الدم**) أخف هذه الألفاظ إيقاعاً؛ لذلك جيء بها آخراً. وليمهد لسهولة الانتقال إلى حرف المد الذي بعده في لفظة(**آيات**)؛ ليستمر القارئ إلى نهاية الآية من دون انقطاع النفَس في ذلك الإيقاع.

وبنظرة شاملة إلى إيقاع الجملة يمكننا القول: إن السور المكية تمتاز جملها بالقصر عامة علاوة على كون نبرة التهديد والوعيد والغضب والعنفوان واضحة المعالم في مفرداتها، فمثلاً قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾(٣) تمثل مفردات الجملة الفعلية صرخة عنيفة من خلال أصواتها. ويمكننا أن نتلمس مظاهر الجزالة في الجملة من خلال تعدد

---

(١) سورة الأعراف: ١٣٣.

(٢) ينظر: المثل السائر :١/ ٢٥٣ ومن أساليب التعبير القرآني : ٣٧٩ وجماليات المفردة القرآنية : ١٩٢.

(٣) سورة المسد : ١.

الباءات ،والباء حرف شفوي انفجاري، ومما يزيده عنفاً وقوةً في الجملة كونه مشدداً أو ساكناً بالتنوين والسكون أو ساكناً مع القلقلة الكبرى[(١)].

كذلك يمكننا أن نلاحظ مظاهر الرقة والعذوبة في إيقاع أغلب السور المدنية، وكثير من السور المكية، ففي قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾[(٢)]، وعلى الرغم من أن **سورة مريم** مكية، فإن الآية تفوح من كلماتها رائحة النبوة الإنسانية ، فهو يستميل قلب والده، علاوة على وجود تسعة مدود في الآية، فإن طبيعة الأصوات الرخوة تناسب مقام الملاينة، فلم يذكر عز وجل **(يصيبك)** بل **(يمسّك)** للطف فعلها من حيث المس فقط، ولهمس السين فيها، وفي المفردات الخاء والحاء في **(أخاف)** و **(الرحمن)** والأحرف اللينة كالواو والياء[(٣)].

ونلاحظ في ردّ الأب الذي يرفض ما يدعوه إليه ولده **إبراهيم** عليه السلام ما فيه من الشدة والعناد والغطرسة ؛ لذلك جاءت كلماته ذات أصوات شديدة، تناسب ذلك العناد والمكابرة والضلالة، فقال: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾[(٤)] ونلاحظ أن جرس **(لأرجمنك)** يوحي بوقع لحجارة على الجسم والشدة في هذه الجملة متأتية من الجيم فهو **(صوت لثوي حنكي**

---

(١) ينظر: جماليات المفردة القرآنية: ١٩٤.

(٢) سورة مريم: ٤٥.

(٣) ينظر :جماليات المفردة القرآنية: ١٩٥.

(٤) سورة مريم: ٤٦.

مركب انفجاري مجهور)[١]. وكذلك النون وهي ترد فيها مرتين وهي النون المشددة القوية، ويضاف إلى ذلك الراء وهو من الأصوات المكررة المجهورة أيضاً؛ مما يعطي الجملة نبرة قوية تناسب نبرة التهديد والوعيد المستحصل عليها من سياق الجملة كلها[٢].

وهكذا نجد التلاؤم والانسجام في إيقاع الجملة القرآنية؛ لما يناسب المعنى أو الموقف الذي يتكلم عنه القرآن. فيناسب المقام والموقف مع ما يستحق من شدة وليونة.

وفي كثير من الأحيان يخرج هذا التلاؤم الإيقاعي عن نطاق الجملة الواحدة إلى جملٍ عدة في السياق نفسه؛ وذلك لأن الصيغة التعبيرية من حيث الدقة في وضعها وحسن اختيارها والإحكام وقوة السبك والجمال في التناسق لها أثر في إحداث الإيقاع داخل الجملة القرآنية، وان مفردات الجملة التي تحمل دلالات معنوية وإيقاعية تنسجم مع مفردات الجمل المستعملة في السياق نفسه، وهذا الذي يُحدث الإيقاع الصوتي داخل السياق القرآني الذي يبدأ من المفردة ثم الجملة ثم السياق الذي يجمع الجمل في الآية ثم ينتهي بالسورة وخاصة السور القصار[٣].

---

(١) علم اللغة العام -الأصوات- د.كمال محمد بشر: ١٢٦.

(٢) ينظر: علم اللغة العام -الأصوات: ١٢٩ و جماليات المفردة القرآنية: ١٩٥.

(٣) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ٢٤٠.

ومن الأمثلة على التلاؤم الإيقاعي في أكثر من جملة قوله تعالى: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾[1] فان لفظة(**لأعذبنه**) هي في حقيقتها من الناحية التركيبية تُعد جملة مستقلة في هذا السياق وكذلك(**لأذبحنه**) و(**ليأتيني**) وكل من هذه الجمل مؤكدة باللام والنون الثقيلة وتُحدث الأخيرة جرساً قوياً وضغطاً عند النطق بها، واجتماع هذه الجمل في سياق واحد يوحي بالقوة والعنف اللذان يسودان فضاء الآية التي تمدنا بإيقاع صوتي يتناسب مع المعنى الذي يريده النبي سليمان عليه السلام[2].

وأحياناً يقع بين هذه الصيغ في الجمل تناسقاً في التوزيع ويعزز هذا التناسق بوساطة الضمائر المتصلة التي تقوم بوظيفة الربط بيه هذه الجمل فضلاً عما تحمله من نغمة صوتية إيقاعية وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة النمل: ٢١.

(٢) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ٢٤٠-٢٤١.

(٣) سورة النور: ٥٥.

إن هذه الصيغ المجتمعة في السياق والتناسب الإيقاعي الحاصل في جرسها بين (**لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم**) و(**استخلف**) و(**ليمكنن**) و(**ليبدلنهم**) وانتهاء مفردات عديدة بـ(**هم**) و(**كم**) مرة واحدة و(**ني**) في (**يعبدونني**) التي تناسب (**بي**) في (**لا يشركون بي**) وسلاسة التناسق وحسن التوزيع بين (**ذلك**) و(**أولئك**) التي تحدث ربطاً للجمل ، كل هذا يسهم في تقديم الصورة النهائية للإيقاع في هذا السياق المتأتي من تضافر المفردات في الجمل جميعاً، بحيث نشعر ونحن نتلو الآية أن نغمة الإثبات أو الاستخلاف تنبعث في الإيقاع وتؤكد المغزى(١).

ويسهم إيقاع المفردات داخل الجمل المرتبطة في سياق واحد في دقة المعنى، وقوته وتصويره، وكما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا** ﴾(٢). فما يشتمل عليه السياق من جمل وما تشتمل عليه الجمل من مفردات وما تتميز به هذه المفردات من إيقاع وجرس قوي يحقق المعنى ويصوره فعند النطق بهذه الجمل نحتاج إلى قوة في الضغط على اللسان والنفَس مما يولد نبرة قوة عند النطق بها، ويمكن أن نستدل على النغمة القوية لهذه الجمل من خلال انتهائها بالدال المشددة تارة والمخففة تارة أخرى كما في (**ولدا**) و(**إدّا**) و(**هدّا**) علاوة على

---

(١) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ٢٤١.

(٢) سورة مريم: ٨٩-٩١.

ما تملكه الأفعال (**يتفطرن**)، و(**تنشق**)، و(**تخّر**) من قوة في الجرس والإيحاء وما تضفيه هذه الصيغ من معانٍ. فـ(**يتفطرن**) بمعنى يتشققن والتفطر من فَطَرَه إذا شققه وكرر الفعل فيه، و(**تنشق**) أي تتصدع الأرض، و(**تخر**) أي: تسير تذهب وتجيء. وإذا رجعنا إلى معاني الكلمات في نهاية الجمل وهي (**الإد**) وهو القول المنكر العظيم و(**الهد**) وهو الكسر، وهي تدل على الكسر والهضم والهدم. وكل تلك المعاني تضفي على جو الجمل طابعاً من الهول الشديد؛ وذلك لتعبر عن شنيعة ما قالوه وهو الإدّعاء على الله بالأولاد(1).

والنتيجة النهائية أن هذه المعاني الدلالية والخصائص الصوتية الإيقاعية لمفردات الجمل في السياق القرآني قد أسهمت في استنطاق المعنى العام الذي هو السخط ودحر هذا الادعاء الباطل فضلاً عن التلاؤم والانسجام في إيقاع المفردات ومن ثم الجمل داخل السياق الذي ألهمها هذه الحيوية والحركة. والحصيلة النهائية أن جرس الجمل وإيقاعها متأتٍ من تضافر هذه العناصر جميعاً في السياق القرآني البديع.

ونلاحظ ذلك التلاؤم الإيقاعي والارتباط الوثيق بين مفردات الجمل القرآنية في قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾(2) ولو تأملنا هذا الارتباط العجيب بين الجملتين فضلاً عن تجانسهما إيقاعياً فإننا لا نستطيع أن نُسقط أي كلمة منهما مهما كانت بسيطة ، فلو حذفنا

---

(1) ينظر:تيسير الكريم الرحمن: ٥٠١ والإعجاز الفني في القرآن: ١٥١-١٥٢.

(2) سورة النجم: ٢١-٢٢.

كلمة(إذاً) مثلاً؛ لاختل الإيقاع الصوتي لتناسق الجملتين ولتعثر القارئ عند تلاوتهما، وكأن هذه الكلمات والحروف موزونة بميزان شديد الحساسية تميله أخف الحركات والاهتزازات[1].

ولهذه الأسباب يبدو لنا بجلاء سبب إطلاق العرب الأوائل في بداية نزول الوحي اسم الشعر على القرآن الكريم وذلك لأنهم لم يعهدوا هذه الحساسية وهذا الوزن وهذا النغم إلا في الشعر، ولكنهم عندما أخضعوه إلى أوزان الشعر المعهودة لديهم وجدوا أن القرآن الكريم لم يتقيد بقيود الشعر الكثيرة من قافية، موحدة وتفعيلة تامة، مع أنهم وجدوا أنَّ القرآن الكريم قد ملك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة كما أنه بفواصله وطريقة نظمه الخاصة به قد ابتكر الإيقاع الخاص به، فلم يملك أبلغهم[2] إلا أن يقول: إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر وإنه يعلو ولا يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته[3].

ومن أبرز مواضع التلاؤم الإيقاعي للسياق القرآني عندما تحتوي الجمل على الفعل المبني للمجهول وبخاصة عندما يتكرر في أكثر من جملة. وذلك لما لهذه الصيغة – صيغة المبني للمجهول– في النظام

---

(١) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ١٤١.

(٢) وهو الوليد بن عتبة. ينظر تفصيل ذلك في : إعجاز القرآن – عبد الكريم الخطيب: ٢/١٨٥.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن: ٢/١٨٥-١٨٦ ومباحث في إعجاز القرآن: ١٤١-١٤٢ والمشاهد في القرآن الكريم: ٢٧٢-٢٧٣.

اللغوي من خصائص تسمح لها بالحركة في حيزها، فمن ذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾[١] فهذه الجمل الثلاث المنتظمة في هذا السياق توحي بحال الأرض والجبال عند قيام الساعة وبهول يوم القيامة وقدرة الخالق وعظمته.

ويأخذ هذا المغزى ظلاله الموسعة من خلال الأفعال المستعملة والصيغ وطريقة الربط، فـ(**رُجّت**) بمعنى (**حُركت تحريكاً شديداً**)[٢] حتى ينهدم كل ما على سطحها من بناء أو جبل ، وهو فعل مبني للمجهول يدل على الاضطراب والحركة في آن واحد . و(**بُست**) بمعنى (**فتتت وأصبحت قطعاً صغيرة جداً بحجم حبات الشعير**)[٣] بعد قلعها. وقد أُكدت هذه المعاني بالجملة التي بعد هاتين الجملتين وهي قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾أي غباراً متطايراً متفرقاً. وأن هذه المعاني مستوحاة من بيئة الإنسان الحسية، إذ إن الهباء يعني الغبار (**كالغبار الذي يسطع من حوافر الدواب أو كشعاع الشمس يدخل في كوةٍ تكون في البيت أو خرقٍ يكون في البيت**)[٤] مما يضفي على المعنى دقة وقوة وإثارة وتصوراً زيادة على ما تضفيه صيغة المبني للمجهول في (**رُجّت**) و(**بُسّت**) من

---

(١) سورة الواقعة: ٤-٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن: ٣٨٢.

(٣) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس: ٣٣٨ وتيسير الكريم الرحمن: ٣٨٢.

(٤) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس: ٣٣٨

حركة وإيقاع، وما تحمله الألفاظ (**هباءً منبثا**) من قوة الجرس والإيقاع وهي تعرض تفاهة الحياة الدنيا بسمائها وأرضها وجبالها وعمرانها وبنائها وصيرورتها في النهاية هباءً منثورا. ولا ننسى أثر المصادر في الجملتين الأوليين(**رجا وبسا**) في تثبيت المعنى وتوكيده خاصةً وإن المصادر تُذكر في الجملة لتوكيد العامل أي الفعل وأنها في تناسق معه؛ لأن الفعل مشتق منها وهو ما يزيد في درجة التلاؤم في إيقاع الجملة. وهكذا تتضافر كل العناصر المعنوية والحسية والتعبيرية في تناسق السياق إيقاعياً، وذلك بعد أن يؤدي المعنى بكل دقة ووضوح علاوة على دقة التصوير[1].

ولو تأملنا قوله تعالى: ﴿**شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ**﴾[2] لوجدنا أن إيقاع هذه الجمل ينفذ إلى النفوس قبل المعنى الذي تحمله. وذلك بفضل ما أحدثته (**النون**) و(**التنوين**) من صوت الغنة الذي يملأ القلوب أمناً وسكينةً واطمئناناً وإيماناً لدى الناس بشهر الرحمة والهدى (**شهر رمضان**) ثم الربط بينه وبين نزول القرآن الذي هو سبب تلك السكينة والإيمان والاطمئنان؛ لأنه هداية للناس جميعاً. ثم التكرار الذي تحدثه لفظة (**هدى**) في السياق القرآني من السلاسة في الإيقاع وبساطته. وفي الحقيقة إن شواهد هذه الصورة معنوياً وإيقاعياً كثيرة جداً يصعب حصرها لكننا نستطيع أن نقول

---

(١) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ١٥٥-١٥٦.

(٢) سورة البقرة: ١٨٥.

أن الإعجاز المبين يتبع إيقاعاً خاصاً منسجماً باطراد مع الجو الخاص للجمل والآيات ومع الجو العام للسورة[١].

وهكذا نجد أن اتزان الإيقاع داخل الآيات يأتي نتيجة لتوازن الإيقاع داخل الجمل في تلك الآيات الناتج من تناسق الألفاظ داخل تلك الجمل ويأتي تناسق الألفاظ تبعاً لتناسق أصوات هذه الألفاظ. والسياق القرآني يشع بهذا الإيقاع سواء من آياته الطوال أو القصار المدنية أو المكية حتى أصبح الإيقاع الصوتي السمة البارزة والمميزة من سمات القرآن الكريم. فإذا نظرنا إلى سياق قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾[٢] وجدنا أن هذا الإيقاع لا يتأتى من المفردة بحد ذاتها بل دخول حرف السين في الألفاظ التي تنتج الجمل ولا يفوتنا ألا نغفل للتقديم والتأخير حظه الوافر في المساهمة في تلاؤم الإيقاع الصوتي لهذه الجمل، زيادة على الصياغة التعبيرية للأفعال، ففي(**عسعس**) و (**تنفس**) جرس صوتي يوحي بدلالة المعنى، إذ يرسم صورة حسية لإقبال ظلام الليل بآفاقه المترامية ... ثم انفلات الصبح من مخبأ الليل وظلمته، وما يصحب ذلك من صحوة الكون ودبيب الحياة في أرجائه[٣]. وهذا الذي عبّر عنه **سيد قطب** بقوله **(سحر القرآن)**[٤].

(١) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ١٥٥-١٥٦.

(٢) سورة التكوير: ١٥-١٨.

(٣) ينظر: المشاهد في القرآن الكريم: ٤٨١-٤٨٢.

(٤) ينظر: التصوير الفني في القرآن: ٩-٢١.

ونختم هذا الموضوع بإيقاع الجملة الذي يضفي على نهاية الآيات في السياق جمالها المعهود ونسقها المتجانس. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[1].

إن هذا الإيقاع المجلجل، وهذه النبرات الصوتية الرتيبة، وهذا النسق المتوازن في ألفاظ هذه الجمل وهي (**العقبة**) و(**رقبة**) و(**مسغبة**) و(**مقربة**) و(**مترية**) التي فيها أصداء صوتية متلاحقة في زنة متقاربة، زادها السكت رنةً وتأثيراً ، ولطفاً ناعماً، وسط شدة هائلة مرعبة واستعمال أسلوب النفي وتقريره والاستفهام وتهويله، وفي كل ذلك حافز على معالجة هذه المخاوف الاجتماعية السائدة، وهي السغب واليتم والمسكنة[2].

إن انتظام هذه الجمل في نسق صوتي متجانس وصيغة إصلاحية هادفة يضفي على الفاصلة القرآنية جمالها المعهود، وحسها الإيقاعي الهادر فهي تمتلك النفس وتأخذ بالإحساس في نظام رتيب؛ ولذلك سنتناول الأثر الذي تحدثه الفاصلة القرآنية في تركيب وإيقاع الجملة القرآنية وما يصحب ذلك من خصائص فنية وجمالية في هذا الفصل أيضاً.

---

(١) سورة البلد: ١١-١٦.

(٢) ينظر: الصوت اللغوي في القرآن: ١٥١-١٥٢.

٣- الجملة القرآنية جملة مصورة

لقد عرفنا فيما سبق أن الجملة القرآنية دقيقة في وضع الألفاظ والتعبير من خلالها ، فمن خلال استعمال الجملة لهذه الألفاظ تستوحي المعنى العام للجملة أو الدلالة سواء أكانت الجملة اسمية أم فعلية، وهذا البناء الشكلي يمكن أن يعطي صورة متخيلة للمعنى في أحيان كثيرة. فمثلاً في قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾[1] قد قامت الجملة الاسمية (**هن لباس لكم**) و(**وأنتم لباس لهن**) بدور كبير في جعل أحدهما لباساً للآخر. يقول ابن عباس ﷺ :(**هن سكن لكم وأنتم سكن لهن**)[2] فالجملتان (**هن لباس**) و(**أنتم لباس**) هي جمل بسيطة ولكنها محكمة تعرض صورة دقيقة نابعة من واقع ملموس وتصور علاقة الرجل بالمرأة، والذي أسهم في رسم هذه الصورة الدقيقة للمعنى هو ما جاء في أسلوب الجملة من تأخير للجار والمجرور في كلا الجملتين فلم يقل(**هن لكم لباس**) و(**أنتم لهن لباس**) والجار والمجرور هو خبر ثانٍ للمبتدأ، ولو قال ذلك لتغير المعنى فالتقديم هنا للاختصاص ، أي لهن وليس لغيرهن. وهذا المعنى الدقيق تعطيه الجملة الاسمية فهي

---

(١) سورة البقرة: ١٨٧.

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ٢٠.

تصور الحالة التي هم عليها من خلال دقة اختيار الألفاظ في الجملة القرآنية وهذا من جماليات التعبير بالجملة الاسمية[1].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾[2]، فنلاحظ أن جملة (**مشوا**) والتي هي جملة جواب الشرط، تصور لنا حالة المنافقين وهم قلقون وفزعون، وهذا المشي مصحوب بالخوف، وذلك لأن الرعد والبرق يمثل عائقاً لهم فهو يضع حداً لسرعتهم لأنه يفزعهم، فالبرق يكاد يخطف أبصارهم فهو يخيفهم .

فالمشي مشوب بالخوف فهو مشي بطيء وذلك لشدة الظلام وكثافة المطر والبرق الذي يخطف الأبصار فهو مع إضاءته لهم إلا أنه يُدخل في أنفسهم الخوف[3].

وهناك جمل مصورة للمعنى لم تستعمل في غير الأسلوب القرآني المعجز ومن ذلك ما ورد في سياق قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾[4]، فإن الأذن

---

(١) ينظر: الأمثال القرآنية – عبدالرحمن حسن الميداني:١٥١-١٥٢ والإعجاز الفني في القرآن: ٩٣.

(٢) سورة البقرة : ٢٠.

(٣) ينظر: جماليات المفردة القرآنية: ١٥٧.

(٤) سورة التوبة: ٣٨ ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾(يس: ٩) وقوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾(النور:٥٥).

تستقبل جملة **(إثاقلتم)** التي بمعنى تباطأتم وتقاعستم فتصور للخيال من خلال صيغتها وإيقاعها ذلك الجسم المتثاقل الذي يرفعه الرافعون في جهدٍ، فيسقط من أيديهم في ثقل، فكلما رفعوه سقط مرة أخرى، ولو أن صياغة الجملة كانت **(تثاقلتم)**؛ لخف جرس الجملة أو إيقاعها، ولضاع الأثر المنشود، ولتوارت الصورة المطلوبة التي رسمتها الجملة(١).

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ** ﴾(٢) ففي سياق هذه الآية جاءت جملة الشرط **(ولما سكت عن موسى الغضب)** وفيها تصوير للغضب وكأنه كائن حي، وفيه تمثيل للغضب على أنه محرض بإلحاح داخل النفس يحرض بكلامه على الثورة، فهيجان الغضب مثّله التعبير القرآني كمثل صياح هذا المحرّض الملحاح. ومثل لسكون الغضب كمثل سكوت هذا المحرض عن الصياح وعودته إلى حالة الصمت والهدوء.

وهذه الصورة التي رسمتها الجملة توحي بها كلمة **(سكت)** في الجملة القرآنية التي لا تعطي إيحاءها أية كلمة أخرى كـ**(سكن)** مثلاً؛ وذلك لأن الأولى تعطي دقة التصوير والإيجاز البديع ولتكامل عناصر الصورة المتخيلة(٣).

---

(١) ينظر: التصوير الفني في القرآن : ٧٦ والتعبير الفني في القرآن: ١٨١-١٨٢ ومن أساليب التعبير القرآني: ٣٦٥.

(٢) سورة الأعراف:٤ ١٥.

(٣) ينظر: الأمثال القرآنية من الآية: ١٥.

ونلاحظ دقة التصوير في الجملة القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾(١) فإن الجملة قد أخذت معناها من لفظة(**ليبطئن**) فإن هذه الصيغة ونطقها وجرسها ودخول المؤكدات عليها(**اللام والنون المشددة**) تشير إلى دلالتها وتوحي إلى الأذهان صورة البطة وثقل مشيها وحركاتها الخاصة من ناحية الارتفاع والانخفاض.

ويقول سيد قطب عن الصورة التي ترسمها هذه الجملة: (فترتسم صورة التبطئة في جرس العبارة كلها – وفي جرس(ليبطئن) خاصة. وإن اللسان ليكاد يتعثر، وهو يتخبط فيها، حتى يصل ببطء إلى نهايتها!) (٢) وهذا يعني أن اختيار اللفظة المعبرة مرتبط ارتباطاً وثيقاً ببناء الجملة وما تؤديه من دلالة صوتية ومعنوية. فتكون الجملة هي الحيز الذي يظهر فيه هذا التميز لاستعمال الألفاظ في التعبير القرآني لتؤدي المعنى بصفة مختارة خاصة، مقبولة في النفس وان صفاتها المتعددة لتشع في الجملة نوعاً خاصاً من السبك والبناء(٣).

ونختم موضوع الصورة في الجملة القرآنية بما ورد في سورة الصف وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم

---

(١) سورة النساء من الآية: ٧٢.

(٢) التصوير الفني في القرآن: ٧٦.

(٣) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ٧٦-٧٧.

﴿بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾[1]. فجاء التصوير عن طريق الجملة الاسمية **(كأنهم بنيان مرصوص)**، فالبنيان المرصوص هو البنيان المتلاصق المحكم والمجموع بعضه إلى بعض ويشد بعضه بعضاً.

ففي هذه الجملة إيحاء بصورة هؤلاء الذين يقاتلون في سبيل الله من خلال عرض صورة البنيان المرصوص وحث المؤمنين على ما ينبغي أن يكونوا عليه عندما يقاتلون في سبيل الله، وذلك لتماسكهم وتقوية بعضهم بعضاً واجتماعهم في وحدة جماعية ذات هيكل متكامل. ونلاحظ دقة التصوير هذه متمثلة في اختيار ألفاظ الجملة ومن ثم صدق المماثلة بين المشبه والمشبه به[2].

ونلاحظ الرابطة الوثيقة بين الصوت والصورة والجملة القرآنية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾[3] ذلك أن الجملة الحالية**(يتمطى)** الممهد إليها بجملة **(ذهب)** ترسم تلك الصورة من خلال معناها وجرسها الصوتي، فهي تكمل الصورة التي ترسمها الجملة القرآنية، ونستطيع أن نتلمس تطاول الأعضاء بعد شد العضلات من الوقوف في الشدة الذي تتبعه الألف المقصورة ذات المد الطويل، وهذا المد يمثل انفراج الأعضاء

---

(١) سورة الصف: ٤.

(٢) ينظر: الأمثال القرآنية: ١٥٣.

(٣) سورة القيامة: ٣٣.

ورفع الرجل في مباهاة وخيلاء وتلك مشية ذميمة اسمها المطيطاء[1] أو المطيطى بالمد والقصر، وهي التبختر ومد اليدين في المشي.

٤- الفاصلة في الجملة القرآنية:

الفاصلة القرآنية عند الزركشي: (**هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع**)[2] أما عند **الداني** (ت٤٤٤هـ) فهي: (**كلمة آخر الجملة**)[3]. فهناك فرق بين التعريفين فالأول ربط الفاصلة برؤوس الآي، بينما ربطها الثاني بنهاية الجملة وإن لم تكن رأس آية، فالداني يفرق بين الفاصلة ورأس الآية إذ يقول: (**والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس ، وكذلك الفواصل يكنّ رؤوس آي وغيرها. وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين، وتجمع**

ومع هذا التفريق عند الداني إلا أن الدارسين عندما يتكلمون عن الفاصلة القرآنية يذهبون إلى تعريف الزركشي. وهذا الأمر – على كل حال– يجب أن لا يكون فيه خلاف ، وبخاصة إذا رجحنا أن الفاصلة مأخوذة كما يرى كثير من العلماء من قوله تعالى:﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ

---

(١) ينظر: لسان العرب– ابن منظور : مادة (م.ط.ط) :٧/٤٠٤ وجماليات المفردة القرآنية: ١٥٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١/٥٣ والفاصلة في القرآن : ٢٦.

(٣) الفاصلة في القرآن: ٢٦.

(٤) البرهان في علوم القرآن :١/ ٥٣-٥٤.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1] لذلك قال الزركشي: (**وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها**)[2]، ولهذا لا يشترط في الفاصلة الموافقة في الإعراب لما قبلها- على تقدير عدم الوقوف-؛ لأن الوقوف على رؤوس الآي سنّة متبعة ، ولهذا صرح العلماء بأن مبنى الفواصل على الوقف[3].

إلا أننا إذا دققنا في كثير من فواصل القرآن الكريم - ونقصد به الوقف- وجدنا أنها توافق ما ذهب إليه الإمام الداني ، من أن الوقف والفصل في الآية مبني على نهاية الجملة لا الآية ، خاصةً إذا كانت الآية من الآيات الطوال التي تحوي أكثر من جملة أو جملاً كثيرة في سياق واحد[4].

فإذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ

(١) سورة فصلت: ٣

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١/٥٤.

(٣) ينظر: مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه - د. عدنان زرزور: ١٩٠-١٩١ والصوت اللغوي في القرآن : ١٤٣.

(٤) كما في آية الكرسي في سورة البقرة. ينظر: جماليات المفردة القرآنية: ٣٢٥.

﴿رَمِيمٌ﴾[1] وجدنا أن أضرُب الفواصل في هذه الآيات قد تنوعت، فمنها ما وقفنا فيها عند نهاية الجملة كما في الألفاظ (**نصرهم، قولهم، خلقه**) فضلاً عن الوقوف في نهاية كل آية[2].

وفي السياق القرآني أمثلة كثيرة من ضروب الفواصل الأخرى التي يمكن ملاحظتها في آيات القرآن الكريم. وفي ذلك دلالة على شدة الالتحام بين جمل القرآن وما توحي به آيات التنزيل من ضروب **(الإيقاع)** الخفية والظاهرة والمتماثلة والمتقاربة. وتدخل هنا قضية صوتية مهمة وهي (**الوقف** والابتداء)[3] أو **(القطع والائتناف)** كواحدة من الأدلة على وقوع الفاصلة- الوقف- في الجملة وليس من الآية فحسب، وبخاصة في الوقف اللازم، كما لاحظنا في السياق السابق حيث يجب الوقف عند كلمة(قولهم)[4] في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[5].

---

(١) سورة يس: ٧٤-٧٨.

(٢) ينظر: مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ١٩١.

(٣) وقد عرفه السيوطي تعريفاً صوتياً فقال: (الوقف: عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض، ويكون في رؤوس الآي وأوساطها ولا يأتي في وسط الكلمة و لا فيما اتصل رسماً) (الإتقان في علوم القرآن: ١/٢٤٤).

(٤) ينظرك البسيط في علم التجويد – د. محمد عبد العزيز الحمد: ١٧٨.

(٥) سورة يس: ٧٦.

ومع هذا فإننا سندع الباب مفتوحاً في قضية تعريف الفاصلة؛ لدراسة أنواع من الفواصل الأخرى التي أشار إليها الداني. وسوف نقوم بدراسة العلاقة بين الجملة والفاصلة التي تختتم بها الآية في السياق القرآني، مستندين إلى التعريف الذي أورده السيد محمد الحسناوي وهي **(كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر. والتفصيل- توافق أواخر الآي في حروف الروي أو في الوزن مما يقتضيه المعنى، وتستريح له النفوس)**[(١)].

ونضيف إلى ذلك أنه يمكن أن يقترن المرفوع بالمجرور أو المنصوب ولا نحس لذلك فرقاً في السياق الواحد في فواصل الآيات، ولا يمكن ذلك إذا كانت الفاصلة هي نهاية الجملة وليست الآية، ففي سورة المدثر يقترن المرفوع المنون بالمجرور المنون ثم يليه المنصوب المنون ولا نحس لذلك فرقاً في سياق هذه السورة ، ففي قوله تعالى: ﴿**كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً**﴾[(٢)] قد جاءت الفواصل **(مستنفرة)** مرفوعة منونة ثم تلتها **(قسورة)** وهي مجرورة منونة ثم تلتها **(منشّرة)** وهي منصوبة منونة، والذي سوغ لجمع هذه الألفاظ مع بعضها إعرابياً وصوتياً هو مجيئها فاصلة في نهاية الآية والوقف عليها[(٣)].

---

(١) الفاصلة في القرآن: ٢٩.

(٢) سورة المدثر: ٥٠-٥٢.

(٣) ينظر : الصوت اللغوي في القرآن : ١١١

وفي سورة القيامة أيضاً، يقترن الاسم المنصوب في الفاصلة بالظرف مع الاسم المجرور بسياق واحد متناسق يكاد لا يختلف في نبر، ولا تنغيم، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[1]، فالألفاظ: **(بنانه)** مفعول به منصوب مضاف إلى الهاء، و **(أمامه)** ظرف مضاف إلى الضمير، و **(القيامة)** مجرورة مضافة إليه. وجاءت الأصوات منتهية بالهاء عند الوقف.

أما إذا قلنا أن الوقف أو الفاصلة هي نهاية الجملة - **على رأي الداني**- فهذا الذي ذكرناه غير ممكن؛ لأن ذلك خاضع لقواعد إعرابية حيناً وقواعد تركيبية حيناً آخر[2].

الفاصلة وأثرها في بناء الجملة القرآنية:

إذا أردنا جلاء الدور الذي تؤديه الفاصلة القرآنية والتي تُختم بها الآية من القرآن وهي التي تكون من أوضح الكلمات الأخرى؛ لأنها الكلمة التي يتم الوقوف واستراحة النَّفَس عندها والتي لا تختلف في نظرنا أثراً عن باقي الكلمات القرآنية في بناء الجملة أو الآية ؛ ذلك أنه أدق ما يوصف به هذا البناء بأنه **(محكم)** ، وهو الوصف الذي جاء في القرآن الكريم نفسه متمثلاً بقوله تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ

---

(١) سورة القيامة: ٤-٦.

(٢) ينظر: الصوت اللغوي في القرآن : ١١١.

﴿حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1] فالآية القرآنية سواء أكانت طويلة أم قصيرة، مدنية أم مكية بناء قد أحكمت لبناته أوثق الإحكام، فلا نحس فيها بكلمة تضيق بمكانها، أو تنبو عن موضعها[2] وتأتي الفاصلة هنا **(ممكنة في مكانها مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت اختل واضطرب الفهم)**[3].

أي: إن الفاصلة تقوم بدورها في إحكام بناء الجملة ثم الآية في الشكل والمضمون أو في المبنى والمعنى على السواء، لأن منهج الآية في التقديم والتأخير والحذف والزيادة والفصل والوصل لا يقوم على اعتبارات شكلية محضة، بل يتبع كذلك المعنى فيسهم في **(إحكامه)** أيضاً على أوثق وجوه الإحكام. علاوة على الإحكام اللفظي أو النظم الإيقاعي فان دور الفاصلة فيه شديد الوضوح، حتى إن أكثر هذه الفواصل تنتهي بالنون والميم وحروف المد واللين... وتلك هي الحروف الطبيعية في الإيقاع سواء أكان في القرآن أم في غيره. يقول سيبويه(**أما إذا ترنموا – أي العرب– فإنهم يلحقون الألف والواو والياء؛ ما ينون و وما لا ينون، لأنهم أرادوا مد**

---

(١) سورة هود : ١.

(٢) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٠٥.

(٣) البرهان في علوم القرآن : ١/٧٩.

الصوت)[1]. يضاف إلى ذلك الإحكام في المعنى ودقته الذي يجب النظر فيه في سياق الآية أو الآيات[2].

وأشار السيوطي في **(الإتقان في علوم القرآن)** إلى أن ابن الصائغ[3] الحنفي قد ألّف في تناسب الفواصل القرآنية كتاباً سمّاه(**إحكام الراي في أحكام الآي)**، قال فيه: **(اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يُرتكب لها أمور من مخالفة الأصول، وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في أواخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف عن الأربعين حكماً ...)**[4]

ومن خلال تتبع الأمثلة التي أوردها أبن الصائغ يتبين أنه كان يقصد بمخالفة الأصول هو مخالفة الأصول النحوية واللغوية التي قال بها النحويون واللغويون ، فمن تلك المخالفات التي أوردها ابن الصائغ؛ لأجل الفاصلة القرآنية – أي تناسبها– هو تقديم ما أصله التأخير سواء أكان التقديم بالرتبة أم بالفضل أم بالزمان، والحذف وهو حذف الحرف أو حذف

---

(١) الكتاب: ٢/٢٩٨.

(٢) ينظر: مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ١٩٢-١٩٣.

(٣) وهو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي الحسن الزمردي ابن الصائغ المتوفى سنة ٧٧٦ هـ نسبت إليه كتب التراجم غير الكتاب الذي أوردناه والذي لا يزال مفقوداً حتى اليوم – مؤلفات عدة في النحو والحديث والفقه، منأشهرها: شرح الألفية لإبن مالك والتذكرة النحوية، والمباني في المعاني والمنهج القويم في القرآن العظيم. ينظر: شذرات الذهب: ٦/٢٤٨.

(٤) الإتقان في علوم القرآن: ٣/٢٩٦.

المفعول أو حذف الفاعل ونيابة المفعول، أو غيرها من الزيادات وخاصة في الحروف عند نهاية الفاصلة، والخروج عن النمط المألوف كما في الاستغناء بالإفراد عن التثنية أو الجمع أو العكس، أو إجراء غير العاقل مجرى العاقل،أو مجيء الظاهر موقع المضمر، أو إيراد الجملة التي رَدَّ بها ما قبلها على غير وجه المطابقة في الاسمية والفعلية. وارتكاب الضرورات كصرف ما لا ينصرف، والفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، والفصل بين الموصوف والصفة، والجمع بين المجرورات، وغيرها من الظواهر اللغوية التي ذكرها ابن الصائغ(١).

والأمر اللافت للانتباه أن ابن الصائغ في استقرائه لتلك الظواهر أو الأحكام قد ركز في ذلك على إبراز أثرها الإيقاعي في تحقيق التناسق والتناسب بين الفواصل، وأغفل دورها المعنوي أو التعبيري الماثل في تناسب الفاصلة لهذا الحكم أو ذاك مع الآية التي ذُيلت بها والسياق الذي وردت فيه. فلم يتوقف إزاء آية واحدة من الآيات التي استشهد بها كي يبين في إيثار فاصلتها على النحو الذي وردت به وجهاً آخر سوى مراعاة المناسبة الإيقاعية لإيراد تلك الفواصل. وهذا يوحي بأنه كان يجعل هذه المراعاة هي عمدة خروج الفواصل في تلك الآيات عن الأصل(٢).

إن ابن الصائغ لم يتفرد بإغفال القيمة التعبيرية لمثل تلك الظواهر التي تماثلت بها بعض الفواصل القرآنية، بل قد شاركه في ذلك وسبقه إليه غير

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٣/٢٩٦-٣٠٠ والفاصلة في القرآن: ٥٤-٥٦.

(٢) ينظر: حول الإعجاز البلاغي في القرآن: ٤٤.

واحد من البلاغيين والمفسرين حيث توقفوا في توجيه كثير منها عند مجرد الإشارة إلى أثرها في رعاية الفاصلة وتناسبها في الإيقاع[1].

ولعل من المناسب أن نتوقف قليلاً مع **أبي زكريا الفرّاء** بوصفه أول من أشار إلى مثل تلك الظواهر في كتابه **(معاني القرآن)** من جهة، ولتأثر ابن الصائغ بتلك الآراء التي ذكرها من جهة أخرى.

فالمتتبع لآراء الفراء التي وجهها للمحافظة على **(رؤوس الآي)** يجد أنه كان يجعل تلك المحافظة تفسيراً للفاصلة تارة، وتبريراً لخروجها عن الأصل تارة ثانية، وترجيحاً لقراءتها على وجه من وجوه القراءات دون آخر تارة ثالثة[2].

ومن تلك الظواهر البارزة التي يمكن أن تؤثر؛ لأجل الفاصلة القرآنية عندهم هي ظاهرة الحذف في بناء الجملة القرآنية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ** ﴾[3]، يقول الفرّاء: (... **يريد وما قلاك فألقيت الكاف كما نقول: قد أعطيتك وأحسنت ، ومعناه أحسنت إليك، فنكتفي بالكاف الأولى من إعادة الأخرى؛ ولأن رؤوس الآيات بالياء فاجتمع ذلك**

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٣٠-٢٤٨ والإيضاح في علوم البلاغة: ١١٧-١١٨ و البرهان في علوم القرآن: ١/٦٠-٦٧.

(٢) ينظر: حول الإعجاز البلاغي في القرآن: ٤٥.

(٣) سورة الضحى: ٣.

(٤) معاني القرآن: ٣/٢٠٦.

وهكذا نجد أن الفرّاء يجعل حذف الضمير - المفعول به- في هذا الموضع لمناسبة الفاصلة في الإيقاع الصوتي[1].

ولكن هذا التعليل للحذف قد رفضه كثير من البلاغيين؛ لأنه - عندهم- علة لفظية لا ينبغي أن تكون مقصداً في الأسلوب القرآني المعجز الذي بُنِيَ على مراعاة المعاني لا الألفاظ[2].

تقول الدكتورة **عائشة عبد الرحمن**: **(ولو كان البيان القرآني يتعلق بهذا الملحظ اللفظي فحسب لما عدل عن رعاية الفاصلة في الآيات بعدها: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[3]، وليس في السورة كلها (ثاء) فاصلة. بل ليس فيها حرف ثاء على الإطلاق. وعلى مذهبهم ، كانت الفواصل تُراعى بمثل لفظ: فخبِّرْ، لمشاركة رؤوس الآيات بالعدول إلى هذا اللفظ عن: (فحدث))**[4].

وتضيف **الدكتورة** أيضاً في بيان النكتة البلاغية لهذا الحذف فتقول: (أن حذف كاف من: **(وما قلى)** مع دلالة السياق عليها تقتضيه حساسية مرهفة بالغة الدقة واللطف، هي تحاشي خطابه تعالى رسولَه المصطفى ، في موقف الإيناس، بصريح القول: وما قلاك لما في القلي من حسِّ الطرد

---

(١) والى ذلك ذهب السكاكي في مفتاح العلوم: ٢٣٠ والرازي في التفسير الكبير: ١٨٥/٣٠.

(٢) ينظر: خصائص التراكيب: ٣٥٩.

(٣) سورة الضحى: ٩-١١.

(٤) الإعجاز البياني للقرآن: ٢٥٠ وخصائص التراكيب: ٣٦٠-٣٦١.

والإبعاد وشدة البغض. أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الأحباب كما لا يكون توديع إلا مع رجاء العودة وأمل اللقاء)[1].

وإذا كان حذف المفعول في بناء الجملة القرآنية السابقة وقع بسبب الفاصلة – على حسب قولهم– فقد وقع حذف المفعول في سياقات أخرى ولم يكن المفعول به في آخر الآية، أي في الفاصلة بل وقع في أثناء الآية، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾[2]، فنلاحظ أن السياق قد ذكر المفعول به مع **(وعدنا)** الأولى وهو الضمير **(نا)** أما مع **(وعد)** الثانية فقد حذفه مع أنه لم يقع في نهاية الآية.

ونجد ذلك أيضاً في سياق قوله تعالى: ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾[3]، حيث حذف المفعول به بعد أن ذكره في سياق الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾[4]، وهذا يؤكد أن الحذف في مثل هذه الحالات يتبع دقة التناسق في المعنى المعبر عنه في هذا الأسلوب مع أنه

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن : ٢٥٠.

(٢) سورة الأعراف: ٤٤.

(٣) سورة الصافات : ١٧٩.

(٤) سورة الصافات: ١٧٥.

لا يمنع أن يكون هذا الحذف قد أسهم في الانسجام الإيقاعي للآية إلا أنه ليس كل شيء[١].

ومما عدّوه حذفاً لأجل الفاصلة قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾[٢]؛ فالمعنى هو: من أعطى الحقوق من ماله واتقى الله ولم يعصه[٣]...، أي أنه حذف المفعول مع الفعلين (**أعطى**) و(**اتقى**)، والملاحظ أن الفعل الثاني هو الفاصلة، أما الفعل الأول فليس في نهاية الآية ومع ذلك فقد حُذف معه المفعول أيضاً. وهذا يعني أنه لو كان الحذف للفاصلة فقط من دون وجود غرضٍ بياني آخر لما حذف المفعول مع الفعل (**أعطى**)؛ لأنه ليس في الفاصلة.

لذلك يذهب **الزمخشري** إلى أن الحذف هنا- أي حذف المفعول في الموضعين- جاء لأن المقصود هو الفعل لا المفعول وأن الفعل هو المهم في الحكم[٤]. وذهب **السكاكي** إلى أن الحذف هنا للاختصار[٥].

ويجنح الأسلوب القرآني كثيراً إلى الاختصار وخاصة في السور المكية، وذلك كما في قوله تعالى:

---

(١) ينظر: حول الإعجاز البلاغي في القرآن: ٥٤.

(٢) سورة الليل : ٥.

(٣) ينظر: الكشاف: ٤/١٣٦٠.

(٤) ينظر: الكشاف: ٤/١٣٦٠.

(٥) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٢٩ و البرهان في علوم القرآن: ٣/١٧٧.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ٤٨﴾[1] وغيرها من المواضع، وذلك لأن القرآن في العهد المكي ليس في حالة إطالة وشرح بل هو في حالة إبلاغ للناس وترغيب في القرآن والدين الإسلامي.

فضلاً عما في حذف المفعول من دلالة العموم، أي: إنه يُخرج السياق بهذا الحذف إلى صيغة العموم ، غير خاص بأحد، ولم يكن هذا المعنى إلا عن طريق الحذف في مثل هذه المواضع؛ ليكون القرآن صالحاً لكل زمان ومكان[2].

ومن مواضع الحذف لأجل الفاصلة عند ابن الصائغ قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧﴾[3]، أي: إنه قد حُذف متعلق أفعل التفضيل (**أخفى**)؛ لأجل الفاصلة القرآنية وتناسقها ففي ذكره خروج عن ذلك التناسق[4]. فتقدير المتعلق المحذوف هو: (**منه**)، أي: إن الله يعلم السر وأخفى منه أيضاً[5].

---

(١) سورة النجم : ٤٨. والمعنى هو الذي منه الاغناء والإقناء دون النظر إلى المفعول، إذ القصد إثبات الفعل للفاعل واختصاصه بهذه الأفعال دون غيره. ينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ٢٦٦.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٥٢/٤ ومحاسن التأويل: ١٧/٣٣٦-٣٣٧.

(٣) سورة طه : ٧.

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٢٩٩/٣.

(٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: ٥٠٢.

إن (**أخفى**) هنا في هذا السياق هي أفعل تفضيل على أصح الأقوال[١]. فيكون المحذوف هنا هو المتعلق بأفعل التفضيل وهو الجار والمجرور، ونحن مع ابن الصائغ في أن ذكر هذا المتعلق يحدث خللاً في التناسق الإيقاعي لفواصل السورة التي تنتهي بالألف المقصورة ولكن من قال أن السياق يتطلب ذكر هذا المحذوف أو حتى تقديره، فالمعنى من الوضوح بمكان ما يغنينا عن التأويل والتقدير. فالسياق يعبر عن المعاني في تدرج، ذلك أنه لما بيّن في الجملة الأولى أن الله يعلم السر أراد أن يبين للسامع بعدها أن علمه سبحانه يتعدى ذلك فهو(**يعلم ما أسررته إلى غيرك وأخفى من ذلك وهو ما أخطرته ببالك أو ما أسررته في نفسك وأخفى منه**)[٢] أيضاً. وفي عدم ذكر هذا المتعلق اتساع المعنى وتعدده كما في إشارة الزمخشري. وهذه حالة مطردة في أسلوب القرآن الكريم[٣].

لذلك فإننا نميل إلى أن الحذف قد حقق الأمرين معاً؛ دقة المعنى واتساعه، والمحافظة على تناسق الفواصل في السورة، ويمكن أن يطّرد هذا في المواضع المشابهة كلها.

وللتقديم والتأخير علاقة وثيقة بجمال الصياغة، وحسن الجرس الإيقاعي في بناء الجملة القرآنية، فالتقديم والتأخير يكون لأسباب معنوية كالتشويق، والإثارة، والاختصاص، والاهتمام، وغيرها علاوة على الأسباب

---

(١) ينظر: الكشاف: ٢/٧٠٠.

(٢) الكشاف: ٢/٧٠٠.

(٣) وللمزيد من التفصيل ينظر: هذا البحث:٣٩-٤١.

الفنية في الجملة ومنها، مناسبة التقديم والتأخير للفاصلة. فيمكن أن تخرج الجملة عن نظام رتبة العناصر فيها؛ لتناسب فاصلة الآيات أو الجمل القرآنية. مضافاً إلى ذلك أسباب أخرى كما سنرى في هذه الموضع.

ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[١]، فقُدم المفعول به الثاني **(الجحيم)** على **(صلّوه)** وكذلك الجار والمجرور **(في سلسلة)** على **(فاسلكوه)** لمراعاة الفواصل فضلاً عن الاختصاص: أي لا تصلّوه إلا الجحيم وهي النار العظمى ولا تسلكوه إلا في هذه السلسلة، كأنها أفظع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم[٢].

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[٣]، فقد تقدم المفعول في الجملتين وهو **(اليتيم)** في الجملة الأولى و**(السائل)** في الجملة الثانية والأصل في ذلك تأخيره، وقد جاء ذلك التقديم مراعاة لنسق الفواصل من جهة والى الاختصاص من جهة أخرى، أي للعناية والاهتمام بالمقدّم[٤].

ولعل ابن الأثير كان مصيباً حينما أرجع ذلك إلى الاختصاص، ونظم الكلام، ولم يقل بأحدهما[٥].

---

(١) سورة الحاقة: ٣٠-٣٢

(٢) ينظر: الكشاف: ٤/١٢٨٢.

(٣) سورة الضحى: ٩-١٠.

(٤) ينظر: الصوت اللغوي في القرآن : ١٤٦-١٤٧.

(٥) ينظر: المثل السائر: ٢/٢٤٣-٢٤٤.

بينما عزا ذلك **الدكتور إبراهيم أنيس** إلى مراعاة الفاصلة القرآنية، إذ لا يصح للمفعول به أن يسبق ركني الإسناد في الجملة المثبتة، كما يذهب إلى ذلك أصحاب البلاغة(١).

ويذهب **الدكتور محمد أبو موسى** إلى أنه لا تزاحم في النكات والأسرار في كل الشواهد المماثلة في التقديم ، فإن التقديم يفيد الفائدتين: **(فائدة معنوية وهي الاختصاص وفائدة لفظية– وهي في تقديرنا جزء من التعبير كالمعنى تماماً– وهي الحفاظ على التنغيم الآخذ والتوازن الصوتي الذي يشارك مشاركة فعالة في تحريك القلوب وبعث خوافي الإحساس والشعور، ويدرك هذه الحقيقة مّن ذاق حلاوة الترتيل وجمال التنغيم في هذا القول الحكيم)**(٢).

ففي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ** ﴿٤٤﴾ ﴾(٣)، نلاحظ تقديم **(أنفسهم)** في سياق الآية وفي بناء الجملة له أوجه عدة، فهو من حيث النسق يؤدي إلى توافق الفاصلة القرآنية مع الفواصل السابقة واللاحقة؛ ذلك أن الفاصلة في آيات السورة تُختم بواو المد أو يائه والنون، ولو كانت الجملة على بنائها النمطي – الأساسي – **(ولكن الناس يظلمون أنفسهم)**؛ لاختل هذا التناسق. أي: إن التقديم – المفعول به– قد أدى وظيفة التناسق الصوتي في الفاصلة والسورة، ومن ناحية

---

(١) من أسرار اللغة: ٣١٢.

(٢) خصائص التراكيب: ٣١٤.

(٣) سورة يونس : ٤٤.

أخرى فإن التقديم قد أدى إلى دلالة معنوية أخرى، وهي الاختصاص، أي: تخصيص الناس بظلم أنفسهم وذلك إذا حددنا الموقع الإعرابي لكلمة(**أنفسهم**) على أنها مفعول به للفعل يظلمون، وبذلك يقودنا الاختصاص إلى التوكيد، أي توكيد الاختصاص بالظلم بكونه يصدر من الناس ولا يصدر من الله – تعالى الله عن ذلك – علماً أن نظام الجملة يسمح بحذف المفعول به فضلاً عن تقديمه إذا اقتضى السياق القرآني ذلك والسياق ينفي الظلم عن الخالق ﷻ ويؤكد بأنه يصدر عن الناس، ونظام الجملة يجعل أو يجوّز أن يكون التوكيد بوسيلة تقديم المفعول أو بالتوكيد المعنوي بألفاظ بينها **النفس** التي جاءت مجموعة في الآية على (**أفعل**) مضافة إلى الضمير في (**أنفسهم**)، وبذلك أباح لنا نظام الجملة أكثر من وجه، فإذا قلنا بأن(**أنفسهم**) توكيد فلا يوجد مانع من ذلك. وإذا قلنا بأنها مفعول به لا نجد ما يمنع ذلك. ويُترك الاختيار لنا بناءً على أسلوبية الجملة القرآنية في التعبير عن المعنى، وبناءً على التوافق الموجود في الآية فإن من المناسب أن تكون (**أنفسهم**) مفعولاً مقدماً للأسباب التي ذكرناها آنفاً؛ ولوجود الفعل(**يظلم**) في سياق الآية نفسها[1].

ومن المواضع التي قُدم فيها المفعول على الفاعل وعللوا ذلك التقديم بأنه تقديم لغرض التناسق اللفظي هو قوله تعالى: ﴿**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾**﴾[2]، وأصل البناء في الجملة هو: **فأوجس موسى في نفسه**

---

(١) ينظر: بناء الجملة العربية: ١١٣.

(٢) سورة طه : ٦٧.

خيفة. لكننا عندما نقارن الجملة الأخيرة بجمل السياق السابقة واللاحقة لها يُظن أن التقديم جاء هنا لغرض إيقاعي أو تناسب إيقاعي بين هذه الجمل في فاصلتها المبنية على الألف. إلا أننا عندما نمعن النظر في سياق هذه الآيات فإننا لا نستطيع أن نسّلم بهذا الغرض الفني ونعزوه للقرآن، فالقرآن لا يعجز عن اختيار ألفاظه؛ إلا أن الأسلوب القرآني يلجأ إلى هذا اللون من الصياغة في الجملة – أي التقديم والتأخير– لأنه أحد الوسائل المهمة التي يستخدمها القرآن لغرض التأثير في نفس المتلقي، لاسيما وأن تأخير الفاعل في نظام الجملة؛ يوحي بالاهتمام لما قُدم، وهو ما يحس به موسى عليه السلام من خوفٍ مما ألقوه السحرة من حبالهم وعصيهم، وهذا يخرجه من زمرة السحرة علاوة على كونه – أي موسى– معروفاً، فقد ذُكر في سياق الآيات التي قبلها؛ ولكن أُعيد ذكره هنا مرة أخرى ليدل على أن الخوف لم يكن موجوداً عنده إلا بعد أن رأى ما ألقى السحرة؛ فأراد الله أن يخبر بألا يخاف؛ فقُدم ذكر الخوف على ذكر موسى[١].

وفيما يبدو أن هذا التقديم قد حقق مطلبين في آن واحد، **الأول**: الاهتمام بالمفعول به وبيان أنه المقصود، و**الثاني**: التناسق الإيقاعي للفاصلة القرآنية مع الآيات التي في سياقها.

ويذهب **ابن الأثير** إلى أن التقديم في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٢] وقوله تعالى:

---

(١) ينظر: من بلاغة القرآن: ١١٣-١١٤ والصوت اللغوي في القرآن : ١٥٤.

(٢) سورة القيامة: ٢٢-٢٣.

﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾[١] وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٣] إنما جاء لمراعاة الحسن في نظم الكلام وتناسق الفاصلة القرآنية[٤].

فالتقديم في (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) ليطابق رؤوس الآي في السياق نفسه وهي ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾[٥] وكذلك قوله تعالى(إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) وكذلك الأمثلة الأخرى.

فيذهب ابن الأثير إلى أنه لو لم يتقدم الجار والمجرور في هذه المواضع؛ لفسد حسن النظم فضلاً عن أن التقديم هنا يفيد الاختصاص. ولكنه يستدرك ويقول أن الاختصاص هنا مفهوم من طبيعة المعنى. فالمساق ليس إلا إلى ربك، والمستقر ليس إلا إليه ﷻ وغيرها من توكل وإنابة، أي: إن الاختصاص مفهوم من قرائن أخرى غير التقديم موجودة في سياق الجمل الواردة [٦].

---

(١) سورة القيامة: ٢٩-٣٠.

(٢) سورة القيامة: ١٢.

(٣) سورة هود من الآية: ٨٨.

(٤) ينظر: المثل السائر: ٢/٢٤٧-٢٤٨.

(٥) سورة القيامة: ٢٠-٢٥.

(٦) ينظر: المثل السائر: ٢/ ٢٤٧ وخصائص التراكيب: ٣١٣-٣١٤.

ونحن نتفق مع كثير من البيانيين الذين لا يرون تفسير الخصائص البلاغية في أسلوب القرآن يرجع إلى حسن النظم أو مراعاة الفاصلة وغيرها من الأمور التي تخص اللفظ كالإيقاع مثلاً (١).

وإذا كان الاختصاص مفهوم من غير التقديم، فإن هذا لا يعني أن يتجرد التقديم للحسن السجعي أو الإيقاعي؛ وذلك لأن لهذا التقديم فضيلة أخرى، وهي لمزيد العناية بمعناه؛ لأن الأهم في المساق كونه إلى ربك والأهم في النظر أنه إلى ربها والإنابة إلى الله أيضاً- وفي ذلك ترسيخ للعقيدة الإسلامية في قلوب المسلمين- وتأخير الجار والمجرور في هذه السياقات جميعاً والسياقات المشابهة لا يذهب بالحسن النظمي فحسب، وانما يذهب بهذه الفضيلة المعنوية الجليلة(٢).

يضاف إلى ما ذُكر آنفاً أنه في مواضع كثيرة قد ورد تقديم الجار والمجرور على عامله أو على ما يتقدمه رتبةً في الجملة من دون أن يكون هذا الجار والمجرور فاصلة في الآية، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾(٣) قد ذُكر الجار والمجرور(**من أقصى المدينة**) بعد الفاعل(**رجل**) إلا أنه في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾(٤)

---

(١) ينظر: الإعجاز البياني للقرآن: ٢٥٧-٢٥٨.

(٢) ينظر: خصائص التراكيب: ٣١٤-٣١٥.

(٣) سورة القصص: ٢٠.

﴾[1] قد تقدم الجار والمجرور على الفاعل وفي الموضعين لم يكن الجار والمجرور في فاصلة الآية، وإنما التقديم والتأخير جاء لغرض بلاغي وأسلوبي يتطلبه المعنى في الموضعين. أو كما في قوله تعالى:﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾[2] مقيساً على قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾[3] وغيرها من الظواهر اللغوية الموجودة أثناء الجملة القرآنية التي لم تقتصر على الحفاظ على نسق الفواصل فحسب[4].

ومن الشواهد التي ذكرها ابن الصائغ على حكم تقديم المعمول على معمول آخر يسبقه في الرتبة، قوله تعالى ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾[5]، فقدم الجار والمجرور **(من آياتنا)** على**(الكبرى)** وهي المفعول به، وكلاهما معمول للفعل **(نريك)**. والأصل في الجملة عند ابن الصائغ هو:**(لنريك الكبرى من آياتنا)**، فقدم الجار والمجرور على المفعول به؛ لأجل مراعاة نسق الفواصل في آيات السورة[6]. ويبدو أن ابن الصائغ قد استند في هذا

---

(١) سورة يس: ٢٠.

(٢) سورة الجاثية: ٣٦.

(٣) سورة الفاتحة: ٢.

(٤) ينظر: حول الإعجاز البلاغي في القرآن: ٥٤-٥٥ .

(٥) سورة طه:٢٣.

(٦) ينظر الإتقان في علوم القرآن: ٣/٢٩٦.

الحكم على أحد الوجهين الإعرابيين للجملة القرآنية؛ ولم يشرح الوجه الآخر، مع أن الوجه الذي اختاره بعيد عن المعنى المقصود في الآية الكريمة، زيادة على كون الوجه الإعرابي الآخر الذي أغفله، والذي ذكره غير واحد من المفسرين أكثر ملاءمة للمعنى وتضافراً مع سياقه. فالوجه الإعرابي الآخر هو أن لفظة (**الكبرى**) هي صفة للآيات، وأن المعنى هو: لنريك بعض آياتنا. وفيما يبد وأن هذا الرأي هو الأرجح، إذ هو لا يتضمن ما يتضمنه من نسبة التفاوت كبراً وصغراً إلى آيات الله –عز وجل– بل يدل على أن العصا واليد هما بعض آياته جل شأنه التي كل منها في ذاتها كبرى(١).

وعلى هذا الوجه الإعرابي وما يعطيه من معنى ينتفي أن يكون في الجملة فضلاً عن الآية تقديم وتأخير لأجل الفاصلة.

وإذا كانت هذه الظواهر كالحذف والتقديم والتأخير وغيرها من الظواهر قد وقعت في أثناء الجمل أو الآيات وكذلك قد وقعت في فواصل تلك الآيات على السواء فمن التعسف أن نردها إلى هذا الملحظ فقط ونترك بقية الأسرار والنكات البلاغية والجمالية الأخرى الكامنة خلف تلك الظواهر في أسلوب القرآن الكريم(٢).

الفاصلة وسياق الجملة القرآنية

---

(١) ينظر الكشاف:٢/٧٠٤ وتيسير الكريم الرحمن:٥٠٤ وحول الإعجاز البلاغي في القرآن: ٥٠-٥١.

(٢) للمزيد من التفصيل. ينظر: حول الإعجاز البلاغي في القرآن: ٥٥-٦٧.

وهذه الظاهرة من الظواهر الأسلوبية والجمالية اللافتة للنظر في السياق القرآني، إذ يُورد السياق في موضعين مختلفين آيتين متشابهتين إلا أن جملتي فاصلتهما مختلفتان، وهذا الملحظ الأسلوبي في غاية الدقة والجمال في التعبير الفني القرآني.

ومن ذلك ما ورد في سياق سورة إبراهيم عليه السلام وهو قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)﴾[١]، وفي سورة النحل وهو قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨)﴾[٢].

والملاحظ أن كل من السياقين قد احتوى على جملتين، الجملة الأولى في السياق الأول مشابهة تماماً للجملة الأولى في السياق الثاني من حيث الألفاظ، والترتيب والنسق الإعرابي، أما الجملة الثانية – وهي جملة الفاصلة القرآنية– في السياق الأول فتختلف عن الجملة الثانية في السياق الثاني من ناحية الألفاظ، والمعنى ولكنهما متشابهتان من ناحية البناء والنسق الإعرابي. والسبب في ذلك يرجع إلى أمرين، **الأول:** أن خاتمة كل من الآيتين ينسجم إيقاعياً مع الآيات التي وردت في سياق السورة نفسها. **والثاني:** أن هذه الفاصلة في الموضعين قد حققت الانسجام المعنوي مع ما ورد معها من ألفاظ في السياق نفسه. ففي السياق الأول كان الوصف

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٤.

(٢) سورة النحل : ١٨.

للمُنعَمِ عليه وهو الإنسان، أما السياق الثاني فكان الوصف للمُنعِم وهو الله ﷻ. ففي السياق الأول كأن الله عز وجل يقول: أنا المعطي وأنت الآخذ المستفيد فحصل لك – أيها الإنسان– عند أخذها وصفان: كونك ظلوماً وكونك كفّاراً، ولي عند إعطائها صفتان: أقابل ظلمك بغفراني، وكفرك برحمتي[١].

كما أن سياق سورة إبراهيم عليه السلام يصف الإنسان وما جُبِل عليه فناسب ذكر ذلك عقب أوصافه بأنه لظلوم كفار، ففي الآية السابقة لهذه الآية بخمس آيات يقول تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾[٢] ثم ذكر إنعامه على عباده في الآية التي بعدها في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾[٣]. إلى أن قال﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾[٤] فناسب ما ذكره تعالى من توالي إنعامه ومقابلة ذلك كله من العبيد بالتبديل وجعل الأنداد بأن يصف الإنسان بأنه ظلوم كفار.

---

(١) ينظر: ملاك التأويل:٢/٧١٢.

(٢) سورة إبراهيم : ٢٨ .

(٣) سورة إبراهيم: ٣٢.

(٤) سورة إبراهيم من الآية: ٣٤.

وأما آية النحل فسيقت في وصف الله تبارك وتعالى واثبات إلوهيته وتحقيق صفاته وذكر النعم الكثيرة التي أسبغها على الإنسان فناسب ذكر وصفه بأنه غفور رحيم في ختام الآية؛ لتكون هي الفاصلة المناسبة لتلك النعم. فبعد أن عبر عن نعمه على الإنسان من لدن قوله: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾[1] ثم توالت آيات الامتنان والإحسان فقال:﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[2] وبعد أن فرغ من تعداد تلك النعم والمنافع قال﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[3] منبهاً وموقظاً من الغفلة والنسيان، ثم أتبع ذلك مباشرة قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[4] فناسب ختام هذا قوله:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[5]. وهذا يعني أن السياق القرآني راعى مرة موقف الإنسان من نعم الله فهو ظلوم كفار وأخرى مقابلة الله ﷻ نكران الجميل والظلم والكفر بالنعم بالغفران والرحمة، وكان ختام الآية بما ختمت به؛ لأنها كانت في معرض الحديث عن صفات الإنسان، وكانت الثانية في معرض الحديث

---

(١) سورة النحل: ٤.

(٢) سورة النحل: ٥.

(٣) سورة النحل من الآية: ١٧.

(٤) سورة النحل من الآية: ١٨

(٥) سورة النحل من الآية: ١٨

عن الله – تبارك وتعالى – فناسب ختم الآية بفاصلة مناسبة لذكر صفاته فكانت المغفرة والرحمة[١].

ونلاحظ اختلاف جملة الفاصلة أيضاً في قوله تعالى من سورة الأنبياء: ﴿وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾[٢]عن قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿فَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾[٣].

وهذا موضع دقيق لاستعمال الفاصلة في السياق القرآني، فالأخسرون هم الأسفلون؛ ولهذا كان مطلب الكفار في الآخرة وتمنيهم لو أُعطوا ذلك، وهو إلحاق من أضلهم من الجن والإنس في الأسفلين. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾[٤]، فالصفتان من الخسران والسفالة غاية حالة الكافر يوم القيامة، ومن كان في الأسفلين فقد خسر خسراناً عظيماً. ولا فرق بين الصفتين سوى أن السفول لاحق في ذات المسفل، أما الخسران فهو جزاء أو حقيقة تحيط به من الخارج، لذلك فالسفول أبلغ، فقدّم ما هو لاحق خارجي وأُخر ما لا يتعدى ذات المتصف. ولهذا الفرق بين الصفتين

---

(١) ينظر: ملاك التأويل: ٢/٧١٨-٧٢٠ و من بلاغة القرآن: ٨٤ ووجوه من الإعجاز القرآني: ٣٦-٣٧ والتعبير القرآني: ١٩٧-١٩٨ ومدخل إلى علوم القرآن وتفسيره: ٢٠٠-٢٠١.

(٢) سورة الأنبياء من الآية: ٧٠.

(٣) سورة الصافات: ٩٨.

(٤) سورة فصلت: ٢٩.

استعمل السياق صفة(**الأخسرين**) في سياق سورة الأنبياء؛ لأنها مسبوقة بقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[1]فكان المراد من حرق إبراهيم نصر آلهتهم التي أساء إليها. ولم يرد في السياق بأنهم قد بنوا له بنياناً ليكون في أسفل النار كما في سياق سورة الصافات حيث قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴾[2]؛ ذلك لأنهم أرادوا في بناء البنيان أن يكون إبراهيم عليه السلام في أسفل النار فلذلك خُتمت الآية بقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ وهذا من دقة التناسق في المعاني في أسلوب القرآن الكريم[3].

وقد تختلف الفاصلتان في سياقين مختلفين ويكون المتحدَّث عنه واحداً إلا أن سياق الآيات مختلف. ففي سورة النساء يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[4] وقال أيضاً في السورة نفسها بعد سبعين آية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا

---

(١) سورة الأنبياء من الآية: ٦٨-٦٩.

(٢) سورة الصافات: ٩٧.

(٣) ينظر: ملاك التأويل: ٢/٨٤٠-٨٤٢.

(٤) سورة النساء: ٤٨.

﴿بَعِيدًا﴾[1]؛ والسبب في هذا الاختلاف في جملة الفاصلة، مع أن المعنى في السياق متشابه، يرجع إلى السياق العام للآيات، فقد ذُكر قبل الآية الأولى أهل الكتاب واعتداؤهم وتحريفهم المتمثل في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾[2]، ثم قال بعد هذا: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[3]، وفي ذلك إفصاح عن كذبهم وافترائهم فاتبع ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[4].

وهذا مناسب لما تقدم من أوصاف الشرك، وهو الافتراء على الله ﷻ الذي هو اخص صفات الكذب والإثم الذي يتصف به أهل الكتاب، فالشرك افتراء على الله بالولد والزوجة الذي يقول به هؤلاء المشركون من أهل الكتاب.

أما مع الآية الثانية التي خُتمت بقوله (**فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً**) فلم يتقدمها مثل ذلك، إنما تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾[5] وكذلك في الآيات التي قبلها فهي تخص المنافقين

---

(١) سورة النساء: ١١٦.

(٢) سورة النساء من الآية: ٤٤

(٣) سورة النساء من الآية: ٤٦.

(٤) سورة النساء: ٤٨.

(٥) سورة النساء من الآية: ١١٥.

في زمنه ﷺ فلم يقع في هذا السياق ذكرٌ للتحريف والافتراء الذي كان عند أهل الكتاب بل ذُكِر المنافقون في المدينة وما صدر منهم من إتباع الهوى والانحراف عن الطريق الصحيح فناسب ذلك أن تختم بقوله **(وَمَن يُشْرِكْ بِاللّـهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً)** وهذا يعني أن جملة الفاصلة قد جاءت مختلفة في السياقين لتناسب المعنى في كلٍ من السياقين الذين وردت بها الآيتان . فجاء كل على ما يجب(١).

٥- العدول بين الجمل :

ينتقل الأسلوب من التعبير **بالجملة الاسمية** إلى التعبير **بالجملة الفعلية** أو بالعكس ليفيد دلالة معينة، فضلاً عن التغير الزمني الحاصل بين جمل السياق متمثلاً بتغير الأفعال المستعملة في ذلك التعبير.

وقبل أن نتحدث عن العدول في أسلوب الجملة القرآنية لابد من أن نعرف الفرق الدقيق بين دلالة صيغة الفعل على معنى ما، ودلالة صيغة الاسم على المعنى نفسه.

فالأصل في صيغة الاسم تدل على الثبوت من غير إفادة التجدد، وصيغة الفعل تدل على الحدوث والتجدد، ويظهر هذا واضحاً في قولنا: هذا الشيء أبيض، فهذا يعني أن صفة البياض ثابتة لا تحدث فيه ولا تتجدد كبياض اللبن مثلا. أما إذا قلنا هذا الشيء يبيض فهذا يعني انه

---

(١) ينظر: ملاك التأويل: ٣٤٧/١-٣٤٨ . وللمزيد من التفصيل والأمثلة على ذلك، ينظر: ٣٩٦/١-٢٩٩ و ٣٢٣-٣٢٤ و ٣٥١-٣٥٢ و ٣٩٢-٣٩٣ و ٧١٨/٢-٧١٩ و ٩٤٨-٩٤٩ والتعبير القرآني: ١٩٧-٢١١.

يتحول إلى البياض شيئاً فشيئاً، فبياضه يحدث ويتجدد. فإذا علم ذلك الفرق، فانه لا يصح أحدهما موضع الآخر فلكل منهما سياق يقتضيه، وصورة من المعنى لا يدل على غيره(١).

فلو نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾(٢) وجدنا أن التعبير بالاسم (**باسط**) يفيد أن الكلب كان على هيئة وصفة ثابتة هي بسط الذراعين بالباب، بيد أنه لو كان التعبير بالفعل وقيل: يبسط ذراعيه، لكان المعنى أن الكلب يحدث البسط ويزاوله ويتجدد منه شيئا فشيئا وليس هذا المراد قطعاً. وإنما المراد هو أن الكلب باسط ذراعيه بالباب، وهذا التعبير يمهد للصورة الثابتة الجامدة لفتية الكهف يخيم عليها شعور بالمهابة والخشية المعبَّر عنه بقوله تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ الكهف: ١٨(٣).

ويتجلى لنا هذا الفرق بين التعبير بالاسم والفعل في سياق قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ﴾(٤)، فنلاحظ أن السياق القرآني قد عبر عن الصف بالاسم فقال: **صافات**، وعبّر عن القبض بالفعل المضارع فقال: **يقبضن**.

---

(١) ينظر: خصائص التراكيب: ٢٩٦-٢٩٧.

(٢) سورة الكهف **من الآية:** ١٨.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤/٦٦-٦٧ وخصائص التراكيب: ٢٩٨ والجملة العربية تأليفها وأقسامها: ١٨٥.

(٤) سورة الملك: ١٩.

يقول الزمخشري: (فإن قلت، لم قيل :ويقبضن ولم يقل قابضات؟ قلت: لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة؛ لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها، وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل، على معنى أنهن صافات ، ويكون منهن القبض تارة كما يكون من السابح)[١].

ونستطيع أن نقول بعد ملاحظة الزمخشري: إن طول المَدَّين في **(صافّات)** يمثل بسط الطير أجنحتها، بينما تمثل الوقفتان في **(يقبض)** التحرك الطارئ، وزمن المد أطول من زمن التحرك في الطيران، وهذه دلالة مهمة في استعمال الاسم والفعل في هذا السياق[٢].

والقول في الاسم والفعل يمكن أن يقال عن الجملة الاسمية والفعلية، فان من شأن الفعلية أن تدل على التجدد ومن شأن الاسمية أن تدل على الثبوت. والأسلوب القرآني يستعمل كلاً من الجملتين بشكل دقيق جداً في التعبير عن المعنى. فنجد السياق الكريم يعدل عن جملة إلى جملة أخرى لنكتة بلاغية ودلالية وأسلوبية مهمة ، وهذا العدول في الجمل يمكن أن يأتي على أنماط عديدة منها :-

---

(١) الكشاف: ١٢٧١/٤ وينظر: خصائص التراكيب: ٢٩٨ والمشاهد في القرآن الكريم: ١٣٣-١٣٤.

(٢) ينظر: جماليات المفردة القرآنية: ٢٤٥.

١- قد يعدل السياق الكريم عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية لتحقيق خصيصة فنية وذلك كما في سياق قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ ﴾[1].

فنلاحظ أن السياق القرآني قد عدل عن التعبير من الجملة الفعلية الدالة على الحدث مثل (**تبعثون**) أو(**تخلقون خلقاً جديداً**) إلى التعبير بالجملة الاسمية المصدرة بـ(**إن**) وهي قوله (**إنكم لفي خلق جديد**) وذلك للإشباع في الاستبعاد والتعجب[2].

ومثله قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[3]، فقد انصرف السياق الكريم عن التعبير بالجملة الفعلية، أي (**نملكها إياهم**) إلى التعبير بالجملة الاسمية (**فهم لها مالكون**)، والسبب في العدول إلى الجملة الاسمية للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرار تلك المُلكية[4].

ومن ذلك أيضاً قوله عز وجل: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾[5]. فان في إيثار الجملة الاسمية (**فمثله كمثل**

---

(١) سورة سبأ: ٧.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود: ٦/١٢٢-١٢٣.

(٣) سورة يس: ٧١.

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود: ٧/١٧٨ ومن أساليب التعبير القرآني: ١٥٦.

(٥) سورة الأعراف من الآية: ١٧٦.

الكلب) والعدول عن الجملة الفعلية كأن يقال **(فصار مثله كمثل الكلب)** والسبب في ذلك العدول هو للإيذان بدوام اتصافه بتلك الصفة الخسيسة وكمال استمراره عليها فتكون ملازمة له في كل حال[1].

وإذا تأملنا قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[2]، نجد أن السياق الكريم قد عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد كأن يقال وسخَّر أو يُسخِّر النجوم إلى الجملة الاسمية الدالة على الدوام والاستمرار[3].

٢- قد يقتضي المقام عدول السياق عن الجملة الاسمية والانصراف إلى الجملة الفعلية لبيان أن المعنى الأخير - الذي جاء بصيغة الفعلية- أمر متجدد وعظيم ولا يمكن الإحاطة به فمهما تصورته أو تخيّلته فهو أعلى درجة من ذلك كله، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾[4]. فنلاحظ أن السياق الكريم قد عدل عن الجملة الاسمية المناسِبة لما قبلها، كأن يقال **(وأجرهم أجر كريم)** أو **(لهم أجر كريم)**، وانصرف إلى الجملة الفعلية فقال تعالى: **(وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً)** ليعطي معنى المبالغة في الترغيب والتشويق إلى الوعد الذي

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود: ٣/٢٩٣ ومن أساليب التعبير القرآني: ١٥٧.

(٢) سورة النحل من الآية: ١٢.

(٣) ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ١٥٧.

(٤) سورة الأحزاب: ٤٤.

ينتظرهم في الجنة، فهو أجر متعدد الجوانب غير ثابت متمثل بالرحمة وآثارها من النعيم المتعدد والمتمثل بقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾[1] فهو يتجدد بتطلعات النفس وما تشتهيه[2] .

٣- ومن أبرز الملامح الأسلوبية للعدول في سياق الجمل القرآنية هو العدول من الجملة الاسمية إلى الجملة الفعلية أو العكس في السياق نفسه. فنجد أن السياق يجمع بين الجملتين في سياق واحد، ويكون المراد التعبير عن موقفين مختلفين.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾[3]. فالمنافقون قد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية (**آمنا**)، وهذا يدل على أن الإيمان حادث عندهم فقط أذا لقوا الذين آمنوا ، أي أنهم أحدثوه خوفاً ومداراة وأن هذا الإيمان ليس على الحقيقة وأنه غير ثابت وهذا شأن المنافقين يُظهرون الإيمان ويُبطنون الكفر. أما عندما خاطبوا شياطينهم وإخوانهم في الكفر جاءوا بالجملة الاسمية (**إنا معكم**) لتدل على الحقيقة الثابتة بكفرهم. وهذا ما يفسره خلو الجملة الأولى – الفعلية – من المؤكدات لأنها تدل على غير

---

(١) سورة ق: ٣٥.

(٢) ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ١٥٧.

(٣) سورة البقرة: ١٤.

الحقيقة، ودخول المؤكدات في الجملة الثانية – الاسمية – لتعبر عما في نفوسهم من حقيقة عقائدية صادقة بالكفر والثبات على ذلك[1].

ونلاحظ كذلك العدول من الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية في سياق قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾[2]. فقالوا في الجملة الأولى (**أجئتنا**) بالفعل ثم قالوا في الجملة الثانية (**أنت من اللاعبين**) بالاسم أي أن السياق لم يسوِّ بين طرفي التسوية في مجيء الجملتين على صيغة واحدة[3]، وذلك لتشير الجملة الفعلية إلى التجدد والحدوث أي أن مجيئك بالحق أمر حادث منك، وعبروا بالجملة الاسمية ثانياً في قولهم (**أنت من اللاعبين**) لتفيد الاستمرار والدوام وكأنهم عهدوا منه اللعب، وأنهم لم يعهدوا عليه غير اللعب وكأنها صفة ملازمة له. ولو أنهم قالوا: أم لعبت لأفادوا أن اللعب طارئ حادث وأنه كان قبل ذلك جاداً غير هازل، وهذا مالا يعنونه لأن انصراف السياق عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية (**أنت من اللاعبين**) فيه إيذان برجحانه عندهم[4] .

---

(١) ينظر: الكشاف: ٣٢/١ والإيضاح: ٥٩ وخصائص التراكيب: ٣٠١ والمعاني في ضوء أساليب القرآن: ١٤٩ وأسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ٢٠٦-٢٠٧.

(٢) سورة الأنبياء: ٥٥.

(٣) ومثل هذا العدول ما ورد في سياق قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴾ (الأعراف: ١٩٣) فقال (دعوتموهم) بالفعل ثم قال (أم أنتم صامتون) بالاسم ولم يسوِّ بين الطرفين.

(٤) ينظر: الإيضاح: ٦٠ وخصائص التراكيب: ٣٠٠.

وقال سبحانه وتعالى وهو يحدثنا عن نعَمَه التي أنعم بها على عبده داود ﷺ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾[1]، ففي السياق عدول من الجملة الفعلية وهي قوله **(يسبحن)** إلى الاسمية وهي قوله **(والطير محشورة)** والسر البياني في هذا العدول من الفعلية إلى الاسمية هو أن تسبيح الجبال يحدث ويتجدد لداود ﷺ أما حشر الطير فليس كذلك، فإن الطير لا تحشر شيئاً فشيئاً بل تُحشر جملة واحدة .

يقول الزمخشري: (فإن قلت: هل من فرق بين **(يسبحن)** و **(مسبحات)** ؟ قلت: نعم. وما اختير **(يسبحن)** على **(مسبحات)** إلا لذلك، وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حالٍ، وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ... وقوله: **(محشورة)** في مقابلة **(يسبحن)** إلا أنه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئاً بعد شيء، جئ به اسماً لا فعلاً. وذلك أنه لو قيل: وسخرنا الطير يحشرن – على أن الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل – لكان خلفاً ، لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة[2].

وهكذا نستطيع أن نتبين فرقاً دقيقاً في إيثار الجملة الفعلية **(يسبحن)**؛ لأنها تدل على أن التسبيح المقصود من الجبال ليس هو ذلك التسبيح

---

(١) سورة ص: ١٨-١٩.

(٢) الكشاف: ١٠٣٠/٤ وينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ٩٤-٩٥.

الدائم، بل هو تسبيح خاص بنبي الله داود عليه السلام يتجدد منها التسبيح بتجدد تسبيحه، وتلك الدلالة تدعمها دلالة الظرف (**معه**) وتقديمه على الفعل (**يسبحن**) في سياق الآية الأولى، فضلاً عن ذلك أن من شأن الطير الحركة وسرعة التنقل من مكان إلى مكان. والتعبير عن حشرها بالصيغة الاسمية (**محشورة**) فيه دلالة على أنها حين تحشر أو تتجمع لتجاوب تسبيح داود عليه السلام تكاد تفارق طباعها فتثبت في مكان حشرها خاشعة وكأن هذا الحشر هو حشر دائم مستمر. فناسب بين حركة الطير وثباتها في الحشر وثبوت الجبال وتجدد تسبيحها[1].

ومن الأمثلة الدقيقة في العدول من الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية في الأسلوب القرآني قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[2]، حيث جاء العدول في هذا السياق بالتحول من الجملة الفعلية (**يخادعون الله**) إلى الجملة الاسمية (**وهو خادعهم**). والمتأمل يجد أن هناك جناساً جزئياً بين الجملتين متمثلاً في (**يخادعون**) و(**خادعهم**)، إلا أن الفرق بينهما واضح فالفعل المضارع يدل على التجدد، أما اسم الفاعل فيدل على الدوام، وفي هذا التحول تبكيت لهؤلاء المنافقين الذين تسول لهم أنفسهم المريضة بمرض النفاق أن إيمانهم الزائف قد أتى بثماره في خداع

---

(١) ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ١٠٨.

(٢) سورة النساء: ١٤٢.

المؤمنين وان كفرهم في مأمن من الافتضاح غافلين عن كون الخالق ﷻ يعلم ما يسرون وما يعلنون.

ولو نظرنا إلى اسم الفاعل (**خادع**) لوجدنا أنه مصاغ من الفعل الثلاثي (**خَدَعَ**) لا من الرباعي (**خَادَعَ**) الذي يدل على المفاعلة، والذي يقتضيه ظاهر السياق لمجيء المضارع منه (**يخادعون**)، وفي ذلك دلالة على أن هؤلاء المنافقين الذين يمعنون في محاولات الخداع في حقيقة الأمر هم المخدوعون[1]. وهذا ما يؤكده القرآن في سياق آخر، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[2].

يضاف إلى ذلك أن السياق قد عبر عن خداع المنافقين بالجملة الفعلية؛ لأسباب منها، أن خداع المنافقين ليس دائماً أو ثابتاً، فالمنافقون يتقلبون في حالين اثنين، فإذا كانوا مع أمثالهم ظهروا على سجيتهم وطبيعتهم -أي حقيقتهم- وأما إذا كانوا مع المؤمنين فأنهم يظهرون الإيمان ويضمرون الخداع، ومنها أن هذا الخداع مكشوف عند الخالق ﷻ فهو ليس خداعاً حقيقياً لأن الله لا يُخدع ومن أجل ذلك عُبّر عنه بالجملة الفعلية، أما الجملة الثانية التي عَدِل السياق إليها وهي (**وهو خادعهم**) فجاءت اسمية لتدل على الثبوت والدوام فضلاً عما تؤديه الجملة الاسمية من توكيد المعنى وتقويته[3].

---

(١) ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ١٠٧.

(٢) سورة البقرة: ٩.

(٣) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١/٩٣-٩٤.

العدول في زمن الجملة:

عندما نتحدث عن الزمن في الجملة فنحن نعني بذلك استعمال الأفعال في الجملة الفعلية؛ لأن الجملة الاسمية غير مرتبطة بزمن، فلو نظرنا إلى سورة الفاتحة، وجدنا أن الخالق ﷻ قد بدأها بالجملة الاسمية (**الحمد لله رب العالمين**)؛ لأن الجملة الاسمية غير مرتبطة بزمن خاص خلافاً للفعلية فهي مرتبطة بزمن معين بحسب المسند الذي ورد فيها، فالفعل المضارع يدل على الحال أو الاستقبال أو على الماضي بدخول بعض القرائن أو الأدوات كما في دخول (**لم**) على الفعل المضارع.

وفي سورة الفاتحة جاء الحمد لله بالجملة الاسمية لأن الخالق ﷻ لا يريد أن يقيد الحمد بزمن دون زمن لأن الجملة الاسمية تدل على الثبوت والدوام وان الفعلية تدل على التجدد والحدوث، فضلاً عن إلصاق صفة الحمد بلفظ الجلالة واختصاصه بها دون سواه. ولذلك فنحن لا نميل إلى قراءة النصب في (الحمدَ لله)(١) لأن هذا يعني أنها جملة فعلية. والجملة الاسمية أقوى وأثبت من الفعلية لأنها تدل على الثبوت كما مرَّ إيضاحه(٢).

والسياق القرآني يستعمل الأفعال بدقة متناهية لتدل على الحدث والزمن معاً، فلذلك يفرق السياق بين استعمال المضارع والماضي بحسب الزمن المراد من ذلك الفعل. فلو نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي

---

(١) وهي قراءة مروية عن سفيان بن عيينة ورُؤبة بن العجاج. ينظر: الجامع لحكام القرآن: ١/٩٥ .

(٢) ينظر: لمسات بيانية: ١٠-١٤ .

←

ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[3]. ففي كل من الآيات الثلاث عدول في زمن الجملة القرآنية متمثل في العدول من صيغة الماضي إلى صيغة المضارع (**سخر يمسك**) و(**أنزل فتصبح**) و(**أنزل ثم يخرج**)، وهذا العدول في صيغة الفعل فيه فارق في أداء المعنى أو الدلالة على الحدث، فالمعنى مع الفعل الماضي يكون الأمر مقطوعاً بحدوثه بزمن مضى. أما مع الفعل المضارع فهو أمر يتجدد حدوثه بتجدد الزمن. كما أن صيغة المضارع تنفرد دون صيغة الماضي بالقدرة على إثارة المعنى واستحضار صورته في الزمن الحاضر لدى السامع حتى وكأنه يشاهدها[4].

---

(١) سورة الحج: ٦٥.

(٢) سورة الحج: ٦٣.

(٣) سورة الزمر: ٢١.

(٤) ينظر: المثل السائر: ١٩٥/٢ وتفسير أبي السعود: ١١٧/٦ وأسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ٩٦-٩٧ والمشاهد في القرآن الكريم: ٤٠٠ . ٤٠١.

وهذا العدول في الزمن من الماضي إلى الحاضر أو المضارع جاء في سياق الآيات الثلاث للفت نظر الإنسان وإثارة تأمله بما تضمنته من مشاهد كونية، وهذا اللفت مُعبّرٌ عنه بالعدول في زمن الجملة عن طريق العدول في صيغة الفعل فضلاً عن الاستفهام التقريري الذي صُدِّرت به الآيات الثلاث (**ألم ترَ...**) وبهذا يتضافر العدول مع الاستفهام لأداء الغرض نفسه وهو لفت انتباه السامع واستكناه المعنى عنده[(١)].

وقد يكون في السياق جمل عديدة متتالية يكون فيها الزمن واحداً ثم يعدل في نهاية السياق إلى زمن آخر؛ وذلك لتحقيق نكتة بلاغية،و كما في سياق قوله تعالى: ﴿**إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ**﴾[(٢)]، ففي الآية الكريمة جاءت الجمل الثلاث الأولى بالفعل المضارع الذي يدل على الزمن الحاضر والمستقبل وهي الأفعال (**يثقفوكم ويكونوا ويبسطوا**)، في حين عدل السياق في الجملة الرابعة إلى الزمن الماضي عن طريق الفعل(**ودّوا**)، والعدول في الفعل ومن ثم الزمن في سياق الجمل يؤدي إلى معنى أن هؤلاء الكفار كانوا يودون قبل كل شيء ان يردوكم كفاراً.

يقول الزمخشري في بيانه لنكتة هذا العدول في زمن السياق: (الماضي وإن كان يجري في جواب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب فإن فيه نكتة، كأنه قيل: وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم، يعني: أنهم يريدون

---

(١) ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ٩٧-٩٨.

(٢) سورة الممتحنة : ٢.

أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعاً: من قتل الأنفس، وتمزيق الأعراض،وردكم كفاراً أسبق المضار عندهم وأوّلها؛ لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم لأنكم بذّالون لها دونه، والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه)[1].

ومن العدول في الزمن أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾[2]، فنلاحظ العدول من الزمن الماضي إلى الزمن المستقبل فجاء التعبير بالفعل(**فتثير**) الذي يدل على الزمن المستقبل. أما الأفعال التي قبله والتي بعده فتدل على الزمن الماضي، فجملة (**فتثير سحاباً**) تصور الحال التي يقع فيها إثارة الريح للسحاب واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة. والسبب في هذا العدول أن التخيّل يقع في الفعلين معاً- أي الزمنين- لكنه في أحدهما – وهو الذي يدل على المستقبل- أوكد وأشد تخيّلاً؛ لأنه يستحضر صورة الفعل، حتى كأن السامع ينظر إلى فاعلها في حال وجود الفعل منه[3].

ويعدل السياق القرآني من الزمن المستقبل إلى الزمن الماضي ليؤذن بأن الفعل في الزمن الماضي محقق الوقوع. ويستعمل السياق القرآني هذا العدول كثيراً وخاصةً في مشاهد القيامة واليوم الآخر. ومن ذلك قوله

---

(١) الكشاف: ١٢٣٩/٤ وأسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ٩٨.

(٢) سورة فاطر: ٩.

(٣) ينظر: المثل السائر: ١٩٥/٢-١٩٦.

تعـالى:﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾[1] فإنه إنما قال:(**ففزع**) بلفظ الماضي بعد قوله(**يُنفخ**) –وهو مستقبل– وذلك للإشعار بتحقق الفزع، وأنه كائن لا محالة؛ لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به في الوقوع[2].

ومن بديع مواضع العدول الزمني ما ورد في سياق قوله تعالى:﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾[3] والشاهد هنا هو التعبير عن ظن المؤمنين بالزمن الحاضر أو المستقبل عن طريق استعمال الفعل المضارع(**تظنون**)، وهو حدث قد حدث في الزمن الماضي بدليل أنه جاء معطوفاً على أفعال قد مضت(**زاغت وبلغت**)، فكان مقتضى الظاهر أن يقول(**ظننتم**)؛ لأنها أحداث وأفعال مضت فمقتضى الظاهر هو التعبير عنها جميعاً بالزمن الماضي على وفق طبيعة كل حدث.

وفي هذا العدول إشارة إلى أن زيغان الأبصار، واضطراب القلوب، إنما هما حال لبست المؤمنين مرة واحدة عند استقبالهم لهذا المكروه . أما الظن بالله فهو أحوال متجددة تعاود المسلمين حالاً بعد حال، حيث يترددون بين الرجاء واليأس ،وبين اليقين والشك، وذلك حسب الأحوال

---

(١) سورة النمل: ٨٧

(٢) ينظر: المثل السائر: ١٩٨/٢–١٩٩ والطراز:٢٦٨/٢.

(٣) سورة الأحزاب: ١٠.

النفسية والمادية التي تعرض لهم. علاوة على ما في التعبير بالزمن المستقبل أو المضارع من استحضار الصورة؛ أي أن صيغته تحمل الحدث من قبل الزمان الغابر؛ لتضعه أمام الحاضر الراهن في جلاء ووضوح(١).

---

(١) ينظر: من أسرار التعبير القرآني – دراسة تحليلية لسورة الأحزاب – د. محمد أبو موسى: ٥٠-٥١.

الخـــاتمـــة

الخاتمة

وبعد هذه الصحبة المباركة مع آيات القرآن الكريم، دراسةً وتحليلاً، لابد لي من القول: إن الجملة القرآنية تتمتع بخصائص أسلوبية وجمالية تجعل القارئ علاوة على الباحث ينصهر في جوها كلما أنعم النظر وتدبر؛ لأن الجملة القرآنية قد امتازت بسبكها ونظمها وأسلوب عرض أفكارها...

وعلى هذا الأساس يمكن إجمال ما توصل إليه البحث من نتائج بما يأتي:-

- استطاع البحث أن يحدد منهجاً خاصاً في تحديد الجمل وتقسيمها، فيمكن تحديد نوع الجملة على وفق معايير عديدة لا يمكن لها أن تتقاطع فيما بينها، وهذه المعايير يمكن أن تجمع أنواع الجمل في طياتها، مع التأكيد على أن الجمل لا تخرج عن الاسمية والفعلية في الخط العام لها.
- إن من أهم ما يميز الجملة القرآنية الدقة في التعبير فقد استعملتْ كل الطرائق التي تؤدي إلى المعنى على أتم وجه فقد كان الحذف متنوعاً سواء حذف الأركان الأساسية للجملة أم غير الأساسية، إذ إن أسلوب الجملة القرآنية يخرج بالجملة القرآنية كثيراً عن النمط المألوف في التعبير عن المعاني مما؛ أكسبها مطاوعة وحركة في التعبير عن المعنى من خلال السياق الذي ورد فيه الحذف.

- كان الأسلوب القرآني عامة حريصا على الرتب المحفوظة في تركيب جمله، إلا أنه يتعدى هذا الترتيب عندما يشير التقديم أو التأخير إلى مغزىً دلالي لا يستطيع حفظ الرتبة معه أن يؤديه، وهذا هو سرُّ الاختلاف بين الجمل المتشابهة في السياقات المختلفة إذ ترد جملةٌ ما محفوظة الرتبة في موضع على حين نجدها قد عدل فيها عن الرتبة في موضع آخر؛ وهذا يرجع إلى أن الأسلوب القرآني يفضل النمط الذي ترد فيه الجملة القرآنية مؤديةً المعنى بدقةٍ متناهيةٍ وصولا إلى الغرض الذي من أجله حصل العدول عن الرتبة في أسلوب الجملة القرآنية.
- تختلف الجملة القرآنية طولاً بين القرآن المكي والمدني، فغلب على المكي قصر جُمَله مع القوة في التعبير، فكانت الجمل قصيرةً متتابعةً متسارعةً مختصرةً لتلائم طبيعة بناء الاعتقاد الجديد في نفوس المتكبرين وعقولهم فكان بمثابة الثورة الفكرية والعقائدية التي تسعى إلى ترسيخ الإيمان الحقيقي، على حين ظهر طابع الهدوء والمحاكاة المتمثل بطول الآيات والجمل في القرآن المدني، فطالت الجمل وتفرعت وكثرت فيها الاعتراضات وأسهبت في شرح الجزئيات لتلائم طبيعة بناء المجتمع الجديد على أسس صحيحة، فطالت الجملة القرآنية بأساليب وطرق متنوعة، فضلاً عن الظواهر الأسلوبية الأخرى كتطويل الجملة مع القدرة على اختصارها...وغيرها.

- استعملت الجملة القرآنية كل طرائق التوكيد المتاحة في اللغة، ومع ذلك فإن الجملة القرآنية تستعمل التوكيد بدقة متناهية جداً فتتنزل عناصر التوكيد في الجملة على وفق الأحوال والمواقف، ويمكن أن تدخل عناصر التوكيد في الجملة أو تنتزع في جمل تبدو متشابهة في البناء إلا أنها تختلف اختلافاً دقيقاً في المعنى ، فالأسلوب القرآني يراعي كل ذلك في استعماله لعناصر التوكيد وإيثاره لعنصر على آخر في الاستعمال.
- يستعمل القرآن الكريم أدوات النفي بدقة متناهية، فقد تأتي جملتان متشابهتان من ناحية البناء إلا أنهما مختلفتان باستعمال أداة النفي، وهذا التفريق في استعمال أدوات النفي في السياقات المتشابهة نابع من اختلاف دلالة أداة النفي في أسلوب القرآن الكريم؛ مما أدى إلى الاختلاف في بعض تأويلات الجمل القرآنية المنفية.
- إن أكثر الاستفهام الوارد في أسلوب القرآن الكريم قد خرج عن معنى الاستفهام الحقيقي إلى معان أخرى تُفهم من السياق الذي ورد فيه الاستفهام، ويمتاز الاستفهام بالهمزة بأنه يتسلط على العنصر المستفهم عنه داخل الجملة القرآنية، وفي كثير من الأحيان تتحول الجملة القرآنية من الفعلية إلى الاسمية؛ لأن الاستفهام يجعل العنصر المستفهم عنه في صدارة الجملة مما يجعل الاستفهام مسلطاً على جميع عناصر الجملة أي يكون استفهام تصديق أو استفهام نسبة، ويكثر ذلك عندما يكون الاستفهام إنكارياً.

- في كثير من الأحيان لا نستطيع ضبط معنى الاستفهام في غرض محدد في أسلوب الجملة القرآنية، فنعمد إلى ذكر جملة من المعاني للاستفهام الوارد في أسلوب جملةٍ قرآنيةٍ معينةٍ ،إلا أنه مهما تعددت معاني الاستفهام في تلك الجملة يبقى أحد هذه المعاني أكثر وضوحا من غيره.
- إن الجمل القرآنية تتلازم وترتبط عن طريق الفصل حيناً والوصل حيناً آخر، فتتلازم عن طريق الوصل- العطف- لأن الجملة الأولى لا تستطيع الاستغناء عن الثانية والعكس صحيح، ومن أبرز مظاهر التلازم بين الجمل القرآنية في الوصل والفصل، وهو أنه يمكن أن تأتي جملتان متلازمتان موصولتان في الشكل ولكنهما مفصولتان في المعنى، وهذه من سمات الحوار القرآني بين الشخصيات.
- إن التركيب الشرطي عبارة عن جملتين متلازمتين لا تنفك إحداهما عن الأخرى، وهناك ظواهر أسلوبية عديدة لمجيء جملة الشرط وجملة الجواب، منها أنه يمكن أن تتعدد جملة الشرط في السياق القرآني وتكون جملة الجواب واحدة، وصالحة لأن تكون جواباً لكل جملة من جمل الشرط المتقدمة.
- تتلازم جملة القسم وجملة الجواب في الأسلوب القرآني فوجود الأولى يأذن بوجود الثانية، فإن وُجدت الثانية ولم توجد الأولى وجب تقديرها ومع ذلك فإن الأسلوب القرآني يجنح كثيراً إلى حذفها ولاسيما في السور القصار، وهو المجال الذي يكثر فيه أسلوب القسم.

- إن القرآن الكريم يستعمل الألفاظ على وفق ما يقتضي حسن التناسق في الجملة القرآنية ذلك بأن تناسب كل لفظة في الجملة الألفاظ الأخرى التي استُعملت معها في نظام الجملة أو نظام الجمل المتجاورة. فإذا كانت اللفظة غريبة جاءت الألفاظ الأخرى بمستوى الغرابة للفظة المستعملة؛ توخياً لحسن الجوار، ورغبة في ائتلاف المعاني بالألفاظ في الوضع وتتناسب في النظم.
- إن إطلاق لفظ (الموسيقى) على الإيقاع المنبعث من ألفاظ القرآن في أثناء التلاوة مردود، خلافاً لبعض الدارسين ممن أطلق ذلك المصطلح على وقع القرآن الكريم، والسبب في عدم قبولنا بذلك هو كون (الموسيقى) تدل على اللهو والطرب عند الإطلاق وكلام الله عز وجل أسمى من أن نهبط به إلى ما نهى عنه.
- تجانس الألفاظ داخل الجملة القرآنية من ناحية الإيقاع ملحظ أسلوبي جمالي مهم ففي كثير من الحالات يكون إيقاع هذه الألفاظ داخل الجملة ذا أثر بارز في الإيحاء بالمعنى لتلك الجملة أو تلك الجمل داخل السياق نفسه.
- تقع الجملة القرآنية في أنساق متآلفة تنطوي على مشاكلة للمقاصد والغايات؛ فيستريح لتآلفها السمع والصوت والنطق، ويتكون من اجتماعها على النحو الذي رُتبت عليه سياق جميل ينطوي على إيقاع خفي رائع ما كان ليتم فيما لو نقصت الجملة حرفاً أو كلمة، أو

اختلف ترتيبها على النحو الذي وردت به ضمن أنساقها المتشابهة أو المختلفة.

- لا يمكن إرجاع كثير من الظواهر الأسلوبية كالحذف والتقديم والزيادة والفصل وغيرها في ألفاظ الجملة القرآنية إلى الفاصلة القرآنية فحسب، بل إن التغير الحاصل في بناء جملة الفاصلة ناتج بالدرجة الأساس عما تعطيه من معنى، وأن هذا حاصل كجزءٍ من أسلوب القرآن في استعمال الجملة، ومن ثَمّ فإن هذا التغيير يسهم في تناسق الفاصلة القرآنية لتلك الجمل في سياقاتها.
- لقد كانت الجملة بنوعيها (**الاسمية والفعلية**) الخادم الأمين لمقاصد البيان الإلهي، فكان كل منها في المكان المناسب، بحيث لا يمكن استبدال نمط مكان نمط آخر، أو ترتيبها على غير النسق الذي رُتبت عليه، كذلك حملت بين طياتها أدق الدلالات لأوسع المعاني وأشدها تفصيلاً وعبرت أجمل التعابير عن خفايا النفس البشرية، والتصاقها بمجتمعها ضمن حدود الواقع، حيث لا تجاوز عن حدوده إلى خيالات أو مبالغات لا طائل وراءها، فكانت خير وسيلة لخير أسلوب معجز.
- لا يقتصر العدول في السياق القرآني على العدول في الضمائر أو الألفاظ، بل عَبَر الأسلوب القرآني في هذا المجال حدود العدول المعروفة إلى العدول في الجمل، فنجد السياق الكريم يعدل عن جملة إلى جملة أخرى لنكتة بلاغية ودلالية في غاية في الدقة، علاوة على العدول في الزمن بين جملة وأخرى.

- إن قواعد الإعراب الصحيحة مُستمدة من القرآن الكريم بأسلوبه المشرق وبيانه المعجز؛ فهو الحجة للقاعدة النحوية والشاهد عليها، في لغته وأسلوبه، فهو كنز للعربية حفظها على مر الأزمان ، وبه توطدت دعائمها، وقوي سلطانها،ومن محكم تراكيبه وروائع كلمه ودقيق ألفاظه تستمد مادتها وأصالتها.
- إن تقليب النظر في وجوه القراءات يكشف السر عن غايات بلاغية وأسلوبية كامنة فيها ولهذا لم أغفل جانبها. بل وقفت على بعضها، وبينت وجوه بلاغتها مرجحاً ما أراه قريباً إلى سياق الآية والمعنى الذي تحويه والذي ينسجم مع نظم الجملة في سياقها.
- وكان هناك وقفات خاصة للموازنة بين الجمل في الآيات ذات التشابه في النظم فأعرضها في الموضع اللائق بها، ثم أُقلب وجوه الفرق في تعبيراتها مع اتفاق موضوعاتها فأقع من خلال ذلك على كنوز بلاغية ودرر أسلوبية تبهج النفس وتبهر العقل وتقطع بأن هذا الكتاب العظيم من لدن حكيم خبير.

ولا أخفي سراً على أحد حين أقول : لقد أخرجت شيئاً يسيراً جداً من جواهر أسلوبية للجملة القرآنية إلى النور ، إلا أن المجال فيها لا يزال مفتوحا وبابه أوسع أمام الباحثين، والحقيقة أنه مجال يحتاج ‘لى جهد ووقت غير قليلين إلا أنه في الوقت نفسه من أمتع المجالات وأدقها، وأنه من أعظم نِعمِ ربي علي في مراحل التعليم التي تدرجت فيها نعمة إرشادي إلى هذا البحث القرآني المبارك فلقد لمست بركته في قلمي

ونفسي ووقتي، وفوق كل ذلك يشعر الباحث في نهاية المطاف أنه قدم شيئاً ذا قيمة مهما كان صغيراً.

وإني لأحمد الله على ما وفقني إليه من صواب إذا بدا شيء منه في تضاعيف هذه الاطروحة، وأستغفره من كل زلل أو خطأ خالف مراد الله عز وجل في جمل الكتاب العزيز.

وأسأل الله العظيم أن يجعل هذا الجهد في ميزان حسناتي يوم ألقاه، وأن يثيب مَنْ أشرف عليه ومَنْ أطلق فيه كلمة أو أسدى نصيحة أو مدّ يد العون.

وسع ربنا كل شيء علما وعلى الله توكلنا، ولله الحمد من قبل ومن بعد، وصلى الله وسلم على أفصح الناس لساناً، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن استن بهديه إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**
- **ابـن القيـم وحسـه البلاغـي فـي تفسـير القـرآن، د. عبـد الفتـاح لاشين.**

  طبع ونشر دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٢ م.
- **الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ).**

  تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.
- **أثر النحاة في البحث البلاغي، د. عبد القادر حسين.**

  طبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر.
- **إحياء النحو، الأستاذ إبراهيم مصطفى.**

  لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٩م.
- **ارتشـاف الضـرب، محمـد بـن يوسـف الشـهير بـأبي حيـان الأندلسي(ت٧٤٥هـ).**

  تحقيق: د. مصطفى النحاس، مصر، القاهرة، ١٩٨٤م.
- **أسـاليب النفـي فـي العربيـة- دراسـة وصـفية تاريخيـة، د.مصـطفى النحاس.**

  مؤسسـة علـي جـراح الصـباح للنشـر والتوزيـع، الكويـت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

- **أساليب النفي في القرآن، د.أحمد ماهر البقري.**

دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

- **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د.حسن طبل.**

دار الغوثاني، دمشق، سوريا، الطبع الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

- **الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ).**

طبع حيدر آباد، باكستان، ١٣٥٩هـ.

- **الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد.**

دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى،١٤١٩ هـ- ١٩٩٩م.

- **الإعجاز البياني للقران ومسائل ابن الأزرق، د.عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئ).**

دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

- **الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي.**

نشر وتوزيع مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله، تونس،١٩٨٠م.

- **إعجاز القرآن، الكتاب الثاني، عبدالكريم الخطيب.**

دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٥م- ١٣٩٥ هـ.

- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الأستاذ مصطفى صادق الرافعي.**

دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، ١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣م.

- **الإعجــاز النحــوي فــي القــرآن الكريــم، د.فتحــي عبـد الفتــاح الدجني.**
مكتبة الفلاح، الكويت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م.
- **إعراب الجمل وأشباه الجمل، د.فخر الدين قباوة.**
المكتبة العربية، حلب، سوريا، الطبعة الثانية، ١٣٩٧ هـ-١٩٧٧م.
- **إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش.**
دار الإرشاد، حمص، سوريا، الطبعة الأولى في عشرة أجزاء، ١٤٠٠ هـ-١٩٨٠م.
- **الألسنية العربية، ريمون طحان.**
دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م.
- **الأمثال القرآنية، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني.**
دار القلم، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ-١٩٨٠م.
- **إمـلاء مـا مـنّ بـه الـرحمن مـن وجـوه الإعـراب والقـراءات فـي جميـع القرآن، أبـي البقـاء العكبري ت(٦١٦هـ). تحقيق وتصحيح: الأستاذ إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٠ هـ-١٩٦١م.**
- **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبـو البركــات الأنبــا ري(ت٥٧٧هــ). تحقيــق: محمــد محيــي الــدين عبدالحميـد، المكتبــة التجاريــة الكبـرى، مصـر، الطبعــــة الرابعـة، ١٩٦١ م.**

- **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القز ويني(ت٧٣٩هـ).**

دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م.

- **البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي.**

دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **بدائع الفوائد، شمس الدين ابن القيم الجوزية(ت٧٩٤هـ).**

دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- **البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي(ت٧٩٤ هـ).**

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م.

- **البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم الزملكاني(ت٦٥١هـ).**

تحقيق: د.أحمد مطلوب و د.خديجة الحديثي، رئاسة ديوان الأوقاف، مطبع العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م-١٣٩٤ هـ.

- **البسيط في علم التجويد، د. وليد محمد عبد العزيز الحمد.**

الطبعة الثانية، الكويت، ٢٠٠٣م.

- **بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، د.عفّت الشرقاوي.**

دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

- **البلاغة فنونها وأفنانها ،علم المعاني، د. فضل حسن عباس.**

دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤١٨ هـ-١٩٩٨م.

- **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، د. محمد أبو موسى. طبع ونشر دار الفكر العربي.**
- **بلاغة الكلمة والجملة والجمل، د.منير سلطان.**

الناشر منشأة المعارف، الاسكندرية، الطبعة الثانية،١٩٩٣م.

- **البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب.**

الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٤م.

- **بناء الجملة بين منطق اللغة والنحو،د.نجاة عبد العظيم الكوفي.**

دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨م.

- **بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف.**

دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

- **البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان.**

عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

- **تأملات في سورة الحاقة، د. حسن محمد باجودة.**

دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨٢م.

- **تأملات في سورة الرعد، د. حسن محمد باجودة.**

دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٩م.

- **تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري(ت٢٧٦هـ). شرح ونشر السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.**
- **التبيان في أقسام القران، ابن القيم الجوزية**

صححه وعلق عليه الشيخ طه يوسف شاهين ، دار الكتاب العربي

- **الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد.**

دار الفكر، دمشق، سوريا، إعادة للطبعة الأولى،١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

- **التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر ، د.عبد الفتاح لاشين.**

الناشر؛ دار المريخ، الرياض، ١٩٨٠م.

- **التصوير بالكلمات، مشروع دراسة للصورة الفنية في القرآن، ناديا سلطان.**

اشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

- **التصوير الفني في القرآن، سيد قطب.**

دار الشروق، بيروت-القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩م.

- **التضاد في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد.**

دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

- **التعبير الفني في القرآن، د.بكري شيخ أمين.**

دار الشروق، بيروت-القاهرة، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

- **التعبير القرآني، د.فاضل صالح السامرائي.**

ساعدت جامعة بغداد على نشره، بغداد، ١٩٨٦-١٩٨٧م.

- **تفسير ابن كثيرو عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي(ت ٧٧٤هـ).**

قدم له عبدالقادر الأرناؤوط، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الخامسة،١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

- **تفسير أبي السعود، المسمى(إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)،لأبي السعود محمد بن محمد العمادي(ت ٩٥١هـ).**

دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

- **تفسير البغوي، المسمى(معالم التنزيل)،لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي(ت٥١٦ هـ).**

تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- **تفسير غريب القرآن، أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري (ت٢٧٦هـ).**

تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ هـ-١٩٧٨م.

- **تفسير القاسمي، المسمى(محاسن التأويل)، محمد جمال الدين القاسمي(ت١٣٢٢هـ).**

تحقيق: الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

- **التفسير القيم، ، شمس الدين ابن القيم الجوزية.**

جمعه محمد إدريس الندوي وحققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٩٧٨م.

- **التفسير الكبير، تقي الدين احمد بن عبد السلام الحراني الدمشقي المعروف بابن تيمية (ت٧٢٨هـ).**

تحقيق وتعليق: د.عبدالرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **التفسير الكبير، الفخر الرازي(ت٦٠٦هـ).**

دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية.

- **تفسير النسفي، المسمى(مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي(ت٧١٠ هـ).**

الناشر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ، لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي

المكتبة التجارية الكبرى – مصر ، ١٣٨٠ هـ-١٩٦٠ م.

- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي.**
تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- **الجامع لأحكام القرآن، الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(ت ٦٧١هـ).**
دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣م.
- **الجامع لإعراب جمل القرآن، د.أيمن الشوّا.**
مكتبة الغزالي، دمشق، دار الفيحاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- **جماليات المفردة القرآنية، د. أحمد ياسوف.**
دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ-١٩٩٩م.
- **الجملة العربية- تأليفها وأقسامها، د.فاضل صالح السامرائي.**
منشورات المجمع العلمي العراقي.
- **الجنى الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المرادي(ت ٧٤٩هـ).**
تحقيق: طه محسن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٩٧٦-١٣٩٦هـ.

- **حاشية الصبان على شرح الأشموني، الشيخ محمد بن علي الصبان(ت١٢٠٦هـ).**

  دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة.
- **حسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي(٧٢٥هـ).**

  تحقيق ودراسة: أكرم عثمان يوسف، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد، ١٩٨٠م.
- **حول الإعجاز البلاغي في القرآن، د.حسن طبل.**

  طبع ونشر مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩م.
- **الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢ هـ).**

  تحقيق: د.عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- **خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني،د. محمد أبو موسى.**

  الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٦ هـ-١٩٩٦م.
- **خصائص القرآن الكريم، د. فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي.**

  مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

- **الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وكتاب الإنصاف، محمد خير الحلواني.**

دار القلم العربي بحلب ١٩٧٤م.

- **دراسات قرآنية، إبراهيم النعمة.**

مطبعة الزهراء، الموصل، العراق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م.

- **دلائل الإعجاز في علم المعاني، الإمام عبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١هـ).**

صححه وعلق عليه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطبعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ١٩٨١م.

- **دلالات التراكيب، د. محمد أبو موسى.**

دار التضامن، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٧م.

- **روائع القرآن وجنة البيان، د. محمد ضاهر وتر.**

دار الألباب، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠٢م.

- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي البغدادي(ت١٢٧هـ)**

دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤١٤ هـ-١٩٩٤م.

- **زبدة التفسير، د.محمد سليمان عبد الله الأشقر.**

دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- **سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن، د.عودة الله منيع القيسي.**

دار النشر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ-١٩٩٦م.

- **سر صناعة الإعراب، أبو الفتح بن جني.**

دراسة وتحقيق: د.حسن هنداوي، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م.

- **شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب، ابن العماد الحنبلي(ت١٠٨٩ هـ).**

منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

- **شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك ، قاضي القضاة بهاء الدين عبدالله بن عقيل المصري الهمداني(ت٦٧٩ هـ).**

ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩٩م.

- **شرح المفصل، أبو البقاء يعيش بن علي ابن يعيش(ت٦٤٣ هـ).**

المطبعة المنيرية بمصر.

- **الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية، د.عبد السلام المسدي ود. محمد الهادي الطرابلسي.**

الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، ١٩٨٥م.

- **صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري(ت ٢٥٦هـ).**

تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م.

- **صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري(ت٢٦١هـ).**

تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- **الصوت اللغوي في القرآن، د.محمد حسين علي الصغير.**

دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م.

- **الطبيعة في القرآن الكريم، د. كاصد ياسر الزيدي.**

وزارة الثقافة والإعلام العراقية ،دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.

- **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي(ت٧٤٩هـ).**

مراجعة وضبط وتدقيق محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى(ثلاثة أجزاء في مجلد واحد)، بيروت، لبنان،١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

- **العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه ودوره في التحليل اللغوي، د. خليل أحمد عمايرة.**

من إصدارات جامعة اليرموك، الأردن.

- **علل النحو لأبي الحسن محمد بن عبد الله ابن الوراق(ت٣٨١ هـ).**
تحقيق ودراسة الدكتور محمد جاسم الدرويش، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢م.
- **علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر.**
مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٢م.
- **علم اللغة العام- الأصوات، د. محمد كمال بشر.**
دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩م.
- **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، د. صبحي إبراهيم الفقي.**
دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠م.
- **علم المعاني- تأصيل وتقييم، د. حسن طبل.**
طبع ونشر مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر القاهرة، مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- **علوم البلاغة- البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي.**
دار القلم ، بيروت، لبنان.
- علوم القرآن، د. عدنان زرزور.
المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ-١٩٨١م.
- **الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي.**
المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م.

- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم والتفسير، محمد بن علي الشوكاني(ت١٢٥٥هـ).**

  حققه وأخرج أحاديثه وفهرسها أبو حفص سيد بن ابرهيم بن صادق بن عمران، دار الحديث، القاهرة.

- **الفصل والوصل في القرآن الكريم، دراسة في الأسلوب، د. منير سلطان.**

  الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.

- **الفوائد في مشكل القرآن، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ).**

  تحقيق الدكتور سيد رضوان علي الندوي ومراجعة الدكتور عبدالستار أبو غدة.

  وزارة لأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

- **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن القيم الجوزية.**

  دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- في النحو العربي- قواعد وتطبيق، د. مهدي المخزومي.

  القاهرة الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

- **في النحو العربي- نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي.**

  منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

- **الكافيــة فــي النحــو، جمــال الــدين ابــن الحاجــب المــالكي النحــوي(ت٦٤٦هــ) ،شــرحها رضــى الــدين محمــد بــن الحســن النحوي(ت٦٨٦ هـ).**

دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م.

- **الكتاب، سيبويه(أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) (ت١٨٠هـ).**

تحقيق عبدالسلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٧م.

- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي(ت ٥٣٨هـ).**

دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م.

- **لسان العرب، ابن منظور(محمد بن مكرّم) (ت٧١١هـ).**

طبعة دار صادر في سبعة أجزاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٥٦م.

- **اللغة بين المعيارية والوصفية، د.تمام حسان.**

مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م.

- **لمســات بيـانيـــة فــي نصــوص مــن التنزيـل، د.فاضـل صــالح السامرائي.**

دار الشـؤون الثقافيـة العامـة، وزارة الثقافـة والإعـلام ، بغـداد، العـراق، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

- **مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم.**

دار القلم، دمشق، سوريا، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩م.

- **مباحث في علم المعاني، د. محمد طاهر الحمصي.**

منشورات جامعة البعث، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، حمص، سوريا، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

- **مباحث في علوم القرآن، د.صبحي الصالح.**

دار العلم للملايين، الطبعة الثامنة، ١٩٧٤م.

- **مبادئ اللسانيات، د.أحمد قدور.**

دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت،الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير(ت٦٣٧ هـ).**

قدم له وحققه وشرحه وعلق عليه، د.أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣م.

- **محاولة لفهم عصري، مصطفى محمود.**

دار العودة، بيروت، ١٩٨٩م.

- **مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، د.عدنان محمد زرزور.**

دار العلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ-١٩٩٥م.

- **مدخل إلى دراسة الجملة العربية، د.محمود أحمد نحلة.**

دار النهضة العربية ،بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- **مدخل إلى علم الاسلوب، د.شكري محمد عياد**

منشورات أصدقاء الكتاب، الرياض ، ١٤١٣ هـ-١٩٩٢ م.

- **مستويات السرد الإعجازي في القرآن الكريم، شارف مزاري.**

منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ٢٠٠١م.

- **المشاهد في القرآن الكريم- دراسة تحليلية وصفية، د.حامد صادق قنيبي.**

مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٤.

- **مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب.**

الطبع الثانية ،دار الشروق.

- **مشكل إعراب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي(ت٤٣٧هـ).**

دراسة وتحقيق: حاتم صالح الضامن، القسم الثاني، منشورات وزارة الإعلام في الجمهورية العراقية ١٩٧٥م.

- **المصطلح النحوي- نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عوض حمد قوزي.**

ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣م.

- **المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين.**

دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

• **معاني القرآن، أبو زكريا الفراء (ت٢٠٧ هـ).**
تحقيق: محمد على النجار وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
• **معاهد التنصيص، عبد الرحيم بن أحمد العباسي(ت٩٦٣هـ).**
تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٦٧ هـ-١٩٤٧م.
• **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.**
وضعه محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث، خلف جامع الأزهر، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م.
• **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري المصري(ت٧٦١ هـ).**
تعليق: أبو عبدالله علي عاشور الجنوبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ-٢٠٠١م.
• **مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي(ت٦٣٦ هـ).**
ضبطه وشرحه الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
• **المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥م).**
تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمه، عالم الكتب، بيروت.

- **مــلاك التأويـــل، أحمـــــد بـــن إبـــراهيم بـــن الزبيـــر الثقفـــي الغرناطي(ت٧٠٨ هـ).**

تحقيق: سعيد الفلاّح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣م.

- **من أساليب التعبير القرآني، دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني، د. طالب محمد إسماعيل الزوبعي.**

دار النهضة العربية ،بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

- **من أسرار التعبير في القرآن- صفاء الكلمة، د. عبد الفتاح لاشين.**

نشر دار المريخ ، الرياض.

- **من أسرار التعبير القرآني، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، د. محمد أبو موسى.**

دار الفكر العربي، ١٩٧٦م.

- **من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس.**

مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٩٤م.

- **من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي.**

دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة ، مصر، ١٩٥٠ م.

- **مـن روائـع البـديع فـي القـرآن الكـريم، د. أحمـد عبـد المجيـد محمـد خليفة.**

الناشر، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

- **من فيض الرحمن في بلاغة النحو في القرآن، خضر عبدالسلام حسن أبو طالب.**

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٤م.

- **النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، د. محمد عبدالله دراز.**

دار القلم ، الكويت، ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤ م.

- **نحو التيسير- دراسة ونقد منهجي، د. أحمد عبد الستار الجواري.**

مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤ م.

- **نحو الفعل، أحمد عبد الستار الجواري.**

مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٩٤ هـ-١٩٧٤ م.

- **نحو المعاني، د. أحمد عبد الستار الجواري.**

مطبعة المجمع العلمي العراقي، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧ م.

- **النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د.محمد حماسة عبد اللطيف.**

دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

- **النشر في القراءات العشر، ابن الجزري(ت٨٣٣هـ).**

صححه على محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي.**

دار المنارة، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

- **النظم القرآني في سورة الرعد، محمد بن سعد الدبل.**

عالم الكتب، القاهرة، مصر، ١٣٩٨ هـ-١٩٧٨م.

- **وجوه من الإعجاز القرآني، مصطفى محمد زكي الدباغ.**

مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م.

- **<u>الرسائل الجامعية</u>**
- **الجملــة فــي أسـلوب القصــة القرآنبــة_ رســالة ماجســتبر_ ســوزان عبدالقادر ميري،كلية الآداب، جامعة حلب، ١٤١٩هـ _١٩٩٩م.**

  - الدلالـة السـياقية عند اللغويين - رسـالة ماجسـتير - عواطـف كنـوش مصطفى.

كلية الآداب، جامعة البصرة١٤١٢هـ-١٩٩٢ م.

  - سورة هود دراسة لغوية ودلالية - أطروحة دكتوراه- عبدالكريم ناصر محمود الخزرجي.

كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م.

  - اللغة في الدرس البلاغي- أطروحة دكتوراه- عدنان عبدالكريم جمعة.

جامعة البصرة، كلية الآداب ١٤١٦هـ-١٩٩

المحتويات

فهرس المحتويات

طبع بمطابع هيئة ادارة واستثمار اموال الوقف السني
e-mail : printprint25@yahoo.com